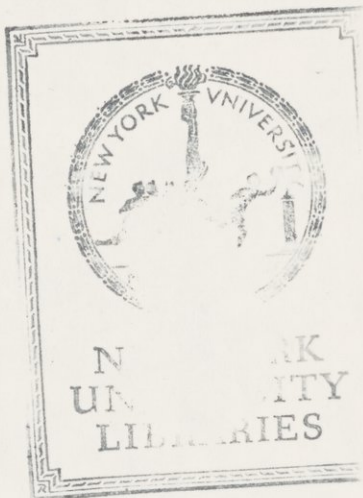


BOBST LIBRARY



3 1142 02885 8267



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

New York University
Bobst, Circulation Department
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

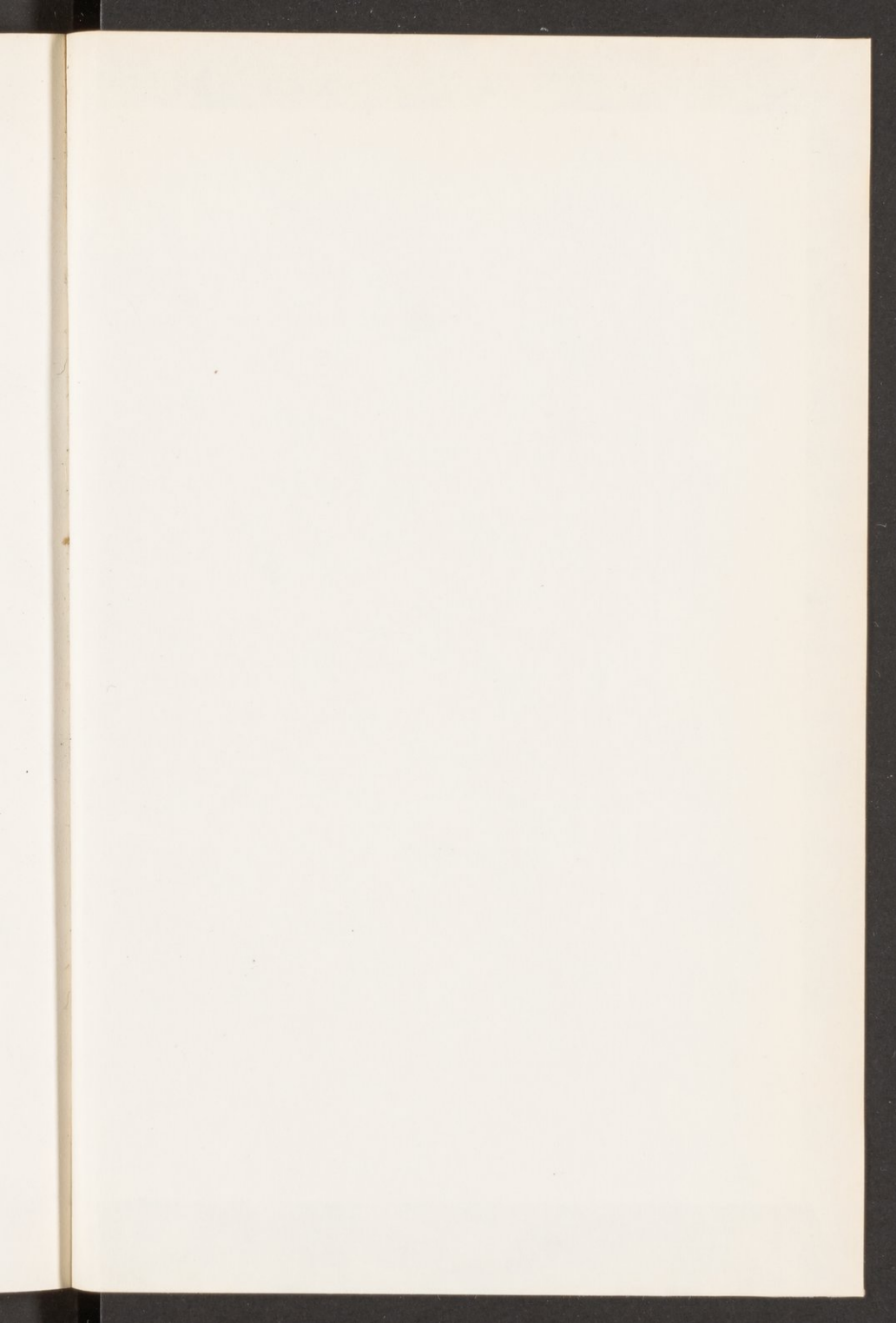
Web Renewals:
<http://library.nyu.edu>
Circulation policies
<http://library.nyu.edu/about>

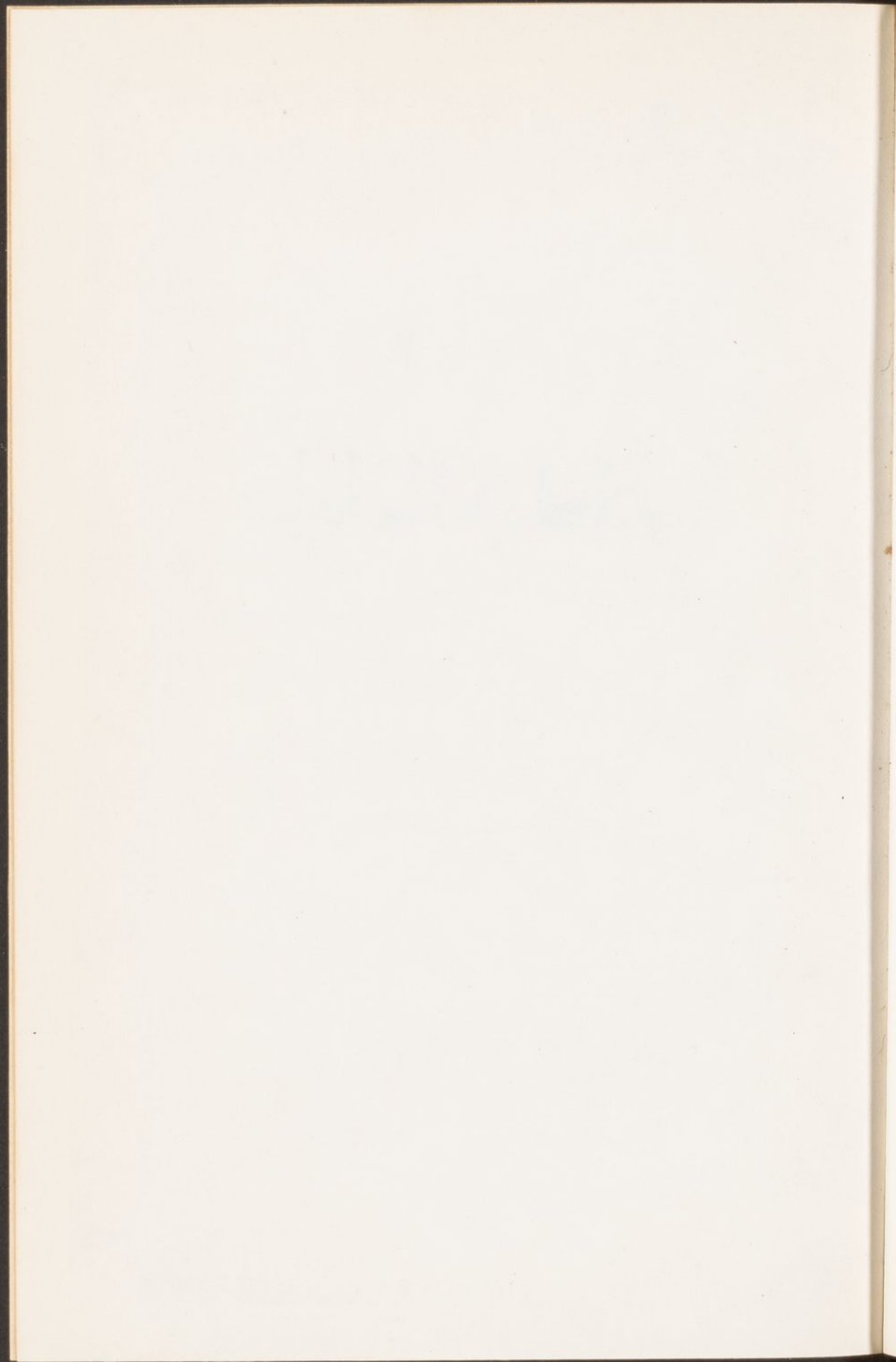
THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME

| | | |
|--|--|--|
| | | |
| | | |
| | | |
| | | |

DUE DATE
RETURNED
JUN 4 2012
MAY 12 2012
BOBST LIBRARY
BOBST LIBRARY
CIRCULATION

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING BOOKS ONLINE







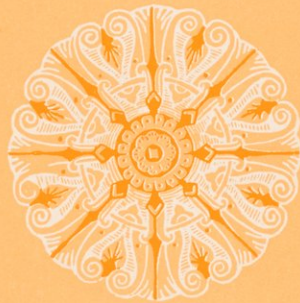
V.2 no. 5-8

المجلة العربية

V. 2

(no. 5)

مخاطبة الملوك



مكتبة صنادير
بيروت

7540-134-8

9

1841

1842

1843

مخاطبة الملوك

العقد الفريد

من أشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه أدب - وأقوال - ونوادير - وملح -
وتاريخ - وأخبار الخ . الخ



مخاطبة الملوك

هو كتاب المرجانة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

Ibn 'Abd Rabbih,

المعتمد الفريدي

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٥

al-'Iqd al-farūd.

v. 2

مخاطبة الملوك

مكتبة صادر

بيروت

Near East

PJ

7745

I 15

I 5

v. 2

c. 1

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

كتاب المرجانة

في مخاطبة الملوك

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

قد مضى قولنا في الوفود والوفادات ومقاماتهم بين يدي نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبين يدي الخلفاء والملوك ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه وتأيدته وتسديده في مخاطبة الملوك والتزلف إليهم بسحر البيان ، الذي يمازج الروح لطافة ويجري مع النفس رقة ، والكلام الرقيق مفايد القلوب ، وإن منه لما يستعطف المستشيط غيظاً ، والمندمل حقداً ، حتى يُطفيء جمره غيظه ، ويسلّ دفائن حقه ، وإن منه لما يستميل قلب اللئيم ، ويأخذ بسمع الكريم وبصره ؛ وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة ، وسافعا مقبولاً ، قال تبارك وتعالى : « فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . »

وسنذكر في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى من تخلص من أنشودة الهلاك وتفككت من حبال المنية ، بحسن التنصل ، ولطيف التوصل ، ولين الجواب ، وزقيق الاستعتاب ، حتى عادت سيئاته حسنات ، وعيضا بالتواب بدلاً من العقاب . وحفظ هذا الباب ، أوجب على الانسان من حفظ عرضه ، وألزم له من قوام بدنه .

البيان

كلُّ شيءٍ كَشَفَ لكَ قِنَاعَ الْمَعْنَى الْخَفِيِّ حَتَّى يَتَأَدَّى إِلَى
الْفَهْمِ وَيَتَقَبَّلَهُ الْعَقْلُ ، فَذَلِكَ الْبَيَانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ،
فِي كِتَابِهِ ، وَمَنْ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : « الرَّحْمَنُ
عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ . »

•
وَسُئِلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِيمَ الْجَمَالُ ؟ فَقَالَ :
فِي اللَّسَانِ ، يَرِيدُ الْبَيَانَ .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : إنَّ من البيان لسِحراً .

•
وقالت العرب : أنفذ من الرميّة كلمة فصيحة .

•
وقال الراجز :

لقد خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا ،
رَؤْيِيَّ طَوْرًا وَطَوْرًا شَاعِرًا

وقال سهل بن هارون :

العقل رائدُ الرُّوح ، والعِلْمُ رائدُ العَقْل ، والبيان
تَرْجُمانُ العِلْمِ .

•
وقالوا : البيانُ بَصْرٌ ، والعِييُ عَمَى ؛ كما أنَّ العِلْمَ بَصْرٌ ،
والجَهْلَ عَمَى . والبيانُ من نِتاجِ العِلْمِ ، والعِييُ من نِتاجِ الجَهْلِ .

•
وقالوا : ليس لِمَنْقُوصِ البَيانِ بَهاءٌ ، ولو حَكَ بيافوخه
عَنانُ السَّماءِ .

•
وقال صاحبُ المَنْطِقِ : حَدُّ الانْسانِ : الحِيُّ الناطِقِ
المُبِينِ . وقال : الرُّوحُ عِمادُ البَدَنِ ، والعِلْمُ عِمادُ الرُّوحِ ،
والبيانُ عِمادُ العِلْمِ .

١ هو ارسطاطاليس الفيلسوف اليوناني .

تبجيل الملوك وتعظيمهم

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قومٍ
فأكرموه .

وقالت العلماء :

لا يُؤمُّ ذو سلطان في سلطانه ، ولا يجلس على تكرمته
إلا بإذنه .

وقال زياد ابن أبيه :

لا يُسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين .

وقال يحيى بن خالد بن برمك :

مساءلة الملوك عن حالها من سجيّة النوكى^١ ، فإذا
أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : أصبح الله
الأميرَ بالنعمة والكرامة ؛ وإذا كان عليلاً ، فأردت

١ النوكى ، واحدها نوك : الأحمق .

أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْأَمِيرِ الشِّفَاءَ وَالرَّحْمَةَ ؛
فَإِنَّ الْمُلُوكَ لَا تُسْأَلُ وَلَا تُشْمَتُ وَلَا تُكَيَّفُ . وَأَنْشُد :

إِنَّ الْمُلُوكَ لَا يُخَاطَبُونَ ، وَلَا إِذَا مَلَّوْا يُعَاتَبُونَ

وَفِي الْمَقَالِ لَا يُنَازَعُونَ ، وَفِي الْعُطَاسِ لَا يُشْمَتُونَ ١

وَفِي الْخُطَابِ لَا يُكَيَّفُونَ ، يُثْنَى عَلَيْهِمْ وَيُجَبَّلُونَ ٢

فَافْهَمْ وَصَاقِي لَا تَكُنْ مَجْنُونًا



اعتلَّ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى ، فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ صُبَيْحِ الْكَاتِبِ
إِذَا آتَاهُ عَائِدًا لَمْ يَزِدْ عَلَى السَّلَامِ عَلَيْهِ وَالِدَعَاءِ لَهُ ، وَيُخَفِّفُ فِي
الْجُلُوسِ ، ثُمَّ يَلْقَى حَاجِبَهُ فَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ وَمَا كَلَهُ وَمَشْرَبَهُ
وَنَوْمَهُ ، وَكَانَ غَيْرُهُ يُطِيلُ الْجُلُوسَ . فَلَيْتَ أَفَاقَ مِنْ عِلَّتِهِ
قَالَ : مَا عَادَنِي فِي عِلَّتِي هَذِهِ إِلَّا إِسْمَاعِيلُ بْنُ صُبَيْحِ .



وَقَالَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ لَهُ :

إِنَّا رَجَا جَلَسْنَا عِنْدَكَ فَوْقَ مَقْدَارِ شَهْوَتِكَ ، فَتُرِيدُ أَنْ

١ يشمتون ، من شمت العاطس : دعا له بقوله : يرحمك الله .

٢ يكيفون : يقال لهم كيف حالكم .

تجعل لنا علامةً نَعْرِفُ بها ذلك ؛ فقال : علامة ذلك أن أقول :
إِذَا سِئِمْتُ .

•
وقيل ذلك ليزيد ، فقال : إِذَا قَلْتُ : على بركة الله .

•
وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال : إِذَا وَضَعْتُ
الْحَيْزْرَانَةَ مِنْ يَدَي .

•
ومن تمام خدمة الملوكة أن يُقَرَّبَ الخادمُ إليه نعليه ، ولا
يُدْعاه بِمِشْيِ إِلَيْهِمَا ، ويجعل النعل اليمنى مُقَابِلَةَ الرَّجْلِ اليمنى ،
واليسرى مُقَابِلَةَ اليسرى ؛ وَإِذَا رَأَى مُتَكَأً يَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحِ
أصلحه قبل أن يُؤْمَرَ ، فَلَا يَنْتَظِرُ فِي ذَلِكَ أَمْرَهُ ؛ وَيَتَقَدَّدُ
الدَّوَاةَ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ ، وَيَنْقُضُ عَنْهَا الْعُبَارَ إِذَا قَرَّبَهَا إِلَيْهِ ؛
وَإِنْ رَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ قِرْطَاساً قَدْ تَبَاعَدَ عَنْهُ قَرَّبَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ
يَدَيْهِ عَلَى كِسْرِهِ .

•
ودخل الشَّعْبِيُّ عَلَى الْحِجَّاجِ ، فَقَالَ لَهُ : كَمْ عَطَاكَ ؟

قال : أَلْفَيْنِ .

قال : وَيْحَكَ ! كَمْ عَطَاؤُكَ ؟

قال : أَلْفَانِ .

قال : فلم لَحَنَت فيما لا يَلْحَن فيه مثلك ؟
قال : لَحَنَ الأمير فلحنت ، وأعرِبَ الأمير فأعرِبت ،
ولم أكن لِيَلْحَنَ الأمير فأعرِبَ أنا عليه ، فأكون كالمُقَرَّرِّع له
بلحنه ، والمُسْتَطِيل عليه بفضل القول قبله .
فأعجبه ذلك منه ووهبه مالاً .

قبلة اليد

ذكر عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر، رضي الله
عنهما ، قال :

كنا نُقبِّل يدَ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .

ومن حديث وكيع عن سفيان قال قال :

قبِّل أبو عُبَيْدَةَ يدَ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

ومن حديث الشعبي قال :

لقي النبي ، عليه الصلاة والسلام ، جعفر بن أبي طالب ، رضي الله
عنه ، فالتزمه وقبِّل ما بين عينيه .

قال إياس بن دَعْفَل :

رَأَيْتُ أبا نَضْرَةَ^١ يُقبِّلُ حَدَّ الحُسَيْنِ .

١ أبو نضرة : المنذر بن مالك العبدي .

الشَّيبَانِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ مُصْعَبٍ قَالَ :
رَأَيْتُ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَبَّلَ
يَدَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ فَلَمْ يَنْهَهُ .

العُبَيْدِيُّ قَالَ :

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَقَالَ :
يَدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ يَدٍ بِالتَّقْبِيلِ ، لَعَلُّوْهَا فِي الْمَكَارِمِ ،
وَطَهْرُهَا مِنَ الْمَأْتَمِ ؛ وَإِنَّكَ تُقِلُّ التَّشْرِيْبَ ، وَتَصْفَحُ عَنْ
الذَّنُوبِ ، فَمَنْ أَرَادَ بِكَ سُوءًا جَعَلَهُ اللَّهُ حَصِيْدًا سَيْفِكَ ،
وَطَرِيْدًا حَوْفِكَ .

الاصمعيُّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الْهَجْرِيُّ عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، نَعَضُ فَمِي ١ ، وَأَنْتُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ بَرَكَةٌ ، فَلَوْ أَدْنَتْ
فَقَبَّلْتُ رَأْسَكَ ، لَعَلَّ اللَّهُ يَمْسُكُ عَلِيًّا مَا بَقِيَ مِنْ أَسْنَانِي .

قَالَ : اخْتَرْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَائِزَةِ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْسَرُ عَلِيٍّ مِنْ ذَهَابِ الْجَائِزَةِ أَنْ
لَا تَبْقَى فِي فَمِي حَاكَّةٌ ٢ .

١ نغض فمي : أي تحركت أسناني وقلقت .

٢ الحاككة : السن .

فَصَحِّحِ الْمَنْصُورَ وَأْمُرْ لَهُ بِجَائِزَةٍ .

•
ودخل جعفر بن يحيى في زبيّ العامّة وكتبان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكمة ، ومعه ثمامة بن أشرس ؛ فقال ثمامة : هذا أبو الفضل ؛ فنَهَضَ إليه سليمان فقبَّل يده ، وقال له : بأبي أنت ، ما دعاك الى أن تُحَمِّلَ عبدك ثِقَلَ هذه المِنْتَةِ التي لا أقوم بشكرها ولا أقدر أن أكفيء عليها ؟

•
الشعبيّ قال :

ركب زيد بن ثابت ، فأخذ عبدُ الله بن عبّاس بركابه ؛ فقال : لا تفعل يا بن عمّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال زيد : أرني يدك .

فأخرج إليه يده ، فأخذها وقبَّلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيّتنا نبيّنا .

•
وقالوا :

قُبْلة الإمام في اليد ، وقُبْلة الأب في الرأس ، وقُبْلة الأخ في الحد ، وقبلة الأخت في الصدر ، وقبلة الزوجة في الفم .

من كره من الملوك

تقبيل اليد

العُبَيْيٌّ قَالَ :

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَبَّلَ يَدَهُ ؛ فَقَالَ : أَفٍّ
لَهُ ! إِنَّ الْعَرَبَ مَا قَبَّلَتْ الْأَيْدِيَ إِلَّا هُلُوعًا ، وَلَا فَعَلَتْهُ الْعِجْمُ
إِلَّا خُضُوعًا .

وَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ الْمَأْمُونُ فِي تَقْبِيلِ يَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ قُبْلَةَ
الْيَدِ مِنَ الْمُسْلِمِ ذَلَّةٌ ، وَمِنَ الذَّمِّ خَدِيعَةٌ ، وَلَا حَاجَةَ بِكَ أَنْ
تَذَلَ ، وَلَا بِنَا أَنْ نَخْدَعُ .

وَاسْتَأْذَنَ أَبُو دُلَامَةَ الشَّاعِرَ الْمَهْدِيُّ فِي تَقْبِيلِ يَدِهِ ؛ فَقَالَ :
أَمَّا هَذِهِ فَدَعْنَهَا ؛ قَالَ : مَا مَنَعْتَ عِيَالِي شَيْئًا أَيْسَرَ فَقَدَّأَ
عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ .

١ الهلوع : الخوف .

حسن التوفيق

في مخاطبة الملوك

قال هارون الرشيد لِمَعْن بن زائدة : كيف زمانك
يا معن ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، أنت الزمان ، فإن صلحت صلح
الزمان ، وإن فسدت فسد الزمان .



وهذا نظير قول سعيد بن سلم ، وقد قال له أمير المؤمنين
الرشيد : مَنْ بَيَّتَ قَيْسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، بنو فِزَارَةَ .
قال : فَمَنْ بَيَّتَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، الشَّريْفُ مِنْ شَرِّفَتُمُوهُ .
قال : صدقت أنت وقومك .



ودخل معن بن زائدة على أبي جعفر ، فقال له : كَبِرت
يا معن .

قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين .

قال : وإنك لَجَلَدٌ .

قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين .

قال : وإنّ فيك لبقيةً .

قال : هي لك يا أمير المؤمنين .

قال : أيّ الدولتين أحبُّ إليك أو أبغض : أدولتنا أم دولة

بني أمية ؟

قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برُّك على برِّهم

كانت دولتك أحبَّ إليّ ، وإن زاد برُّهم على برِّك كانت

دولتهم أحبَّ إليّ .

قال : صدقت .

قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : أهذا منزلُك ؟ قال :

هو لأمير المؤمنين ولي به ؛ قال : كيف ماؤه ؟ قال : أطيب

ماء ؛ قال : فكيف هواؤه ؟ قال : أصحَّ هواء .

وقال أبو جعفر المنصور لجريز بن يزيد : إني أردتُك لأمر ؛

قال : يا أمير المؤمنين ، قد أعدَّ الله لك منِّي قلباً معقوداً بطاعتك ،

١ الجلد : الشدید القوي .

ورأياً موصولاً بنصيحتك ، وسيقاً مشهوراً على عدوك ، فإذا
سئدت فقل .

وقال المأمون لطاهر بن الحسين : صف لي ابنك عبد الله ؛
قال : يا أمير المؤمنين ، إن مدحته عبته ، وإن ذمته اغتبه ،
ولكنه قدح في كف مثقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين .

وأمر بعض الخلفاء رجلاً بأمر ؛ فقال : أنا أطوع لك من
الرداء ، وأذل لك من الخداء .

وهذا قاله الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات .
وقال آخر : أطوع لك من يدك ، وأذل لك من نعالك .

وقال المنصور لمسلم بن قتيبة : ما ترى في قتل أبي مسلم ؟
قال : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . قال : حسبك أبا أمية .

وقال المأمون ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة !
قال : بلى ، ولكن منابرهم الجذوع .

وقال المنصور لاسحاق بن مسلم : أفرطت في وفائك لبني

أُمِيَّة ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ وَفَى لِمَنْ لَا يُرْجَى كَانَ لِمَنْ
يُرْجَى أَوْ فِي .

•
وَقَالَ هَارُونَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ : صِفْ لِي مَنْبِجًا ؛ قَالَ :
رَقِيقَةُ الْهَوَاءِ ، لَيْسَنَةُ الْوِطَاءِ ؛ قَالَ : فَصِفْ لِي مَنْزِلًا بِهَا ؛ قَالَ :
دُونَ مَنْزِلِ أَهْلِي ، وَفَوْقَ مَنْزِلِ أَهْلِهَا ؛ قَالَ : وَلَمْ وَقَدَّرَكَ
فَوْقَ أَقْدَارِهِمْ ؟ قَالَ : ذَلِكَ خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَأْسَى بِهِ وَأَقْفُو
أَثَرَهُ وَأَحْذُو مِثَالَهُ .

•
وَدَخَلَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا بَيْتَ الدِّيْوَانِ ، فَرَأَى غَلَامًا جَمِيلًا عَلَى
أُذُنِهِ قَلَمٌ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا غَلَامٌ ؟ قَالَ : أَنَا النَّاشِئُ فِي
دَوْلَتِكَ ، وَالْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، وَالْمُؤَمِّلُ لِحُدُومَتِكَ ، الْحَسَنُ
ابْنُ رِجَاءٍ ؛ قَالَ الْمَأْمُونُ : بِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيهِةِ تَفَاضَلْتَ الْعُقُولُ ،
ارْفَعُوا هَذَا الْغَلَامَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ .

•
عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ :
إِنِّي عِنْدَ الْمُتَوَكَّلِ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ ، فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَخْطُرُ بَيْنَ يَدَيْ الْمُتَوَكَّلِ ، وَيَقُولُ :
أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ ، جِئْتُ بِمَا يَشْفِي مِنَ الْغَلِيلِ
بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ .

فقال المتوكل : قُومُوا التَّقَطُوا هَذَا الْجَوْهَرَ لثَلَا يَضِيع .

•
ودخل عَقَّال بن سَبَّة على أَبِي عُبيد الله كَاتِب المَهْدِيِّ ،
فقال : يَا عَقَّال ، لَمْ أَرَكَ مِنْذَ الْيَوْم ؛ قال : وَالله إِنِّي لِأَلْفَاك
بَشَوْق ، وَأَغِيبَ عَنْكَ بِتَوْق .

•
وقال عبد العزيز بن مروان لِنُصَيْب بن رَبَاح ، وَكَانَ أَسْوَد :
يَا نُصَيْب ، هَلْ لَكَ فِيمَا يُشْرُ المِحَادِثَةُ ؟ يَرِيدُ المُنَادِمَةَ ؛ فقال :
أَصْلَحَ اللهُ الأَمِير ، اللُّونُ مُرَمِّدٌ ، وَالشَّعْرُ مُفَلْفَلٌ ، وَلَمْ
أَقْعُدْ إِلَيْكَ بِكَرِيمِ عُصْر ، وَلَا بِحُسْنِ مَنَظَر ، وَإِنَّمَا هُوَ عَقْلِي
وَلِسَانِي ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تَفَرِّقَ بَيْنَهُمَا فَافْعَل .

•
ولما ودَّع المأمون الحسن بن سهل عند مخرجه من مدينة
السلام ، قال له : يَا أبا مُحَمَّد ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ تَعْمِدُ إِلَيَّ فِيهَا ؟ قال :
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ مِنْ قَلْبِكَ مَا لَا أَسْتَعِينُ عَلَى
حِفْظِهِ إِلَّا بِكَ .

١ مرمد : أي لون الرماد .

٢ شعر مفلفل : مجعد .

وقال سعيد بن سَلم بن قَتَيْبَةَ للمأمون : لو لم أشكر الله
إِلَّا عَلَى حُسْنِ مَا أَبْلَانِي فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَصْدِهِ إِلَيَّ بِحَدِيثِهِ
وَإِشَارَتِهِ إِلَيَّ بِطَرَفِهِ ، لَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ مَا تُوجِبُهُ النِّعْمَةُ
وَتَقْرُضُهُ الصَّنِيعَةُ ؛ قَالَ الْمَأْمُونُ : ذَلِكَ وَاللَّهِ لِأَنَّ الْأَمِيرَ يَجِدُ
عِنْدَكَ مِنْ حُسْنِ الْإِيفَامِ إِذَا حَدَّثْتَ ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا
حَدَّثْتَ ، مَا لَا يَجِدُهُ عِنْدَ غَيْرِكَ .

مدح الملوك والتزلف اليهم

في سِير العَجَم أن أردشير بن يَزْدَجِرْد لما استوثق له أمره ، جمع الناس ، فخطبهم خطبة حَضَم فيها على الألفة والطاعة وحثَّهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصنَّف لهم الناس أربعة أصناف ، فخرُّوا له سُجْدًا . وتكلَّم مُتكلِّمهم ، فقال : لا زلت أيها الملك محبوباً من الله بعزِّ النصر ، ودَرَكَ الأمل ، ودوام العافية ، وتام التَّعة ، وحسن المزيد .

ولا زلت تتابعُ لديك المكرُّمات ، وتشفِّع إليك الذَّمَّامات^١ ، حتى تبلغ الغاية التي يُؤمن زوالها ، ولا تنقطع زهرتها ، في دار القرار التي أعدّها الله لنظرائك من أهل الزُّلْفى عنده ، والحُظوة لديه .

ولا زال مُلكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة البحور والأنهار ، حتى تستوي أقطارُ الأرض كلُّها في علوك عليها ، ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء ثورك ما عمَّنا عموم ضياء الصبح ، ووصل إلينا من

١ الذَّمَّامات : أراد بها الحقوق والحرمات .

عظيم رَأْفَتِكَ ما اتصل بأنفسنا اتصالَ النسيم ، فأصبحت قد
جمع الله بك الأيادي بعد افتراقها ، وألّف بين القلوب بعد
تباغُضِها ، وأذهب عنا الإحْن والحَسائِف^١ بعد تَوَقُّد نيرانها ،
بفَضْلِكَ الذي لا يُدْرِك بوصف ، ولا يُجَدُّ بنَعْت .

فقال أردشير : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مُسْتَحَقًّا ،
وللداعي إذا كان للإجابة أهلاً .

•
ودخل حَسَّان بن ثابت على الحارث الجُفَني فقال : أَنْعِم
صباحاً أيها الملك ، السَّماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالدي
ووالدي فِداؤك ، أنتى يناوئك المُنذر^٢ ، فوالله لَقَدالِكَ
أَحْسَنُ من وَجْهِه ، ولأَمْثُكَ أَحْسَنُ من أَبِيه ، ولظَلُّكَ خَيْر
من سَخْصِه ، ولصَمَّتِكَ أَبْلَغُ من كلامه ، ولشمالك خَيْر
من يمينه . ثم أنشأ يقول :

وَنُبِّتَ أَنَّ أَبَا مُنْذِرٍ يُسَامِيكَ لِحَدَثِ الْأَكْبَرِ
قَدالِكَ أَحْسَنُ من وَجْهِه ، وَأَمْثُكَ خَيْرٌ من المُنْذِرِ^٣

١ الحسائِف ، واحدها حسيقة : العداوة .

٢ المنذر : هو ابن المنذر بن ماء السماء اللخمي .

٣ القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

ويُسْرَى يَدَيْكَ إِذَا أُعْسِرْتَ ، كَيْسُنِي يَدِيهِ ، فَلَا تَمْتَرَا

ودخل خالد بن عبد الله القسري على عمر بن عبد العزيز لما
وَلِيَّ الحِلَافَةَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من تكون الحِلَافَةَ قد
زانتَه فأنت قد زنتها ، ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها ،
وأنت كما قال الشاعر :

وإذا الدرُّ زانٌ حُسنٌ وجوهٍ ، كان للدرِّ حسنٌ وجهك رَيْنَا
فقال عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله : أعطي صاحبكم مَقُولًا
ولم يُعْطَ مَعْقُولًا .

ذكر ابن أبي طاهر قال :

دخل المأمون بغداد فتلقاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : يا
أمير المؤمنين ، بارك الله لك في مَقْدَمِكَ ، وزادك في نِعْمَتِكَ ،
وشكرك عن رَعِيَّتِكَ ، تَقَدَّمَتْ مَنْ قَبْلِكَ ، وأتعبت مَنْ بعدك ،
وآيَسْتَ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلَكَ ؛ أما فيما مضى فلا نَعْرَفُهُ ، وأما فيما
بَقِيَ فلا نَرُجُوهُ ، فنحن جميعاً ندعو لك ، ونُثْنِي عَلَيْكَ ؛ نَحْصِبُ
لنا جنابك ، وعذب شَرَابِكَ ؛ وحسنت نظرتك ، وكرمت
مَقْدَرَتِكَ ؛ جَبَرْتَ الْفَقِيرَ ، وفككت الأسير ، فأنت يا أمير
المؤمنين كما قال الأول :

١ لا تمتر : لا تشك .

ما زلتَ في البَدَلِ للتَّوَالِ ،
وَإِطْلَاقِ لِعَانٍ ، بِجُرْمِهِ ، عَلِقَ ١
حَتَّى تَمَنَّى البِرَاءَ أَنَّهُمْ
عِنْدَكَ أُسْرَى ، فِي القَيْدِ وَالْحَلَقِ ٢

•
ودخل رجلٌ على خالد بن عبد الله القسري فقال : أيها
الأمير ، إنك لتبذل ما جل ، وتجبُر ما اعتل ، وتكثُر
ما قل ؛ ففضلك بديع ، ورأيك جميع .

•
وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرتُ لا أستكثر كثيرك ،
ولا أستقلُّ قليلك ؛ قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك أكثرُ
من كثيرك ، ولأن قليلك أكثر من كثير غيرك .

•
وقال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه : قدمت فأعطيت
كلاً بقبسطه من نظرك ومجلسك ، وصلاتك وعداتك ، حتى
كأنك من كلِّ أحد ، وكأنك لست من أحد .

١ العاني : الأسير .

٢ البراء : البريثون .

وقال الرشيدُ لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئاً ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، المديحُ كلُّهُ دونَ قَدْرِكَ ، والشعرُ
فيك فوقَ قَدْرِي ، ولكنتي أستحسن قولَ العتّابي :

ماذا عَسَى مادحٌ يُثني عليك ، وقد
ناداك ، في الوحي ، تقديسٌ وتطهيرٌ

فُتَّ المَمداح ، إلا أن ألسنتنا
مُسْتَنطقاتٌ بما تُخفي الضماير^١

مدح خالد بن صفوان رجلاً فقال : قَرِيعَ المنطق ، جَزَلَ
الألفاظ ، عَرَبِيَّ اللسان ، قليل الحركات ، حَسَنَ الإشارات ،
حَلَوُ الشِّمائل ، كثير الطَّلَاوة ، صَمُوتاً قَوِلاً ، يَهْنَأُ الجَرَبُ^٢ ،
ويداوي الدَبْرُ^٣ ، وَيُقِيلُ الحَزْ^٤ ، وَيُطَبِّقُ المِفْصَلَ ، لم يكن بالبرم^٥

١ الضماير : الضمائر .

٢ يهناً : يطلي بالهناء ، القطران ، اراد انه لا يتكلم الا فيما يجب الكلام فيه مثل
الطالي الرفيق الذي يضع القطران على الجرب .

٣ الدبر : واحدها دبيرة ، قرحة الدابة .

٤ الحز : القطع . شبه البليغ الموجز الذي يقل الكلام ويصيب الفصول والمعاني
بالجزار الرفيق الذي يقل حز اللحم ويصيب مفاصله .

٥ البرم : الملول .

في مُروته ، ولا بالهدر في منطقه ، مَتَّبِعاً غير تابع .

كَاتَّبَهُ عَلمٌ في رأسه ناراً

دخل سَهْل بن هارون على الرشيد ، فوجده يُضحك ابنه
المأمون ، فقال : اللهم زدّه من الحِيرات ، وابسط له في
البركات ، حتى يكون كلُّ يوم من أيّامه مُوفياً على أمسه ،
مُقَصِّراً عن غده .

فقال له الرشيد : يا سَهْل ، من روى من الشعر أحسنه
وأجوده ، ومن الحديث أصحّه وأبلغه ، ومن البيان أفصحّه
وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يُعجزه ؟
قال سَهْل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننتُ أنّ أحداً تقدّمني
سَبَقني إلى هذا المعنى .

فقال : بل أعشى هَمْدان حيث يقول :

وجدتُك أمسَ خيرَ بني لؤيٍّ ،
وأنتَ اليومَ خيرُ منكَ أمسِ .
وأنتَ غداً تزيدَ الخيرَ ضعفاً ،
كذلكَ تزيدُ سادةَ عبدِ شمسِ .

١ هذا عجز بيت الخنساء في صخر أخيها ، صدره : وان صخرأ لتأتم الهداة به .

وكان المأمون قد استثنى سهل بن هارون ، فدخل عليه يوماً والناس عنده على منازلهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ؛ فلما فرغ أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع ، فقال لهم : ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتعجبون ولا تصفون ؟ أما والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير ، مثل ما قالت وفعلت بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمهم ، وعجمهم كعرب بني تميم ، ولكن كيف يشعر بالدواء من لا يعرف الدواء ؟ قال : فرجع له المأمون الى رأيه الأول .

وكان الحجاج بن يوسف يستثنى زياد بن عمرو العتكي ، فلما أثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك بن مروان ، قال زياد : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج سيفك الذي لا يذبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم .

فلم يكن بعد ذلك أحداً أخف على الحجاج ولا أحب إليه منه .

حدث الشيباني قال :

أقام المنصور صالحاً ابنه ، فتكلم في أمر فأحسن ، فقال

شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ : تَالله مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَبِينِ بَيَانًا ، وَلَا
أَعْرَبَ لِسَانًا ، وَلَا أَرْبَطَ جَأشًا ، وَلَا أَبْلَّ رِيقًا ، وَلَا أَحْسَنَ
طَرِيقًا ، وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ الْمَنْصُورُ أَبَاهُ ، وَالْمَهْدِيُّ أَخَاهُ ، أَنْ
يَكُونَ كَمَا قَالَ زُهَيْرُ :

هُوَ الْجَوَادُ ، فَإِنْ يَلْحَقُ بِشَاوِهِمَا ،
عَلَى تَكَالِيفِهِ ، فَمِثْلُهُ لِحَقِّهَا

أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ ،
فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقًا

•
وخرج شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ مِنْ دَارِ الْخِلاَفَةِ يَوْمًا ، فَقِيلَ لَهُ :
كَيْفَ رَأَيْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ الدَّاخِلَ رَاجِعًا ، وَالخَّارِجَ
رَاضِيًا .

•
وقيل لبعض الخلفاء : إِنَّ شَيْبِ بْنَ شَيْبَةَ يَسْتَعْمَلُ الْكَلَامَ
وَيَسْتَعِدُّ لَهُ ، فَلَوْ أَمْرَتَهُ أَنْ يَصْعَدَ الْمَنْبِرَ فَجَاءَهُ لَاقْتَضَحَ .
قَالَ : فَأَمَرَ رَسُولًا فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَصَعِدَهُ الْمَنْبِرَ ، فَحَمِدَ اللهُ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :
أَلَا إِنَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَشْبَاهًا أَرْبَعَةً : فَمِنْهَا الْأَسَدُ الْخَادِرُ ،
وَالْبَحْرُ الزَّائِرُ ، وَالْقَمَرُ الْبَاهِرُ ، وَالرَّبِيعُ النَّاضِرُ ؛ فَأَمَّا الْأَسَدُ

الخادر ، فأشبهه منه صولته ومضاهه ، وأما البحرُ الزاخر
فأشبهه منه جوده وعطاءه ، وأما القمرُ الباهر فأشبهه منه نُورَه
وضيائه ، وأما الربيع الناضر فأشبهه منه حسنه وبهاه ؛ ثم نزل .

وقال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه : تكلمم بحاجتك .
قال : يا أمير المؤمنين ، بُهرُ الدرّجة وهيبه الخلافة يمنعاني
من ذلك .

قال : فعلى رسلك ، فإننا لا نحب مدح المشاهدة ، ولا
تنزكية اللقاء .

قال : يا أمير المؤمنين ، لست أمدحك ، ولكن أحمد الله
على النعمة فيك .

قال : حسبك فقد أبلغت .

ودخل رجل على المنصور ، فقال له : تكلمم بحاجتك .

فقال : ييقمك الله يا أمير المؤمنين .

قال : تكلم بحاجتك ، فإنك لا تقدر على هذا المقام
كلّ حين .

قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أستقصر أجلك ، ولا أخاف
بخلك ، ولا أغتم مالك ، وإن عطاءك لشرف ، وإن سؤالك

لَرَيْنِ ، وما لامرئ بدّل وجهه إليك نقصٌ ولا شين .
قال : فأحسن جائزته وأكرمه .

•
حدّث إبراهيم بن السندي قال :

دخل العمانيّ على المأمون ، وعليه قلنسوة طويلة وخفّ
سادج^١ ؛ فقال له : إيتاك أن تُنشدني إلاّ وعليك عمامة عظيمة
الكوّر وخفّان رائقان^٢ . قال : فعدا عليه في زيّ الأعراب
فأنشده ، ثم دنا فقبّل يده ، وقال : قد والله يا أمير المؤمنين
أنشدتُ يزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد ، ورأيتُ وجوههما ،
وقبّلتُ أيديهما وأخذتُ جوائزهما ؛ وأنشدتُ مروان ،
وقبّلتُ يده وأخذتُ جائزته ؛ وأنشدتُ المنصور ، ورأيتُ
وجهه ، وقبّلتُ يده وأخذتُ جائزته ؛ وأنشدتُ المهديّ ، ورأيتُ
وجهه ، وقبّلتُ يده وأخذتُ جائزته ؛ الى كثير من
أشباه الخلفاء ، وكبراء الأمراء ، والسادة الرؤساء ، فلا والله
يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسن وجهاً ،
ولا أنعم كفوّاً ، ولا أندى راحةً منك يا أمير المؤمنين .
قال : فأعظّم له الجائزة على شعره ، وأضعف له على كلامه ،

١ السادج : البسيط ، ما لا نقش فيه .

٢ رائقان : حسنان .

وأقبل عليه بوجهه وبشيره فبسطه ، حتى تَمَسَّ جميعُ مَنْ
حضره أنهم قاموا مقامه .

•
حدَّث العُتْبِيُّ عن سُفْيَانَ بنِ عُبَيْنَةَ قال :

قدم على عُمر بن عبد العزيز ناسٌ من أهل العراق ، فنظر
إلى شابٍّ منهم يَتَحَوَّشُ^١ للكلام ، فقال : أَكْبَرُوا أَكْبَرُوا ؛
فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس بالسنِّ ، ولو كان الأمرُ كلِّه
بالسنِّ لكان في المسلمِ من هو أسنُّ منك .

فقال عُمر : صدقتَ رَحِمَكَ اللهُ ، تكلم .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إِنَّمَا لم نَأْتِكَ رَغْبَةً ولا رَهْبَةً ،
أما الرَغْبَةُ فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا ،
وأما الرَهْبَةُ فقد أَمَنَّا اللهُ بعدَكَ من جَوْرِكَ .

قال : فما أنتم ؟

قال : وقد الشُّكْر .

قال : فنظر محمد بن كَعْبِ القُرَظِيِّ إلى وجه عُمر
يتهلَّل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يعلبنَّ جهلُ القوم بك
معرفتِكَ بنفسِكَ ، فإن ناساً خدعهم الشَّاءُ ، وعَرَّهم شُكْرُ
الناس فهلكوا ، وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم .
فألقي عُمرُ رأسه على صدره .

١ يتحوش : يتأهب .

التنصل والاعتذار

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : من لم يقبل من مُتَنَصِّلٍ
عُذْرًا صادقًا كان أو كاذبًا لم يرد على الحوض .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : المُعْتَرِفُ بِالذَّنْبِ كَمَنْ لَا
ذَنْبَ لَهُ .

وقال : الاعترافُ يَهْدِمُ الاقتراف .

وقال الشاعر :

إذا ما امرؤ ، من ذنبه ، جاء تائبًا
إليك ، فلم تَغْفِرْ له فلك الذَّنْبُ

واعذر رجله الى إبراهيم بن المهدي ، فقال : قد عذرتك
غير مُعْتَذِر ، إنَّ المعاذيرَ يشوبها الكذب .

واعذر رجل الى جعفر بن يحيى ، فقال : قد أغناك الله
بالعذر عن الاعتذار ، وأغنانا بحُسن النية عن سوء الظن .

وقال إبراهيم الموصلي : سمعت جعفر بن يحيى يعتذر الى
رجل من تأخر حاجة ضمّنها له وهو يقول : أحتج إليك بغالب
القضاء ، وأعتذر إليك بصادق النية .

وقال رجل لبعض الملوك : أنا من لا يُحاجك عن نفسه ،
ولا يغالطك في جرمه ، ولا يلتبس رضاك إلا من جهة عفوك ،
ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب ، ولا يستميلك إلا
بالاعتراف بالزلة .

وقال الحسن بن وهب :

ما أحسن العفو من القادر ، لا سيّما عن غير ذي ناصر
إن كان لي ذنب ، ولا ذنب لي ، فما له غيرك من غافر
أعوذ بالود ، الذي بيننا ، أن يفسد الأول بالآخر

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :
أبا جعفر ما أحسن العفوكله ، ولا سيّما عن قائل : ليس لي عذر

وقال آخر :

اقبل معاذير من يأتيك مُعتذراً ،
إن برّ عندك فيما قال ، أو فجرًا

١ فجر : عدل عن الحق .

فقد أطاعك مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ ،
وقد أَجَلَّكَ مِنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرًا ،
خَيْرَ الْحَلِيطِينَ مِنْ أَعْضَى لِصَاحِبِهِ ،
ولو أَرَادَ انْتِصَارًا مِنْهُ لَانْتَصَرَ

•
وقالت الحكماء : ليس من العدل سُرعة العَدْل .

•
وقال الأحنف بن قيس : رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

•
وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ

•
وقال حَبِيب :

الْبِرُّ بِي مِثْلِكَ وَطَى الْعُدْرَةَ عِنْدَكَ لِي ،
فِيمَا أَتَاكَ فَلَمْ تَقْبَلْ وَلَمْ تَلْمِ

وقام عِلْمُكَ بِي ، فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي ،
مَقَامَ شَاهِدِ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ

١ وطى ، مسهل وطأ : مهد .

وقال آخر :

إذا اعتذر الجاني مِمَّا العُذْرُ ذَنبَهُ ،
وكلُّ امرئٍ لا يَقْبَلُ العُذْرَ مُدْنِبُ

ومن قولنا في هذا المعنى :

عَذِيرِي ، من طُولِ البُكَاءِ ، لوعةُ الأَسَى ،
وليس لِمَن لا يَقْبَلُ العُذْرَ من عُدْرٍ

وقال آخر :

فَهَبْنِي مُسِينًا ، كالَّذِي قُلْتِ ، ظَالِمًا ،
فَعَفْوًا جَمِيلًا كي يَكُونُ لَكَ الفَضْلُ

فإن لم أَكُنْ ، للعَفْوِ عِنْدَكَ للَّذِي
أَتَيْتُ بِهِ ، أَهْلًا ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

ومن الناس من لا يَرى الاعتذارَ ويقول : إِيَّاكَ وَمَا
يُعْتَدِرُ مِنْهُ .

وقالوا : ما اعتذر مُدْنِبٌ إِلَّا ازْدَادَ ذَنْبًا .

وقال الشاعر محمود الوراق :

إذا كان وجه العذر ليس ببيِّن،
فإنَّ اطِّراح العذر خَيْرٌ من العذرِ

قال ابن شهاب الزُّهري :

دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان في رجالٍ من أهل المدينة،
فرايتُ أحدَهم سِنًّا ، فقال لي : من أنت ؟ فانتسبتُ له ؛
فقال : لقد كان أبوك وعمُّك نَعاقين في فِتنةِ ابنِ الأشعث ؛
فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنَّ مثلك إذا عفا لم يعدد ، وإذا
صَفح لم يشرب .

فأعجبه ذلك ، وقال : أين نشأت ؟

قلت : بالمدينة .

قال : عند من طَلبت ؟

قلت : سعيد بن المسيَّب ، وسليمان بن يسار ، وقبيصة
ابن ذؤيب .

قال : فأين أنت من عُروة بن الزُّبير ؟ فإنه بحر لا
تُكدره الدلاء .

فلما انصرفتُ من عنده لم أبارح عُروة بنَ الزُّبير حتى مات .

ودخل ابنُ السمّاكِ على محمد بن سليمان بن عليّ فرآه مُعرضاً
عنه ، فقال : ما لي أرى الأمير كالعاتبِ عليّ ؟

قال : ذلك لشيءٍ بلغني عنك كبرهته .

قال : إذاً لا أبالي .

قال : ولم ؟

قال : لأنه إذا كان ذنباً غفرتَه ، وإن كان باطلاً لم تقبِه .

•
ودخل جريرُ بن عبد الله على أبي جعفر المنصور ، وكان
واجدّاً عليه ، فقال له : تكلمم بِجُجَّتِك ، فقال : لو كان لي
ذنبٌ تكلمت بعُذري ، ولكنّ عَفْوَ أمير المؤمنين أحبُّ إليّ
من براءتي .

•
وأُتِيَ موسى الهادي برجل ، فجعل يُقرِّعه بذنوبه ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إنَّ اعتذاري بما تُقرِّعني به ردٌّ عليك ،
وإقرارِي به يُلْزمني ذنباً لم أجنِه ، ولكنِّي أقول :

فإن كنتَ تَرْجو في العُقوبة راحةً ،

فلا تَرْهَدنْ ، عند المُعافاة ، في الأجرِ

•
سُعيي بعبد الملك بن الفارسيّ إلى المأمون ، فقال له المأمون :

إِنَّ الْعَدْلَ مِنْ عَدْلِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَقَدْ كَانَ وَصَفَكَ بِمَا وَصَفَكَ
بِهِ ، ثُمَّ أَتَيْتَنِي الْأَخْبَارُ بِخِلَافِ ذَلِكَ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي تَحْمِيلَ عَلِيٍّ ،
وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقُلْتُ : نَعَمْ ، كَمَا بَلَغَكَ ، فَأَخَذْتُ بِمِحْطَيَّ مِنْ
اللَّهِ فِي الصَّدَقِ ، وَاتَّكَلْتُ عَلَى فَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
سَعَةِ عَفْوِهِ .

قَالَ : صَدَقْتَ .

محمد بن القاسم الهاشمي أبو العيناء قال :

كَانَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْكَاتِبَ قَدْ تَوَلَّى صَدَقَاتِ الْبَصْرَةِ ،
فَجَارَ فِيهَا وَظَلَمَ ، فَكَثُرَ الشَّاكِي لَهُ وَالِدَّاعِي عَلَيْهِ ، وَوَافِيَ
بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زُهَاءُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ جِلَّةِ الْبَصْرِيِّينَ ،
فَعَزَلَهُ الْمَأْمُونُ ، وَجَلَسَ لَهُمْ مَجْلِسًا خَاصًّا ، وَأَقَامَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ
لِمُنَازَرَتِهِمْ . فَكَانَ مِمَّا حُفِظَ مِنْ كَلَامِهِ ، أَنْ قَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ وَلِيِّ الصَّدَقَاتِ سَلِمَ مِنَ النَّاسِ
لَسَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ :
« وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا
وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ . »

فَاعْجَبَ الْمَأْمُونُ جَوَابَهُ ، وَاسْتَجَزَلَ مَقَالَهُ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

محمد بن القاسم الهاشمي أبو العيْناء قال : قال لي أبو
عبد الله أحمد بن أبي دُواد : دخلتُ على الواثق ، فقال لي : ما
زال قومٌ في ثَلْبِكَ ونَقْصِكَ .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، « لكلِّ امرئٍ منهم ما اكتسَبَ
من الإثمِ والذي تَوَلَّى كِبْرَهُ منهم له عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، والله
وليّ جَزَائِهِ ، وعِقَابِ أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلٌّ من
كنتَ ناصرَهُ ، ولا ضاع من كنتَ حافظَهُ ، فماذا قلتَ لهم
يا أمير المؤمنين ؟

قال : قلتُ أبا عبد الله :

وسَعَى إِلَيَّ بَعِيْبِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ ،
جَعَلَ الْإِلَهُ مُخْدَوْدَهْنَ نِعَالِهَا

قال أبو العيْناء : قلتُ لأحمد بن أبي دُواد : إنَّ قوماً
تَظَافَرُوا عَلَيَّ .

قال : « يدُ الله فوقَ أيديهم . »

قلت : إنهم عددٌ وأنا واحد .

قال : « كم من فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتَّةً كَثِيرَةً . »

قلت : إن للقوم مَكْرًا .

قال : « ولا يَحِقُّ المَكْرُ السيِّءُ إلاَّ بأهله . »

قال أبو العيناء : فحدّثت بهذا الحديث أحمد بن يوسف
الكاتب ، فقال : ما يَرى ابن أبي دُوادٍ إلا أن القرآن
أُنزل عليه .

قال : وهجا نَهَارُ بن تَوْسِعَةَ قُتَيْبَةَ بن مُسْلِم ، وكان
وليَّ خُرَاسَانَ بعد يزيد بن المهلب ، فقال :

كانت خُرَاسَانَ أرضاً ، إذ يزيدُ بها ،
وكلُّ بابٍ من الخَيْرَاتِ مَفْتُوحُ
فبُدِّلَتْ بعده قِرْدًا نَطُوفُ به ،
كأنما وَجْهَهُ بِالْحُلِّ مَنْضُوحُ

فطلبه فهرب منه ، ثم دخل عليه بكتاب أمّه ١ ، فقال له :
ويحك ! بأي وَجْهٍ تَلْقَانِي ؟

قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذُنُوبِي إليه أَكْثَرُ من
ذُنُوبِي إليك .

فقرّبه وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .

١ امه : أي أم قتيبة .

وأقبل المنصور يوماً راكباً والفرجُ بن فضالة جالسٌ عند باب الذهب ، فقام الناسُ إليه ولم يَقُمْ ، فاستشاط المنصور غيظاً وغضباً ودعا به ، فقال : ما منعك من القيام مع الناس حين رأيتني ؟

قال : خِفْتُ أن يسألني الله تعالى لم فعلتَ ، ويسألك عنه لم رَضِيتَ ، وقد كَرِهَهُ رسولُ الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَسَكَنَ غَضَبُهُ وَقَرَّبَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

يحيى بن أكرم قال :

اني عند المأمون يوماً ، حتى أتني برجل تُرْعِدُ فرائضه ، فلمَّا مَثَلَ بين يديه ، قال له المأمون : كَفَرْتَ نِعْمَتِي ولم تَشْكُرْ معروفي .

قال له : يا أمير المؤمنين ، وأين يَقَعُ شُكْرِي في جَنَبِ ما أنعم اللهُ بك علي ؟

فنظر المأمون إليَّ وقال متمثلاً :

فلو كان يَسْتَعْفِي عن الشكر ماجدُّ ،
لكثرة مالٍ ، أو علوِّ مكانِ

لما نَدبَ اللهُ العِبَادَ لِشُكْرِهِ ،
فَقَالَ : اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانُ ١

ثم التفت إلى الرجل ، فقال له : هلاَّ قلت كما قال أضرم
ابن حميد :

رَشَحْتَ حَمْدِي ، حَتَّى إِنِّي رَجُلٌ ،
كُلَّتِي ، بِكُلِّ ثَنَاءٍ فِيكَ ، مُشْتَغِلٌ ٢

خَوَّلْتَ شُكْرِي مَا خَوَّلْتَ مِنْ نِعَمٍ ،
فَحَجَّرَ شُكْرِي لِمَا خَوَّلْتَنِي خَوَّلٌ ٣

١ الثقلان : الانس والجن .

٢ رشحت حمدي : تعهدته وقويته وقمت عليه .

٣ خوله الشيء : اعطاه اياه متفضلاً . الخول ، واحدهم خولي : وهم الاماء والعبيد
وغيرهم من الحاشية .

الاستعطاف والاعتراف

لما سَخِطَ المهديّ على يعقوب بن داود ، قال له : يا يعقوب .
 قال : لبّيك يا أمير المؤمنين ، تلبيةً مكروب لموجدتك .
 قال : ألم أرفع من قَدْرِكَ إذ كنتَ وضيعاً ، وأبعد
 من ذِكْرِكَ إذ كنتَ خاملاً ، وألبسك من نِعْمَتِي ما لم أجد
 لك بها يدَيْنَ من الشكر ، فكيف رأيتَ اللهَ أظهرَ عليك ،
 وردَّ إليك منك .

قال : إن كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصدِّقْ
 مُعْتَرِفٍ مُنِيبٍ ، وإن كان بما استخرجته دفائنُ الباغين
 فعائِدْ بفضلك .

فقال : والله لولا الحِنْثُ في دمك بما تقدّم لك ، لألبستك
 منه قَمِيصاً لا تُشَدُّ عليه زِرّاً .

ثم أمر به إلى الحبس . فتولّى وهو يقول : الوفاء يا أمير
 المؤمنين كرم ، والموَدَّةُ رَحِمٌ ، وأنت بهما جَدِيرٌ .

أخذت الشعراء معنى قول المهدي : لألبستك منه قميصاً لا
 تُشَدُّ عليه زِرّاً ، فقال مُعلّى الطائي :

طَوَّقْتَهُ بِجُسَامٍ طَوَّقَ دَاهِيَةَ ، مَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ شَدَّ أَزْرَارِ

وقال حبيب :

طَوَّقْتَهُ بِالْحُسَامِ طَوَّقَ رَدِّي ، أَعْنَاهُ عَنِ مَسِّ طَوَّقَهُ بِيَدِهِ

ومن قولنا :

طَوَّقْتَهُ بِالْحُسَامِ مُنْصَلِتًا ، آخَرَ طَوَّقَ يَكُونُ فِي عُنُقِهِ

ولما رَضِيَ الرَّشِيدُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَرْزُوقٍ ، أَدْرَكَ لَهُ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَهَّلَ لِي سَبِيلَ الْكِرَامَةِ بِلِقَائِكَ ، وَرَدَّ عَلَيَّ التَّعْمَةَ بِوَجْهِ الرَّضَا مِنْكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِ سُخْطِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ الْمُرْغَبِينَ ^١ ، وَفِي حَالِ رِضَاكَ جَزَاءَ الْمُتَعَمِّينَ الْمُتَطَوِّلِينَ ^٢ ، فَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ ، وَهُوَ الْحَمْدُ ، تَشَبَّهْتُ تَحْرُجًا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَتَمَتَّنَ ^٣ تَطَوُّلاً بِالنِّعَمِ ، وَتَسْتَبْقِي الْمَعْرُوفَ عِنْدَ الصَّنَائِعِ تَفْضُلاً بِالْعَفْوِ .

ولما ظَفَرَ الْمَأْمُونُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ سِكِّلَةَ ، أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : وَلي

١ المرغبين : من يعطون غيرهم ما يرغبون فيه .

٢ المتطولين : الممتنين ، المتعمين .

٣ تمتن : تنعم .

الثَّارُ مُحْكَمٌ فِي الْقِصَاصِ ، وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَقَدْ جَعَلَ
اللَّهُ كُلَّ ذَنْبٍ دُونَ عَفْوِكَ ، فَإِنْ صَفَحْتَ فَبِكْرَمِكَ ، وَإِنْ
أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ .

قال المأمون : إني شاورتُ أبا إسحاق والعبَّاسَ في قَتْلِكَ ،
فأشارا عليَّ به .

قال : أمَّا أن يكونا قد نَصَحَاكَ فِي عِظَمِ قَدْرِ الْمُلْكِ ،
وَمَا جَرَّتْ عَلَيْهِ عَادَةُ السِّيَاسَةِ ، فَقَدْ فَعَلَا ، وَلَكِنَّكَ أَبَيْتَ أَنْ
تَسْتَجْلِبَ النِّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عَوَّدَكَ اللَّهُ .

ثم استعبر باكيًّا ، قال له المأمون : ما يُبْكِيكَ ؟

قال : جَدَلًا إِذْ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مَنْ هَذِهِ صِفَتِهِ .

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ جُرْمِي يَبْلُغُ
سَفْكَ دَمِي ، فَحَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَفَضَّلَهُ يُبْلَغَانِي عَفْوَهُ ،
وَلِي بَعْدَهُمَا شَفَاعَةُ الْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَحُرْمَةُ الْأَبِّ بَعْدَ الْأَبِّ .

قال المأمون : لَوْلَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسْبِكَ مَا يُبْلَغُ الصَّفْحُ
عَنْ زَلَّتِكَ ، لَبَلَّغْتُكَ إِلَيْهِ حَسَنُ تَوْصَلِكَ ، وَلَطِيفُ تَنْصَلِكَ .

وكان تصويبُ إبراهيمَ لرأي أبي إسحاق والعبَّاسِ أَلْطَفَ
فِي طَلْبِ الرِّضَا وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ تَخَطُّطِهَا .

١ أبو إسحاق : المعتصم بن الرشيد . العباس : ابن المأمون .

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : لا تحسبني أغفلت
إجلابك^١ مع ابن المهلب ، وتأيدك لرأيه ، وإيقادك لئاره .
قال : يا أمير المؤمنين ، والله لا إجرام قريش إلى رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم ، أعظم من جرمي إليك ، ولرحمي
أمس من أرحامهم ، وقد قال كما قال يوسف لإخوته :
« لا تشرب عليكم اليوم يعفر الله لكم وهو أرحم الرحمين . »
وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه المنّة وممثل لها .
قال : هيات ، تلك أجرام جاهليّة عفا عنها الاسلام ، وجرمك
جرم في إسلامك وفي دار خلافتك .
قال : يا أمير المؤمنين ، فوالله للمسلم أحق بإقالة العثرة ،
وغفران الزلّة من الكافر ، هذا كتاب الله بيني وبينك ، يقول
الله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم » إلى
« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين . » فهي للناس يا أمير المؤمنين سنّة دخل فيها المسلم
والكافر والشريف والمشروف .
قال : صدقت ، اجلس ، ورّيت بك زنادي ، فلا بريح
نادماً من القادرين من أهلِكَ أمثالك .

١ اجلابك : من اجاب القوم : تجمعوا من كل وجه للحرب .

العُتْبِيُّ عن أبيه قال :

قَبَضَ مَرَّوَانُ بنَ مُحَمَّدٍ من معاوية بن عمرو بن عُبَيْة ماله
بالفِرْسَانِ ، وقال : إِنِّي قد وَجَدْتُ قَطِيعَةَ عَمِّكَ لأبيكَ : إِنِّي
أَقَطَعْتُكَ بُسْتَانِي . والبُسْتَانُ لا يكون إلا غامراً ، وأنا مُسَلِّمٌ
إِلَيْكَ الغامرَ وقابضَ منكَ الغامر .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سلفك الصالح لو شَهِدُوا مجلسنا
هذا كانوا شُهوداً على ما ادَّعَيْتَهُ ، وشُفَعاء فيما طلبتَهُ ، يسألونك
بإحسانك إليّ ، مكافأةً لإحسان سلفي إليهم ، فَشَقَّعَ فينا الأموات
واحفظ منّا القَراباتَ ، واجعل مجلسك هذا مجلساً يُلْزِمُ من
بعدنا شُكْرَهُ .

قال : لا والله إلا أن أجعلها طُعمَةً منِّي لك ، لا قَطِيعَةً
من عَمِّكَ لأبيكَ .

قال : قد قَبِلْتُ ذلك .

ففعل .

العُتْبِيُّ قال :

أمر عبدُ الملك بن مروان بَقَطْعِ أرزاق آل أبي سُفيان
وجوارِئِهِم لِمَوْجِدَةِ وَجَدِها على خالد بن يزيد بن معاوية ،

١ فرسان : من قرى اصبهان .

فدخل عليه عمرو بن عُتبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أدنى
حقك مُتعب ، وبعضه فادح لنا ، ولنا مع حقك علينا حقٌّ
عليك ، يا كرام سلفنا لسلفك ، فانظر إلينا بالعين التي نظروا
بها إليهم ، وَضَعْنَا بِحَيْثُ وَضَعْتَنَا الرَّحْمَ مِنْكَ .

قال عبدُ الملك : إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ عَطِيَّتِي مَنْ اسْتَعَطَّاهَا ، فَأَمَّا
مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَكْتَفِي بِنَفْسِهِ ، فَسَنَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ .
ثم أمر له بعطيته .

فبلغ ذلك خالداً فقال : أبا الحِرِّ ما نُيْهِدُّ دُنِي ! يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
يَدِهِ بِاسْطِطَّةٍ ، وَعِطَاءُ اللَّهِ دُونَهُ مَبْدُولٌ ، فَأَمَّا عَمْرُو فَقَدْ أُعْطِيَ
مِنْ نَفْسِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ لَهَا .

العُبَيْدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا طَارِقُ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَمْرُو بْنِ مَعَاوِيَةَ
ابْنِ عَمْرُو بْنِ عُتْبَةَ قَالَ :

جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُسَوِّدَةِ^١ ، وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ كَثِيرُ الْعِيَالِ
مُتَفَرِّقُ الْمَالِ ، فَجَعَلْتُ لَا أَنْزِلُ قَبِيلَةً مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا
شَهَرْتُ فِيهَا ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَمْرِي لَا يُكْتَمُ ، أَتَيْتُ سَلِيمَانَ بْنَ
عَلِيٍّ ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ قُرْبَ الْمَغْرَبِ ، فَأَذِنَ لِي وَهُوَ لَا يَعْرِفُنِي ،

١ المسودة : العباسيون ، سموا كذلك لاتخاذهم السواد شعاراً لهم .

فلما صرّتُ إليه ، قلت : أصلحك الله ، لَقَطَظْتِي الْبِلَادَ إِلَيْكَ ،
وَدَلَّنِي فَضْلُكَ عَلَيْكَ ، فَإِمَّا قَبِلْتَنِي غَانِمًا ، وَإِمَّا رَدَدْتَنِي سَالِمًا .
قال : ومن أنت ؟

فانتسبت له ، فَعَرَفَنِي ، وَقَالَ : مَرْحَبًا ، ااقْعُدْ ،
فَتَكَلَّمْ غَانِمًا .

قلت : أصلحك الله ، إِنَّ الْحُرْمَ اللَّاقِيَّ أَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ
إِلَيْهِنَّ مَعْنَا ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِنَّ بَعْدَنَا ، قَدْ خِيفْنَ بَخَوْفِنَا ، وَمَنْ
خَافَ خِيفَ عَلَيْهِ .

قال : فاعتمد سليمانُ على يديه ، وسالت دُموعه على خديهِ ،
ثم قال : يا بن أخِي ، يَحْتَقِنُ اللَّهُ دَمَكَ ، وَيَسْتُرُ حُرْمَكَ ،
وَيُسَلِّمُ مَالَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ أَمَكْنِي ذَلِكَ فِي جَمِيعِ
قَوْمِكَ لَفَعَلْتُ .

فلم أزل في جِوارِ سُليمانَ آمِنًا .

وكتب سليمان الى أبي العباس أمير المؤمنين : أما بعد ،
يا أمير المؤمنين ، فَإِنَّا إِنَّمَا حَارَبْنَا بَنِي أُمِيَّةَ عَلَى عُقُوقِهِمْ ، وَلَمْ
نَحَارِبْنَهُمْ عَلَى أَرْحَامِهِمْ ، وَقَدْ دَفَعْتُ إِلَيْهِمْ دَافَّةً^١ ، لَمْ يَشْهَرُوا

١ الدافة : الجماعة من الناس .

سلاحاً ، ولم يكثرُوا جَمْعاً ، وقد أحسن الله إليك فأحسِنْ ،
فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يكتب لهم أماناً ويأمر بإنفاذه
إليّ فليُفعل .

فكتب لهم كتاباً منشوراً ، وأنفذه إلى سليمان بن عليّ في
كل من لجأ إليه من بني أمية ، فكان يسميه أبو مسلم : كهف الأبقار .

ودخل عبد الملك بن صالح يوماً على الرشيد ، فلم يلبث في
مجلسه أن التفت الرشيد ، فقال مُتمثلاً :

أريد حياته ويُرِيد قَتْلِي ، عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ ١

ثم قال : أما والله لكأنتي أنظر إلى شؤوبها ٢ قد همع ٣ ،
وعارِضها ٤ قد لمع ، وكأنتي بالوعيد قد وقّع ، فأقلع عن
براجم ٥ بلا معاصم ، وجماجم بلا غلاصم ٦ ، فمهلاً مهلاً ، فبي
والله يسهّل لكم الوعر ، ويصفو لكم الكدر ، وألقت إليكم

١ هذا البيت لعمر بن معديكرب .

٢ الشؤبوب : الدفعة من المطر .

٣ همع : سال وانصب .

٤ العارض : السحاب المعترض في السماء .

٥ البراجم : مفاصل الاصابع ، الواحدة : برجمة .

٦ الغلاصم : واحدتها غلصمة ، والغلصمة رأس الخلقوم .

الأُمُورُ مَقَالِيدَ أَرْمَتَهَا ، فَالتَّدَارِكُ التَّدَارِكُ قَبْلَ حُلُولِ دَاهِيَةِ
خَبُوطِ بِالِيدِ لِبُوطِ بِالرَّجْلِ .

قال عبدُ الملكِ : أَفَدَّأَ مَا تَكَلَّمْتَ أَمْ تَوَّأَمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

قال : بَلْ فَدَّأَ .

قال : اتَّقِ اللَّهَ فِي ذِي رَحِمِكَ ، وَفِي رَعِيَّتِكَ الَّتِي اسْتَرَعَاكَ
اللَّهُ ، وَلَا تَجْعَلِ الْكُفْرَ مَكَانَ الشُّكْرِ ، وَلَا الْعِقَابَ مَوْضِعَ
الثَّوَابِ ، فَقَدْ مَحَضْتُ لَكَ النُّصِيحَةَ ، وَأَدَّيْتُ لَكَ الطَّاعَةَ ،
وَشَدَّدْتُ أَوْأَخِيَّ مُلْكِكَ بِأَثْقَلِ مَنْ رُكِّنِي يَلْمَلِمُ^١ ، وَتَرَكْتُ
عَدُوَّكَ سَبِيلًا تَتَعَاوَرُهُ الْأَقْدَامُ ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي ذِي رَحِمِكَ أَنْ
تَقْطَعَهُ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَهُ ، إِنَّ الْكِتَابَ لِنَسِيمَةٍ وَاشِ وَبَعْغِي
بَاغٍ ، يَنْهَشُ اللَّحْمَ ، وَيَلْبَغُ^٢ فِي الدَّمِ ، فَكَمْ لَيْلٍ تَمَامَ فِيكَ
كَابِدَتُهُ ، وَمَقَامَ ضَيْقِ فَرَجَّتِهِ ، وَكُنْتُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ أَخُو
بَنِي كِلَابِ :

وَمَقَامِ ضَيْقِ فَرَجَّتِهِ ، بِلِسَانِي ، وَمَقَامِي ، وَجَدَلْ

لَوْ يَقُومُ الْفَيْلُ ، أَوْ فَيْئَالُهُ ، زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي ، وَزَحَلَ

فَرَضِي عَنْهُ وَرَحَّبَ بِهِ ، وَقَالَ : وَرِيَّتُ بِكَ زِنَادِي .

١ يلعلم : جبل

٢ يلغ : يشرب

والتفت الرشيد يوماً إلى عبد الملك بن صالح ، فقال : أ كُفراً
بالنعمة ، وغدراً بالإمام ؟

قال : لقد بُؤت^١ إذاً بأعباء الندم ، وسعيت في استجلاب
النقم ، وما ذلك يا أمير المؤمنين إلا بغْييُ باغٍ نافسي فيك
بقديم الولاية ، وحقّ القرابة .

يا أمير المؤمنين ، إنك خليفة الله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ،
في أمته ، وأمينه على رعيته ، لك عليها فرضُ الطاعة ، وأداءُ
النصيحة ، ولها عليك التثبت في حادِثها ، والعدلُ في حُكمها .
فقال له هارون : تَضَع لي من لسانك ، وترفع عليّ من
جنانك بحيث يحفظ الله لي عليك ، هذا قُمامة كاتبك يجبرني بفعلك .

فقال عبدُ الملك : أحقّاً يا قُمامة ؟

قال : نعم ، لقد أردتَ ختلَ أمير المؤمنين والغدرَ به .

فقال عبدُ الملك : كيف لا يكذب عليّ من خلفي من

بهتني في وجهي !

قال الرشيد : هذا ابنك عبد الرحمن شاهدك عليك .

قال : يا أمير المؤمنين ، هو بين مأمور أو عاقٍ ، فإن كان

مأموراً فمعدور ، وإن كان عاقاً فما أخاف من عقوقه أكثر .

١ بُؤت : رجعت .

وقال له الرشيد يوماً ، وكان مُعْتَلًا عليه : أُنْبِقُونَ^١ بالرِّقَّة ؟
قال : نعم ، ونُبْرَغَتْ ؛ قال له : ما حَمَلَكَ على أن سألتُكَ
عن مسألة ، فرددتَ عليَّ في مسألتين ؟ وأمر به الى الحبس . فلم
يَزَلْ في حَبْسِهِ حتى أطلقه الأمين .



إبراهيم بن السندي قال : سمعتُ عبدَ المَلِكِ بن صالح يقول
بعد إخراج المَخْلُوع له من الحبس ، وذَكَرَ الرشيد وفِعلَه
به ، فقال :

والله إن المَلِكِ لشيءٌ ما نَوَيْتَهُ ولا تَمَنَيْتَهُ ، ولا نَصَبْتَ له
ولا أَرَدْتَهُ ، ولو أَرَدْتَهُ لكانَ إلى أَسْرَعِ من الماءِ الى الحُدُورِ ،
ومن النارِ إلى يَبَسِ العَرَفِجِ^٢ .

وإني لما خُوذَ بما لم أَجْنِ ، ومسؤولَ عَمَّالٍ أَعْرَفَ ؛ ولكن
حين رَأَيْتُ للمَلِكِ قَمِيْنًا^٣ ، وللخِلافةِ خَطِيْرًا ، ورأى لي يَدًا
تَنالُها إذا مُدَّتْ ، وتَبْلُغُها إذا بُسِطَتْ ، ونَفْسًا تَكْمُلُ
حُصَالُها ، وتَسْتَحَقُّها بَفَعَالِها ، وإن كنتَ لم أَجْنِ تِلْكَ الحِصَالِ ،

١ تبقون ، من ابق ولد فلان : كثروا . وأبق البيت : كثرة فيه البق . وأريد
بالسؤال المعنى الاول والجواب المعنى الثاني .

٢ العرفج : نبات سهلي .

٣ قمياً : حقيقاً .

ولم أصطنع تلك الفعّال ، ولم أتوسّح لها في السرّ ، ولا أشرت
إليها في الجهر ، وراها تحنّ حنين الوالدة الواهة ، وتميل
مائل الهلوك ، خاف أن ترغب إلى خير مرغب ، وتنزع
إلى أخصب منزع ، وعاقبني عقاب من سهر في طلبها ،
وجهد في التماسها .

فإن كان إنما حسبني أني أصلح لها وتصلح لي ، وأليق
بها وتليق بي ، فليس ذلك بدتّب جنيته فأتوب منه ، ولا
تطاولت له فأحطّ نفسي عنه .

وإن زعم أنه لا صرف لعقابه ، ولا نجاة من عذابه ،
إلا أن أخرج له من حدّ العلم والحلم والحزم ، فكما لا
يستطيع المضياح أن يكون مصلحاً ، كذلك لا يستطيع العاقل
أن يكون جاهلاً ، وسواء عليّ أعاقبني على علمي وحلمي أم
عاقبني على نسبي وسني ، وسواء عليّ عاقبني على جمالي أو
عاقبني على محبة الناس لي ، ولو أردتها لأعجلته عن التفكير ،
وشغلته عن التدبير ، ولما كان فيها من الخطب إلا اليسير .

ابراهيم بن السندي قال : كنت أسير سعيد بن سلم حين
قيل له : إن أمير المؤمنين قد غضب على رجاء بن أبي الضحّاك

الهلوك ، من النساء : الفاجرة .

وأمر بأخذ ماله ، فارتاع بذلك وجزع ؛ ف قيل له : ما يرُوعك
منه ؟ فوالله ما جعل الله بينكما نسباً ولا سبباً ؛ فقال : بلى ،
التَّعْمَةُ نَسَبٌ بين أهلها ، والطاعةُ سببٌ مؤكِّدٌ بين الأولياء .

•
وبعث بعضُ الملوكِ إلى رجلٍ وجدَّ عليه ، فلما مثل بين
يديه قال : أيها الأمير ، إنَّ الغضبَ شيطانٌ ، فاستعدَّ بالله منه ،
وإنما خُلِقَ العفو للمُذنبِ ، والتجاوزُ للمُسيءِ ، فلا تَضِقْ عما
وَسِعَ الرعيةَ من حِمَاك وعَفْوِكَ .
فَعفا عنه ، وأطلق سبيلَه .

•
ولما اتهم قتيبةُ بن مسلمٍ أبا مِجْلَزٍ على بعضِ الأُمُرِ ، قال :
أصلح اللهُ الأميرُ ، تَشَبَّتْ فَإِن التَّشَبُّتَ نَصْفُ العفوِ .

•
قال الحِجَّاجُ لرجلٍ دَخَلَ عليه : أنت صاحبُ الكَلِمَةِ ؟
قال : أبوءُ بالذَّنْبِ وَأَسْتَغْفِرُ الرَّبَّ ، وأَسْأَلُ العافيةَ ؛ قال :
قد عَفَوْنَا عنكَ .

١ وجد عليه : غضب عليه .

وأرسل بعضُ الملوك في رجل أراد عُقوبته . فلما مَثَلَ
بين يديه ، قال : أسألك بالذي أنت بين يديه أذلُّ منِّي بين
يديك ، وهو على عقابك أقدرُ منك على عقابي ، إلاَّ نظرتَ في
أمري نَظَرَ مَنْ بُرِّئِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ سَقَمِي ، وَبِرَاءَتِي أَحَبُّ
إِلَيْهِ مِنْ جُرْمِي .

وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه :
يا امير المؤمنين ، إن القُدرة تُذهب الحَفِيظَةَ ، وأنت تجلِّ
عن العُقوبة ، ونحن مُقرِّون بالذنب ، فإن تَعَفُّ عني فأهل
ذلك أنت ، وإن تُعاقِبني فأهل ذلك أنا .

وأمر معاويةُ بن أبي سُفيان بعُقوبة رَوْح بن زَيْنْبَاع ،
فقال : أَنشُدك الله يا امير المؤمنين أن تَضَع منِّي خَسِيصَةَ^١
أنت رفعتَها ، أو تَنْقُض منِّي مَرِيرَةَ^٢ أنت أبرمتَها^٣ ، أو
تُشَمِّت بي عدواً أنت وَقَسَمْتَهُ ، إلاَّ أَتَى حِلْمُكَ وَصَفْحُكَ
عن خَطَمِي وَجَهَلِي .

١ تضع : ضد ترفع . خسيصة : أي نفساً ، او حالة محقرة .

٢ تنقض : تحل . المريرة : طاقة الجبل .

٣ أبرمتها : فتلتها .

٤ وقمته : قهرته .

فقال معاوية : خَلِيًّا عَنْهُ ، إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا يَسْرُهُ .

وَجَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى رَجُلٍ فَبَجَفَاهُ وَاطَّرَحَهُ ،
ثُمَّ دَعَا بِهِ لِيَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَرَأَاهُ شَاحِبًا نَاحِلًا ، فَقَالَ لَهُ : مَذَّةُ
مَتَى اعْتَلَدْتِ ؟

فَقَالَ : مَا مَسَّني سَقَمٌ ، وَلَكِنِّي جَفَوْتُ نَفْسِي إِذْ جَفَانِي
الْأَمِيرُ ، وَآلَيْتُ أَنْ لَا أَرْضَى عَنْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .
فَأَعَادَهُ إِلَى حُسْنِ رَأْيِهِ .

وَقَعَدَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلِ لِنُعَيْمِ بْنِ حَازِمٍ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ حَافِيًا
حَاسِرًا ، وَهُوَ يَقُولُ : ذَنْبِي أَكْبَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، ذَنْبِي أَكْبَرُ
مِنَ الْأَرْضِ .

فَقَالَ الْحَسَنُ : عَلَى رِسْلِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ،
قَدْ تَقَدَّمَتْ لَكَ طَاعَةٌ ، وَحَدَّثْتَ لَكَ تَوْبَةً ، وَلَيْسَ لِلذَّنْبِ
بَيْنَهُمَا مَوْضِعٌ ، وَلَئِنْ وَجَدَ مَوْضِعًا فَمَا ذَنْبُكَ فِي الذَّنُوبِ بِأَكْبَرُ
مِنَ عَفْوِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَفْوِ .

أَذْنَبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ذَنْبًا إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَعَاتَبَهُ فِيهِ ،
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ حَمَلَ مِثْلَ دَالْتِي ، وَلَبِيسَ
ثُوبِ حُرْمَتِي ، وَمَتَّ بِمِثْلِ قِرَابَتِي ، اغْتَفِرَ لَهُ فَوْقَ زَلَّتِي .

قال : صدقتَ يا بن عمي ؛ وصَفِّحْ عنه .

واعتذر رجلٌ إلى المأمون من ذنب ، فقال : إني وإن
كانت زلتي قد أحاطت بجرمتي فإن فضلك مُحيط بها ،
وكرَمَكَ مَوْقُوفٌ عليها .

أخذه صَريعُ الغواني فقال :

إِنْ كان ذنبي قد أحاط بجرمتي ،
فأحِطْ ، بدَنِّي ، عَفْوَك المأمولاً

دخل يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هُبَيْرَةَ على أبي جعفر المنصور بعدما
كتبَ أمانه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إمارتكم بيكر
ودوّلتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوتها ، وجنّبوهم مرارتها ،
تخفّ على قلوبهم طاعتكم ، وتسرع إلى أنفسهم محبتكم ،
وما زلت مُسْتَبْطِئاً لهذه الدعوة .

فلما قام قال أبو جعفر : عجباً من كل من يأمر بقتل هذا!
ثم قتله بعد ذلك غدرًا .

الهيثم بن عديّ قال :

لما انهزم عبدُ الله بن عليٍّ من الشام ، قدِمَ على المنصور

وفدّ منهم ، فتكلّموا عنده ، ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وفدٌ مُباهاة ، وإنما نحن وفدٌ توبة ، ابتلينا بفتنة استخفّت كريمنا ، واستفرت حلينا ، ونحن بما قدّمنا مُعتوفون ، وبما سلّف منا مُعتذرون ، فإن تعاقبنا فقد أجزّ منا ، وإن تعفّ عنا فطالما أحسنت إلى من أساء منا .

فقال المنصور للحرسيّ : هذا خطيبهم ؛ وأمر بردّ ضياعه عليه بالعوطة .

قال أحمد بن أبي دُوَاد : ما رأينا رجلاً نزل به الموتُ فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يُحِب أن يفعلهُ إلا تَمِيمَ بنَ جَمِيل ، فإنه كان تغلّب على شاطيء الفُرات ، وأوثق به الرسولُ بابَ أمير المؤمنين المعتصم في يوم المَوْكَب حين يجلسُ للعامّة ، ودخل عليه ، فلما مَثَل بين يديه ، دعا بالنّظع والسيف ، فأحضرا ؛ فجعل تَمِيم بن جَمِيل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً ، وجعل المعتصم يُصعد النظرَ فيه ويُصوّبه ، وكان جَسِيماً وسيماً ، ورأى أن يستنطقه لينظر

١ الوسيم : الجميل .

أين جَنَانُهُ وَلِسَانُهُ مِنْ مَنَظَرِهِ ؛ فَقَالَ : يَا تَمِيمُ ، إِنْ كَانَ
لَكَ عُدْرَةٌ فَآتِ بِهِ ، أَوْ حُجَّةٌ فَأَدِلْ بِهَا .

فَقَالَ : أَمَّا إِذْ قَدْ أُذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فإِنِّي أَقُولُ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ
مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ الذُّنُوبُ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ ، وَتَصْدَعُ
الْأَفْسِدَةَ ، وَلَقَدْ عَظُمَتِ الْجَرِيرَةُ^٢ ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وَسَاءَ
الظَّنُّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ انتِقَامُكَ ، وَأَرْجُو أَنْ
يَكُونَ أَقْرَبُهُمَا مِنْكَ وَأَسْرَعُهُمَا إِلَيْكَ أَوْ لَاهِمَا بِإِمَامَتِكَ ،
وَأَشْبَهَهُمَا بِخِلَافَتِكَ ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَامِنًا ،
يُلاحِظُنِي مِنْ حَيْثَا أَتَلَفْتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنْكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي ،
وَأَيُّ أَمْرٍ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ ؟

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدِي بَعْدْرٍ وَحُجَّةً ،
وَسَيْفُ الْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتْ ؟

١ تصدع : تشق .

٢ الجريرة : الجريمة ، الذنب .

يعزّز ، على الأوس بن تغلب ، موقفه
يُسَلُّ عليّ السيف فيه ، وأسكُت

وما جزّعي من أن أموت ، وإنّي
لأعلم أن الموت شيءٌ موقّت

ولكنّ خلفي صبيّةٌ قد تركتهم ،
وأكبادهم من حسرةٍ تنفتّت

كانّي أراهم حين أنعمي إليهم ،
وقد حَمَسُوا تلك الوجوه ، وصوّتوا

فإن عشتُ عاشوا خافضين بغبطة ،
أزود الرّدَى عنهم ، وإن ميتٌ مؤتوا

فكم قائل : لا يُبعد الله روحه ؛
وأخرَ جدلانٍ يُسرُّ ، ويشمّت

قال : فتبسّم المعتصم ، وقال : كاد والله يا تميم أن يسبق
السيف العَدَل ، اذهب فقد غفرتُ لك الصبوة ، وتركتك
للصبيّة .

وحكي أن أمير المؤمنين المهديّ قال لأبي عبيد الله لما قتل
ابنه : إنه لو كان في صالحِ خدمتك ، وما تعرّفناه من طاعتك ،

وفاءً يجب به الصفحُ عن ولدك ، ما تجاوز أمير المؤمنين ذلك
به الى غيره ، ولكنه نكص على عقبه ، وكفر بربه .
قال أبو عبيد الله : رضانا عن أنفسنا وسخطنا عليها موصول
برضاك وسخطك ، ونحن نخدم نعمتك ، تئيبنا على الإحسان
فنشكر ، وتُعاقبنا على الإساءة فنصبر .

أبو الحسن المدائني قال :

لما حج المنصور مرَّ بالمدينة ، فقال للرَّبِيعِ الحَاجِبِ : عليّ
بجعفر بن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله .

فمطّل به ، ثم ألحَّ عليه فحضر ، فلما كشف الستورُ بينه
وبينه ومثّل بين يديه ، همس جعفرُ بشفتيه ، ثم تقرب
وسلّم ؛ فقال : لا سلّم الله عليك يا عدو الله ، تعمّل عليّ
الغوائل في ملكي ، قتلني الله إن لم أقتلك .

قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان ، صلى الله على محمد وعليه ،
أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلي فصبر ، وإن يوسف ظلم
فغفر ، وأنت على إرثٍ منهم ، وأحقُّ من تأسى بهم .

فَنكس أبو جعفر رأسه ملياً ، وجعفر واقف ، ثم رفع
رأسه فقال : إليّ أبا عبد الله ، فأنت القريب القرابة ، وذو
الرَّحْمِ الواشجة ، السِّلْمِ الناحية ، القليل الغائلة .

ثم صافحه بيمينه ، وعانقه بِشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يجاذبه ويُسائله ، ثم قال : يا ربيع ، عَجِّلْ لِأبي عبد الله كُسوتَه وجائزَتَه وإِذنه .

قال الربيع : فلما حال السَّتر بيني وبينه أمسكتُ بِشَوْبه ؛ فقال : ما أُرانا يا ربيع إلا وقد حُبِسنا .

فقلت : لا عليك ، هذه منِّي لا منه .

فقال : هذه أيسرُ ، سَلْ حاجَتَكَ .

فقلت له : إني منذ ثلاثٍ أدفعُ عنك وأداري عليك ، ورأيتُك إذ دخلتَ هَمَمْتَ بِشَفَتَيْكَ ، ثم رأيتُ الأمرُ انجلى عنك ، وأنا خادمُ سُلطانٍ ولا غنسى لي عنه ، فأحبُّ منكَ أن تُعَلِّمَنِيه .

قال : نعم ؛ قلت : اللهم احْرُسْني بعينِكَ التي لا تنام ، واكْنُفْني بحفظِكَ الذي لا يُرام ، ولا أَهْلِكَ وأنتَ رجائي ، فكم من نِعْمَةٍ أنعمتَها عليَّ قلَّ لك عندها سُكْرِي فلم تُحَرِّمْني ، وكم من بَلِيَّةٍ ابتليتَ بها قلَّ عندها صَبْرِي فلم تُسَخِّدْ لِي ، اللهم باك أدراً في نَحْرِهِ ، وأسْتَعِيذُ بِخَيْرِكَ من شرِّه ، فإنكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

المدائني قال :

كان يزيد بن راشد خطيباً ، وكان فيمن دعا إلى خلع
سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد ، فنذر
سليمان قطع لسانه . فلما أفضت الخلافة إليه دخل عليه يزيد
ابن راشد ، فجلس على طرف البساط مفكراً ، ثم قال : يا أمير
المؤمنين ، كن كنبى الله ، صلى الله عليه وسلم ، ابتلي فصبر ،
وأعطي فشكر ، وقدر فغفر .

قال : ومن أنت ؟

قال : يزيد بن راشد .

فعفا عنه .

حبس الرشيد رجلاً ، فلما طال حبسه كتب إليه : إن
كل يوم يمضي من نعيمك يمضي من بؤسي مثله ، والأمد
قريب ، والحكم لله . فأطلقه .

ومر أسد بن عبد الله القسري ، وهو والي خراسان ، بدار
من دور الاستخراج ودهقان يعذب في حبسه ، وحول أسد
مساكين يستجدونه ، فأمر لهم بدرهم تقسم فيهم ؛ فقال
الدهقان : يا أسد ، إن كنت تعطي من يرحم فارحم من
يظلم ، فإن السموات تنفرج لدعوة المظلوم .

يا أسد ، احذر مَنْ ليس له ناصر إلا الله ، واتَّقِ مَنْ لا
جُنَّةَ له إلا الابتهاهُ إليه ، إنَّ الظُّلمَ مَصْرَعُه وَخِمْ ، ولا تَغْتَرِ
بإِبطاءِ الغِيثاتِ من ناصر متى شاء أن يُجِيبَ أَجاب ، وقد أَملى
لِقوم ليزدادوا إثمًا . فأمر أسدٌ بالكفِّ عنه .

عَسَبَ المأمون على رجل من خاصته ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنَّ قديم الحُرمة ، وحديث التَّوْبَةِ ، يَمَحُوان ما بينهما من
الإِسَاءَةِ ؛ فقال : صدقتَ ؛ ورَضِيَ عنه .

وكان مَلِكٌ من مُلوكِ فارس عَظِيمَ المَمْلَكَةِ شَدِيدَ النِّقْمَةِ ،
وكان له صاحبٌ مَطْبِخ ، فلما قَرَّبَ إليه طَعامَه صاحبُ المَطْبِخِ
سَقَطَت نَقْطَةٌ من الطَعامِ على يَدَيْه ، فَزَوَى لها المَلِكُ وَجْهَه ،
وعَلِمَ صاحبُ المَطْبِخِ أَنه قاتله ، فكفأ الصَّحْفَةَ على يديه ؛ فقال
المَلِكُ : عليَّ به ! فلما أتاها ، قال له : قد علمتُ أنَّ سُقُوطَ
النَّقْطَةِ أخطأتُ بها يَدُكَ ، فما عذْرُكَ في الثانية ؟

قال : اسْتَحْيَيْتُ للمَلِكِ أن يَقْتَلَ مِثْلِي في سِنِّي وقَدِيمِ
حُرْمَتِي في نَقْطَةِ ، فأردتُ أن أعْظِمَ ذنبي لِيَحْسُنَ به قَتْلِي .
فقال له المَلِكُ : لئن كان لُطْفُ الاعتذار يُسْجِيكُ من القتل ،
ما هو بِمُسْجِيكِ من العُقُوبَةِ ، اجلدوه مائة جلدة واخلَّوه .

الشَّيبَانِي قَالَ :

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْمَأْمُونِ حِينَ قَبَضَ
ضِيَاعَهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَيْنَ
يَدَيْكَ ، رَبِيبُ دَوْلَتِكَ ، وَسَلِيلُ نِعْمَتِكَ ، وَغُضُنُّ مِنْ أَعْصَانِ
دَوْلَتِكَ ، أَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟

قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : نَسْتَمِعُ اللَّهُ حِيَاظَةَ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَرِعَايَةَ أَدْنَانَا وَأَقْصَانَا
بِبَقَائِكَ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا ، وَفِي أَثْرِكَ مِنْ
آثَارِنَا ، وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ
بِفَضْلِكَ ، الْهَارِبِ إِلَى كَتَنَفِكَ وَظِلِّكَ ، الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ فِي حَاجَتِهِ فَقَضَاهَا .

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ أَيُّوبَ ، وَكَانَ يَطْلُبُهُ الْحِجَّاجُ لَجْنَايَةِ جَنَاهَا ،
فَهَرَبَ مِنْهُ وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

أَذِقْنِي طَعْمَ النَّوْمِ ، أَوْ سَلِّ حَقِيقَةً

عَلَيَّ ، فَإِنْ قَامَتْ فَفَصِّلْ بَنَانِيَا

خَلَعْتَ فُوَادِي ، فَاسْتَطَارَ ، فَأَصْبَحَتْ

تَرَامِي بِهِ الْبَيْدُ الْقِفَارَ تَرَامِيَا

ولم يقل أحد في هذا المعنى أحسن من قول النابغة الذبياني
للشعمان بن المنذر :

أتاني ، أبيتَ اللّعنَ ، أنك لُمْتَنِي ،
وتلك التي تَسْتَكُّ منها المسامعُ^١
فبيتُ كأنّي ساورْتَنِي ضَيْلَةً^٢
من الرُّقْشِ ، في أنيابِها السَّمُّ ناقِعٌ^٣
أكلَفْتَنِي ذنبَ امرئٍ ، وتركتَه ،
كذبي العُرُّ يُكوى غيرُه وهو راتِعٌ^٣
فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي ،
وإن خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسعٌ

وقال فيه أيضاً :

ولستَ بمُسْتَبَقٍ أحاً ، لا تَلُمّه
على سَعَثٍ ، أيّ الرّجال المِهْدَبُ ؟
فإنّ أكْ مَظْلوماً ، فَعَبْدٌ ظَلَمْتَه ؛
وإن تكُ ذا عَتَبٍ ، فَمِثْلُكَ يُعْتَبُ^٤

١ استكت المسامع : صمت وضاقت .

٢ ساورتنى : واثبتني . ضيلة : حية .

٣ العر : الجرب .

٤ يعتب : يرضى .

حَلَفْتُ، فلم أتركْ لِنَفْسِكَ رِيبةً،
وليس وراء الله للمرءِ مذهبٌ

لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عني جِنَايةً،
لَمُبْلِغِكَ الوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً،
تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَدَبَّدَبُ

فإنك شمسٌ، والملوكُ كواكبٌ،
إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكبٌ

وقال ابن الطَّيِّرِيَّة :

فَهَبْنِي امْرَأً إِمَّا بَرِيئاً عَلِمْتَهُ،
وإِمَّا مُسِيئاً تَابَ مِنْهُ، وَأَعْتَبَا

وَكُنْتَ كَذِي دَاءٍ يُبَغِّي لِدَائِهِ
طَبِيباً، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَبَّبَا

١ السورة : المنزلة الرفيعة والشرف . يتدبذب : يتحرك ، يتردد ، ليناها
فلا يستطيع .

وقال الممزق العَبْدِي لعمر بن هند :

تَرُوح وتَعْدُو ، ما يُحَلُّ وَضِيئُهَا ،
إِلَيْكَ ، ابنَ ماءِ المِزْنِ ، وابنَ مُحَرِّقِ ١

أَحَقًّا ، أَبَيْتَ اللَعْنَ ، أنَّ ابنَ مُزْنِنا ،
على غَيْرِ إِجْرَامِ ، بَرِيقِي مُشْرِقِي ؟

فإن كنتُ ما كَوَلًّا ، فَكُنْ خَيْرَ آكِلِ ،
وإِلَّا فَأدْرِكُنِي وَلَمَّا أَمْزَقِي

فَأنتَ عَمِيدُ النَّاسِ ، مَهْمَا تَقَلُّ تَقَلُّ ،
ومَهْمَا تَضَعُ من باطلٍ لا يُحَقِّقِي

وتمثل بهذه الأبيات عثمان بن عفان في كتابه الى علي بن

أبي طالب يومَ الدار ٢

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات ، لما أحس بالموت وهو

في حبس المتوكل ، بركة الى المتوكل ؛ فيها :

هي السبيلُ ، فَمِنْ يَوْمٍ الى يَوْمِ ،
كَأَنَّهُ ما تُرِيكَ العَيْنُ في النَوْمِ

١ الوضين للهودج : بمنزلة الحزام للسرّج .

٢ يوم الدار : هو يوم مقتل عثمان بن عفان .

لا تَعَجَلْنَ ، زُوَيْدًا ، إِنَّهَا دَوْلٌ ؛
دُنْيَا تَنْتَقِلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ .
إِنَّ الْمَنِيَا ، وَإِنْ أَصَحَّتْ ذَا فَرْحٍ ،
تَحُومُ حَوْلَكَ حَوْمًا أَيَّمَا حَوْمٍ .

فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ وَقَرَأَهَا ، أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ ،
فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا .

وقال عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة للمنصور وقد أراد
عقوبة رجل : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الانتقامَ عدلٌ ، والتجاوزُ
فَضْلٌ ، والمفضلُ قد جاوزَ حدَّ المُتَّصِفِ ، ونحنُ نُعِيدُ أميرَ
المؤمنين أن يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَوْ كَسْ أَلِ التَّصْيِبِينَ ، دون أن يبلغ
أرفعَ الدرَجَتَيْنِ .

جَرَى بَيْنَ أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ^٢ وَبَيْنَ قَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ
يُقَالُ لَهُ شَهْرَامُ كَلَامٌ ، فَقَالَ لَهُ قَائِدُهُ كَلِمَةً فِيهَا بَعْضُ الْغِلَظِ ،
ثُمَّ تَدَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَجَعَلَ يَتَضَرَّعُ وَيَتَنَصَّلُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ
لَهُ أَبُو مُسْلِمٍ : لَا عَلَيَّكَ ، لِسَانَ سَبَقٍ ، وَوَهُمُ أَخْطَأُ ،

١ أوكس : اخس ، انقص .

٢ هو أبو مسلم الحراساني صاحب الدعوة العباسية .

وإنما الغضب شيطان ، وأنا جرأتك علي بطول احتمالي منك ،
فإن كنت للذنب متعمداً ، فقد شاركتك فيه ، وإن كنت
مغلوباً ، فإن العذر يسعك ، وقد عَفَوْنَا على كل حال .
فقال : أصلح الله الأمير ، إن عَفَوْنَا مثلك لا يكون عُروراً .
قال : أجل !

قال : فإن عِظَمَ الذَّنْبِ لا يَدَعُ قلبي يَسْكُنُ .
وَأَلْحَ في الاعتذار ؛ فقال له أبو مسلم : عجباً لك ، إنك
أسأت فأحسنْتَ ، فلما أحسنْتَ أَسِيءُ !

دخِلَ أبو دُلْفِ على المأمون ، وقد كان عَتَبَ عليه ثم
أقاله ، فقال له وقد خلا بِمَجْلِسِهِ : قُلْ أبا دُلْفِ ، وما عَسَيْتَ
أن تقول وقد رَضِي عنك أمير المؤمنين وعَفَرَ لك ما فعلت ؟
فقال : يا أمير المؤمنين

لِيَا لِي تَدُنِي مِنْكَ بِالْبِشْرِ مَجْلِسِي ،
وَوَجْهُكَ ، مِنْ مَاءِ الْبِشَاشَةِ ، يَقْطُرُ
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ ، مَرَّةً ،
إِلَىٰ هِهَا ، فِي سَالِفِ الدَّهْرِ ، تَنْظُرُ

قال المأمون : لك بها رجوعك إلى المناصحة ، وإقبالك
على الطاعة ؛ ثم عاد له إلى ما كان عليه .

وقال له المأمون يوماً : أنت الذي تقول :

إتني امرؤٌ كَسْرَوِيٌّ الفَعَالُ ،
أَصِيفُ الْجِبَالِ ، وَأَشْتُو العِرَاقَا

ما أراك قَدَمْتَ لِحَقِّ طَاعَةِ ، ولا قَضَيْتَ واجبَ حُرْمَةِ .
قال له : يا أمير المؤمنين ، إنما هي نِعْمَتِكَ ، ونحن فيها
خَدَمُكَ ، وما هِرَاقَةُ دَمِي في طَاعَتِكَ ، إلا بعضُ ما يجبُ لك .
ودخل أبو دَلْفٍ على المأمون ، فقال : أنت الذي يقول
فيك ابنُ جَبَلَةَ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ ، بين بَادِيهِ ومُحْتَضِرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ ، وَلَّتِ الدُّنْيَا على أُنْتَرِهِ

فقال : يا أمير المؤمنين ، شهادةُ زور ، وكذِبُ شاعر ،
ومَلَقُ مُسْتَجِدِّ ، ولكني الذي يقول فيه ابنُ أخيه :

ذَرِينِي أَجُوبُ الأَرْضَ في طَلَبِ الغِنَى ،
فَمَا الكَرَجُ بالدُّنْيَا ، ولا النَّاسُ قَاسِمٌ

الكرج ١ : منزل أبي دَلْفٍ ، وكان اسمه القاسم بن عيسى .

١ الكرج : مدينة بين همدان واصهبان واول من مصرها ابو دلف وجعلها منزله .

وقال المنصور لمعْن بن زائدة : ما أظنّ ما قيل عنك
من ظلمك أهل اليمن واعتسافك عليهم إلا حقاً !
قال : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟
قال : بلغني عنك أنك أعطيت شاعراً بيتاً قاله ألف دينار ؛
وأنشده البيت ، وهو :

معْن بن زائدة ، الذي زیدت به
فخراً الى فخر ، بنو شيبان

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قد أعطيته ألف دينار ، ليس
على هذا البيت ، ولكن على قوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلماً
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته و كنت وقاءه
من وقع كل مهتد وسنان

قال : فاستخيا المنصور وجعل ينكث بالمخضرة ، ثم رفع
رأسه وقال : اجلس أبا الوليد .

أُتي عبدُ الملك بن مروان بأعرابيٍّ سَرَق ، فأمر بقطع يده ،
فأنشأ يقول :

يَدِي ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أُعِيدُهَا
بِعَفْوِكَ ، أَنْ تَلْقَى مَكَاناً يَشِينُهَا
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا ، وَكَانَتْ حَبِيبَةً ،
إِذَا مَا شَمَالِي فَارَقْتَهَا يَمِينُهَا

فَأَنِّي إِلَّا قَطَعْتَهُ ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاحِدِي
وَكَاسِي .

قَالَ : بِيئْسَ الْكَاسِبَ كَانَ لَكَ ، وَهَذَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ .
قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اجْعَلْهُ مِنْ بَعْضِ ذُنُوبِكَ الَّتِي
تَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهَا .
فَعَفَا عَنْهُ .

تذكير الملوك بدمام متقدم

قال ثُمَامَةُ بن أَشْرَسَ لِلْمَأْمُونِ لَمَّا صَارَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ : إِنَّهُ
كَانَ لِي أَمْلَانِ : أَمَلٌ لَكَ وَأَمَلٌ بَكَ ، فَأَمَّا أَمَلِي لَكَ فَقَدْ بَلَغْتَهُ ،
وَأَمَّا أَمَلِي بَكَ فَلَا أَذْرِي مَا يَكُونُ مِنْكَ فِيهِ .
قَالَ : يَكُونُ أَفْضَلَ مَا رَجَوْتَ وَأَمَلْتِ .
فَجَعَلَهُ مِنْ سُمَّارِهِ وَخَاصَّتِهِ .

الأصمعي قال : لما مات يزيد بن عبد الملك وصارت الخِلافة
إلى هشام بن عبد الملك ، خَرَّ أَصْحَابُهُ سُجُوداً إِلَّا الْأَبْرَشَ
الْكَلْبِيَّ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبْرَشَ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ
كَمَا سَجَدُوا ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، لأنك ذهبت عَنَّا وتركتنا .

قال : فإن ذهبتُ بك معي ؟

قال : أو تفعل يا أمير المؤمنين ؟

قال : نعم .

١ هو كاتب هشام ، واسمه سعيد بن جبلة .

قال : فالآن طاب السجود .

ثم سجد .

ولما صارت الخلافة الى أبي جعفر كتب إليه رجل
من إخوانه :

إِنَّا بِطَانَتِكَ ، الألى كُنَّا نَكَابِدُ مَا تُكَابِدُ
ونُرى ، فَتُعَرَفُ بِالْعَدَاوَةِ ، وَالْبِعَادِ لِمَنْ تُبَاعِدُ
وَنَبِيَّتُ ، مِنْ شَفَقٍ عَلَيْكَ ، وَرَبِيَّةً ، وَاللَّيْلِ هَاجِدًا
هَذَا أَوْانُ وِفَاءٍ مَا سَبَقَتْ بِهِ ، مِنْكَ ، الْمَوَاعِدِ

فَوَقَّعَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا : صَدَقْتَ صَدَقْتَ ؛ ثُمَّ
دَعَا بِهِ وَأَلْحَقَهُ بِمَخَاصِئِهِ .

وقال حبيب الشاعر^٢ في هذا المعنى :

وإن أولى الموالى أن تُواسِيَهُ ،
عند الشُرورِ ، لَمَنْ وَاَسَاكَ فِي الْحَزَنِ

إنَّ الكِرَامَ ، إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ ، فِي الْمَوْطِنِ الْحَسَنِ

١ الشفق : الخوف . الربية : الطليعة من الجيش .

٢ هو حبيب الطائي ، أبو تمام .

حسن التخلص من السلطان

أبو الحسن المدائني قال : كان العباس بن سهل والي المدينة لعبد الله بن الزبير ، فلما بايع الناسُ عبدَ الملك بن مروان ، ولّى عثمان بن حيانَ المرسي ، وأمره بالعِلْظة على أهل الظنّة ، فعرض يوماً بذكر الفتنة وأهلها ، فقال له قائل : هذا العباس ابن سهل على ما فيه ، كان مع ابن الزبير وعمل له .

فقال عثمان بن حيان : ويلى عليه ، والله لأقتلته !

قال العباس : فبلغني ذلك ، فتغيّبت حتى أضربني التغيّب ، فأتيتُ ناساً من جلسائه ، فقلت لهم : ما لي أخاف وقد أمّنتني عبدُ الملك بن مروان ؟

فقالوا : والله ما يذكرك إلا تغيّظ عليك ، وقتلنا كلّم على طعامه في ذنب إلا انبسط ، فلو تنكّرت وحضرت عشاءه وكلّمته .

قال : ففعلتُ ، وقلت على طعامه وقد أتني بجفنة ضخمة ذات ثريد ولحم : والله لكأني أنظرُ الى جفنة حيان بن معبد والناسُ يتكاسون^١ عليها ، وهو يطوف في حاشيته ،

١ يتكاسون : يتراحمون .

يتفقد مصالِحها ، يسحب أردية الخز ، حتى إنَّ الحَسَك
ليتعلّق به فما يُميطه^١ ، ثم يُوثق بجفنة تهادى بين أربعة ، ما
يستقلّون بها إلاّ بمشقة وعناء ، وهذا بعدما يفرغ الناس
من الطّعام ويتنحّون عنه ، فيأتي الحاضر من أهله والطارء
من أشراف قومه ، وما بأكثرهم من حاجة الى الطّعام ، وما
هو إلاّ الفخر بالدنو من مائدته والمشاركة ليدته .

قال : هيه ، أنت رأيتَ ذلك ؟

قلتُ : أجل والله !

قال لي : ومن أنت ؟

قلت : وأنا آمن ؟

قال : نعم .

قلت : العباس بن سهل بن سعد الأنصاري .

قال : مرحباً وأهلاً ، أهل الشرف والحق .

قال : فلقد رأيتني بعد ذلك وما بالمدينة رجلٌ أوجه

مني عنده .

فقيل له بعد ذلك : أنت رأيت حيان بن معبد يسحب

أردية الخز ويتسكاوس الناس على مائدته ؟

١ يميطه : يزيله .

فقال : والله لقد رأيته ونزلنا ذلك الماء وعَشِينَا وعليه
عباءة ذكوانية^١ ، فلقد جعلنا نذوده عن رحلنا مخافة
أن يسرقه .

أبو حاتم قال : حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سراقه بن
مرداس أسيراً يوم جبانة السَّبِيع^٢ ، فقدم في الأسرى الى
المُختار ، فقال سراقه :

امنن عليّ اليوم ، يا خيرَ معدّ ،
وخيرَ من لبى وصلى وسجد

فعفا عنه المختار وخلص سبيله . ثم خرج مع إسحاق بن
الآسعث ، فأتي به المختار أسيراً ، فقال له : ألم أعفُ عنك
وأمنن عليك ؟ أما والله لأقتلتك !

قال : لا والله لا تفعل إن شاء الله .

قال : ولم ؟

قال : لأن أبي أخبرني أنك تفتح الشام حتى تهدي مدينة
دمشق حجراً حجراً وأنا معك ؛ ثم أنشده :

١ لعلها منسوبة الى نوع من الصوف المنسوج .

٢ جبانة السبيع : بالكوفة . وكان بها يوم للمختار بن عبيد .

ألا أبلغ أبا إسحاق أننا
حملنا حملة^١ ، كانت علينا

خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً ،
وكان خروجنا بطراً وحيناً

تراهم في مصفهم قليلاً ،
وهم مثل الدبى لما التقينا^٢

فأسجح^٣ ، إذ قدرت ، فلو قدرنا
لجبرنا في الحكومة ، واعتدينا^٣

تقبل توبة مني ، فأني
سأشكر^٣ ، إن جعلت النقد ديناً

قال : فخلسى سبيله ، ثم خرج إسحاق بن الأشعث ومعه
سُرَاقَة ، فأخذ أسيراً وأتى به المختار ؛ فقال : الحمد لله الذي
أمكنني منك يا عدو الله ، هذه ثالثة .

فقال سُرَاقَة : أما والله ما هؤلاء الذين أخذوني ، فأين هم

١ ابو اسحاق : كنية المختار .

٢ الدبى ، واحدها دبابة : اصغر الجراد ، النمل .

٣ أسجح : أحسن العفو .

لا أراهم؟ إننا لما التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض ، وتحتهم
خيل بُلُتق تطير بين السماء والأرض .

فقال المختار : خلّوا سبيلَه ليخبرَ الناس ؛ ثم دعا
لِقِتالِه فقال :

ألا أبْلِغُ أبا إسْحاق أنِّي
رَأيتُ البُلُتق دُهْمًا ، مُصمّاتٍ ١

أُرِي عَيْني ما لم ترواياه ،
كِلانًا عالم بالترهات ٢

كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نذراً
عليّ قِتالِكُم ، حتى الممات

•
كان معن بن زائدة قد أمر بقتل جماعة من الأسرى ،
فقام إليه أصغر القوم ، فقال له : يا معن ، أقتل الأسرى
عطاشاً ؟

فأمر لهم بالماء ، فلما سُقوا قال : يا معن ، أقتلُ ضيفانك ؟
فأمر معن بإطلاقهم .

١ الدهم : السود . المصمات : التي لا يخالط لونها لون آخر .

٢ الترهات : الأباطيل .

لما أتى عمر بن الخطاب بالهزْرُ مزان أسيراً دعاه الى الاسلام ،
فأبى عليه ، فأمر بقتله ، فلما عرِضَ عليه السيف ، قال :
لو أمرت لي يا أمير المؤمنين بشربة من ماء فهو خير من قتلي
على الظمأ .

فأمر له بها ، فلما صار الإيأء بيده ، قال : أنا آمن
حتى أشرب ؟
قال : نعم .

فألقي الإيأء من يده ، وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين
نور أبلج .

قال : لك التوقف حتى أنظرَ في أمرك ، ارفعا عنه السيف .
فلما رُفع عنه ، قال : الآن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

فقال له عمر : ويحك ! أسلمتَ خيرَ إسلام ؛ فما أحرَّك ؟
قال : خشيت يا أمير المؤمنين أن يُقال إن إسلامي إنما كان
جزعاً من الموت .

فقال عمر : إن لفارسَ حُلوماً بها استحققت ما كانت فيه
من الملك .

ثم كان عمر يُشاوره بعد ذلك في إخراج الجيوش الى أرض
فارس ويعمل برأيه .

لما أتى الحجاج بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الأشعث أمر
بقتلهم ؛ فقال رجل : أصلح الله الأمير ، إن لي حُرمة .
قال : وما هي ؟

قال : ذُكِرْتَ في عَسْكَرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَشُتِمْتَ في
أبْيُوكِ ، فَعَرَضْتُ دُونَهُمَا ، فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ مَا فِي نَسَبِهِ مَطْعَمٌ ،
فَقُولُوا فِيهِ وَدَعُوا نَسَبَهُ .

قال : ومن يعلم ما ذكرت ؟

فالتفتُ الى أقرب الأسرى إليّ ، فقلتُ : هذا يعلمه .

قال له الحجاج : ما تقول فيما يقول ؟

قال : صدق ، أصلح الله الأمير ، وبرّ .

قال : خَلِّيا عن هذا لنُصْرته وعن هذا لحِفْظِ شهادته .

عمرو بن بَحر الجاحظُ قال : أتى رَوْحُ بن حاتم برجل كان
مُتَلَصِّصاً في طريق الرِّقَاقِ فأمر بقتله ؛ فقال : أصلح الله
الأمير ، لي عندك يدٌ بيضاء .

قال : وما هي ؟

قال : إِنَّكَ جِئْتَ يَوْمًا الى مَجْمَعِ مَوَالِينَا بِنِي نَهْشَلِ وَالْمَجْلِسِ

١ الرقاق : موضع في جبل بمكة يقال له عامر .

مُحْتَفِلٌ ، فلم يَتَحَفَّزْ^١ لك أحد ، فقُمت من مكاني حتى جلستَ
فيه ، ولولا مَحْضُ كَرَمِكَ ، وشَرَفُ قَدْرِكَ ، ونَبَاهَةُ أَوْلِيَّتِكَ ،
ما ذَكَرْتُكَ هذه عند مثل هذا .

قال ابنُ حاتم : صدق ؛ وأمر بإطلاقه ، وولاته تلك الناحية
وَضَمَّنَه إياها .

ولما ظَفِرَ المأمون بأبي دُلْفٍ ، وكان يَقْطَعُ في الجبال ،
أمر بضَرْبِ عنقه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، دَعْنِي أُرْكَعْ
رَكَعَتَيْنِ .

قال : افعَل .

فَرَكَعَ وَحَبَّرَ أَيْبَاتاً ، ثم وقف بين يديه فقال :

بِعْ بِي النَّاسَ ، فَإِنِّي خَلَفْتُ مِمَّنْ تَبِيعُ
وَاتَّخَذِنِي لَكَ دِرْعاً ، قَلَصْتُ عَنْهُ الدُّرُوعَ^٢
وَأَرَمَ بِي كُلَّ عَدُوٍّ ، فَأَنَا السَّيِّئُ السَّرِيعُ
فَأُطْلِقْهُ وولاته تلك الناحية ، فأصلحها .

١ يتحفظ : يستقل على رجليه ، لا يستوي قائماً .

٢ قلصت : قصرت .

أُتي معاوية يومِ صَفِّينَ بِأسيرٍ من أهل العراق ، فقال : الحمدُ
لله الذي أمكنني منك .

قال : لا تَقُلْ ذلك يا معاوية ، فإنها مُصيبة .

قال : وأي نعمةٍ أعظم من أن أمكنني الله ، عزَّ وجلَّ ،
من رجلٍ قتل جماعةً من أصحابي في ساعةٍ واحدةٍ ؟ اضرِبْ
عُنُقَه يا غلام .

فقال الأسير : اللهم اشهد أن معاوية لم يَقْتُلني فيك ،
وانت لا تَرْضِي بِقَتْلِي ، وإنما يَقْتُلني في الغلبة على حُطام هذه
الدنيا ، فإن فعل فافعل به ما هو أهله ، وإن لم يفعل فافعل
به ما أنت أهله .

قال له : ويحك ! لقد سببت فأبلغت ، ودعوت فأحسنت ،
خُلِّيَا عنه .

وأمر مُصعبُ بن الزبير بِرَجُلٍ من أصحاب المختار أن
يُضربَ عُنُقَه ، فقال : أيها الأمير ، ما أقمح بك أن أقوم يوم
القيامة الى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الذي يُستضاء
به ، فأتعلقت بأطرافك ، وأقول : أي رب ، سل هذا فيم قتلني .
قال : أطلقوه فإني جاعل ما وهبت له من حياته في
خَفْضٍ ، أعطوه مائة ألف .

قال الأسير : بأبي أنت وأمي ، أشهد أن لابن قيس الرقيات
منها خمسين ألفاً .
قال : ولم ؟
قال : لقوله :

إنما مُضْعَبُ شهابٍ من الله ،
تَجَلَّتْ عن وَجْهِهِ الظُّلْماءُ
مُلْكُهُ ، مُلْكُ عِزَّةٍ ، ليس فيه
جبروتٌ منه ، ولا كِبْرِياءُ
يَتَّقِي الله في الأمور ، وقد أفلح
من كان ، همّه ، الاتقاء

•
أمر عبدُ الملك بقتل رجل ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك
أعزُّ ما تكون أحوجُّ ما تكون الى الله ؛ فعفا عنه .

•
أُتِيَ الحِجَّاجُ بأسرى من الخوارج ، فأمر بضرب أعناقهم ،
فقُدِّمَ فيهم شاب ، فقال : والله يا حجَّاج لئن كنتُ أسأنا في
الذَّنْبِ فما أحسنتَ في العَفْوِ .

فقال : أفٍّ لهذه الجِيفِ ، ما كان فيهم من يقول مثلَ هذا !
وأمسك عن القَتْلِ .

وأُتيَ الحِجَّاجُ بأَسْرَى فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ :
لَا جَزَاكَ اللَّهُ يَا حِجَّاجَ عَنِ السُّنَّةِ خَيْرًا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :
« فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا
أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مِتًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً . »
فهذا قول الله في كتابه . وقد قال شاعرُكم فيما وصف به
قومه من مكارم الأخلاق :

وَمَا نَقُتِلُ الْأَسْرَى ، وَلَكِنْ نَفُكُّهُمْ ،
إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْقَلَانِدِ

فقال الحِجَّاجُ : وَيَحْكُم ! أَعَجَزْتُمْ أَنْ تُخْبِرُونِي بِمَا أَخْبَرَنِي
هذا المنافق !

وَأَمْسِكْ عَمَّنْ بَقِيَ .

الهيثمُ بن عديٍّ قال : أُتِيَ الحِجَّاجُ بِمَجْرُورِيَّةٍ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ ؟

قالوا : اقْتُلْهَا ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، وَنَكَّلَ بِهَا غَيْرَهَا .

فَتَبَسَّمتِ الْحَزْرُورِيَّةُ ؛ فَقَالَ لَهَا : لِمَ تَبَسَّمتِ ؟

فَقَالَتْ : لَقَدْ كَانَ وُزْرَاءُ أَخِيكَ فِرْعَوْنَ خَيْرًا مِنْ وُزْرَائِكَ

يا حجّاج ، استشارهم في قتل موسى ، فقالوا : أرجه وأخاه ،
وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي .
فضحك الحجّاج ، وأمر بإطلاقها .

وقال معاوية ليونس الثقفى : اتق الله ، لأطيرنك طيرةً
بطيئاً وقوعها .

قال : أليس بي وبك المرجع الى الله ؟

قال : نعم .

قال : فاستغفر الله .

ودخل رجلٌ من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان ،
وكان زبيرياً ، فقال له عبدُ الملك : أليس الله قد ردك
على عقبك ؟

قال : ومن ردّ إليك يا أمير المؤمنين فقد ردّ على عقبه ؟
فسكت عبدُ الملك وعلم أنها خطأ .

دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك ، فقال له
سليمان : على امرئ أمرك وجرأك وسلطك على الأمة لعنة

١ أرجه : سهل أرجته ، والارجاء التأجيل ، والتأخير .

الله ، أَتَظُنُّ الْحِجَّاجَ اسْتَقَرَّ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ أَمْ هُوَ يَهْوِي فِيهَا ؟
قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْحِجَّاجَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ
أَخِيكَ وَأَبِيكَ ، فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ سَأَلْتِ .

وقال عُبيدُ اللهِ بن زياد لقيس بن عباد : ما تقول في
وفي الحسين ؟

قال : أعفني عافاك الله .

قال : لا بُدَّ أَنْ تقول .

قال : يجيء أبوه يومَ القيامة فيشفع له ويجيء أبوك
فيشفع لك .

قال : قد عَلِمْتَ غِشَّكَ وَخُبُثَكَ ، لَنْ فَارَقْتَنِي يَوْمًا
لَأَضَعَنَّ أَكْثَرَكَ شَعْرًا^٢ بِالْأَرْضِ .

الأصمعيّ قال : بَعَثَ الْحِجَّاجُ إِلَى يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ، فَقَالَ
لَهُ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ : إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ، لَسْتَ أَتَيْتَنِي بِالْمَخْرُجِ مِمَّا
قُلْتَ أَوْ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ .

١ . فارقتني : بعدت عني ، وخرجت عن طاعتي .

٢ . أي رأسك ، أراد انه يقطع رأسه .

فقال له ابنُ يَعْمَرُ : وَإِنْ جِئْتُ بِالْمَخْرُجِ فَأَنَا آمِنٌ ؟

قال : نعم .

قال : اقرأ : « وتلكُ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ . »

الى قوله : « وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

وَمُوسَى . » الى قوله : « وَعِيسَى . » فمن أقرب : عيسى من

إِبْرَاهِيمَ ، وما هو ابنُ بنته ، أو الحسين من محمد ، صلى الله

عليه وسلم ؟

فقال له الحُجَّاجُ : والله لكأني ما قرأتُ هذه الآية قط ؛

وولاه قضاء بلده . فلم يزل به قاضياً حتى مات .

أبو بكر بن أبي سَيْبَةَ قال : دخل عبدُ الرحمن بن أبي
ليلى على الحُجَّاجِ ، فقال لجلسائه : إن أردتم أن تنظروا الى
رجل يَسُبُّ أميرَ المؤمنين عُثْمَانَ بنَ عَفَّانٍ فهذا عندكم ،
يعني عبدُ الرحمن .

فقال عبدُ الرحمن : معاذ الله أيها الأمير أن أكون أسبُ
أميرِ المؤمنين ، إنه ليحجزني عن ذلك ثلاثُ آياتٍ في كتاب
الله ، قال الله تعالى : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضواناً وَيَنْتَصِرُونَ
اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، أولئك هم الصَّادِقُونَ . » فكان عُثْمَانُ منهم .

ثم قال : « والذين تَبَوَّأُوا الدارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . » فكان أبي منهم .
ثم قال : « والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم . » فكنت أنا منهم .
فقال : صدقت .

أبو عوانة عن عاصم بن أبي وائل قال : بعث إليّ الججاجُ فقال لي : ما اسمك ؟

قلتُ : ما أرسل إليّ الأمير حتى عرف اسمي .

قال : متى هبطتَ هذا البلد ؟

قلت : حين هبط أهلُه .

قال : ما تقرأ من القرآن ؟

قلتُ : أقرأ منه ما لو تبسّته كفاًني .

قال : إني أريد أن أستعين بك في عملي .

قلت : إن تبسّعتني بي تبسّعتني بكبيرٍ أخرجني ضعيفٍ

يخاف أعوان السوء ، وإن تدعني فهو أحب إليّ ، وإن

تقحمي أتقحم .

قال : إن لم أجد غيرك أفحمتك ، وإن وجدتُ غيرك
لم أفحمتك .

قلتُ : وأخرى ، أكرم الله الأمير ، إني ما علمت الناس
هابوا أميراً قطّ هيبتهم لك ، والله إني لأتعار^١ من الليل فما
يأتيني النومُ من ذكرك حتى أصبح ، هذا ولستُ لك على عمل .
قال : هيه ، كيف قلتُ ؟
فأعدتُ عليه .

فقال : إني والله لا أعلم على وجه الأرض خلقاً هو أجراً
على دمٍ مني ، انصرف .

قال : ففقتُ فعدلتُ عن الطريق كأني لا أبصر ؛ فقال :
أرشدوا الشيخ .

لما أتى الحجاجُ بأسرى الجَمَاجِمِ^٢ أتى فيهم بعامر الشَّعْبِيِّ ،
ومُطَرِّف بن عبد الله الشَّخِيرِ ، وسعيد بن جُبَيْر ، وكان
الشَّعْبِيُّ ومُطَرِّف يَرِيان التَّقِيَّةِ ، وكان سَعِيد بن جُبَيْر لا
يراها ، وكان قد تقدّم كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج

١ التعار : السهر والتقب على الفراش ليلاً مع كلام .

٢ الجماجم : اي دير الجماجم ، موضع بظاهر الكوفة كانت الوقعة فيه بين
الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث وكسر فيها ابن الأشعث .

في أسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف ، فمن أقرّ منهم بالكفر في خروجهم علينا فيخلى سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه ، فقال الحجاج للشعبي : وأنت بمن ألب علينا مع ابن الأشعث ؟ أشهد على نفسك بالكفر .

فقال : أصلح الله الأمير ، نبا بنا المنزل ، وأحزن بنا الجناب ، واستحلنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وخبطننا فتنة لم نكن فيها برة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء .

قال : لله أبوك ، لقد صدقت ، ما بررتم بخروجكم علينا ولا قيوتم ، خلثوا سبيل الشيخ .

ثم قال لمطرف : أتقرّ على نفسك بالكفر ؟

قال : أصلح الله الأمير ، إن من سقّ العصا ، وسفك الدماء ، ونكث البيعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المسلمين ، جديرٌ بالكفر .

فخلى سبيله . ثم قال لسعيد بن جبير : أتقرّ على نفسك بالكفر ؟

قال : ما كفرت منذ آمنت بالله .

فضرب عنقه . ثم استعرض الأسرى ، فمن أقرّ بالكفر

١ استحلنا الخوف : لزمنا ولم يفارقنا .

خلى سبيله ، ومن أبى قتله ، حتى أتى بشيخ وشاب ، فقال
للشاب : أكافر أنت ؟

قال : نعم .

قال : لكن الشيخ لا يرضى بالكفر .

فقال له الشيخ : أعن نفسي 'تحادعني يا حججاج ؟ والله لو
علمتُ أعظم من الكفر لقلتُه .

فضحك الحججاج ، وخلقى سبيله .

فلما مات الحججاج ، وقام سليمان ، قال الفرزدق :

لئن نقرّ الحججاج آلُ مُعتبٍ ،

لَقُوا دولةً كان العدوُّ يُدالها^١

لقد أصبح الأحياءُ منهم أذلةً ،

وموتاهمُ في النارِ ، كذُبحاً سبيلها^٢

وكانوا يرون الدائراتِ بغيرهم ،

فصار عليهم بالعذاب انفتالها

١ آل معتب : رهط الحججاج . يدالها ، من أدال الله هذا من ذلك : نزع الدولة
من ذلك وحوها الى هذا .

٢ السبيل ، واحدها سبلة : ما على الشارب من الشعر .

أَلِكْنِي إِلَى مَنْ كَانَ بِالصَّيْنِ ، أَوْ رَمَتْ
بِهِ الْهِنْدَ أَلْوَا حُ ، عَلَيْهَا جِلَالُهَا
هَلُمَّ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَالْعَدْلُ عِنْدَنَا ،
فَقَدْ مَاتَ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ خَبَالُهَا

•

لَمَّا وَوَلِيَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْأُرْدُنِّ :
اجْمَعْ يَدَيَّ عِدِّيَّ بْنَ الرَّقَّاعِ إِلَى عُتْقِهِ وَابْعَثْ بِهِ إِلَيَّ عَلَى قَتَبٍ
بِلَا وَطَاءٍ ٢ ، وَوَكَّلْ بِهِ مَنْ يَنْخُسُ بِهِ .

فَفَعَلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَتَقِيَ بَيْنَ
يَدَيْهِ وَهُوَ لَقِيَ ٣ لَا حَرَكَ فِيهِ وَلَا رُوحَ ، فَتَرَكَهُ حَتَّى ارْتَدَّ
إِلَيْهِ رُوحُهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ أَهْلٌ لَمَّا نَزَلَ بِكَ ، أَلَسْتَ الْقَائِلَ
فِي الْوَلِيدِ :

مَعَاذَ رَبِّي أَنْ نَبْقَى وَنَفْقَدَهُ ،
وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعًا

قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا هَكَذَا قُلْتَ ،
وَإِنَّمَا قُلْتَ :

-
- ١ أَلِكْنِي : أَبْلِغْ رِسَالَتِي . الْإِلْوَا حُ : أَرَادَ بِهَا السَّفِينَ . الْجِلَالُ ، وَاحِدُهَا جَلٌّ :
شِرَاعُ السَّفِينَةِ .
٢ الْقَتَبُ : الرَّحْلُ . الْوَطَاءُ : مَا يَفْتَرَشُ .
٣ اللَّقَى : الشَّيْءُ الْمَطْرُوحُ .

مَعَاذَ رَبِّيَ أَنْ نَبْقَى وَنَفْقِدَهُمْ ،
وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُمْ تَبَعًا

فَنظَرَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ وَاسْتَضْحَكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

العُتْبِيُّ قَالَ : كَانَ بَيْنَ شَرِيكِ الْقَاضِي وَالرَّبِيعِ حَاجِبُ
الْمَهْدِيِّ مُعَارَضَةً ، فَكَانَ الرَّبِيعُ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْمَهْدِيَّ ، فَلَا
يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، حَتَّى رَأَى الْمَهْدِيَّ فِي مَنَامِهِ شَرِيكًا الْقَاضِي مَصْرُوفًا
وَجْهَهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ مِنْ نَوْمِهِ دَعَا الرَّبِيعَ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ
رُؤْيَاهُ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ شَرِيكًا مُخَالَفَ لَكَ وَإِنَّهُ
فَاطِمِيٌّ مُحَضٌّ .

قَالَ الْمَهْدِيُّ : عَلِيٌّ بِهِ .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : يَا شَرِيكَ ، بَلِّغْنِي أُنْكَ فَاطِمِيٌّ .
قَالَ لَهُ شَرِيكَ : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَكُونَ
غَيْرَ فَاطِمِيٍّ ، إِلَّا أَنْ تَعْنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ كِسْرَى .

قَالَ : وَلَكِنِّي أَعْنِي فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ : أَفَتَلْعَنُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ .

قَالَ : فَمَاذَا تَقُولُ فِيمَنْ يَلْعَنُهَا ؟

قَالَ : عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ .

قال : فالعَنَ هذا ، يعني الربيع ، فإنه يلعبها ، فعليه لعنة الله .

قال الربيع : لا والله يا أمير المؤمنين ما ألعبها .
قال له شريك : يا ماجن ، فما ذكرك لسيدة نساء العالمين ، وابنة سيّد المرسلين ، في مجالس الرجال ؟
قال المهدي : دعني من هذا ، فإنني رأيتك في منامي كأن وجهك مضروف عنّي وقفاك إليّ ، وما ذلك إلا بخلافك عليّ ، ورأيت في منامي كأني أقتل زنديقاً .

قال شريك : إن رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصديق ، صلواتُ على محمد وعليه ، وإنّ الدماء لا تستحل بالأحلام ، وإنّ علامة الزندقة بيّنة .

قال : وما هي ؟

قال : شرب الخمر والرّشا في الحسك ومهَرّ البَغِيّ^١ .
قال : صدقت والله أبا عبد الله ، أنت والله خيرٌ من الذي حمّلني عليك .

•
ودخل شريكُ القاضي على المهديّ ، فقال له الربيع : نُخِنت مال الله ومال أمير المؤمنين .
قال : لو كان ذلك لأتاك سهمك .

العُتْبِيُّ قَالَ :

دَخَلَ جَامِعُ الْمُحَارِبِيِّ عَلَى الْحَجَّاجِ ، وَكَانَ جَامِعٌ شَيْخًا صَالِحًا
خَطِيبًا لَبِيبًا جَرِيئًا عَلَى السُّلْطَانِ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِلْحَجَّاجِ
إِذْ بَنَى مَدِينَةَ وَاسِطَ : بَنَيْتَهَا فِي غَيْرِ بَلَدِكَ ، وَتَوَرَّثَهَا غَيْرَ
وَلَدِكَ ؛ فَجَعَلَ الْحَجَّاجُ يَشْكُو سُوءَ طَاعَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَقُبُحَ
مَذْهَبِهِمْ . فَقَالَ لَهُ جَامِعٌ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ أَحْبَبْتُكَ لِأَطَاعُوكَ ، عَلَى
أَنَّهُمْ مَا شَتَّوْكَ لِئَسْبِكَ وَلَا لِبَلَدِكَ ، وَلَا لذَاتِ نَفْسِكَ ،
فَدَعُ عَنْكَ مَا يُبْعِدُهُمْ مِنْكَ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْكَ ، وَالتَّمَسَّ
العَافِيَةَ مِمَّنْ دُونَكَ تُعْطِيهَا مَنْ فَوْقَكَ ، وَلِيَكُنْ إِيقَاعُكَ
بَعْدَ وَعِيدِكَ وَوَعِيدُكَ بَعْدَ وَعْدِكَ .

قَالَ الْحَجَّاجُ : مَا أَرَى أَنْ أَرُدَّ بَنِي اللَّكِيْعَةِ^١ إِلَى طَاعَتِي
إِلَّا بِالسَّيْفِ .

قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ السَّيْفَ إِذْ لَاقَى السَّيْفَ دَهَبَ الْخِيَارَ .

قَالَ الْحَجَّاجُ : الْخِيَارُ يَوْمئِذٍ اللَّهُ .

قَالَ : أَجَلٌ ، وَلَكِنَّكَ لَا تَدْرِي لِمَنْ يَجْعَلُهُ اللَّهُ .

فَغَضِبَ وَقَالَ : يَا هَنَاهُ^٢ ، إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ .

١ اللكيعه : اللثيمة .

٢ يا هناه : كلمة يكتفى بها عن اسم الانسان .

فقال جامع :

وَللَّحَرْبِ سُمِّيْنَا ، وَكُنْنَا مُحَارِبًا ،
إِذَا مَا الْقَنَا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أَحْمَرًا

فقال الحجّاج : والله لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب
به وجهك .

قال جامع : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ عَشَّشْنَاكَ
أَغْضَبْنَا اللَّهَ ، فَغَضِبُ الْأَمِيرِ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ .
قال : أجل ؛ وسكن .

وشغّل الحجّاج ببعض الأمر ، فأنسلّ جامع ، فمرّ بين
الصفوف من أهل الشام حتى جاوزها إلى صفوف العراق ،
فأبصر ككبّكبة^١ فيها جماعة من بكر العراق ، وقيس
العراق ، وتميم العراق ، وأزد العراق ، فلما رأوه اشترأبوا
إليه ، وقالوا له : ما عندك ؟ دفع الله عنك .

قال : وَيُحْكَمْ ! عُمُوهُ بِالْحُلُوعِ كَمَا يَعْمُوكُم بِالْعِدَاوَةِ ، وَدَعُوا
التعادي ما عاداكم ، فإذا ظفرتتم تراجعتم وتعاديتم ، أيها
التميمي هو أعدى لك من الأزدي ، وأيها القيسي هو

١ الكبكية : الجماعة المتضامة من الناس .

أعدى لك من الثعلبي ، وهل ظفّر بمن ناواه منكم إلا بمن
بقي معه منكم ؟

وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام ، واستجار بزفر
ابن الحارث فأجاره .

العنبيّ قال : كان هارون الرشيد يقتل أولاد فاطمة
وشيعتهم ، وكان مسلم بن الوليد صريع الغواني ، قد رُمي
عنده بالتشيع ، فأمر بطلبه ، فهرب منه ، ثم أمر بطلب أنس
ابن أبي شيخ كاتب البرامكة ، فهرب منه ، ثم وجد هو ومسلم
ابن الوليد عند قيئة ببغداد ، فلما أتى بهما ، قيل له : يا أمير
المؤمنين ، قد أتى بالرجلين .

قال : أيّ الرجلين ؟

قيل : أنس بن أبي شيخ ، ومسلم بن الوليد .

فقال : الحمد لله الذي أظفّرني بهما ، يا غلام ، أحضّرهما .

فلما دخلا عليه ، نظر الى مسلم ، وقد تغيّر لونه ، فرقّ

له وقال : إيه يا مسلم ، أنت القائل :

أنس الهوى ببني عليّ في الحشا ،

وأراه يطمّح عن بني العباس .

قال : بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين :

أَنَسِ الهوى بِنِي العمومة في الحشا ،
مُسْتوحِشًا من سائر الأيناسِ

وإذا تكاملت الفصائل كنتمُ
أولى بذلك ، يا بَنِي العباسِ

قال : فعجب هارون من سرعة بديته ، وقال له بعضُ
جلسائه : استَبَقِه يا أمير المؤمنين ، فإنه من أشعر الناسِ ،
وامتحنه فسترى منه عجباً .

فقال له : قل شيئاً في أنس .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أَفْرِخْ روعي ، أَفْرِخْ الله
رَوعك يوم الحاجة الى ذلك ، فإنني لم أدخل على خليفة قط ؛
ثم أنشأ يقول :

تَلَمَّظَ السيفُ من شوقٍ الى أَنَسِ ،
فالموتُ يلحظُ ، والأقدارُ تَنْتَظِرُ

فليس يبلُغُ منه ما يُومَلُه ،
حتى يُؤامِرَ فيه رَأْيَكَ القَدَرُ

أمضى من الموتِ ، يعفو عند قُدْرَتِه ،
وليس للموتِ عَفْوٌ حين يقدِرُ

قال : فأجلسه هارون وراء ظهره ، لئلا يرى ما همّ به ،
حتى اذا فرغ من قتل أنس ، قال له : أنشدني أشعرَ شعر لك ؛
فكلما فرغ من قصيدة ، قال له : التي تقول فيها الوَحْل ، فإني
رويتها وأنا صغير ؛ فأنشده شعره الذي أوّله :

أديراً عليّ الراح لا تشرباً قبلي ،
ولا تطلباً من عند قاتلي دحلي

حتى انتهى الى قوله :

اذا ما علّت متاً ذؤابة شارب ،
تمشّت به مشي المقيّد في الوَحْل

فضحك هارون وقال : ويحك يا مُسلم ! أما رضيت أن

قيّده ، حتى جعلته يمشي في الوَحْل ؟

ثم أمر له بمجازة وحلى سبيله .

قال كسرى لبُوشْت المغنّي ، وقد قتل الفهليذ تلميذه :
كنتُ أستريح منك إليه ومنه إليك ، فأذهبَ حسدك ،
وتغلّ صدرك سَطْرَ تمّعي .

وأمر أن يُطرح تحت أرجل الفيلة . فقال : أيها الملك ،
اذا كنتُ أنا قد أذهبتُ سَطْرَ تمّثّلك ، وأذهبتَ أنت
السطر الآخر ، أليس جنائتُك على نفسك ، مثلَ جنائتي عليك ؟

قال كِسْرِي : دَعُوهُ ، فَمَا دَلَّهَ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مَا
جُعِلَ لَهُ مِنْ طُولِ الْمُدَّةِ .

يعقوب بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قال : دخلتُ
يوماً على الرشيد ، أمير المؤمنين ، وهو مُتَعَيِّظٌ مُتَرَبِّدٌ ،
فَنَدِمْتُ عَلَى دَخُولِي عَلَيْهِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَفْهَمُ غَضْبَهُ فِي وَجْهِهِ ،
فَسَلَّمْتُ ، فَلَمْ يَرُدُّ ؛ فَقُلْتُ : دَاهِيَةٌ نَادَا ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيَّ
فَجَلَسْتُ . فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بن جعفر بن أبي
طالب ، فَلَقَدْ نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ حَيْثُ يَقُولُ :

يَأْيَا الزَّاجِرِي عَنْ شِيَمَتِي سَفْهًا ،
عَمْدًا عَصَيْتُ مَقَالَ الزَّاجِرِ النَّاهِي

أَقْصِر ، فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ أَرُومَتِهِمْ
فِي اللُّثُومِ ، فَافْخَرْ بِهِمْ مَا سِئْتُ ، أَوْ بَاهِ

يُزَيِّنُ الشَّعْرُ أَفْوَاهًا ، إِذَا نَطَقَتْ
بِالشَّعْرِ يَوْمًا ، وَقَدْ يُزْرِي بِأَفْوَاهِ

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَا مِنْ فَضْلِ حِيلَتِهِ ،
وَيُصْرَفُ الرِّزْقُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الدَاهِي

١ نَاد : شديدة .

لقد عَجِبْتُ لِقَوْمٍ لَا أُصُولُ لَهُمْ ،
أَثْرًا وَلَا لَيْسُوا وَإِنْ أَثْرًا وَأَبْأَشْبَاهِي

مَا نَالَني مِنْ غِنَى يَوْمًا وَلَا عُدْمٍ ،
إِلَّا وَقَوَّلي عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ومن ذا الذي بلغت به المقدرة ؟
أن يُسامي مثلكَ أو يُدانيه ؟
قال : لعلّه من بني أبيك وأملك .

كان الكُميت بن زيد يمدح بني هاشم ويُعرّض ببني أمية ،
فطلبه هشام ، فهرب منه عشرين سنةً ، لا يستقرُّ به القرار
من خوف هشام ، وكان مسلمة بن عبد الملك له على هشام
حاجة في كل يوم يقضيها له ، ولا يرده فيها ، فلما خرج مسلمة
ابن عبد الملك يومًا إلى بعض صُيُوده ، أتى الناس يُسَلِّمُون عليه ،
وأناه الكُميت بن زيد فيمن أتى ، فقال : السلام عليك أيها
الأمير ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

قِفْ بالدِّيارِ وقوفَ زائرٍ ، وتأنّ ، إنك غيرُ صاغِرٍ

حتى انتهى إلى قوله :

يا مسلم بن أبي الوليد ، لِمِيتٍ ، إن شئت ، ناشِرٍ

عَلِقَتْ حِبَالِي مِنْ حَبَا لِكَ ذِمَّةَ الْجَارِ الْمُجَاوِرِ
فَالآنَ صِرْتُ إِلَى أُمِّيَّةَ ، وَالْأَمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ
وَالآنَ كُنْتُ بِهِ الْمُصِيبَ ، كَمُهْتَدٍ بِالْأَمْسِ حَائِرِ

فَقَالَ مَسْلَمَةٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، مِنْ هَذَا الْهِنْدِكِيِّ الْجُلْحَابِ ١
الَّذِي أَقْبَلَ مِنْ أُخْرِيَاتِ النَّاسِ قَبْدًا بِالسَّلَامِ ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ ثُمَّ الشَّعْرُ ؟
قِيلَ لَهُ : هَذَا الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ .

فَأَعْجَبَ بِهِ لِفَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ ، فَسَأَلَهُ مَسْلَمَةٌ عَنْ خَبْرِهِ ،
وَمَا كَانَ فِيهِ طَوْلَ غَيْبَتِهِ ، فَذَكَرَ لَهُ سُخْطَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ ، فَضَمَّنَ لَهُ مَسْلَمَةٌ أَمَانَهُ ، وَتَوَجَّهَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَى
هَشَامٍ ، وَهَشَامٌ لَا يَعْرِفُهُ . فَقَالَ الْكُمَيْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ .

قَالَ هَشَامٌ : نَعَمْ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا هَذَا .

قَالَ الْكُمَيْتُ : مُبْتَدَىءَ الْحَمْدِ وَمُبْتَدَعَهُ ، الَّذِي خَصَّ
بِالْحَمْدِ نَفْسَهُ ، وَأَمَرَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ ، وَجَعَلَهُ فَاتِحَةَ كِتَابِهِ ، وَمُنْتَهَى
شُكْرِهِ ، وَكَلَامَ أَهْلِ جَنَّتِهِ ، أَحْمَدَهُ حَمْدَ مَنْ عِلْمٌ يَقِينًا ،
وَأَبْصَرَ مُسْتَبِينًا ، وَأَشْهَدُ لَهُ بِمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ،
وَحَدَّاهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْعَرَبِيُّ ، وَرَسُولُهُ

١ الهنديكي : الرجل من اهل الهند . الجلباب : الشيخ الكبير .

الأمي ، أرسله والناس في هَبَوَات^١ حَيْرَة ، ومُدْلَهِمَات
ظُلْمَة ، عند استمرار أُنْبَهَة الضلال ، فبَلَغ عن الله ما أمر به
ونَصَح لأُمَّته ، وجَاهَد في سَبِيله ، وَعَبَد رَبّه حتى أتاه اليقين ،
صلى الله عليه وسلم .

ثم إني يا أمير المؤمنين تَهت في حَيْرَة ، وحِرت في سَكْرَة ،
إدْلَام^٢ بي خَطْرُها ، وأهَاب^٣ بي داعيها ، وأجابني غَاوِيها ،
فأقْطَوَطِيت^٤ إلى الضَّلالة ، وتَسَكَّعت^٥ في الظُّلمة والجهالة ،
حائداً عن الحق ، قائلاً بغير صِدْق ، فهذا مَقام العائذ ، ومنْطَق
التائب ، ومُبْصِر^٦ الهدى بعد طول العمى .

ثم يا أمير المؤمنين ، كم من عائر أقَلْتُم عَشْرته ، ومُجْتَرَم
عَفَوْتُم عن جُرْمه .

فقال له هشام ، وأيقن أنه الكُمَيْت : ويحك ! من سنّ
لك الغَوَاية ، وأهَاب بك في العَمَاية ؟

١ الهبوات ، واحدها هبوة : الغبار اذا سطع واعمى الابصار .

٢ ادْلَام : ادلهم .

٣ اهَاب : دعا .

٤ اقْطَوَطِيت : قارب في مشيه مع نشاط .

٥ تسكمت : تمثرت .

٦ مبصر : مكان الابصار .

قال : الذي أخرج أبي آدمَ من الجنةِ فَتَسِي ولم يَجِد له
عِزْماً ، وأميرُ المؤمنين كَرِيحَ رَحْمَةٍ أَثارتَ سَحَاباً مُنْفَرِقاً
فلَفَّقَت بعضه إلى بعض حتى التَّحَمَ فَاسْتَحْكَمَ ، وَهَدَّرَ رَعْدَهُ ،
وَتَلَّأَلَ بَرَقَهُ ، فَانزَلَ الأَرْضَ فَرَوِيَتْ وَاخْضَلَّتْ ١
وَاخْضَرَّتْ ، وَأَسْقَيْتْ ، فَرَوِي ظِمَانُهَا ، وَامْتَلَأَ عَطْشَانُهَا ،
فَكَذَلِكَ نَعْدُكَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَضَاءَ اللهُ بِكَ الظُّلْمَةَ
الدَّاجِيَةَ بَعْدَ العُمُوسِ ٢ فِيهَا ، وَحَقَّنَ بِكَ دِمَاءَ قَوْمٍ أَسْعَرَ
خَوْفُكَ قُلُوبَهُمْ ، فَهَمَّ يَبْكُونَ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ حَزْمِكَ وَبَصِيرَتِكَ ،
وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّكَ الحَرْبُ وَابْنُ الحَرْبِ ، إِذَا احْمَرَّتِ الحِدَاقُ ،
وَعَضَّتِ المَغَافِرُ ٣ بِهَلَامٍ ، عِزٌّ بِأَسْكَ ، وَاسْتَوْبَطَ جَاشُكَ ، مِسْعَارٌ
هَتَّافٌ ، وَكَافٍ بِصِيرِ الأَعْدَاءِ ، مُغْرِي الحَيْلِ بِالنُّكْرَاءِ ،
مُسْتَعْنٍ بِرَأْيِهِ عَنِ رَأْيِ ذَوِي الأَلْبَابِ ، بِرَأْيِ أَرِيْبٍ ، وَحِلْمٍ
مُصِيبٍ ، فَاطَالَ اللهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ البَقَاءَ ، وَتَمَّمَ عَلَيْهِ التَّعْمَاءَ ،
وَدَفَعَ بِهِ الأَعْدَاءَ .

فرضي عنه هشام وأمر له بجائزة .

١ اخضلت : نديت .

٢ العموس : اشتداد الظلام .

٣ المغافر ، واحدها مغفر : زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة .

العُتْبِيُّ قال : لما أُتِيَ ابنُ هُبَيْرَةَ الى خالِدِ بنِ عَبْدِ اللهِ القَسْرِيِّ وهو والي العراق ، أُتِيَ به مَعْلُولًا مُقَيَّدًا فِي مِدْرَعَةٍ^١ ، فلما صار بين يَدَيْ خالِدِ ألقته الرجالُ الى الأَرْضِ ، فقال : أَيُّهَا الأمير ، إِنَّ القومَ الذين أَنعموا عليك بهذه النِّعْمَةِ قد أَنعموا بها على مَنْ قَبْلَكَ ، فَأَنْشُدْكَ اللهُ أَنْ تَسْتَنَّْ فِيَّ بِسُنَّةِ يَسْتَنَّْ بِهَا فَيْكَ مَنْ بَعْدَكَ .

فأمر به الى الجلس ؛ فأمر ابنُ هُبَيْرَةَ غِلْمَانَهُ فحَفَرُوا لَهُ تحت الأرضِ سِرْدَابًا حتى خرج الحَفَرُ تحت سِريره ، ثم خرج منه لَيْلًا وقد أُعِدَّتْ لَهُ أَفْرَاسٌ يُدَاوِلُهَا^٢ ، حتى أَتَى مَسْلَمَةَ ابنِ عَبْدِ المَلِكِ ، فاستجار به فأجاره ، واستوهبه مَسْلَمَةُ من هشامِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ فَوَهَبَهُ إِتْيَاهُ . فلما قدم خالِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ القَسْرِيِّ على هشامٍ وَجَدَ عِنْدَهُ ابنَ هُبَيْرَةَ ، فقال له : إِبَاقَ العَبِيدِ أَبِيقَتَ^٣

قال له : حين نِمْتَ نَوْمَةَ الأُمَّةِ .

فقال الفرزدق في ذلك :

لَمَّا رَأَيْتَ الأَرْضَ قَدْ سُدَّتْ ظَهْرُهَا ،
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَطْنُهَا لَكَ مَخْرَجًا

١ المدرعة : ثوب من صوف .

٢ يداولها : اي يركب فرساً بعد آخر .

٣ ابق العبد : هرب من سيده .

دَعَوَتَ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ ، بَعْدَمَا
ثَوَى فِي ثَلَاثِ مُظْلِمَاتٍ ، فَفَرَّجَا
فَأَصْبَحَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ ، قَدْ سِرَتْ لَيْلَةً ،
وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا
خَرَجْتَ وَلَمْ تَمَنَّ عَلَيكَ شَفَاعَةٌ ،
سِوَى حَتِّكَ التَّقْرِيبَ مِنْ آلِ أَعْوَجَا ٢

•
وَدَخَلَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ بَعْدَمَا أَمَنَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
يُهِنُونَهُ وَيَحْمَدُونَ لَهُ رَأْيَهُ ، فَقَالَ مُتَمَثِّلًا :

مَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ ؛
وَمَنْ يَغْوَى لَا يَعْدُمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَمَّا

ثم قال لهم : ما كان قولكم لو عرض لي أو أدركت
في طريقي ؟

-
- ١ يونس : يونان . ثوى في ثلاث مظلمات : كناية عن بقائه في بطن الحوت
ثلاثة أيام .
٢ التقريب : السير السريع . آل اعوج : الخيول المنسوبة الى اعوج ، فرس
لبنى هلال .

ومثل هذا قول القطامي :

والناسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ
مَا يَشْتَبِي ، وَلَأَمَّ الْمُخْطِئُ الْهَبَّالُ

عبدُ الله بن سَوَّار قال : قال لي الربيعُ الحَاجِبُ : أَتُحِبُّ
أَنْ تَسْمَعَ حَدِيثَ ابْنِ هُبَيْرَةَ مَعَ مَسْلَمَةَ ؟
قلت : نعم .

قال : فَأرسلَ حُصَيِّ كَانَ لِمَسْلَمَةَ يَقُومُ عَلَيَّ وَضُوءُهُ ، فَجَاءَهُ
فَقَالَ : حَدَّثْنَا حَدِيثَ ابْنِ هُبَيْرَةَ مَعَ مَسْلَمَةَ .

قال : كَانَ مَسْلَمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَوَضَّأُ
وَيَتَنَقَّلُ حَتَّى يُصْبِحَ فَيَدْخُلُ عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنِّي لِأُصَبُّ
الْمَاءَ عَلَيَّ يَدَيْهِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ إِذْ صَاحَ صَائِحٌ مِنْ
وَرَاءِ الرُّوَاقِ : أَنَا بِاللَّهِ وَبِالْأَمِيرِ ؛ فَقَالَ مَسْلَمَةَ : صَوْتُ ابْنِ
هُبَيْرَةَ ، أَخْرُجْ إِلَيْهِ . فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَرَجَعْتُ فَأَخْبَرْتَهُ ؛ فَقَالَ :
أَدْخِلْهُ ، فَدَخَلَ ؛ فَإِذَا رَجُلٌ يَمِيدُ نُعَاسًا ، فَقَالَ : أَنَا بِاللَّهِ وَبِالْأَمِيرِ .
قال : أَنَا بِاللَّهِ وَأَنْتَ بِاللَّهِ .

ثم قال : أَنَا بِاللَّهِ وَبِالْأَمِيرِ .

قال : أَنَا بِاللَّهِ وَأَنْتَ بِاللَّهِ ، عَنِّي قَالَهَا ثَلَاثًا .

ثم قال : أَنَا بِاللَّهِ ، فَسَكَتَ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : انْطَلِقْ
بِهِ فَوَضَّئَهُ وَليُصَلِّ ، ثُمَّ اعْرِضْ عَلَيْهِ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ

فَأْتِيَهُ بِهِ وَافْرِشَ لَهُ فِي تِلْكَ الصُّفَّةِ ، لَصْفَةَ بَيْنَ يَدَيْ بُيُوتِ
النِّسَاءِ ، وَلَا تُوقِظُهُ حَتَّى يَقُومَ مَتَى قَامَ .

فَانْطَلَقَتْ بِهِ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الطَّعَامَ ، فَقَالَ :
شَرِبْتُ سَوِيْقَ ، فَشَرِبْتُ ، وَفَرَشْتُ لَهُ فَنَامَ ؛ وَجِئْتُ إِلَى مَسْلَمَةَ
فَأَعْلَمْتُهُ ، فَغَدَا إِلَى هِشَامَ ، فَجَلَسَ عِنْدَهُ ، حَتَّى إِذَا حَانَ قِيَامُهُ ،
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِي حَاجَةٌ .

قَالَ : قُضِيَتْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ فِي ابْنِ هُبَيْرَةَ .

قَالَ : رَضِيَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ ثُمَّ قَامَ مُنْصَرَفًا ، حَتَّى إِذَا
كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْإِيْوَانِ رَجَعَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
مَا عَوَّدْتَنِي أَنْ تَسْتَثْنِي فِي حَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِي ، وَإِنِّي أَكْرَهُ
أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْدَثْتَ عَلَيَّ الْإِسْتِثْنَاءَ .

قَالَ : لَا أَسْتَثْنِي عَلَيْكَ .

قَالَ : فَهِيَ ابْنُ هُبَيْرَةَ .

فَعَفَا عَنْهُ .

•
بَلَغَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ رَجُلٍ كَلَامٌ غَلِيظٌ ، فَأَحْضَرَهُ .
فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَعَلَ يَتَكَلَّمُ .

فَقَالَ لَهُ هِشَامُ : وَتَتَكَلَّمُ أَيْضًا ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ

تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا » فَتُجَادِلُ اللَّهُ تَعَالَى جِدَالًا وَلَا نَكَلْمَكَ كَلَامًا ؟

فَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : وَيْحَكَ ! تَكَلِّمُ بِحَاجَتِكَ .

فضيلة العفو والترغيب فيه

كان للمأمون خادم ، وهو صاحب وَضُوئِهِ ، فبينما هو
يَصْبُ الماء على يديه ، إِذ سَقَطَ الإِنَاءُ من يده ، فاغتاظ المأمونُ
عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إِنَّ الله يقول : « والكاظمينَ
الغیظ . »

قال : قد كَظَمْتُ غَيْظِي عنكَ .

قال : « والعافينَ عن النَّاسِ . »

قال : قد عَفَوْتُ عنكَ .

قال : « واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . »

قال : اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ .

•
أمر عمرُ بن عبد العزيز بعقوبة رجل ، فقال له رَجَاءُ بن
حيوة : يا أمير المؤمنين ، إِنَّ الله قد فعل ما تُحِبُّ من الظَّفَرِ ،
فافعل ما يُحِبُّه من العفو .

•
الأصمعيّ قال : عزم عبدُ الله بن عليّ على قَتْلِ بني أمية بالحجاز ؛
فقال له عبدُ الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله

عنهم : إذا أسرعت بالقتل في أكفائك ، فمن تُباهي بسُلطانك ؟
فأعفُ يَعْفُ اللهُ عنك .

دخل ابن خُريم على المهديّ ، وقد عَتَبَ على بعض أهل
الشام ، وأراد أن يُعزِّزهم جيشاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
عليك بالعفو عن الذنب ، والتجاوز عن المسيء ، فلأن
تُطيعك العرب طاعةً محبّةً ، خيرٌ لك من أن تُطيعك طاعةً
خَوْف .

أمر المهديّ بضرب عنق رجل ، فقام إليه ابنُ السَّمَاك ،
فقال : إن هذا الرجل لا يجب عليه ضربُ العنق .
قال : فما يجب عليه ؟

قال : تعفو عنه ، فإن كان من أجر كان لك دُوني ، وإن
كان من وزر كان عليّ دونك .
فخلّى سبيله .

كلّم الشعبيُّ ابنَ هُبيرة في قوم حبسهم ، فقال : إن
كنت حبستهم بباطل فالحقّ يطلّقهم ، وإن كنت حبستهم
بحقّ فالعفو يسعهم .

العُبيّ قال : وَوَعَت دِمَاءُ بَيْنَ حَيِّينَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَأَقْبَلَ
أَبُو سُفْيَانَ ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ وَاضِعٌ رَأْسَهُ إِلَّا رَفَعَهُ ، فَقَالَ :
يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَلْ لَكُمْ فِي الْحَقِّ أَوْ فِيمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَقِّ ؟
قَالُوا : وَهَلْ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنَ الْحَقِّ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، الْعَفْوُ ؛ فَتَهَادَنَ الْقَوْمَ وَاصْطَلَحُوا .

•
وقال هُزَيْمُ بْنُ أَبِي طَخْصَمَةَ لِيَزِيدَ بْنِ عَاتِكَةَ بَعْدَ ظَفَرِهِ
بِيزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ : مَا ظَلِمَ أَحَدٌ ظَلَمَكَ ، وَلَا نَصَرَ نَصَرَكَ ،
فَهَلْ لَكَ فِي الثَّالِثَةِ نَقْلُهَا ؟
قَالَ : وَمَا هِيَ ؟
قَالَ : وَلَا عَفَا عَفْوَاكَ .

•
وقال المُبَارَكُ بْنُ فُضَالَةَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ جَالِسًا فِي
السَّمَاطِ ، إِذْ أَمَرَ بِرَجُلٍ أَنْ يُقْتَلَ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
نَادَى مُنَادٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ : أَلَا مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَدٌ
فَلْيَتَقَدَّمْ ؛ فَلَا يَتَقَدَّمُ إِلَّا مَنْ عَفَا عَن مُذْنِبٍ . فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ :

وقال الأحنف بن قيس : أحقُّ الناسِ بالعقو أقدرُهم
على العقوبة .

وقال النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : « أقربُ ما يكون
العبدُ من غضبِ الله إذا غضب . »

وتقول العربُ في أمثالها : ملكتَ فأسجِح ، وارحِم ،
تُرِحِم ، وكما تدين تُدان ، ومن برّ يوماً بُرَّ به .

بعد الهمة وشرف النفس

دخل نافع بن جبير بن مطعم على الوليد ، وعليه كساء غليظ ، وخفان جاسيان^١ ، فسلم وجلس ، فلم يعرفه الوليد ، فقال خدام بين يديه : سل هذا الشيخ من هو . فسأله ، فقال له : اعزب ، فعاد الى الوليد فأخبره ؛ فقال : عد إليه واسأله ؛ فعاد إليه ، فقال له مثل ذلك . فضحك الوليد ، وقال له : من أنت ؟ قال : نافع بن جبير بن مطعم .

وقال زياد بن ظبيان لابنه عبید الله : ألا أوصي بك الأمير زياداً ؟ قال : يا أبت ، إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت .

وقال معاوية لعمر بن سعيد : الى من أوصى بك أبوك ؟ قال : إن أبي أوصى إليّ ولم يوصِ بي . قال : وبم أوصى إليك ؟

١ جاسيان : غليظان .

قال : أن لا يَفْقَدُ إخوانه منه إلا وَجْهه .

وقال مالك بن مِسمع لعُبَيْدِ اللهِ بن زياد بن ظَبْيَانَ : ما
في كِنَانَتِي سَهْمٌ أنا به أوثق مني بك .
قال : وإني لفي كِنَانَتِكَ ! أما والله لئن كنتُ فيها قائماً
لأطولنَّها ، ولئن كنتُ فيها قاعداً لأخرقنَّها .
قال : كثرَ اللهُ مثلكَ في العَشِيرَةِ .
قال : لقد سألتَ اللهُ سَطْطاً .

وقال يزيد بن المُهَلَّبِ : ما رأيتُ أشرفَ نفساً من
الفرزدق ، هَجَانِي مَلِكاً ، ومَدَحَنِي سُوقَةَ .

وقَدِمَ عُبَيْدُ اللهِ بن زياد بن ظَبْيَانَ على عَتَّابِ بن وَرْقَاءَ
الرِّيَاحِيِّ ، وهو والي خراسان ، فأعطاه عشرين ألفاً ، فقال له :
والله ما أحسنتَ فأحمدُكَ ، ولا أسأتُ فألومُكَ ، وإنك لأقربُ
البُعداءِ ، وأحبُّ البُغضاءِ .

وعُبَيْدُ اللهِ بن زياد بن ظبيان هذا هو القائل : والله ما
نَدِمْتُ على شيءٍ قَطُّ نَدِمْتُمُ على عبد الملك بن مروان ، إذ أتيتُهُ
برأسِ مُصْعَبِ بن الزُّبَيْرِ فخرَّ اللهُ ساجداً ، أن لا أكون قد

ضربت عنقه ، فأكون قد قتلتُ ملكين من ملوك العرب في يوم واحد .

ومن أشرف الناس همّة عقيل بن علفة المُرِّي . وكان أعرابياً يسكن البادية ، وكان تُصهّر إليه الخلفاء ، وخطب إليه عبدُ الملك بن مروان ابنته لأحد أولاده ، فقال له : جنّبي هُجْءاً ولدك .

وقال عمرُ بن عبد العزيز لرجل من بني أمية كان له أخوال في بني مُرّة : قبّح الله شَبَهًا غلب عليك من بني مُرّة . فبلغ ذلك عقيل بن علفة ، فأقبل إليه فقال له قبل أن يبتدئه بالسّلام : بلغني يا أمير المؤمنين أنك غَضِبت على رجل من بني عمك له أخوال في بني مُرّة ، فقلت : قبّح الله شَبَهًا غلب عليك من بني مُرّة ، وأنا أقول قبّح الله الأُمّ الطّرفين ؛ ثم انصرف .

فقال عمرُ بن عبد العزيز : من رأى أعجبَ من هذا الشيخ الذي أقبل من البادية ليست له حاجة إلاّ سْتَمُنَا ثم انصرف ؟ فقال له رجل من بني مُرّة : والله يا أمير المؤمنين ما سْتَمَك وما سْتَم إلاّ نفسه وقومه ، نحن والله الأُمّ الطرفين .

أبو حاتم السجستاني عن محمد بن عبيد الله العنبي قال :
 سمعتُ أبي يُحدِّث عن أبي عمرو المرِّي ، قال : كان بنو عقيل
 ابن عُلقمة بن مُرَّة بن غطفان يتناقلون ويتجعجون الغيث ،
 فسَمِعَ عقيل بن عُلقمة بنتاً له ضَحِكَت فشهقت في آخر
 ضَحِكها ، فاخترط السيفَ وحملَ عليها وهو يقول :
 فَرِقتُ ، إني رَجُلٌ فَروقُ ، بضُحكةٍ آخرُها شَهيقُ
 وقال عقيل :

إني وإن سيق إليَّ المسهرُ : ألفٌ وعُبدان وذودٌ عشرُ

أحبُّ أصهاري إليَّ القبر

وقال الأصمعي :

كان عقيل بن عُلقمة المرِّي رجلاً غيوراً ، وكان يُصهر
 إليه الخلفاء ، وإذا خرج يمتارَ خرج بابتته الجرباء معه . قال :
 فنزلوا ديراً من ديرة الشام يُقال له دير سعد^٢ ، فلما ارتحلوا
 قال عقيل :

١ الذود : ثلاث نياق وقيل أكثر .

٢ دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .

قَضَّتْ وَطَرَأَ مِنْ دِيرِ سَعْدٍ ، وَطَالَمَا
عَلَى عُرْضٍ نَاطِحِنَهُ بِالْجَمَاعِمِ ١

ثم قال لابنه : يَا عَمَلَسَّ ، أَجِزْ ؛ فَقَالَ :

فَأَصْبَحْنَا بِالْمَوَامَةِ ، يَحْمِلُنَ فِتِيَةً
نَشَاوِي مِنَ الْإِدْلَاجِ ، مِثْلَ الْعَمَامِ ٢

ثم قال لابنته : يَا جَرْبَاءَ ، أَجِيزِي ؛ فَقَالَتْ :

كَأَنَّ الْكُرَى سَقَّاهُمْ صَرْحَدِيَّةً ،
عُقَارًا ، تَمْشِي فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ ٣

قال : وما يُدْرِيكَ أَنْتَ مَا تَعْتُ الْحُمُرَ ! فَأَخَذَ السِّيفَ
وَهُوَى نَحْوَهَا ، فَاسْتَعَانَتْ بِأَخِيهَا عَمَلَسَّ ، فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .
قال : فَأَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهُ . قال : فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَاخْتَلَّ
فَخَذِيهِ ، فَبَرِكَ ، وَمَضُوا وَتَرَكَوهُ ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا أَدْنَى مَاءٍ
لِلْأَعْرَابِ ، قَالُوا لَهُمْ : إِنَّا اسْقَطْنَا جَزُورًا فَأَدْرِ كَوْهَا وَخَذُوا
مَعَكُمْ الْمَاءَ ؛ ففَعَلُوا ، فَإِذَا عَقِيلٌ بَارِكٌ وَهُوَ يَقُولُ :

١ ناطحنه بالجماعيم : اي ابين المقام فيه فهزرن رؤوسهن تكرهاً .

٢ الادلاج : سير الليل .

٣ صرخدية : نسبة الى صرخد ، بلد في جبل الدروز كانوا ينسبون اليه الحمر .

٤ اختل فخذيه : نفذ فيهما وانتظهما .

إِنَّ بَنِي زَمْلُونِي بِالْدَّمِ ، شَنِشِنَةَ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

مَنْ يَلْتَقِ أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

والشَّنْشِنَةُ : الطَّبِيعَةُ ، وَأَخْزَمِ : فِجْلٌ مَعْرُوفٌ ، وَهَذَا
مَثَلٌ لِلْعَرَبِ .

وَمَنْ أَعَزَّ النَّاسَ نَفْسًا وَأَشْرَفَهُمْ هِمَمًا الْأَنْصَارَ ، وَهُمْ الْأَوْسُ
وَالْحَزْرَجُ ، ابْنَا قَيْلَةَ ، لَمْ يُؤَدِّوا إِتَاوَةً قَطُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى
أَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِمْ تَبَعٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ،
وَيَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا أَنْ يَعْزُوهُمْ . فَكَتَبُوا إِلَيْهِ :

الْعَبْدُ تَبَعُكُمْ يَوْمَ قِتَالِنَا ،
وَمَكَانُهُ بِالْمَنْزِلِ الْمُتَدَلِّلِ

فَعَزَّاهُمْ تَبَعٌ أَبُو كَرِيبٍ ، فَكَانُوا يُقَاتِلُونَهُ نَهَارًا وَيُخْرِجُونَ
إِلَيْهِ الْقَرَى لَيْلًا ، فَتَدَمَّتْ مِنْ قِتَالِهِمْ وَرَحَلَ عَنْهُمْ .

وَدَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ :
مَنْ أَنْتَ ؟ وَتَجَهَّمُ لَهُ كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ .

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : وَمَا تَعْرِفَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
قَالَ : لَا .

قال : أنا من قوم منهم أوفى العرب ، وأسود العرب ،
وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر
العرب .

قال : والله لتُبَيِّنَنَّ ما قلتَ أو لأوجِعَنَّ ظَهْرَكَ
ولأهدِمَنَّ دارَكَ .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أمّا أوفى العرب ، فحاجبُ
ابن زُرارة ، الذي رَهَنَ قَوْسَهُ عن جميع العرب فوقى
بها ؛ وأمّا أسود العرب ، فقيس بن عاصم ، الذي وفَدَ
على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فبَسَطَ له رداءه ، وقال :
هذا سيّد الوبر ؛ وأمّا أحلم العرب ، فعتّاب بن
ورقاء الرّياحي ؛ وأمّا أفرس العرب ، فالحرّيش بن هلال
السّعدّي ؛ وأمّا أشعر العرب ، فهانذا بين يديك يا
أمير المؤمنين .

فاغتمَّ سليمان بما سمِعَ من فخره ولم يُنكره ، وقال :
ارجع على عقبيك ، فما لك عندنا شيء من خير .

فرجع الفرزدق وقال :

أتيناكَ لا من حاجةٍ عرَضت لنا
إليك ، ولا من قِلَّةٍ في مُجاشعِ

وقال الفرزدق في الفخر :

بَنُو دارمِ قَوْمِي تَرى حُجْزَاتِهِمْ ،
عِتاقاً حَواشِيها ، رِفاقاً نِعالِها^١
يَجْرُونَ هُدَّابَ السَّمانِ ، كَأَنَّهُمْ
سُيوفٌ جَلا الأَطْباعَ عَنا صِقالِها^٢

وقال الأحموس في الفخر ، وهو أفخر بيت قالته العرب :

ما مِن مُصَيِّبةٍ نَكَبَةٌ أُرْمى بِها ،
إِلا تَسَرَّفَنِي وَتَرَفَعَ ساني
وَإِذا سَألتَ عَنِ الكِرامِ وَجَدتَنِي ،
كالشَّمسِ ، لا تَخْفى بِكُلِّ مَكانِ

وقال أبو عبيدة : اجتمعت وفودُ العرب عند الثعمان بن
المُنذر ، فأخرج إليهم بُرْدِي مُحرِّق ، وقال : ليقم أعزُّ
العرب قبيلةً فليلبسهما . فقام عامر بن أحيمر السَّعدي

١ الحجرات ، واحدها حجرة : معقد السروال والازار من الانسان . عتاقاً ،
من العتق : الحن . وفي الكلام كناية عن البعد عن الفجور . رفاق النعال :
ملوك لا يخلصون نعالهم .

٢ الأطباع ، واحدها طبع : الصدا .

فأثر بأحدهما وارتدى بالآخر ؛ فقال له النعمان : بم أنت
أعزُّ العرب ؟

قال : العزُّ والعدَد من العرب في معدِّ ، ثم في نِزار ،
ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في عوف ، ثم في
بهْدلة ، فمن أنكر هذا من العرب فليُنافِرني .

فسكت الناس . ثم قال النعمان : هذه حالك في قومك ،
فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟

قال : أنا أبو عشرة ، وخال عشرة ، وعم عشرة ؛ وأما
أنا في نفسي فهذا شاهدي ؛ ثم وضع قدمه في الأرض ، ثم
قال : من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل .

فلم يَقم إليه أحد ، فذهب بالبردين .

ففيه يقول الفرزدق :

فما ثمَّ في سعدٍ ، ولا آل مالك ،

غلامٌ إذا ما سيل لم يتبهدل^١

لهم وهب النعمان بُردَي محرق ،

بمجدٍ معدِّ ، والعديد المحصل

وفي أهل هذا البيت من سعد بن زيد مناة كانت الإفاضة

١ سيل : سهل سئل . يتهدل : ينتسب الى بهدلة .

في الجاهليّة . ومنهم بنو صفوان الذين يقول فيهم أوس بن
مَعْرَاء السَّعْدِيّ :

ولا يَريمون في التَّعريف مَوْقِفِهِمْ ،
حتى يُقالَ أَجيزُوا آلَ صَفْوَانَا

ما تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عندَ أَوْلِنَا ،
ولا تَغِيْبُ إِلَّا عندَ أُخْرَانَا

وقال الفرزدق في مثل هذا المعنى :

تَرى النَّاسَ ما سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا ،
وإن نَحْنُ أَوْمانا إلى النَّاسِ وَقَفُوا

وكانت هُنَيْدَة بنت صَعْصَعَة عَمَّة الفرزدق تقول : من
جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتي يَحِلُّ لها أن تَضَع
خِمَارها عندهم ، فِصرمتي^٢ لها : أَيْ صَعْصَعَة ، وأخي غالب ،
وخالي الأقرع بن حابس ، وزوجي الزُّبْرقان بن بدر ؛
فسمَّيت ذات الخِمار .

١ التعريف : الوقوف بعرفة .

٢ الصرمة : القطعة من الابل .

ومن شَرُفَتْ نَفْسُهُ ، وَبَعُدَتْ هِمَّتُهُ : طاهر بن الحسين
الخراساني ، وذلك أنه لما قَتَلَ محمدَ بنَ زُبَيْدَةَ ، وخاف
المأمون أن يَعْدِرَ به ، امتنع عليه بخراسان ولم يُظهر خَلْعَهُ .
وقال دِعْبَلُ بنُ عَلِيٍّ الخُرَاعيُّ يفتخر بِقَتْلِ طاهر بن الحسين
محمدًا ، لأنه كان مولى خُرَاعة ، ويُقال إنه خُرَاعيٌّ :

أَيْسُومِنِي المَأْمُونُ خُطَّةَ عَاجِزٍ ،
أَوْ مَا رَأَى بِالْأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ ؟

تُوفِي عَلِي رُؤُوسَ الخِلائِقِ ، مِثْلَما
تُوفِي الجِبَالُ عَلِي رُؤُوسَ القَرَدِدا

إِنِّي مِنَ القَومِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ ،
قَتَلُوا أَخَاكَ ، وَشَرَّفُوكَ بِمَقْعَدِ

رَفَعُوا مَحَلَّكَ ، بَعْدَ طُولِ خُمُولِهِ ،
وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الخُضِيِّضِ الأَوْهَدِ

وقال طاهرُ بنُ الحسينِ :

عَضِبْتُ عَلَي الدُّنْيَا ، فَأَنْهَيْتُ ما حَوَّتْ ،
وَاعْتَبْتُها مِنِّي بِإِحْدَى المِثَالِيفِ ٢

١ نوفي ، من اوفى : اشرف . القردد : ما ارتفع من الارض .
٢ اعتبها : أرضيتها .

قَتَلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّمَا
بَقِيَتْ عَنَاءٌ ، بَعْدَهُ ، لِلخَلَائِفِ
وَأَصْبَحْتُ فِي دَارٍ مُقِيمًا ، كَمَا تَرَى ،
كَأَنِّي فِيهَا مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ
وَقَدْ بَقِيَتْ فِي أُمَّ رَأْسِي فَتَكَةٌ ،
فَأَمَّا لِرُشْدٍ ، أَوْ لِرَأْيٍ مُخَالَفِ

فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة :

عَتَبْتَ عَلَى الدُّنْيَا فَلَا كُنْتَ رَاضِيًا ،
فَلَا أُعْتَبُ إِلَّا بِأَحَدِي الْمَتَالِفِ
فَمَنْ أَنْتَ ، أَوْ مَا أَنْتَ يَا فِقْعَ قِرْقَرٍ ،
إِذَا أَنْتَ ، مَنَّا ، لَمْ تُعَلِّقْ بِكَانِفٍ ؟
فَنَحْنُ بِأَيْدِينَا هَرَقْنَا دِمَاءَنَا ،
كَثُولٍ تَهَادَى الْمَوْتَ عِنْدَ التَّرَاحِفِ
سَتَعْلَمُ مَا تَجَنَّبُنِي عَلَيْكَ ، وَمَا جَنَنْتِ
يَدَاكَ ، فَلَا تَفْخَرْ بِقَتْلِ الخَلَائِفِ

١ الفقع : من اردأ الكمأة . القرقر : ارض مرتفعة الى جنب وهدة . ويقال
للرجل الذليل : هو فقع بقرقر ، اي ان الدواب تطأه بارجلها .
٢ الثول : جماعة النحل .

وقد بقيت في أمّ رأسك فتكة ،
سنُخرجها منه بأسمر راعفِ

وقال عبدُ الله بن طاهر :

مُدْمِنِ الإِغْضَاءِ مَوْصُولُ ، وَمُدِيمِ العَتَبِ مَمْلُولُ
وَمَدِينِ البَيْضِ فِي تَعَبِ ، وَعَرِيمِ البَيْضِ مَمْطُولُ^١
وَأخُو الوَجْهَيْنِ حَيْثُ رَمَى بِهِوَ مَمْدَخُولُ^٢
أَقْصِرِي عَمَّا لَهَجَتْ بِهِ ، فَفِرَاعِي عَنكَ مَشْغُولُ
سَائِلِي ، عَمَّنْ تُسَائِلُنِي ، قَدْ يَرُدُّ الحَيْرُ مَسْؤُولُ
أَنَا مِنْ تُعْرِفِ نِسْبَتَهُ ، سَلْفِي العُرُّ البِهَائِلِ^٣
سَلِّ بِهَمْ تُنْيِكِ نَجْدَتُهُمْ ، مَشْرِفِيَّاتِ مَصَاقِيلِ
كُلِّ عَضْبٍ مُشْرَبٌ عَلَقًا ، وَغَرَارُ الحَدِّ مَقْلُولُ
مُضْعَبِ جَدِّي ، نَقِيبِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَالأَمْرُ مَجْبُولُ^٤
وَحُسَيْنِ رَأْسُ دَعْوَتِهِمْ بَعْدَهُ ، وَالحَقُّ مَقْبُولُ

١ المدين : المديون . الغريم : الدائن .

٢ المدخول : من طرأ على عقله دخل ، فناد .

٣ البهائل ، واحدها بهلول : السيد الجامع لكل خير .

٤ مجبول : طيبة وخلقة .

وأبي من لا كفاء له ، من يُسامي مجده ؟ فقولوا !
 صاحبُ الرأى ، الذي حصّلت ، رأيه ، القومُ المحاصيل
 حلّ منهم بالذرى شرفاً ، دونه عزّ وتبجيل^١
 تُفصحُ الأنباءُ عنه ، إذا أسكتَ الأنبياءَ مجبول
 سلّ به الجبارَ يومَ عدا ، حولَه الجردُ الأبايل^٢
 إذ علّت من فوقه يدهُ ، نوّطها أبيضُ مصقول
 أبطنَ المخلوعَ كلكله ، وحواليه المقاويل^٣
 فتوى ، والتربُّ مصرعه ، غالَ منه ، ملكه ، غول
 قادَ جيشاً نحو بابله ، ضاقَ عنه العرضُ والطول
 وهبوا لله أنفسهم ، لا معازيلٌ ولا ميل^٤
 ملكٌ تجتاحُ صولتهُ ، ونداه ، الدهرَ ، مبدول

١ دونه : اي يحيط به .

٢ الابايل : المتجمعة المتتابعة .

٣ المخلوع : اراد به الامين . كلكله : صدره . المقاويل ، واحدها مقول : الملك او السيد .

٤ المعازيل : الذين لا رماح معهم ، الواحد : معزال . الميل : الجناء ، الواحد : أميل .

نَزَعَتْ مِنْهُ تَمَائِمَهُ ، وَهُوَ مَرَهُوبٌ وَمَأْمُولٌ
 وَتَرَهُ يُسْعَى إِلَيْهِ بِهِ ، وَدَمٌ يَجْنِيهِ مَطْلُولٌ
 فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُزَيْدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَثَرُهُمْ
 عِنْدَهُ ، ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُهُ إِلَى إِجَابَتِهِ إِلَّا قَوْلُهُ :
 مَنْ يُسَامِي مَجْدَهُ ؟ قُولُوا !

فَأَمْرٌ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَزَادَهُ أَثْرَةٌ وَمَنْزَلَةٌ :

لَا يَرُوعُكَ الْقَالُ وَالْقِيلُ ، كُلُّ مَا بُلِّغَتْ تَضْلِيلُ
 مَا هَوَى لِي ، كُنْتُ أَعْرِفُهُ ، بِهِوِي غَيْرِكَ مَوْصُولُ
 أَيُّخُونُ الْعَهْدِ ذُو ثِقَةٍ ؟ لَا يَخُونُ الْعَهْدَ مَتَّبُولُ^١
 حَمَلْتَنِي كُلَّ لَأْمَةٍ ؛ كُلُّ مَا حَمَلْتِ مَحْمُولُ
 وَاحْكَمِي ، مَا شِئْتِ ، وَاحْكَمِي ، فَحَرَامِي لَكَ تَحْلِيلُ
 أَيْنَ لِي عَنْكَ إِلَى بَدَلٍ ؟ لَا بَدِيلٌ مِنْكَ مَقْبُولُ
 مَا لِدَارِي مِنْكَ مُقْفِرَةٌ ، وَضَمِيرِي مِنْكَ مَأْهُولُ
 وَبَدَّتْ ، يَوْمَ الْوَدَاعِ لَنَا ، غَادَةٌ كَالشَّمْسِ عَطْبُولُ^٢
 تَتَعَاطَى شَدًّا مِثْرَهَا ، وَنِطَاقُ الْخَصْرِ مَحْلُولُ

١ المتبول ، من تبله الحب : اسقمه ، ذهب بمقله .

٢ العطبول : المرأة الجميلة الفتية الطويلة العنق .

شَمَلْنَا ، إِذْ ذَاكَ ، جَمَعَ ، وَجَنَاحَ الْبَيْنِ مَشْكُولٌ ١
ثُمَّ وَلَّتْ ، كَيْ تَوَدَّعْنَا ، كُحِّلَهَا بِالذَّمْعِ مَعْسُولٌ
أَيْهَا الْبَادِي بِطَيْتِهِ ، مَا لِأَغْلَاطِكَ تَحْصِيلٌ
قَدْ تَأَوَّلْتَ عَلَى جِهَةٍ ، وَلَنَا وَيَحْكُ تَأْوِيلٌ
إِنَّ دَلِيلَاكَ ، يَوْمَ غَدَا
قَاتِلُ الْمَخْلُوعِ مَقْتُولٌ ؛ وَدَمُ الْقَاتِلِ مَطْلُولٌ ٣
قَدْ يَخُونُ الرَّمْحَ عَامِلُهُ ، وَسِنَانُ الرَّمْحِ مَصْقُولٌ ٤
وَيَسَالُ الْوَتَرَ طَالِبُهُ ، بَعْدَمَا تَسْلُو الْمَثَاكِيلَ
بَأَخِي الْمَخْلُوعِ طَلَّتْ يَدَا ، لَمْ يَكُنْ فِي بَاعِهَا طَوْلٌ
وَبِنُعْمَاهُ الَّتِي كَفَّرَتْ ، جَالَتْ الْحَيْلُ الْأَبَايِلُ
وَبِرَاعٍ غَيْرِ ذِي سَفْقٍ ، فُعِلَتْ تَلْكُ الْأَفَاعِيلُ
يَابَنْ بَيْتِ النَّارِ مُوقِدُهَا ، مَا لِحَاذِيهِ سِرَاوِيلٌ ٥
مَنْ حُسَيْنٍ وَأَبُوهُ ، وَمَنْ
إِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ أَسَدَقُهُ ، حِينَ تَصْطَكُ الْأَقَاوِيلُ ٦

١ مشكول : مقيد .

٢ الدليلي : الدليل .

٣ المظلول : المهذور .

٤ عامل الرمح : صدره دون السنان .

٥ الحاذان : لحمان في ظاهر الفخذين .

٦ غالتهم : اهلكتهم . القول : الداهية .

مراسلات الملوك

العُتْبِيُّ عن أبيه قال :

أهدى ملكُ اليمنِ عَشْرَ جزائرٍ إلى مكة ، وأمر أن يَنحَرها
أعزُّ قُرشيٍّ . فَقَدِمَتْ وأبو سفيان عروسُ بهنْد بنتِ عتبة ،
فقالَتْ له : أيها الرجل ، لا يشغلنك النساءُ عن هذه المَكْرمةِ
التي لعلها أن تَقُوتَكَ ؛ فقال لها : يا هذه ، دَعِي زوجَكَ وما
يُختاره لنفسه ، والله ما نَحَرها غيري إلا نَحَرْتُهُ . فكانت في
عقلها حتى خرج أبو سفيان في اليوم السابع فنَحَرها .

زُهَيْر عن أبي الجُوَيْرِيَةِ الجَرَمِيِّ قال :

كتب قَيْصِرٌ إلى معاوية : أَخْبَرَنِي عما لا قِبْلةَ له ، وعمَّن
لا أَبَ له ، وعمَّن لا عَشِيرَةَ له ، وعمَّن سار به قَبْرُهُ ، وعن
ثلاثةِ أشياء لم تُخْلَقْ في رَحِمِ ، وعن شيءٍ ونِصْفِ شيءٍ ولا
شيءٍ ، وابعث إلي في هذه القارورة بَبْرُزٍ كلِّ شيءٍ .
فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابنِ عَبَّاسٍ . فقال

ابن عباس : أما ما لا قبيلة له فالكعبة ؛ وأما من لا أب له
 فعيسى ؛ وأما من لا عشيرة له فآدم ؛ وأما من سار به قبره
 فيونس ؛ وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحيم : فكعبش إبراهيم ،
 وناقاة ثمود ، وحيّة موسى ؛ وأما شيء ، فالرجل له عقل يعمل
 بعقله ؛ وأما نصف شيء ، فالرجل ليس له عقل ويعمل برأي
 ذوي العقول ؛ وأما لا شيء ، فالذي ليس له عقل يعمل به
 ولا يستعين بعقل غيره ؛ وملاً القارورة ماء ، وقال : هذا
 بوز كل شيء .

فبعث به إلى معاوية ، فبعث به معاوية إلى قيصر . فلما
 وصل إليه الكتاب والقارورة ، قال : ما خرج هذا إلا من
 أهل بيت النبوة .

نُعَيْم بن حَمَّاد قال :

بعث ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً فيه : من
 مَلِكِ الأملاك الذي هو ابنُ ألف ملك ، والذي تحته ابنةُ
 ألف ملك ، والذي في مَرَبَطِهِ ألفُ فيل ، والذي له نهران
 يُنسبان العود والألوة^١ والجنوز والكافور ، والذي يوجد
 ريجه على مسيرة اثني عشر ميلاً ، إلى مَلِكِ العَرَبِ الذي

١ الألوة : ضرب من العود يتبخر به .

لا يُشرك بالله شيئاً ، أما بعد : فأني قد بعثتُ إليك بهديّةً ،
وما هي بهديّةٌ ، ولكنها تحيةٌ ، وأحببتُ أن تبعث إليّ
رجلاً يُعلِّمني ويفهمني الاسلام ، والسلام . يعني بالهدية الكتاب .

الرياشي قال :

لما هدم الوليدُ كنيسةَ دمشق كتب إليه ملكُ الروم :
إنك هدمتَ الكنيسة التي رأى أبوك تركها ، فإن كان صواباً
فقد أخطأ أبوك ، وإن كان خطأً فما عُدرك ؟

فكتب إليه : « ودَاوُدَ وسليمان إذ يحكمان في الحَرثِ
إذ نَفَسَت فيهِ عَنَمَ القومِ وكنّا لحُكْمِهِم شَاهِدِينَ ، فَفَهَمْنَاها
سليمان ، وكَلَّأَ آتَمِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا . »

وكتب ملكُ الروم الى عبد الملك بن مروان : أكلتُ لحم
الجمال الذي هرب عليه أبوك من المدينة لأغزيتك جنوداً مائة
ألف ومائة ألف .

فكتب عبد الملك الى الحجاج أن يبعث الى عبد الله بن
الحسن ويتوعده ويكتب إليه بما يقول ، ففعل . فقال عبد
الله بن الحسن : إنَّ لله ، عز وجل ، لوحاً محفوظاً ، يلاحظه كل يوم
ثلثمائة لحظة ، ليس منها لحظة إلا يُحْيِي فيها ويُمِيت ويُعِزُّ ويُدَلِّ

ويفعل ما يشاء ، وإني لأرجو أن يكفيناك منها بلحظة واحدة .

فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان ، وكتب به عبد الملك الى ملك الروم ، فلما قرأه قال : ما أخرج هذا إلا من كلام النبوة .

بعث ملك الهند الى هارون الرشيد بسيف قلعية^١ ، وكلاب سيورية^٢ ، وثياب من ثياب الهند ؛ فلما أتته الرسل بالهدية أمر الأتراك فصفقوا صفقين ، وليسوا الحديد حتى لا يرى منهم إلا الحدق ، وأذن للرسل فدخلوا عليه ، فقال لهم : ما جئتم به ؟ قالوا : هذه أشرف كسوة بلدنا .

فأمر هارون القطاع بأن يقطع منها جلالاً وبراقع كثيرة لحيله ، فصلب الرسل على وجوههم ، وتذموا من ذلك ونكسوا رؤوسهم .

ثم قال لهم الحاجب : ما عندكم غير هذا ؟

قالوا له : هذه سيوف قلعية لا نظير لها .

فدعا هارون بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب ،

١ قلعية ، نسبة الى القاعة : موضع ببلاد الهند واليه تنسب السيوف .

٢ سيورية : لعلها منسوبة الى موضع في الهند .

فَقَطَعَتْ بِهِ السُّيُوفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَيْفًا سَيْفًا ، كَمَا يُقَطِّطُ الْفُجُلُ ،
مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْشِيَ لَهُ شَقْرَةَ . ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمْ حَدَّ السَّيْفِ فَإِذَا
لَا فَلَكَ فِيهِ ، فَصَلَّبَ الْقَوْمَ عَلَى وُجُوهِهِمْ .

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ : مَا عِنْدَكُمْ غَيْرَ هَذَا ؟

قَالُوا : هَذِهِ كِلَابٌ سَيُورِيَةٌ لَا يَلْقَاهَا سَبْعٌ إِلَّا عَقَرَتْهُ .

فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ : فَإِنَّ عِنْدِي سَبْعًا فَإِنَّ عَقَرَتْهُ فِيهِ كَمَا
ذَكَرْتُمْ .

ثُمَّ أَمَرَ بِالْأَسَدِ فَأُخْرِجَ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ هَالِهِمْ ، وَقَالُوا :
لَيْسَ عِنْدَنَا مِثْلُ هَذَا السَّبْعِ فِي بِلَدِنَا .

قَالَ لَهُمْ هَارُونُ : هَذِهِ سَبَاعٌ بِلَدِنَا .

قَالُوا : فَتُرْسَلُهَا عَلَيْهِ ؛ وَكَانَتْ الْأَكْبَبُ ثَلَاثَةً ، فَأُرْسِلَتْ
عَلَيْهِ فَهَزَقَتْهُ . فَأَعْجَبَ بِهَا هَارُونُ ، وَقَالَ لَهُمْ : تَمَنَّوْا فِي هَذِهِ
الْكِلَابِ مَا شِئْتُمْ مِنْ طَرَائِفِ بِلَدِنَا .

قَالُوا : مَا تَمَنَّى إِلَّا السَّيْفَ الَّذِي قَطَعْتَ بِهِ سَيُوفَنَا .

قَالَ لَهُمْ : مَا كُنَّا لِنَبْخَلَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي
دِينِنَا أَنْ نُهَادِيَكُمْ بِالسَّلَاحِ ، وَلَكِنْ تَمَنَّوْا غَيْرَ ذَلِكَ مَا شِئْتُمْ .

قَالُوا : مَا تَمَنَّى إِلَّا السَّيْفَ .

قَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ لَهُمْ بِتُحْفٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسَنَ
جَائِزَتِهِمْ .

أبو جعفر البغدادي قال :

لما اتقبض طاهرُ بن الحسين بخراسان عن المأمون وأخذ
حِذْرَه ، أدب له المأمون وصيفاً بأحسن الآداب وعلّمه فنون
العلم ، ثم أهداه إليه مع الطاف كثيرة من طرائف العراق ،
وقد واطأه على أن يسمّه ، وأعطاه سمّ ساعة ، ووعدّه على
ذلك بأموال كثيرة .

فلما انتهى الى خراسان وأوصل الى طاهر الهدية ، قبل
الهدية ، وأمر بإنزال الوصيف في دارٍ ، وأجرى عليه ما يحتاج
إليه من التوسعة في النزلة^١ وتركه أشهراً . فلما برّم الوصيفُ
بمكانه كتب إليه : يا سيدي ، إن كنتَ تقبلني فأقبلني وإلا
فردّني الى أمير المؤمنين .

فأرسل إليه وأوصله الى نفسه . فلما انتهى الى باب المجلس
الذي كان فيه ، أمره بالوقوف عند باب المجلس ، وقد جلس
على لبندٍ أبيض وقرع رأسه^٢ ، وبين يديه مصحف منثور
وسيف مسلول ، فقال : قد قبلنا ما بعث به أمير المؤمنين

١ النزلة : الضيافة .

٢ قرع رأسه : أذهب شعره .

غيرك فإننا لا نقبلك ، وقد صرّفناك إلى أمير المؤمنين ، وليس
عندي جوابٌ أكتبه ، إلاّ ما ترى من حالي ، فأبلغ أمير
المؤمنين السلام ، وأعلمه بالحال التي رأيتني فيها .

فلما قدّم الوصفُ على المأمون ، وكلمّه بما كان من أمره ،
ووصف له الحالَ التي رآه فيها ، شاور وزراءه في ذلك وسألهم
عن معناه ، فلم يُعلمه واحد منهم ؛ فقال المأمون : لكنني قد
فهمت معناه : أمّا تَقْرِيعه رأسه وجلوسه على اللبد الأبيض ،
فهو يُخبِرنا أنّه عبدٌ ذليل ؛ وأما المُصْحَفُ المنشور ، فإنه
يذكّرنا بالعهود التي له علينا ؛ وأما السيفُ المَسْئُولُ ، فإنه
يقول : إن نكثتَ تلك العهود فهذا يحكم بيني وبينك ، أغلقوا
عنا باب ذِكْرِهِ ، ولا تَهَيِّجُوهُ في شيء مما هو فيه .

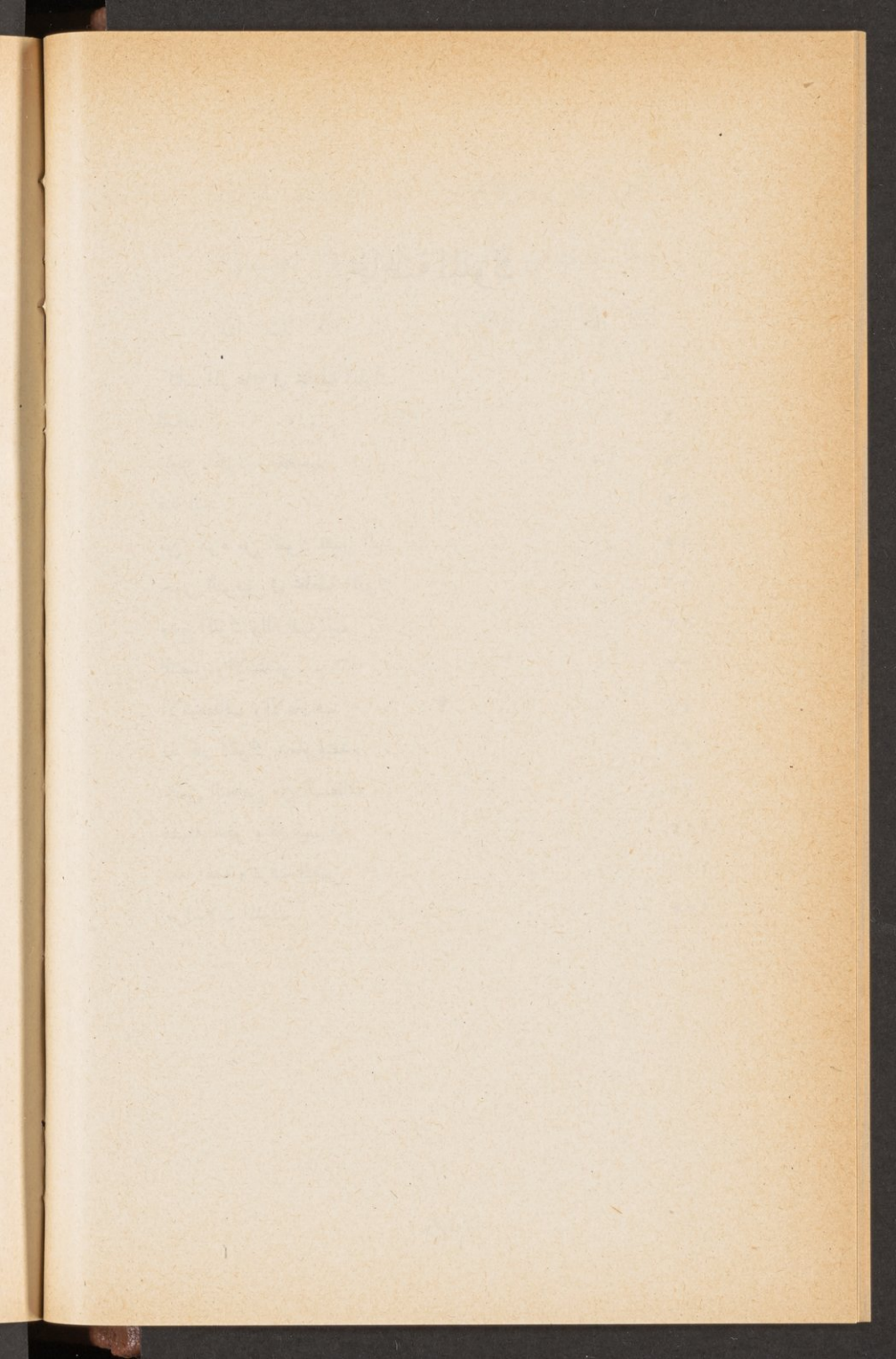
فلم يهجه المأمون حتى مات طاهرُ بن الحسين ، وقام
عبد الله بن طاهر بن الحسين مكانه ، فكان أخفّ الناس
على المأمون .

وكتب طاهرُ بن الحسين إلى المأمون في إطلاق ابن السندي
من حبسه ، وكان عامله على مصر فعزله عنها وحبسه ، فأطلقه
له وكتب إليه :

أخي أنت ومولاي ، فما ترضاه أرضاهُ
وما تهوى من الأمر ، فإنني أنا أهواه
لك الله على ذلك ؛ لك الله لك الله

مخاطبة الملوك

| | | | | |
|-----|---|---|---|--------------------------------|
| ٥ | . | . | . | كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك |
| ٦ | . | . | . | البيان |
| ٨ | . | . | . | تجليل الملوك وتعظيمهم |
| ١٢ | . | . | . | قبلة اليد |
| ١٥ | . | . | . | من كره من الملوك تقبيل اليد |
| ١٦ | . | . | . | حسن التوفيق في مخاطبة الملوك |
| ٢٢ | . | . | . | مدح الملوك والتزلف اليهم |
| ٣٣ | . | . | . | التصل والاعتذار |
| ٤٤ | . | . | . | الاستعطاف والاعتراف |
| ٧٦ | . | . | . | تذكير الملوك بذمام متقدم |
| ٧٨ | . | . | . | حسن التخلص من السلطان |
| ١١٣ | . | . | . | فضيلة العفو والترغيب فيه |
| ١١٧ | . | . | . | بعد الهمة وشرف النفس |
| ١٣٣ | . | . | . | مراسلات الملوك |



العقد الفريد

| | |
|-------------------|----|
| السلطان وعدل ساعة | ١ |
| تحت ظلال القنا | ٢ |
| الأيدي السخية | ٣ |
| وفود العرب | ٤ |
| مخاطبة الملوك | ٥ |
| أبناء النور ١ | ٦ |
| أبناء النور ٢ | ٧ |
| أبناء النور ٣ | ٨ |
| أمثال العرب | ٩ |
| سحر البيان | ١٠ |
| دموع الأحزان | ١١ |
| أنساب العرب | ١٢ |
| من خيام الأعراب | ١٣ |
| فيض الخواطر | ١٤ |
| أدب المنابر | ١٥ |
| الكتابة والكتّاب | ١٦ |

| | |
|-----------------|----|
| أخبار الخلفاء ١ | ١٧ |
| أخبار الخلفاء ٢ | ١٨ |
| أخبار الخلفاء ٣ | ١٩ |
| أمراء المسلمين | ٢٠ |
| أيام العرب ١ | ٢١ |
| أيام العرب ٢ | ٢٢ |
| طرائف الشعراء ١ | ٢٣ |
| طرائف الشعراء ٢ | ٢٤ |

107 1/2

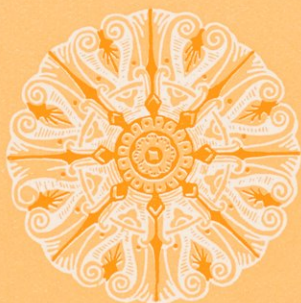
v. 2 (no. 6)

المجلة العربية

٦

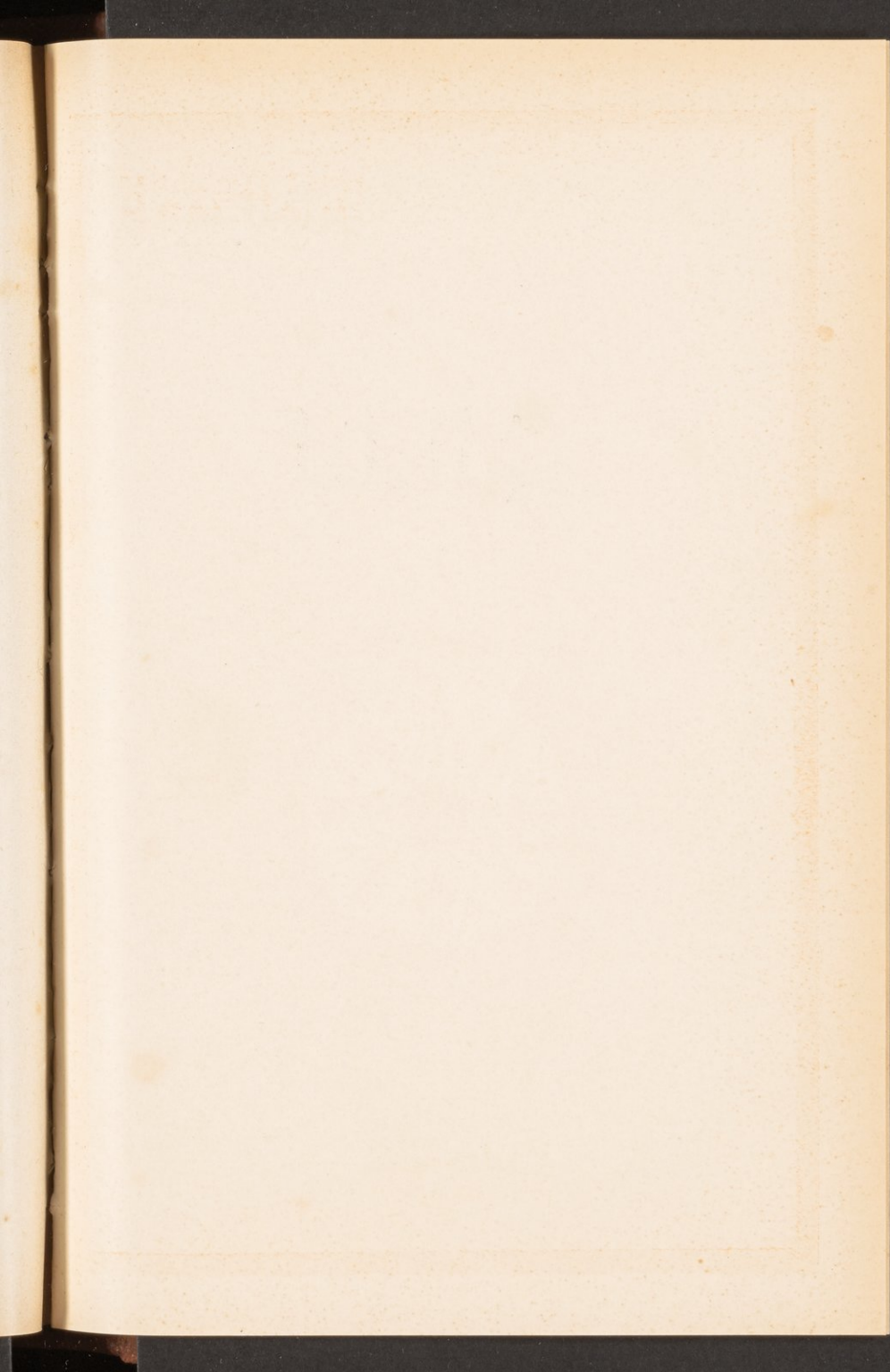
أبناء النور

١



مكتبة صادر
بيروت

ع. ل.



ابناء النور

١

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه أدب - وأقوال - ونوادر - وملح -
وتاريخ - وأخبار الخ . الخ



ابناء النور

هو كتاب الياقوتة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

المعقد الفريدي

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٦

ابناء النور

١

مكتبة صادر
بيروت

Near East

PS

7745

. I 15

. I 5

v. 2

re. 10

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

كتاب الياقوتة

في العلم والادب

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه :

قد مضى قولنا في مخاطبة الملوك ومقاماتهم ، وما تفتنوا فيه من بديع حكمهم ، والتزلّف إليهم بحسن التوصل ولطيف المماضي ، وبارع منطقتهم ، واختلاف مذاهبهم ، ونحن قائلون ، بحمد الله وتوفيقه ، في العلم والأدب ، فانهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا ، وفَرَّق ما بين الانسان وسائر الحيوان ، وما بين الطَّبِيعَةِ المَلَكِيَةِ والطَّبِيعَةِ البَهِيمِيَةِ . وهما مادّة العقل وسِرّاج البدن ونور القلب وعماد الرّوح .

وقد جعل الله بلطيف قدرته ، وعظيم سلطانته ، بعض الأشياء عمداً لبعض ومتولداً من بعض ، فإجالة الوهم فيما تدركه الحواسُّ تَبَعَتْ خواطرَ الذِّكْرِ ، وخواطر الذِّكْرِ تَبَعَتْ روية الفِكر ، وروية الفِكر تَبَعَتْ خواطرَ الذِّكْرِ ، والارادة تُحْكَم أسباب العمل ، فكلُّ شيءٍ يقومُ في العقل ويمثُلُ في الوهم يكون ذِكْراً ، ثم فِكْراً ، ثم ارادة ، ثم عملاً .

والعقل متقبّلٌ للعلم لا يعمل في غير ذلك شيئاً . والعلم
علمان : علمٌ حَمِلٌ ، وعلمٌ استعمل ، فما حَمِلَ منه ضرٌّ ، وما
استعمل نَفَع .

والدليل على ان العقل إنما يعملُ في تقبّلِ العلوم كالبصرِ
في تقبّلِ الألوان ، والسمع في تقبّلِ الأصوات ، أن العاقل إذا
لم يُعلم شيئاً كان كمن لا عقلَ له ، والطفّل الصغير لو لم تُعرّفه
أدباً وتلقنه كتاباً كان كأبله البهائم وأضلّ الدواب . فإن زعم
زاعم فقال : إنا نجد عاقلاً قليلاً من العلم ، فهو يستعمل عقله في قلّة
علمه ، فيكون أشدّ رأياً ، وأنبهَ فِطْنَةً ، وأحسنَ مواردَ
ومصادرٍ من الكثير العلم مع قلّة العقل ، فإنّ حُجَّتنا عليه
ما قد ذكرناه من حَمَلِ العلم واستعماله ، فقليل العلم يستعمله
العقل خيراً من كثيره يحفظه القلب .

قيل للمُهَلَّب : بِمَ أدرَكتَ ما أدرَكتَ ؟ قال : بالعلم ؛
قيل له : فإنّ غيرك قد علم أكثر مما علمت ، ولم يُدرك ما
أدرَكتَ ؛ قال : ذلك علمٌ حَمِلٌ ، وهذا علمٌ استعمل .

وقد قالت الحكماء: العِلْمُ قَائِدٌ ، والعَقْلُ سَائِقٌ ، والنَّفْسُ
ذَوْدٌ^١ ، فإذا كان قائداً بلا سائقٍ هلكت الماشية ، وإن كان
سائقاً بلا قائداً أخذت يميناً وشمالاً ، وإذا اجتمعا أنابت^٢ طوعاً
أو كرهاً .

١ الذود : من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة ، وقيل غير ذلك .

٢ انابت : رجعت .

فنون العلم

قال سهل بن هارون يوماً ، وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن يرغبوا فيه ، وقد يُرغب عن بعض العلم كما يُرغب عن بعض الحلال .

فقال المأمون : قد يُسمي بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم ، فإن كان هذا أردتَ فوجهه الذي ذكرتُ ؛ ولو قلت أيضاً : إن العلم لا يُدرك غوره^١ ، ولا يُسبر^٢ قعره ، ولا تُبلغ غايته ، ولا تُستقصى أصوله ، ولا تُنضبط أجزاءه ، صدقت ، فإن كان الأمر كذلك فابدأ بالأهم فالأهم ، والأوكد فالأوكد ، وبالقرض قبل النفل ، يكن ذلك عدلاً قصداً ومذهباً جميلاً . وقد قال بعض الحكماء : لست أطلب العلم طمعاً في غايته والوقوف على نهايته ، ولكن التماس ما لا يسع جهله ؛ فهذا وجهٌ لما ذكرت .

وقال آخرون : علمُ الملوك النسبُ والخبْرُ ، وعلمُ

١ الغور : القعر من كل شيء .

٢ يسبر : يمتحن غوره ليعرف مقداره .

أصحاب الحروب درس كُتِب الأيَّام والسيِّر، وعِلْمُ
التجَّار الكِتَاب والحِسَاب، فأما أن يُسمَّى الشيءَ علماً ويُنهى
عنه من غير أن يُسأل عما هو أنفع منه فلا .

وقال محمد بن ادريس، رضي الله عنه : العِلْم علمان : عِلْم
الأبدان ، وعلم الأديان .

وقال عبدُ الله بن مُسلم بن قُتَيْبَة : من اراد أن يكون
علماً فليطلب فنّاً واحداً ، ومن اراد ان يكون أديباً فليتسع
في العلوم .

وقال أبو يُوسُف القاضي : ثلاثة لا يسلمون من ثلاثة :
من طلب الدينَ بالفلسفة لم يسلم من الزنْدَقَة ، ومن طلب
المالَ بالكيمياء لم يسلم من الفقر، ومن طلب غرائب الحديث
لم يسلم من الكذب .

وقال ابن سيرين ، رحمه الله تعالى : العِلْمُ أكثرُ من أن
يُحاطَ به ، فخذوا من كلِّ شيء أحسنه .

وقال ابن عباس، رضي الله عنهما : كَفَاكَ من عِلْمِ الدِّينِ
ان تَعْرِفَ ما لا يَسَعُ جِهْلُهُ ، وكَفَاكَ من عِلْمِ الادبِ أن تروي
الشاهد والمثل ، قال الشاعر :

وما من كاتبٍ إلا سَتَبَقِيَ كِتَابَتُهُ ، وَإِنْ قَسِيَتْ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبُ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسْرُوكَ ، فِي الْقِيَامَةِ ، أَنْ تَرَاهُ

قال الاصمعيّ : وَصَلْتُ بِالْمَلْحِ ، وَنِلْتُ بِالْغَرِيبِ .

وقالوا : مَنْ أَكْثَرَ مِنَ السَّحْوِ حَمَقَهُ^١ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنَ
الشَّعْرِ بَدَّلَهُ^٢ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْفَقْهِ شَرَّفَهُ .

وقال أبو نواس الحسن بن هانيء :

كَمْ مِنْ حَدِيثٍ مُعْجَبٍ عِنْدِي لَكَ ،
لَوْ قَدْ نَبَذْتُ بِهِ إِلَيْكَ لَسَرَّكَ
بِمَا تَخَيَّرَهُ الرِّوَاةُ مُهْدَبٍ ،
كَالدُّرِّ مُنْتَظِمًا بِنَحْرِ فَلَكَ^٣
أَتَبَعُ الْعُلَمَاءَ أَكْتُبُ عَنْهُمْ ،
كَيْمَا أُحَدِّثَ مِنْ لَقِيْتُ ، فَيَضْحَكُوا

١ حمقه : نسبه الى الحمق ، قلة العقل .

٢ بذله : عرضه للابتدال ، الامتحان .

٣ فلك : استدار .

الحض على طلب العلم

قال النبي، صلى الله عليه وسلم : لا يزال الرجلُ عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنَّ أنه قد عَلم فقد جَهل .
وقال عليه الصلاة والسلام : الناسُ عالمٌ ومُتعلِّم ،
وسائرُهم هَمِج^١ .

وعنه صلى الله عليه وسلم : إنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتها
لطالبِ العلمِ رضاً بما يُطلب ، ولتَبْدَأُ جَرت به أقلامُ العلماء
خيرُ من دماءِ الشهداء في سبيلِ الله .

وقال داود لابنه سليمان ، عليهما السلام : لُفَّ العِلمُ
حولَ عُنقِك ، واكتُبْه في ألواحِ قلبِك .
وقال أيضاً : اجعل العِلمَ مالِك ، والأدبَ حِلِيَتِك .

وقال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : قيمة كلِّ إنسان
ما يُحسِن .

١ الهمج : الرعاع من الناس ، الحمقى .

وقيل لأبي عمرو بن العلاء : هل يحسنُ بالشيخ أن يتعلم؟
قال : إن كان يحسنُ به أن يعيشَ ، فإنه يحسنُ به
أن يتعلمَ .

وقال عُروة بن الزبير ، رحمه الله تعالى ، لبنيهِ : يا بنيَّ ،
اطلبوا العِلْمَ ، فإن تكونوا صغار قوم لا يُحتاج إليكم ، فغسى
أن تكونوا كبار قومٍ آخرين لا يُستغنى عنكم .

وقال ملك الهند لولده ، وكان له أربعون ولداً : يا بنيَّ ،
أكثرُوا من النظر في الكتب ، وازدادوا في كل يوم حرفاً ،
فإن ثلاثةً لا يستوحشون في عُربة : الفقيه العالم ، والبطل
الشجاع ، والحلوة اللسان الكثير مخارج الرأي .

وقال المهلب لبنيهِ : إياكم أن تجلسوا في الأسواق إلا
عند زرادٍ أو وراقٍ . أراد الزراد للحرب ، والوراق للعلم .

وقال الشاعر :

نعمَ الأندلسُ ، إذا خلوتَ ، كتابُ ،
تلَّهُو به إن خانك الأحيابُ

لا مُفْشِيًّا سِرًّا ، إِذَا اسْتَوْدَعْتَهُ ،
وَتَفَادُ مِنْهُ حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ

وقال آخر :

ولكلِّ طَالِبٍ لَذَّةٌ مُتَنَزِّةٌ ،
وَأَلَذُّ نَزْهَةٍ عَالِمٍ فِي كُتُبِهِ

ومرَّ رجلٌ بعبدِ الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر ،
وهو جالسٌ في المقبرة ، وبیده كتابٌ ، فقال له : ما أجلسك
ها هنا ؟ قال : إنه لا أوعظُ من قبرٍ ، ولا أمتعُ من كتابٍ .

وقال رُوْبَةُ بن العجاج : قال لي النسابة البكري :
يا رُوْبَةُ ، لعلك من قومٍ إن سَكَتْ عَنْهُمْ لم يَسْأَلُونِي ، وَإِنْ
حَدَّثْتُهُمْ لم يَفْهَمُونِي ؟

قلتُ : إني أرجو أن لا أكون كذلك .

قال : فما آفة العلم ونكده وهُجنته ؟

قلتُ : تُخْبِرُنِي ؛ قال : آفته النسيان ، ونكده الكذب ،
وهُجنته نشرُه عند غير أهله .

١ الآفة : ما يفسد . النكد : الشدة والعسر ، وقلة الخير . الهجنة : العيب والقيح .

وقال عبدُ الله بن عبّاس ، رضوان الله عليهما : منهُومان
لا يَشبعان : طالب علم وطالب دنيا .
وقال : دَلَلْتُ طالباً فَعَزَزْتُ مُطلوباً .

وقال رجل لأبي هُريرة : أريد أن أطلب العلم وأخاف
أن أضيّعه ؛ قال : كفاك بترك طلب العلم إضاعةً له .

وقال عبدُ الله بن مسعود : إن الرجلَ لا يولد عالماً ، وإنما
العِلْمُ بالتعلّم .
وأخذه الشاعر فقال :

تعلّم ، فليس المرءُ يولد عالماً ،
وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلٌ

ولآخر :

تعلّم ، فليس المرءُ يُخلق عالماً ،
وما عالمٌ أمراً كمن هو جاهلٌ

ولآخر :

ولم أرَ فرعاً طالَ إلاّ بأصله ؛
ولم أرَ بدءَ العِلْمِ إلاّ تعلّمًا

وقال آخر :

العِلْمُ يُجِي قلوبَ الميِّتِينَ ، كما
تَحِي البلادُ إذا ما مَسَّها المَطَرُ

والعِلْمُ يَجْلُو العَمَى عن قَلْبِ صاحِبِهِ ،
كما يُجَلِّي سوادَ الظُّلْمَةِ القَمَرُ

وقال بعضُ الحكماء : اقصِد من أصناف العِلْمِ إلى ما هو
أشهى لِنَفْسِكَ ، وَأخْفُ على قَلْبِكَ ، فإن نفاذَكَ فيه على حَسَبِ
شَهْوَتِكَ له وسُهولتِهِ عَلَيْكَ .

فضيلة العلم

علي بن ابي طالب وكميل النخعي

حدَّثنا أيوب بن سليمان قال : حدَّثنا عامر بن معاوية عن
أحمد بن عمران الأحنس عن الوليد بن صالح الهاشمي عن عبد
الله بن عبد الرحمن الكوفي عن أبي مخنف عن كميل
النخعي ، قال :

أخذ بيدي عليُّ بن أبي طالب ، كرَّم الله وجهه ، فخرج بي
إلى ناحية الجبَّانة ، فلما أصبح تنفَّس الصُّعداء ، ثم قال :
يا كميل ، إنَّ هذه القلوبَ أوعية ، فخيرُها أوعاها ، فاحفظ
عني ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم ربَّاني ، ومُتعلِّم
على سبيل نِجاة ، وهمَّج رِعاء ، أتباع كلِّ ناعق ، مع كلِّ
ريح يميلون ، لم يَسْتَضِيئوا بنور العِلْم ، ولم يَلجأوا إلى
رُكن وثيق .

يا كميل : العِلْم يجرسك وأنت تجرسُ المال ، والمال
تتنقصه السَّفقة ، والعِلْم يزكو على الإنفاق ، ومنفعة المال
تزول بزواله .

يا كميل : محبة العلم دين يُدان به ، يَكْسِبُ الإنسان
الطاعةَ في حياته ، وجميلَ الأحداثِ بعد وفاته . والعلم
حاكم ، والمال مَحْكُوم عليه .

يا كميل : مات نُخْزَانُ المَالِ وهم أحياء ، والعلماء باقون
ما بقي الدهر ، أعيانُهم مَفْقُودَة ، وأمثالهم في القلوب موجودة .
ها إنَّها هنا لعِلْمًا جمًّا ، وأشار بيده إلى صدره ، لو
وجدتُ له حَمَلَة ؛ بلى ، أجدُ لَقِنًا غير مأمون ، يستعمل آلة
الدين للدنيا ، ويستظهر بنعم الله على عباده ، ويحججه على
أوليائه ؛ أو مُنْقَادًا حَمَلَة الحقِّ ولا بصيرة له في أحنائه ،
يَنقَدِحُ الشكَّ في قلبه لأوَّل عارض من شبهة ، لا إلى
هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ أو منهومًا باللذَّة سَلِسَ القياد للشهوة ،
أو مُغرماً بالجمع والادخار ، ليسا من رُعاة الدين في شيء ،
أقربُ شبيهاً بهما الأنعامُ السائمة ، كذلك يموت العلم يموت
حامليهِ ؛ اللهم بلى ، لا تخلو الأرضُ من قائمٍ بحجة الله ، إما
ظاهراً مشهوراً ، وإما خائفاً مغموراً ، لئلا تبطل حُجج الله
وبيئاته ، وكم ذا وأين ؟

أولئك ، والله ، الأقلثون عدداً ، والأعظمون ، عند الله ،
قدراً ، بهم يحفظ الله حُججه وبيئاته ، حتى يودِعوها نظراءهم
ويَزرِعوها في قلوب أشباههم ، هَجَمَ بهم العلم على حقيقة

الإيمان ، حتى باشروا روح اليقين ، فاستلنا ما استخشن
المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا
الدنيا بأبدانٍ أرواحها مُعلَّقة بالرفيق الأعلى .

يا كميل : أولئك خُلفاء الله في أرضه ، والدُّعاة إلى دينه ؛
آه آه سُوقاً إليهم ، انصرف يا كميل إذا شئت !

•
قيل للخليل بن أحمد : أيهما أفضل ، العلمُ أو المال ؟
قال : العلم .

قيل له : فما بالُ العلماء يزُدحمون على أبواب الملوك ،
والملوك لا يزُدحمون على أبواب العلماء ؟
قال : ذلك لِمَعْرِفة العلماء بحقِّ الملوك ، وجَهْلِ الملوك
بحق العلماء .

•
وقال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ
فَضْلِ الْعِبَادَةِ .

وقال عليه الصلاة والسلام : إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ مَعَ الْعِلْمِ
كثيْرٌ ، كما أنَّ كَثِيْرَهُ مَعَ الْجَهْلِ قَلِيْلٌ .

وقال عليه الصلاة والسلام : يَجْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ
عُدُوْلُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْقَائِلِيْنَ ، وَاتِّحَالَ الْمُبْطِئِيْنَ ،
وَتَأْوِيْلَ الْجَاهِلِيْنَ .

وقال الأحنف بن قيس : كاد العلماء أن يكونوا أرباباً ،
وكلُّ عزٍّ لم يُوكَّد بعلمٍ فالى ذلٌّ ما يصير .

وقال أبو الأسود الدؤلي : الملوكُ حُكَّامٌ على الدنيا ، والعلماءُ
حُكَّامٌ على الملوكِ .

وقال أبو قلابة : مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي
السَّمَاءِ ، مَنْ تَرَكَهَا ضَلَّ ، وَمَنْ غَابَتْ عَنْهُ تَحَيَّرَ .

وقال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : إِنَّمَا الْعَالَمُ مِثْلُ السَّرَاحِ ، مَنْ جَاءَهُ
اِقْتَبَسَ مِنْ عِلْمِهِ ، وَلَا يَنْقُصُهُ شَيْئاً ، كَمَا لَا يَنْقُصُ الْقَابِسُ مِنْ
نُورِ السَّرَاحِ شَيْئاً .

وفي بعض الأحاديث : إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْتُلُ نَفْسَ التَّقِيِّ الْعَالِمِ
جُوعاً .

وقيل للحسن بن أبي الحسن البصري : لِمَ صَارَتِ الْحِرْفَةُ
مَقْرُونَةً مَعَ الْعِلْمِ ، وَالثَّرْوَةُ مَقْرُونَةً مَعَ الْجَهْلِ ؟
فقال : لَيْسَ كَمَا قُلْتُمْ ، وَلَكِنْ طَلَبْتُمْ قَلِيلاً فِي قَلِيلٍ فَأَعْجَزَكُمْ :
طَلَبْتُمُ الْمَالَ ، وَهُوَ قَلِيلٌ فِي النَّاسِ ، فِي أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَهُمْ قَلِيلٌ

في الناس . ولو نظرتم إلى من احترف من أهل الجهل لو جدتموهم
أكثر .

وقال الله ، تبارك وتعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ . » و « وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ . »

وقيل : لا تمنعوا العلم أهله فتظلموهم ، ولا تعطوه
غير أهله فتظلموه .

ولبعضهم :

من منع الحكمة أربابها ، أصبح ، في الحكم لهم ، ظالماً
وواضع الحكمة في غيرهم ، يكون ، في الحكم لها ، غاشماً
سمعتُ يوماً مثلاً سائراً ، وكنتُ في الشعر له ناظماً :
لا خيرَ في المرء ، إذا ما غدا لا طالباً علماً ، ولا عالماً

وقيل لبعض العلماء : كيف رأيت العلم ؟
قال : إذا اغتمتُ سلوتي ، وإذا سلوت لِدتي .

وأنشد لسابق البربري :

العلم زينٌ وتشريفٌ لصاحبه ؛
والجهلُ والنوكُ مقرّوان في قرانٍ ١

ولغيره :

وإذا طلبتَ العلمَ ، فاعلم أنه حمْلٌ ، فأبصر أي شيء تحمِلُ
وإذا علمتَ بأنه متفاضِلٌ ، فاشغلْ فؤادك بالذي هو أفضل

الأصمعي قال :

أول العلم الصمتُ ، والثاني الاستماعُ ، والثالث الحفظُ ،
والرابع العملُ ، والخامس نشره .

ويقال : العالم والمتعلّم شريكان ، والباقي همج .

وأنشد :

لا يَنفَعُ العِلْمُ قلباً قاسياً أبداً ؛
ولا يَلينُ لِفكِّ الماضِغِ الحَجْرُ

١ النوك : الحمق .

وقال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ حَسَنَةٌ ،
وَطَلَبَتَهُ عِبَادَةٌ ، وَبَدَلَتَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ .

والعلم منار سبيل أهل الجنة ، والأنيس في الوحشة ، والصاحب
في العربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ،
والزین عند الأخلاء ، والسلاح على الأعداء . يرفع الله به
قوماً فيجعلهم قادة أمة تفتى آثارهم ، ويقتدى بفعالهم .

والعلم حياة القلب من الجهل ، ومصباح الأبصار من
الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف . يبلغ بالعبد منازل
الاختيار ، والدرجات العُلا في الدنيا والآخرة . الفكر فيه
يعدل الصيام ، ومذاكرته القيام ، وبه توصل الأرحام ،
ويُعرف الحلال من الحرام .

ضبط العلم والتثبت فيه

قيل لمحمد بن عبد الله بن عمر ، رضي الله عنه : ما هذا العلم الذي يثبت به عن العالم ؟
قال : كنت إذا أخذت كتاباً جعلته مدرّعة .

وقيل لرقبة بن مصقلة : ما أكثر شكك ؟
قال : محاماة عن اليقين .

وسأل شعبة أبو السخيتاني عن حديث ، فقال : أشك فيه . فقال : شكك أحبُّ إليَّ من يقيني .

وقال أيوب : إنَّ من أصحابي من أرتجي بركة دُعائه ، ولا أقبلُ حديثه .

وقالت الحكماء : علِّمَ علمك من يجهل وتعلِّم بمن يعلم ، فإذا فعلت ذلك حَفِظْتَ ما عَلِمْتَ ، وعلمت ما جهلت .

وسأل لبراهيم النخعيُّ عامراً الشعبيَّ عن مسألة ، فقال : لا

أُدْرِي ؛ فقال : هذا والله العالم ، سئل عما لا يدري ، فقال :
لا أدري .

وقال مالك بن أنس : إذا تَرَكَ العالمُ لا أدري أُصِيبَتْ
مَقَاتِلُهُ .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من سئل عما لا يدري
فقال : لا أدري ، فقد أَحْرَزَ نِصْفَ الْعِلْمِ .

وقالوا : الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ : حَدِيثٌ مُسْنَدٌ ، وَآيَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وَلا
أُدْرِي . فَجَعَلُوا لا أَدْرِي مِنَ الْعِلْمِ ، إِذْ كَانَ صَوَابًا مِنَ الْقَوْلِ .

وقال الخليل بن أحمد : إنك لا تعرف خطأ معلمك حتى
تَجْلِسَ عِنْدَ غَيْرِهِ .

وكان الخليلُ قد عَلَبَتْ عَلَيْهِ الْإِبَاضِيَّةُ حَتَّى جَالَسَ أَيُّوبَ .

وقالوا : عَوَاقِبُ الْمَسْكَارَةِ مَحْمُودَةٌ .

وقالوا : الْحَيْرُ كُلُّهُ فِيمَا أَكْرَهَتْ النُّفُوسُ عَلَيْهِ .

١ الاباضية : فرقة من الخوارج منسوبة الى عبد الله بن اباض التيمي .

اتتحال العلم

قال بعض الحكماء : لا ينبغي لأحد أن يتحلل العلم ،
فإن الله ، عز وجل ، يقول : وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً .
وقال عز وجل : وفوق كل ذي علم عليم .

وقد ذكر عن موسى بن عمران ، عليه السلام ، أنه لما
كلمه الله تعالى تكليماً ، ودرس التوراة وحفظها ، حدثته
نفسه : أن الله لم يخلق خلقاً أعلم منه . فهون الله عليه
نفسه بالخضر عليه السلام .

وقال مقاتل بن سليمان ، وقد دخلته أبتة العلم : سلوني
عما تحت العرش إلى أسفل الثرى . فقام إليه رجل من القوم
فقال : ما نسألك عما تحت العرش ، ولا أسفل الثرى ، ولكن
نسألك عما كان في الأرض ، وذَكَرَهُ اللهُ في كتابه ، أخبرني
عن كلب أهل الكهف ، ما كان لونه ؟ فأفجمه .

وقال قتادة : ما سمعتُ شيئاً قطُّ إلاَّ حَفِظْتُهُ ، ولا
حَفِظْتُ شيئاً قطُّ فَنَسِيتُهُ ؛ ثم قال : يا غلام ، هاتِ نِعْلِي ؛
فقال : هُما في رجُلِكَ ، فَفَضَحَهُ اللهُ .

•
وأُشِدُّ أَبُو عَمْرٍو بنُ العلاءِ في هذا المعنى :
مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ ما هُوَ فِيهِ ، فَضَحَّتْهُ شَواهِدُ الإِمْتِحانِ

•
وفي هذا المعنى :

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ ما هُوَ فِيهِ ، شانَ ما في يَدَيْهِ ما يَدَّعِيهِ
وَإِذا قَلَّلَ الدَّعاوى لِما فِيهِ أَضافوا إِلَيْهِ ما لَيْسَ فِيهِ
وَمَحَكُ الفَتى سِيظِهرُ لِلناسِ ، وَإِنْ كانَ دائِباً يُخَفِّيه
وَبِحَسَبِ الَّذي ادَّعى ما عَداه ، أَنَّهُ عالِمٌ بما يَفْتَرِيهِ

•
وقال شبيب بن سئبة لفتى من دؤس :
لا تُنازِعَ مَنْ فَوْقَكَ ، ولا تَقُلْ إلاَّ بَعْلِمَ ، ولا تَتَعاطَ ما
لَمْ تَبْلُ ، ولا يَخالفُ لسانَكَ ما في قَلبِكَ ، ولا قَوْلَكَ فِعْلَكَ ،
ولا تَدعِ الأمرَ إِذا أَقبلَ ، ولا تَطْلِبُهُ إِذا أَدبرَ .

وقال قتادة : حَفِظْتُ ما لم يَحْفَظْ أَحَدٌ ، وأنسيتُ ما
لم يَنْسَ أَحَدٌ ، حَفِظْتُ الْقُرْآنَ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ ، وَقَبِضْتُ
عَلَى حَلِيَّتِي وَأَنَا أُرِيدُ قَطْعَ ما تَحْتَ يَدَيَّ فَقَطَعْتُ ما فَوْقَهَا .

•
ومرَّ الشَّعْبِيُّ بِالسُّدِّيِّ ، وَهُوَ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ : لَوْ
كَانَ هَذَا ، السَّاعَةَ ، نَشَوَانَ يُضْرَبُ بِالطَّبْلِ ، أَمَا كَانَ
خَيْرًا لَهُ ؟

•
وقال بعضُ الْمُتَحَلِّينَ :

يُجَهِّلُنِي قَوْمِي ، وَفِي عَقْدِ مِثْرَازِي
تَمَّتْ أَمْثَالًا لَهُمْ مُحْكَمِ الْعِلْمِ
وَمَا عَنِّي لِي مِنْ غَامِضِ الْعِلْمِ غَامِضٌ ،
مَدَى الدَّهْرِ ، إِلَّا كُنْتُ مِنْهُ عَلَى فَهْمِ

•
وقال عَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ :

وَعَلِمْتُ ، حَتَّى ما أُسْأَلُ عَالِمًا
عَنْ عِلْمِ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا

شروط العلم

وقالوا : لا يكون العالم عالماً ، حتى تكون فيه ثلاث
خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ
على العلم تمناً .

•
وقالوا : رأس العلم الخوف من الله تعالى .

•
وقيل للشَّعبي : أفتني أيُّها العالم ؛ فقال : إنما العالم من
اتقى الله .

•
وقال الحسن : يكون الرجل عالماً ولا يكون عبداً ، ويكون
عبداً ولا يكون عاقلاً .

•
وكان مسلم بن يسار عالماً عبداً عاقلاً .

•
وقالوا : ما قرن شيء الى شيء افضل من حلم الى علم ،
ومن عفو الى قدرة .

وقالوا : من تمام آلة العالم أن يكون شديد الهيبة ، رزين
المجلس ، وقوراً صموتاً ، بطيء الالتفات ، قليل الإشارات ،
ساكن الحركات ، لا يصخب ولا يعضب ، ولا يبهر^١ في
كلامه ، ولا يمسح^٢ عُشونه عند كلامه في كل حين ، فإن هذه
كلها من آفات العي^٣ .

وقال الشاعر :

مليء ببهر^١ ، والتفات وسعلة ،
ومسحة^٢ عشون^٣ ، وقتل الأصابع

ومدح خالد بن صفوان رجلاً ، فقال : كان بديع المنطق ،
جزل الألفاظ ، عربي^٤ اللسان ، قليل الحركات ، حسن الإشارات ،
حلو الشمائل ، كثير الطلاوة ، صموتاً وقوراً ، يهنا^٥ الجرب ،

١ بهر : ينقطع نفسه من شدة الجهد .

٢ عشونه : لحيته .

٣ العي : العجز عن الكلام .

٤ جزل الالفاظ : غير ركيكها .

٥ يهنا : يطلي بالهنا ، والهنا : القطران .

ويداوي الدبر^١ ، ويُقِلُّ الحز^٢ ، وَيُطَبِّقُ المَفْصِلَ ، لم يكن
بالزمر^٣ المروءة ، ولا الهذِر المنطق^٤ ، مَتَّبِعاً غيرَ تابع .

كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارَهُ

وقال عبدُ الله بن المبارك في مالِك بن أنس ، رضي الله عنه :

يَأْتِي الجَوَابَ ، فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةَ ،

فالسائلون نَوَاصِرُ الأَذْقَانِ

هَدْيِي الوَقَارَ ، وَعِزُّهُ سُلْطَانَ التَّقَى ،

فهو المَهْيَبُ ، وليس ذا سُلْطَانَ

وقال عبدُ الله بن المبارك فيه أيضاً :

صَمُوتٌ ، إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ ،

وَفَتَّاقٌ أَبْكَارُ الكَلَامِ المُخْتَمِّمِ .

١ الدبر ، واحدها دبيرة : قرحة الدابة .

٢ الحز : القطع ، وارانها قلة إيجاز الكلام مع الاصابة .

٣ الزمر : القليل المروءة .

٤ هذر المنطق : هاذ اي يخاطب في منطقهم ويتكلم بما لا ينبغي .

٥ عجز بيت لخنساء صدره : وان صخرأ لتأتم الهداة به . العلم : الجبل ، كنت

الخنساء بذلك عن شهرة اخيها وظهوره .

وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ ،
وَسَيِّطَتْ لَهُ الْآدَابُ بِاللَّحْمِ وَالْدَّمِ

•
ودخل رجلٌ على عبد الملك بن مروان ، وكان لا يسأله عن
أشياء إلا وجد عنده منه علماً ، فقال له : أنتى لك هذا ؟
فقال : لم أمتنع قطُّ يا أمير المؤمنين علماً أفيده ، ولم
حتقر علماً أستفيده ، وكنْتُ إذا لقيت الرجلَ أخذتُ منه
وأعطيته .

•
وقالوا : لو أنَّ أهل العلم صانوا علمهم لسادوا أهل الدنيا ،
لكنَّ وضعوه غيرَ موضعه فقَصَّر في حقِّهم أهلُ الدنيا .

حفظ العلم واستعماله

قال عبد الله بن مسعود : تَعَلَّمُوا فَإِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا .

وقال مالكُ بن دينار : العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلب ، كما يَزُلُّ الماءُ عن الصِّفا .

وقالوا : لولا العَمَلُ لم يُطَلَبِ العِلْمُ ، ولولا العِلْمُ لم يُطَلَبِ العَمَلُ .

وقال الطائيُّ :

ولم يَحْمَدُوا من عالمٍ غيرِ عاملٍ ؛
ولم يَحْمَدُوا من عاملٍ غيرِ عالمٍ

وقال عمر بن الخطاب ، رضوان الله عليه : أيها الناس ، تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ تُعْرِفُوا بِهِ ، وَاَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ .

وقالوا : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تُجَاوِزِ الآذَانَ .

وروى زياد عن مالك قال : كُنْ عالماً أو مُتعلِّماً أو مُستمعاً ، وإيَّاكَ والرابعة^١ فإنها مهلكة ، ولا تكون عالماً حتى تكون عاملاً ، ولا تكون مؤمناً حتى تكون تقيّاً .

•
وقال أبو الحسن : كان ابن الجراح يَسْتَحْفِظُ كُلَّ يَوْمٍ
ثلاثة أحاديث .

•
وكان الشَّعْبِيُّ والزُّهْرِيُّ يقولان : ما سَمِعْنَا حَدِيثاً قَطُّ
وسألنا إعادته .

١ لعله اراد بالرابعة الادعاء للعلم .

رفع العلم وقولهم فيه

قال عبد الله بن مسعود : تعلموا العلم قبل أن يُرفع .

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : إنَّ الله لا يَقْبِضُ العلمَ
انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يَقْبِضُهُ بقَبْضِ العلماء .

وقال عبدُ الله بن عباس ، رضوان الله عليهما ، لما ووري
زيدُ بن ثابت في قبره : مَنْ سرَّه ان يرى كيف يُقبَضُ العلم
فهكذا يُقبَضُ .

تحميل الجاهل على العالم

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: وَيْلٌ لِّعَالِمٍ أَمْرٍ مِنْ جَاهِلِهِ !

•
وقالوا: إذا أردت أن تُفحِّمَ عالماً فأحضِرْه جاهلاً .

•
وقالوا: لا تناظر جاهلاً .

•
وقالوا: لا تناظر جاهلاً ولا لجوجاً، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر .

•
وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: ارحموا عزيزاً ذلًّا، ارحموا غنياً افتقر، ارحموا عالماً ضاع بين جهال .

•
وجاء كَيْسَانَ إلى الخليل بن أحمد يسأله عن شيء، ففكر فيه الخليل ليُجيبه، فلما استفتح الكلام؛ قال له: لا أدري ما تقول؛ فأنشأ الخليل يقول:

لو كنت تعلم ما أقولُ عذرتني،
أو كنتُ أجهلُ ما تقولُ عدلتُكَ

لكن جهلتُ مقالتي فعدلتُني،
وعلمتُ أنك جاهلٌ فعدرتُكَ

وقال حبيب :

وعاذلُ عدلته في عدله،
فظنَّ أنّي جاهلٌ من جهله

ما عابن المغبونَ مثلُ عقله،
من لك يوماً بأخيك كَلِّه؟

تجليل العلماء وتعظيمهم

الشعبي قال : ركب زيدُ بن ثابت ، فأخذ عبدُ الله بن عباسَ بركابه ، فقال : لا تفعل يا بن عمِّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .
قال زيد : أرني يدك ؟ فلما أخرج يده قبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل يا بن عمِّ نبيِّنا .

•
وقالوا : خدِّمة العالم عبادة .

•
وقال عليُّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه : من حقِّ العالم عليك ، إذا أتيتَه ، أن تُسَلِّمَ عليه خاصَّةً ، وعلى القوم عامةً ، وتَجَلِّسَ قُدَّامَه ، ولا تُشِرَّ بيدك ، ولا تَعْمُرَ بعَيْنيك ، ولا تُقَلَّ : قال فلانُ خلافَ قولك ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تُلحَّ عليه في السَّؤال ، فإنما هو بمنزلة النَّخلة المُرطبة^١ ، التي لا يزال يَسْقُطُ عليك منها شيء .

•
وقالوا : إذا جلستَ إلى العالم فسلِّ تفقَّهًا ولا تسَلِّ تعثُّتًا .

١ المرطبة ، من ارطب النخل : حان اوان رطبه ، اي نضج بره قبل ان يصير تمراً .

عويص المسائل

الأوزاعيُّ عن عبد الله بن سعد عن الصَّنَاجِيّ عن معاوية
ابن أبي سُفيان قال : نَهَى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن
الأغلوطات . قال الأوزاعيُّ : يعني صِعب المسائل .

•
وكان ابن سيرين إذا سُئِلَ عن مسألة فيها أغلوطة ، قال
للسائل : أمسكها حتى تَسْأَلَ عنها أحاك إِبليس .

•
وسأل عمرُ بنُ قيس مالكَ بن أنس عن مُحْرِمٍ نَزَعَ نَابِي
ثعلب ، فلم يَرِدْ عليه شيئاً .

•
وسأل عمرُ بن الحُطَّاب ، رضي الله عنه ، عليَّ بن أبي
طالب ، كَرَّمَ الله وجهه ، فقال : ما تقول في رجلٍ أمَّه عند
رجلٍ آخر ؟ فقال : يُمَسِّكُ عنها . أراد عمر أن الرجل يموت
وأُمَّه عند رجلٍ آخر . وقولُ عليٍّ يُمَسِّكُ عنها ، يريد الزوج
يُمَسِّكُ عن أمِّ الميت حتى تَسْتَبْرِيءَ من طريق الميراث .

•
وسأل رجلٌ عمرَ بن قيس عن الحِصَاة يجدها الانسان في
ثوبه أو في خُفِّه أو في جَبْهَتِهِ من حَصَى المسجد ؛ فقال : ارم .

بها ؛ قال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى تُردَّ الى المسجد ؛
فقال : دَعها تصيح حتى يَنشُقَّ حَلْقُها ؛ فقال الرجل : سبحان
الله ! ولها حَلق ؟ قال : فمن أين تصيح ؟

•
وسأل رجلٌ مالكَ بن أنس عن قوله تعالى : الرَّحْمَنُ
على العَرْشِ اسْتَوَى ، كيف هذا الاستواء ؟ قال : الاستواء
مَعقول والكَيْفُ مجهول ، ولا أظنُّكَ إلاَّ رجلَ سَوءِ .

•
وروى مالكَ بن أنس الحديثَ عن رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، أنه قال : إذا استيقظ أحدُكم من نومه ، فلا
يُدخل يَدَه في الإِناء حتى يَغسِلَها ، فإن أحدَكم لا يَدري
أين باتت يَدُه . فقال له رجل : فكيف نَصنع في المِهْرَاسِ
أبا عبد الله ؟ والمِهْرَاسِ : حَوْضُ مَكَّةَ الذي يتوضأُ الناسُ
فيه ؛ فقال : مِن الله العِلمِ ، وعلى الرسول البلاغُ ، ومِنَّا
التسليمُ ، أمرُّوا الحديثَ .

•
وقيل لابن عباس ، رضي الله عنهما : ما تقول في رجل طَلَّقَ
امرأته عددَ نَجُومِ السَّماءِ ؟ قال : يكفيه منها كوكبُ الجوزاءِ .

•
وسُئِلَ عليُّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه : أين كان
ربُّنا قبل أن يخلق السماء والأرض ؟ فقال : أين توجب المكانُ ،
وكان الله ، عزَّ وجلَّ ، ولا مكانَ .

التصحيف

وذكر الأصمعيّ رجلاً بالتصحيف^١، فقال : كان يسمع
فيعبي غير ما يسمع ، ويكتب غير ما وعى ، ويقرأ في الكتاب
غير ما هو فيه .

وذكر آخر رجلاً بالتصحيف ، فقال : كان إذا نسخ الكتاب
مرتين عاد سُريانياً .

١ التصحيف ، من صحف الكلمة : اخطأ في قراءتها او حرفها عن وضعها .

طلب العلم لغير الله

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إذا أُعطيَ الناسُ العِلْمُ
ومُنِعوا العمل ، وتحابَّثوا بالألسن ، وتباغضوا بالقلوب ،
وتقاطعوا في الأرحام ، لعَنهم الله فأصَمَّهم وأعمى أبصارهم .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ألا أُخبركم بشرِّ الناس ؟
قالوا : بلى يا رسولَ الله ؛ قال : العلماء إذا فسَدوا .

وقال الفضيل بن عياض : كان العلماء ربيعَ الناس ،
إذا رأهم المريضُ لم يسرَّه أن يكون صحيحاً ، وإذا نظر إليهم
الفقيرُ لم يودَّ أن يكون غنياً ، وقد صاروا اليوم فتنة للناس .

من اخبار العلماء والادباء

أملى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الحُسَيْنِيّ ، أن عبد الله ابن عباس سُئِلَ عن أبي بكر ، رضي الله عنه ، فقال : كان والله خيراً كله مع الحِدَّةِ التي كانت فيه .

قالوا : فأخبرنا عن عمر ، رضوانُ الله عليه .

قال : كان والله كالطير الحَذِرِ الذي نُصِبَ فخٌّ له فهو يخاف أن يقع فيه .

قالوا : فأخبرنا عن عثمان ، رضوانُ الله عليه .

قال : كان والله صَوَّاماً قَوَّاماً .

قالوا : فأخبرنا عن عليّ بن أبي طالب ، رضوانُ الله عليه .

قال : كان والله ممن حوى عِلْماً وحِلْماً ، حَسْبُكَ من

رجل أعزَّتْه سابقتهُ وقدمتهُ قرابتهُ من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقلما أشرف على شيء إلا ناله .

قالوا : يقال إنه كان مجدوداً^١ .

قال : أنتم تقولونه .

١ المجدود : العظيم الحظ .

وذكروا أن رجلاً أتى الحسن^١، فقال : أبا سعيد ، إنهم يزعمون أنك تُبغض علياً .

فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : كان عليُّ بنُ أبي طالب سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، وربانيَّ هذه الأمة ، وذا فضلها ، وذا قرابةٍ قريبة من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنَّؤومة عن أمر الله ، ولا بالملوالة في حق الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزاءه ففاز منه برياض مُونقة ، وأعلام بيّنة ، ذاك عليُّ بن أبي طالب يا لكع^٢ .

وقال عيسى بن مريم ، عليه السلام : سيكونُ في آخر الزمان علماء يُزهدون في الدنيا ولا يزهدون ، ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ، ينهون عن إتيان الولاة ولا ينتهون ، يُقربون الأغنياء ، ويُبعدون الفقراء ، ويتبسطنون للكبراء ، وينقبضون عن الخُفراء ، أولئك إخوانُ الشياطين وأعداء الرحمن .

وقال محمد بن واسع : لأن تطلب الدنيا بأقبح مما تطلب به الآخرة خيرٌ من أن تطلبها بأحسن مما تطلب به الآخرة .

١ اراد الحسن البصري .

٢ الكع : اللثيم .

وقال الحسن : العِلْمُ عِلْمَان ، عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ ، فَذَاكَ الْعِلْمُ
النَّافِعُ ، وَعِلْمٌ فِي اللِّسَانِ ، فَذَاكَ حِجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إِنْ الزَّبَانِيَةُ^١ لَا تَخْرُجُ
إِلَى فِقْهِهِ وَلَا إِلَى حَمَلَةِ الْقُرْآنِ إِلَّا قَالُوا لَهُمْ : الْيَكْمُ عَنَّا ، دُونَكُمْ
عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ . فَيَدْسُتُكُونَ إِلَى اللَّهِ ، فَيَقُولُ : لَيْسَ مَنْ عَلِمَ
كَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ .

وقال مالك بن دينار : مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِنَفْسِهِ فَالْقَلِيلُ مِنْهُ
يَكْفِيهِ ، وَمَنْ طَلَبَهُ لِلنَّاسِ فَجَوَائِجُ النَّاسِ كَثِيرَةٌ .

وقال ابن شبرمة : ذَهَبَ الْعِلْمُ الْإِغْبَرَاتِ^٢ فِي أَوْعِيَةِ سُوءٍ .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِأَرْبَعٍ
دَخَلَ النَّارَ : مَنْ طَلَبَهُ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَلِيُتَمَارِيَ بِهِ الشُّفَهَاءَ ،
وَلِيَسْتَمِيلَ بِهِ وَجْوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، أَوْ لِيَأْخُذَ بِهِ مِنَ السُّلْطَانِ .

١ الزبانية : اسم لبعض الملائكة الذين يدفعون أهل النار إليها .

٢ الغبرات ، واحدها غير : البقية .

وتكلم مالكُ بن دينار فأبكى أصحابه ، ثم أفتقد مصحفه ،
فنظر الى أصحابه وكلّهم يبكي ، فقال : ويحك ! كلّم يبكي ،
فمن أخذ هذا المصحف ؟

•
وسئِل خالدُ بن صفوان عن الحسن البصريّ ، فقال :
كان أشبه الناس علانيةً بسريرةً ، وسريرةً بعلانيةً ، وآخذَ
الناسَ لِنَفْسِهِ بما يأمرُ به غيره . ياله من رجل استغنى عما
في أيدي الناس من دُنياهم ، واحتاجوا إلى ما في يَدَيْهِ من
دينهم .

•
ودخل عُروة بن الزبير بُستاناً لعبد الملك بن مروان ،
فقال عُروة : ما أحسنَ هذا البستان ! فقال له عبدُ الملك :
أنت والله أحسنُ منه ، إنَّ هذا يُؤتي أكله كلَّ عام ، وأنت
تؤتي أكلك كلَّ يوم .

•
وقال محمدُ بن شهاب الزُّهريّ : دخلتُ على عبد الملك بن
مروان في رجال من أهل المدينة ، فرآني أحدثهم ستّاً ،
فقال : من أنت ؟ فانتسبت إليه ، فعرفني ، فقال : لقد كان
أبوك وعمُّك تعاقبتين في فِتنة ابن الزُّبير .

قلتُ : يا أمير المؤمنين ، مثلك إذا عفا لم يعدّ ، وإذا
صفح لم يُثرب^١ .

قال لي : أين نشأت ؟

قلتُ : بالمدينة .

قال : عند من طلبت ؟

قلت : عند ابن يسار وقبيصة بن ذؤيب وسعيد بن
المسيّب .

قال لي : وأين كنت من عروة بن الزبير ؟ فانه بحر لا
تُكدره الدلاء .

•
وذُكر الصحابةُ عند الحسن البصريّ ، فقال : رَحِمَهُم
الله ، شهدوا وغِبْنَا ، وعَلِمُوا وجَهَلْنَا ، فما اجتمعوا عليه
اتبَعْنَا ، وما اختلفوا فيه وَقَفْنَا .

•
وقال جعفرُ بن سليمان : سمعتُ عبدَ الرحمن بن مهديّ
يقول : ما رأيتُ أحداً أَقْشَفَ من شُعبة ، ولا أعبدَ من
سُفيان ، ولا أحفظَ من ابن المبارك .

١ لم يثرب : لم يلم .

وقال : ما رأيتُ مثلَ ثلاثة : عطاء بن أبي رباح بمكة ،
ومحمد بن سيرين بالعراق ، ورجاء بن حيوة بالشام .

وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم ؟
فقالوا : كان مثلَ العافية التي لا يُعرف فضلها حتى تُفقد .
وكان عطاء بن أبي رباح أسودَ أعورَ أفتسَ أشلَّ أعرج
ثم عمي ، وأمه سوداء تُسمى بركة .

وكان الأحنفُ بن قيس : أعورَ أعرج ، ولكنّه إذا
تكلم جلا عن نفسه .

وقال الشَّعبي : لولا أنّي زوحت في الرّحم ما قامت
لأحد معي قائمة ، وكان توأمًا .

وقيل لطاووس : هذا قنادة يُريد أن يأتيك ؛ قال : لئن
جاء لأقومنّ ؛ قيل : إنه فقيه ؛ قال : ابليس أفقه منه ؛ قال :
ربّ بما أغويتني .

وقال الشَّعبي : القضاة أربعة : عمر وعليّ وعبد الله
وأبو موسى .

وقال الحَسَنُ : ثلاثةَ صَحَبوا النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
الابنُ والأبُ والجدُّ : عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ بنِ أَبِي
قُحَافَةَ ، وَمَعْنُ بنُ يَزِيدِ بنِ الأَخْنَسِ السُّلَمِيِّ .

•
وكان عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقيهاً
شاعراً ، وكان أحدَ السَّبْعَةِ من فُقهاءِ المدينة .
وقال الرَّهْرِيُّ : كنتُ إِذا لقيتُ عُبيدُ الله بن عبد الله ،
فكأنما أفجُرُ به بَحْرًا .

وقال عمرُ بن عبد العزيز : وَدِدْتُ لو أَنِّي لي مجلساً من
عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود لم يَفْتُنِي .
ولقيه سعيدُ بن المُسَيَّبِ فقال له : أنتَ الفقيهُ الشاعرُ ؟
قال : لا بد للمصدور أن يَنْفُثَ .

وكتب عُبيد الله بن عبد الله إلى عُمرَ بن عبد العزيز ،
وبلغه عنه شيءٌ يكرهه :

أبا حفصٍ ، أتاني عنك قولٌ قَطَعْتُ به ، وضاق به جوايي
أبا حفصٍ ، فلا أدري أرغمني تريد بما تحاول أم عتايي
فإن تك عاتباً نعتب ، وإلاَّ فما عودي إذاً يسراع غاب
وقد فارقت أعظم منك رزءاً ، وواريت الأحبة في التراب
وقد عزوا علي وأسلموني معاً ، فليست بعدهم ثيابي

وكان خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم عالماً كثيراً الدِّراسة
للكتب ، وربما قال الشعر ، ومن قوله :

هَلْ أَنْتَ مُنْتَفِعٌ بِعِلْمِكَ مَرَّةً ، وَالْعِلْمُ نَافِعٌ
وَمِنَ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ بِالرَّأْيِ الْمُسَدِّدِ أَنْتَ سَامِعُ
الْمَوْتِ حَوْضٌ ، لَا مَحَالَةَ ، فِيهِ كُلُّ الْخَلْقِ شَارِعِ
وَمِنَ التَّقَى فَازْرَعْ ، فَإِنَّكَ حَاصِدٌ مَا أَنْتَ زَارِعِ

•
وقال عمرُ بن عبد العزيز : ما ولدتُ أُمِّيَّةً مثل خالد بن
يزيد ، ما أَسْتَنْثِي عُثْمَانَ وَلَا غَيْرَهُ .

•
وكان الحسن في جنازة فيها نوائح ، ومعه سعيدُ بن جبير ،
فهمَّ سعيدُ بالانصراف ، فقال له الحسن : إِنْ كُنْتَ كَلَّمَا رَأَيْتَ
قَبِيحاً تَرَكْتَ لَهُ حَسَناً أَسْرَعَ ذَلِكَ فِي دِينِكَ .

•
وعن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة عن ابن المبارك
قال : عَلَّمَنِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ اخْتِصَارَ الْحَدِيثِ .

•
وقال الأصمعي : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ فَإِذَا

لمالك حَلَقَة ، وإذا نافع قد مات قبل ذلك بسنة ، وذلك سنة
ثماني عشرة ومائة .

وقال أبو الحسن بن محمد : ما خلق الله أحداً كان أعرف
بالحديث من يحيى بن معين ، كان يُؤتى بالأحاديث قد نُخلطت
وقُلبت ، فيقول : هذا الحديث لذا وذا لهذا ، فيكون كما قال .

وقال شريك : إني لأسمع الكلمة فيتغيّر لها لوني .

وقال ابن المبارك : كل من ذكر لي عنه وجدته دون ما
ذكر إلاّ حيوة بن شريح وأبا عون^١ .

وكان حيوة بن شريح يقعد للناس ، فتقول له أمه : قم
يا حيوة ألقِ الشعيرَ للدجاج ؛ فيقوم .

وقال أبو الحسن : سمع سليمان التيمي من سُفيان الثوريّ
ثلاثة آلاف حديث .

١ هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني ابو عون .

وكان يحيى بن اليان يذهب بابنه داود كل مذهب، فقال له يوماً: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم كان عبد الله، ثم كان علقمة، ثم كان إبراهيم، ثم كان منصور، ثم كان سفیان، ثم كان وكيع، قم يا داود: يعني أنه أهل للإمامة. ومات داود سنة أربع ومائتين.

وقال الحسن: حدثني أبي قال: أمر الحجاج أن لا يؤم بالكوفة إلاّ عربيّ.

وكان يحيى بن وثاب يؤم قومه بني أسد، وهو مولى لهم؛ فقالوا: اعتزل.

فقال: ليس عن مثلي نهى، أنا لاحق بالعرب.

فأبوا، فأتى الحجاج فقرأ.

فقال: من هذا؟

فقالوا: يحيى بن وثاب.

قال: ما له؟

قالوا: أمرت أن لا يؤم إلاّ عربيّ فنحاه قومه.

فقال: ليس عن مثل هذا نهيت، يُصلّي بهم.

قال: فصلّي بهم الفجر والظّهر والعصر والمغرب والعشاء،

ثم قال : اطلبوا إماماً غيري ، إنما أردتُ أن لا تستدلّوني ، فأما إذ صار الأمرُ إليّ ، فأنا أوّمتكم ؟ لا ولا كرامة .

وقال الحسن : كان يحيى بن اليان يصلّي بقومه ، فتعصّب عليه قومٌ منهم ، فقالوا : لا تُصلِّ بنا ، لا نرضاك ، إن تقدّمت نَحْسِنَاكَ . فجاء بالسيف فسَلَّ منه أربعَ أصابعَ ثم وضعه في المحراب ، وقال : لا يدنو مني أحدٌ إلاّ ملأتُ السيفَ منه . فقالوا : بيننا وبينك شريك .

فقدّموه الى شريك فقالوا : إن هذا كان يُصلّي بنا وكرهناه .

فقال لهم شريك : من هو ؟

قالوا : يحيى بن اليان .

فقال : يا أعداء الله ، وهل بالكوفة أحدٌ يُشبهه يحيى ؟ لا يصلي بكم غيره .

فلما حضرته الوفاة ، قال لابنه داود : يا بُني ، كاد ديني يذهب مع هؤلاء ، فإن اضطروا إليك بعدي فلا تُصلِّ بهم .

وقال يحيى بن اليان : تزوّجتُ ام داود وما كان عندي ليلة العرس إلا بطيخة ، أكلتُ أنا نصفها وهي نصفها ،

وولدت داودَ ، فما كان عندنا شيء نلّفه فيه ، فاشتريت له
كُسوةً مجبّتين ، فلففناه فيها .

وقال الحسن بن محمد : كان لعليّ صفيروتان ، ولابن مسعود
صفيروتان .

وذكر عبدُ الملك بن مروان روحاً ، فقال : ما أُعطي
أحدٌ ما أُعطي أبو زُرعة^١ ، أُعطي فقهَ الحجاز ، ودهاءَ أهل
العراق ، وطاعةَ أهل الشام .

وروي أن مالكَ بن أنس كان يذكر عُثمانَ وعليّاً وطلحة
والزبير ، فيقول : والله ما اقتتلوا إلاّ على الثريد الأعقر^٢ .
ذكر هذا محمدُ بن يزيد في الكامل ، ثم قال : فأما أبو
سعيد الحسن البصريّ فإنه كان يُنكر الحكومة ولا يرى
رأيهم ، وكان إذا جلس فتمكّن في مجلسه ذكر عُثمانَ ،
فترحم عليه ثلاثاً ولعن قتلته ثلاثاً ويقول : لو لم نلّعنهم
للُعنا ؛ ثم يذكر عليّاً فيقول : لم يزل عليّ أمير المؤمنين ،

١ أبو زُرعة : روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان .

٢ الأعقر : الأبيض ، واران الثريد المتلى . بالادام .

صلواتُ الله عليه ، مُظْفَرًا مُؤَيَّدًا بالنعم حتى حَكَمْتُمْ ؛ ثم يقول :
ولم تُحَكِّمْتُمْ والحقُّ معك ؟ ألا تَقْضِي قُدَمَاءَ لا أبَا لك !

وهذه الكلمة وإن كان فيها جَفَاءٌ ، فَإِنَّ بعضَ العرب يَأْتِي
بها على معنى المدح ، فيقول : انظر في أمرِ رعيَّتِكَ لا أبَا لك
وأنت على الحق .

وقال أعرابيٌّ :

رَبِّ العِبَادِ مَا لَنَا وَمَا لَكَ ، قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَمَا بَدَأَ لَكَ
أَنْزَلَ عَلَيْنَا الغَيْثَ لا أبَا لَكَ

وقال ابن أبي الحَوَارِيِّ : قلت لسُفْيَانِ : بلغني في قول
الله ، عزٌّ وجلٌّ : إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بقلبٍ سليمٍ ، أنه الذي يلقى
اللهَ وليس في قلبه أحدٌ غيره .

قال : فبكى وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنة أحسنَ
من هذا .

وقال ابن المبارك : كنتُ مع محمد بن النَّضْرِ الحارثيِّ
في سفينة ، فقلتُ : بأيِّ شيءٍ أَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الكلامَ ؟ فقلتُ :
ما تقول في الصوم في السَّفَرِ ؟

قال : إنما هي المبادرة يا ابن أخي . فجاءني والله بفتيا غير
فتيا إبراهيم والشعبي .

وقال الفضيل بن عياض :

اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار في مجلس بالبصرة ،
فقال مالك بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار .

فقال محمد بن واسع لمن كان عنده : كنا نقول : ما هو
إلا عفو الله أو النار .

قال مالك بن دينار : إنه ليُعجبني أن تكون للانسان
معيشة قدر ما يقوته .

فقال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول : وليس
يُعجبني أن يصبح الرجل وليس له غداء ، ويُمسي وليس له
عشاء ، وهو مع ذلك راضٍ عن الله ، عز وجل .
فقال مالك : ما أحوجني الى أن يعظني مثلك .

وكان يجلس الى سُفيان فتي كثيرُ الفكرة ، طويلُ
الإطراق ، فأراد سُفيان أن يجرَّه لسمع كلامه ، فقال :
يا فتى ، إنَّ مَنْ كان قبلنا مرُّوا على خيل عتاق وبقينا على
حمير دبرة .

قال : يا أبا عبد الله ، إن كنا على الطريق فما أسرع
لحوقنا بالقوم .

الأصمعي عن شعبة قال : ما أحدثكم عن أحدٍ ممن تعرفون
ومن لا تعرفون ، إلا وأيوب ويونس وابن عون وسليمان
خيرٌ منهم .

قال الأصمعي : وحدّثني سلام بن أبي مُطيع ؛ قال : أيوب
أفقرهم ، وسليمان التيمي أبعدهم ، ويونس أشدّهم زهداً عند
الدرهم ، وابن عون أضبطهم لنفسه في الكلام .

الأصمعي قال : حدّثنا نافع بن أبي نُعيم عن ربيعة بن أبي
عبد الرحمن قال : ألفٌ عن ألف خيرٍ من واحد عن واحد ،
فلان عن فلان ينتزع السنّة من أيديكم .

وكان إبراهيم السخعيّ في طريق فلقية الأعمش فانصرف
معه ، فقال له : يا إبراهيم ، إنّ الناس إذا رأونا قالوا :
أعمش وأعور .

١ يشير الى أن التواتر في الرواية خير من قلته ، وأن رواية الأحاد مضیعة للسنّة .

قال : وما عليك ان يَأْتُوا ونُوَجِّرَ .

قال : وما عليك أن يَسَلِّمُوا ونَسَلِّمَ .

وقال محمد بن مُنَازِر :

وَمَنْ يَبْغِ الوصَاةَ ، فَإِنَّ عِنْدِي
وَصَاةً لِّلْكَهُولِ وَلِلشَّبَابِ

خَذُوا عَنِ مَالِكٍ وَعَنِ ابْنِ عَوْنٍ ،
وَلَا تَرَوْوَا أَحَادِيثَ ابْنِ دَابِ

وقال آخر :

أَيُّهَا الطَّالِبُ عِلْمًا ! أَيْتِ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ
فَاقْتَبَسَ حِلْمًا وَعِلْمًا ، ثُمَّ قَيَّدهُ بِقَيْدِ

وقيل لأبي نواس : قد بعثوا في أبي عبيدة والأصمعي
ليَجْمَعُوا بينهما .

قال : أما أبو عبيدة فإن مكثنوه من سفره قرأ عليهم
أساطير الأولين ، وأما الأصمعي فبلبل في قفص يُطْرَهُم بصفيره .

١ هو عيسى بن يزيد بن داب وكان يضع الحديث بالمدينة .

وذكروا عند المنصور محمد بن إسحاق وعيسى بن دأب ،
فقال : أما ابن إسحاق فأعلم الناس بالسيره ، وأما ابن دأب
فإذا أخرجته عن داحس والغبراء لم يُحسن شيئاً .

•
وقال المأمون ، رحمه الله تعالى : من أراد لهواً بلا حرج ،
فليسمع كلامَ الحسن الطالبيّ .

•
وسئل العتّابيّ عن الحسن الطالبيّ فقال : إن جليسه
لطيب عشرته لأطربُ من الابل على الحداء ، ومن الشميل
على الغناء .

قولهم في حملة القرآن

وقال رجلٌ لإبراهيمَ النَّخَعِيِّ: إِنِّي أَحْتَمِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ
ثَلَاثٍ ؛ قَالَ : لَيْتَكَ تَحْتَمِمُهُ كُلَّ ثَلَاثِينَ وَتَدْرِي أَيُّ
شَيْءٍ تَقْرَأُ .

وقال الحارثُ الأعورُ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
يَقُولُ : كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ مَا قَبْلَكُمْ وَنَبَأٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ
مَا بَيْنَكُمْ ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْمَرْزُوقِ ، هُوَ الَّذِي لَا تَرِيغُ بِهِ
الْأَهْوَاءُ ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ،
وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ
اللَّهُ ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهَدْيَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ
الْمَتِينِ ، وَالذِّكْرُ الْعَظِيمُ ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، خُذْهَا إِلَيْكَ
يَا أَعُورُ .

وقيل للنبيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَجَّلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : سَيِّبَتْنِي هُودٌ وَأَخْوَانُهَا .

وقال عبدُ الله بن مسعود : الحواميمُ ديباج القرآن .
وقال : إذا رتعتُ رتعتُ في رياضِ دميثةِ أتابقُ فيهن .

وقالت عائشةُ ، رضي الله تعالى عنها : كانت تنزل علينا
الآيةُ في عهدِ رسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فنحفظُ حلالها
وحرامها ، وأمرها وزجرها ، قبل أن نحفظها .

وقال صلى الله عليه وسلم : سيكون في أمّتي قومٌ
يقرأون القرآنَ لا يُجاوزونَ تراقيبهم ، يَمْرُقون من الدين كما
يَمْرُقُ السهمُ من الرميّةِ ، هم شرُّ الخلقِ والخليقةِ .

وقال : إن الزبانيةَ لأسرعُ إلى فسّاقِ حملةِ القرآنِ
منهم إلى عبدةِ الأوثانِ ؛ فيشكون إلى ربّهم ، فيقول :
ليس من علمَ كمن لم يعلم .

١ الحواميم : سور القرآن المفتحة بحاميم . وفي القاموس المحيط : وذوات
حاميم . . ولا تقل حواميم .

وقال الحسن : حَمَلَةُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ : رَجُلٌ اتَّخَذَهُ
بِضَاعَةً يَنْقُلُهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مِصْرٍ يَطْلُبُ بِهِ مَا عِنْدَ النَّاسِ ؛
وَرَجُلٌ حَفِظَ حُرُوفَهُ ، وَضَمَّ حُدُودَهُ ، وَاسْتَدَرَّ بِهِ الْوَالِدَةَ ،
وَاسْتَطَالَ بِهِ عَلَى أَهْلِ بَلَدِهِ ، وَقَدْ كَثُرَ هَذَا الضَّرْبُ فِي حَمَلَةِ
الْقُرْآنِ ، لَا كَثُرَ هِمُّ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ؛ وَرَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ،
فَوَضَعَ دَوَاءَهُ عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ ، فَسَهَّرَ لَيْلَتَهُ ، وَهَمَّكَتْ عَيْنَاهُ ،
وَتَسَرَّ بِلِ الْخُشُوعَ ، وَارْتَدَى الْوَقَارَ ، وَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ ؛
وَوَاللَّهِ لَهَذَا الضَّرْبِ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَقْلٌ مِنَ الْكِبِيرِ
الْأَحْمَرِ ، بِهِمْ يَسْقِي اللَّهُ الْغَيْثَ ، وَيُنزِّلُ النَّصْرَ ،
وَيُدْفَعُ الْبَلَاءَ .

العقل

قال سحبان وائل : العَقْل بالتَّجَارِب ، لأنَّ عَقْلَ الغَرِيْزَةِ
سَلَّمَ إِلَى عَقْلِ التَّجْرِبَةِ .

ولذلك قال عليُّ بن أبي طالب ، رضوانُ الله عليه : رأي
الشيخ خير من مَشْهَدِ الغُلامِ .

وعلى العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه مالِكاً لِلسَّانِهِ
مُقْبِلاً عَلَى شَانِهِ .

وقال الحسن البصريّ : لسانُ العاقل من وراء قلبه ،
فإذا أراد الكلامَ تفكّر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه
سكت . وقلب الأحمق من وراء لسانه ، فإذا أراد أن يقول
قال ، فإن كان له سكت ، وإن كان عليه قال .

وقال محمد بن الغاز : دخل رجل على سُليمان بن عبد
الملك ، فتكلم عنده بكلام أعجب سُليمانَ ، فأراد أن يخبّره
لينظر عقله على قدر كلامه أم لا ، فوجده مضعوفاً فقال :

فضل العَقْل على المَنْطِقِ حِكْمَةٌ ، وَقَضَلَ المَنْطِقَ على
العَقْلِ هِجْنَةٌ ، وخير الأمور ما صدق بعضها بعضاً ؛ وأنشد :

وما المَرْءُ إِلَّا الأَصْفَرَانِ : لسانه
ومَعْقوله ، والجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ

فإن تَرَ منه ما يَرُوقُ ، فربّما
أمرٌ مَذاقُ العودِ والعودُ أَخْضَرُ

•
ومن أَحْسَنَ ما قيلَ في هذا المعنى قولُ زُهَيْرٍ :

وكانَ تَرى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ ،
زيادتهُ أو نَقْصُه في التكلّمِ

لسانُ الفتى نِصْفٌ ونِصْفٌ فؤادُه ،
فلم يَبْقَ إِلَّا صورةُ اللَحْمِ والدمِ

•
وقال عليٌّ ، رضي الله عنه : العَقْلُ في الدِّماغِ ، والضحكُ
في الكَبِدِ ، والرأفةُ في الطَّحَالِ ، والصَّوتُ في الرِّئَةِ .

•
وسُئِلَ المُغَيَّرَةُ بنُ سَعْبَةَ عن عُمَرَ بنِ الحُطَّابِ ، رضوان
الله عليه ، فقال : كانَ والله أَفْضَلَ من أن يَخْدَعَ ، وأَعْقَلَ

من أن يُخدع ، وهو القائل : لستُ بِحَبِّ ١ والحُبُّ
لا يخدعني .

وقال زياد : ليس العاقلُ الذي إذا وَقَعَ في الأمر احتال
له ، ولكنَّ العاقلُ يَحْتال للأمر حتى لا يقع فيه .

وقيل لعَمرو بن العاص : ما العَقْلُ ؟ فقال : الإِصابةُ
بالظَّنِّ ، ومَعْرِفة ما يكون بما قد كان .

وقال عمرُ بن الخطَّاب ، رضي الله عنه : مَنْ لم يَنْفَعه
ظَنُّه لم يَنْفَعه يَقِينُه .

وقال عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وذَكَر ابن
عبَّاس ، رضي الله عنهما ، فقال : لقد كان ينظرُ إلى الغَيْبِ
من سِتْرِ رقيق .

وقالوا : العاقلُ فَطِنٌ مُتغافل .

١ الحُب : الخداع .

وقال معاوية : العقل مكيالٌ ثلثه فطنة وثلثاه تغافل .

وقال المعيرة بن شعبة لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ،
إذ عزّله عن كتابة أبي موسى : أعن عجز عزّلتني أم عن
خيانة ؟ فقال : لا عن واحدة منهما ، ولكنني كرهت أن
أحمِل على العامة فضل عقلك .

وقال معاوية لعمر بن العاص : ما بلغ من عقلك ؟
قال : ما دخلتُ في شيء قطُّ إلا خرجتُ منه .
فقال معاوية : لكنني ما دخلتُ في شيء قطُّ أريد
الخروجَ منه .

وقال الأصمعيُّ :

ما سمعتُ الحسن بن سهل مُدَّ صار في مرتبة الوزارة
يتمشّل إلا بهذين البيتين :

وما بقيتُ ، من اللذات ، إلا
مُحادثَةُ الرّجال ذوي العقولِ
وقد كانوا ، إذا ذكروا ، قليلاً ،
فقد صاروا أقلُّ من القليلِ

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر ، ويُرْوَى لمحمود الوراق :

لَعَمْرُكَ مَا بِالْعَقْلِ يُكْتَسَبُ الْغِنَى ،
وَلَا بِاِكْتِسَابِ الْمَالِ يُكْتَسَبُ الْعَقْلُ
وَكَمْ مِنْ قَلِيلِ الْمَالِ يُحْمَدُ فَضْلُهُ ،
وَأَخْرَجَ ذِي مَالٍ وَلَيْسَ لَهُ فَضْلٌ
وَمَا سَبَقَتْ مِنْ جَاهِلٍ قَطُّ نِعْمَةٌ
إِلَى أَحَدٍ ، إِلَّا أَضْرَبَهَا الْجَهْلُ
وَذُو اللَّسْبِ إِنْ لَمْ يُعْطَ أَحْمَدَتْ عَقْلَهُ ،
وَإِنْ هُوَ أُعْطِيَ زَانَهُ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

وقال محمد بن منذر :

وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا ، فَإِذَا
عَدَّ أَهْلَ الْعَقْلِ قَلُّوا فِي الْعَدْدِ
لَا يَقِيلُ الْمَرْءُ فِي الْقَصْدِ ، وَلَا
يَعْدَمُ الْقِلَّةُ مَنْ لَمْ يَقْتَصِدْ
لَا تَعِدُ شَرًّا ، وَعِدُّ خَيْرًا وَلَا
تُخْلَفُ الْوَعْدُ ، وَعَجَّلَ مَا تَعِدُ
لَا تَقْلُ شِعْرًا ، وَلَا تَهْمُمُ بِهِ ،
وَإِذَا مَا قُلْتَ شِعْرًا فَأَجِدْ

ولآخر :

يُعْرَفُ عَقْلُ الْمَرْءِ فِي أَرْبَعٍ :
مِشِيَّتِهِ أَوْلَاهَا وَالْحَرَكَ

ودَوَّرَ عَيْنِيهِ ، وَالْفَاطِظَهُ ،
 بَعْدُ ، عَلَيْنَ يَدُورُ الْفَلَكَ
 وَرُبَّمَا أَخْلَقْنَ ، إِلَّا الَّتِي
 آخِرُهَا مِنْهُنَّ سُمِّيْنَ لَكَ
 هَذِي دَلِيلَاتٌ عَلَى عَقْلِهِ ،
 وَالْعَقْلُ فِي أَرْكَانِهِ كَالْمَلِكِ
 إِنَّ صَحَّ صَحَّ الْمَرْءُ مِنْ بَعْدِهِ ،
 وَيَهْلِكُ الْمَرْءُ إِذَا مَا هَلَكَ
 فَانظُرْ إِلَى مَخْرَجِ تَدْبِيرِهِ
 وَعَقْلِهِ ، لَيْسَ إِلَى مَا مَلَكَ
 فَرُبَّمَا خَلَطَ أَهْلُ الْحِجَابِ
 وَقَدْ يَكُونُ التَّوَكُّلُ فِي ذِي الذُّسُكِ
 فَإِنَّ إِمَامًا سَالَ عَنْ فَاضِلٍ ،
 فَادَّلُ عَلَى الْعَاقِلِ ، لَا أُمَّ لَكَ

وكان هُوَذَةُ بن عليّ الحنفيّ يُجيز لطيمة كِسْرَى في
 كلِّ عامٍ ، واللّطيمة غير تحمّل الطيب والبزّ ، فوفد على

١ البز : الثياب من الكتان او القطن .

كسرى ، فسأله عن بنيه ، فسمي له عدداً ؛ فقال : أيهم
أحبُّ إليك ؟

قال : الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَالغَائِبُ حَتَّى يَرْجِعَ ، وَالْمَرِيضُ
حَتَّى يُفِيئَ .

فقال له : ما غداؤك في بلدك ؟

قال : الحُبْزُ .

فقال كسرى جلسائه : هذا عقل الحُبْزِ ، يُفَضِّلُهُ عَلَى عَقُولِ
أَهْلِ الْبُؤَادِي الَّذِينَ غَدَاؤُهُمُ اللَّبَنُ وَالْتَمَرُ .

وهوذة بن علي الحنفي هو الذي يقول فيه أعشى بكر :

مَنْ يَرَى هَوْدَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّئِبٍ
إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ ، أَوْ وَضَعَا

لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ فَصَلَّهَا
صَوًّاغَهَا ، لَا تَرَى عَيْبًا وَلَا طَبَعًا

وقال أبو عبيدة عن أبي عمرو : لم يتتوَّجَ مَعْدِيَّ قَطُّ ،
وَإِنَّمَا كَانَتْ التَّيَّجَانُ لِلْيَمَنِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَوْدَةَ بِنِ عَالِي الْحَنْفِيِّ ،
فَقَالَ : إِنَّمَا كَانَتْ خَرَزَاتُ تُنْظَمُ لَهُ .

١ متئب : مستح .

وقد كتب النبي ﷺ ، صلى الله عليه وسلم ، إلى هودذة بن علي
يدعوه إلى الإسلام كما كتب إلى الملوك .

وفي بعض الحديث : ان الله ، عز وجل ، لما خلق العقل ، قال :
أقبل ، فأقبل . ثم قال له : أدبر ، فأدبر . فقال : وعزتي
وجلاي ما خلقتُ خلقاً أحبَّ إليّ منك ، ولا وضعتك إلا في
أحبِّ الخلق إليّ . ولما خلق الحمق قال له : أقبل ، فأدبر .
ثم قال له : أدبر ، فأقبل . فقال : وعزتي وجلاي ، ما خلقتُ
خلقاً أبغض إليّ منك ، ولا وضعتك إلا في أبغض الخلق إليّ .
وبالعقل أدرك الناسُ معرفة الله ، عز وجل ، ولا يشك فيه
أحدٌ من أهل العقول ، يقول الله ، عز وجل ، في جميع الامم :
« وَلَسِنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . » وقال
أهلُ التفسير في قول الله « فَسَمَّ الَّذِي حَجَرَ » قالوا : الذي عقل .

وقالوا : ظنُّ العاقل كهانة .

وقال الحسنُ البصريُّ : لو كان للناس كلُّهم عقول خربت
الدنيا .

وقال الشاعر :

يُعَدُّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا ،
وإن لم يكن في قومه بجَسِيبِ
وإن حلّ أرضاً عاش فيها بعقله ،
وما عاقلٌ في بلدةٍ بغريب

•
وقالوا : العاقل يقي ماله بسُلْطانه ، ونَقَسَه بآله ، ودينه
بنفسه .

•
وقال الأحنف بن قيس : أنا للعاقل المُدبر أرجى مني
للأحمق المُقبل .

•
قال : ولما أهبط الله ، عز وجل ، آدم ، عليه السلام ، الى
الأرض ، أتاه جبريل ، عليه السلام ، فقال له : يا آدم ، إن
الله ، عزّ وجلّ ، قد حبّأك بثلاثِ خصالٍ لتختارَ منها
واحدةً وتنتخلى عن اثنتين .

قال : وما هنّ ؟

قال : الحياء والدين والعقل .

قال آدم : اللهم إني اخترت العقل .

فقال جبريلُ ، عليه السلامُ ، للحياءِ والدينِ : ارتفعيا .
قالا : لنْ نرتفع .

قال جبريل ، عليه السلام : أعصيتما ؟
قالا : لا ، ولكننا أمرنا أن لا نفارق العقل حيث كان .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تَقْتَدُوا مِنِّي لَيْسَ لَهُ عُقْدَةٌ .

قال : وما خَلَقَ اللهُ خَلْقاً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ .

وكان يقال : العقل ضربان : عقل الطبيعة وعقل التجربة ،
وكلاهما يُحتاج إليه ويؤدِّي إلى المنفعة .

وكان يقال : لا يكون أحدٌ أحبَّ إليك من وزير صالح
وافر العقل كامل الأدب حنيك السن بصير بالأمور ، فإذا
ظفرت به فلا تُباعده ، فإن العاقل ليس بما نزعك نصيحته
وإن جفت ٢٠ .

وكان يقال : غريزة عقل لا يضيع معها عمل .

١ حنيك السن : أي جعلته التجارب وتقلبات الأيام حكيمًا .

٢ جفت : قست وغلظت .

وكان يقال: أجلُّ الأشياء أصلاً وأحلاها ثمرة، صالحُ الأعمال،
وحسن الأدب، وعقلٌ مُستعملٌ .

وكان يقال: التجارب ليس لها غايةٌ والعاقل منها في الزيادة .
وبما يؤكّد هذا قول الشاعر :

ألم ترَ أنَّ العقلَ زينٌ لأهله،
وأنَّ كمالَ العقلِ طولُ التجاربِ؟

ومكتوب في الحكمة: إنَّ العاقل لا يفتُرُ بمودة الكذوب
ولا يثقُ بنصيحتهم .

ويقال: من فاته العقلُ والفتوةُ فرأس ماله الجهل .

ويقال: من عمّر الناسَ الشيءَ ورَضِيه لنفسه فذاك
الأحمق نفسه .

وكان يقال: العاقل دائمُ المودة، والأحمق سريع القطيعة .

وكان يقال: صديق كلِّ امرئٍ عقله وعدوّه جهله .

وكان يقال : المُعْجَبَ لِحُوحِ وَالْعَاقِلُ مِنْهُ فِي مَوْوَنَةٍ . وَأَمَّا
الْعُجْبُ فَإِنَّهُ الْجَهْلُ وَالْكِبَرُ .

وقيل : أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ ، وَأَنْقَصَ
النَّاسُ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مِنْ هُوَ دُونَهُ .

ويقال : مَا شَيْءٌ بِأَحْسَنَ مِنْ عَقْلِ زَانِهِ حِلْمٌ ، وَحِلْمِ زَانِهِ
عِلْمٌ ، وَعِلْمِ زَانِهِ صِدْقٌ ، وَصِدْقِ زَانِهِ عَمَلٌ ، وَعَمَلِ زَانِهِ رِفْقٌ .

وكان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يقول : لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ
عَرَفَ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ ، بَلِ الْعَاقِلُ مَنْ عَرَفَ خَيْرَ الشَّرِّينِ .

ويقال : عَدُوٌّ عَاقِلٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَدِيقٍ جَاهِلٍ .

وكان يقال : الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل اليه ،
وإياك وفراقه إذا كان كريماً ، ولا عليك أن تصحب العاقل وإن
كان غير محمود الكرم ، لكن احتسب من شين أخلاقه
وانتفع بعقله ، ولا تدع مواصلة الكرم وإن لم تحمد
عقله ، وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك ، وفرّ الفراق كله من
الأحمق اللئيم .

وكان يقال : قطعة الأحق مثل صلة العاقل .

وقال الحسن : ما أودع الله تعالى امرأ عقلاً ما إلا استنقذه
به يوماً ما .

وأتى رجلٌ من بني نجاشع الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
فقال : يا رسول الله ، أأستُ أفضلَ قومي ؟
قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ان كان لك عقل فلك
فضل ، وان كان لك تقى فلك دينٌ ، وإن كان لك مالٌ
فلك حَسَبٌ .

قال : تفاخر صفوان بنُ أميَّة مع رجل ، فقال صفوان :
أنا صفوان بن أميَّة ، بَخِ بَخِ . فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ،
رضي الله عنه ، فقال : ويلك ! إن كان لك دين فإن لك
حَسَباً ، وإن كان لك عقل فإن لك أصلاً ، وان كان لك مُخلق
فلك مروءة ، والا فأنت شرٌّ من حمار .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : كَرَمُ الرجلِ دينُهُ ،
ومروءته عقله ، وحَسَبُهُ مُخلقه .

وقال : وكَلَّ اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، الحِرْمَانَ بالعقل ، ووَكَّلَ
الرِّزْقَ بالجهل ، لِيَعْتَبِرَ العاقلُ فيعلم أن ليس له في الرزق حيلة .

وقال بُزُرْجُمِهْرُ : لا يَنْبَغِي للعاقل أن يَنْزِلَ بِلَدِّه لَيْسَ فِيهِ
خُمْسَةٌ : سُلْطَانُ قَاهِرٍ ، وَقَاضٍ عَدْلٍ ، وَسُوقُ قَائِمَةٍ ، وَنَهْرٍ
جَارٍ ، وَطَيِّبِ عَالَمٍ .

وقال أيضاً : العاقل لا يَرْجُو ما يُعْنَفُ بِرَجَائِهِ ، وَلَا
يَسْأَلُ ما يَخَافُ مَنَعَهُ ، وَلَا يَمْتَنِنُ ما لَا يَسْتَعِينُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

سئل اعرابي : أيُّ الأسبابِ أعونُ على تَدَكِّيَةِ العِقلِ وأَيُّها
أعون على صلاح السيرة ؟

فقال : اعونها على تَدَكِّيَةِ العِقلِ التَّعَلُّمُ ، واعونها على صلاح
السيرة القناعة .

وسئل عن أجودِ المَواطِنِ أن يُخْتَبَرَ فِيهِ العِقلُ ، فقال :
عند التَّدْبِيرِ .

وسئل : هل يَعْمَلُ العاقلُ بِغَيْرِ الصَّوابِ ؟ فقال : ما كل
ما عَمِلَ بِإِذْنِ العِقلِ فَهُوَ صَوابٌ .

وسئل : أيُّ الأشياءِ أدلُّ على عَقْلِ العاقلِ ؟ قال : حَسَنُ
التَّدْبِيرِ .

وسئل : أيُّ مَنافِعِ العِقلِ اعظمُ ؟ قال : اجْتِنَابُ الذُّنُوبِ .

وقال بُزْرُجْمِهْرُ : أفره ما يكون من الدّوابّ لا غنى بها عن السّوط ، وأغفّ من تكون من النساء لا غنى بها عن الزوج ، وأعقل من يكون من الرّجال لا غنى به عن مشورة ذوي الألباب .

سئل أعرابي عن العقل متى يُعرف ؟ قال : إذا بهاك عقلك عما لا ينبغي فانت عاقل .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : العقل نور في القلب نفرّق به بين الحق والباطل ، وبالعقلُ عرف الحلال والحرام ، وعرفت شرائع الإسلام ومواقع الأحكام ، وجعله الله نوراً في قلوب عباده يهديهم الى هدى ويصدّهم عن ردى .

ومن جلاله قدّر العقل أن الله تعالى لم يُخاطب إلا ذوي العقول فقال عزّ وجلّ : إنما يتذكّر أولو الألباب . وقال : لستُذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا . أي عاقلاً . وقال : إنّ في ذلك لَدِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ . أي لمن كان له عقل .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : العاقل يحلم عمّن ظلم ، ويتواضع لمن هو دونه ، ويسابق الى البرّ من فوقه . وإذا

رأى بابٍ برٍّ انتَهزه ، وإذا عَرَضَتْ له فِتْنَةٌ اعْتَصَمَ بالله
وتَنَكَّبَهَا .

وقال صلى الله عليه وسلم : قِوَامُ الْمَرْءِ عَقْلُهُ ، وَلَا دِينَ
لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ .

•
وإذا كان العقل أشرفَ أَعْلَاقِ النَّفْسِ ، وكان بقَدْرِ تَمَكُّنِهِ
فيها يكونُ سُموُّها لَطَلَبِ الْفَضَائِلِ وعلوُّها لابتغاءِ الْمَنَازِلِ ،
كانت قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ ، وَحِلْيَتُهُ الَّتِي يَحْسُنُ بِهَا فِي أَعْيُنِ
النَّاطِرِينَ فَضْلَهُ .

•
ولعبد الله بن محمد :

تَأْمَلْ بَعِيَّتِيكَ هَذَا الْإِنَامَ ، وَكُنْ بَعْضَ مَنْ صَانَهُ نُبْلُهُ
فَحِلْيَتُهُ كُلُّ فَتَى فَضْلُهُ ؛ وَقِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ
وَلَا تَتَّكِلْ ، فِي طِلَابِ الْعِلْمِ ، عَلَى نَسَبٍ ، ثَابِتٍ أَصْلُهُ
فَمَا مِنْ فَتَى زَانَهُ أَهْلُهُ بِشَيْءٍ ، وَخَالَفَهُ فِعْلُهُ

•
١ تنكبا : تجنبها .

ويقال : العقلُ إدراكُ الأشياءِ على حقائقها ، فمن أدرك شيئاً على حقيقته فقد كَمُلَ عقله .

•
وقيل : العقلُ مرآةُ الرَّجُلِ .
أخذه بعض الشعراء فقال :

عقلُ هذا المرءِ مرآةٌ ، ترى فيها فعالةً
فإذا كانَ عليها صدأً ، فهوَ جهالةً
وإذا أخلصه اللهُ صقلاً ، وصفاً له
فهني تُعطي كلَّ حيٍّ ، ناظرٍ فيها مثاله

•
ولآخر :

لا تراني ، أبدأً ، أكرمُ ذا المالِ مالِه
لا ولا يُزري ، بمنَّ يعقل ، عندي ، سوءُ حاله
إنما أفضي على ذاك وهذا بفعاله
أنا كالمِرآةِ ، ألقى كلَّ وجهٍ بمثاله
كيفما قلبني الدهرُ ، يجِدني من رجاله

ولبعضهم :

إذا لم يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ ، فَإِنَّهُ
وإن كان ذا نُبُلٍ عَلَى النَّاسِ هَيِّجُنُ
وإن كان ذا عَقْلٍ أُجِلَّ لِعَقْلِهِ ؛
وَأَفْضَلُ عَقْلٍ عَقْلٌ مِنْ يَتَدَيَّنُ

وقال آخر :

إذا كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ تَكُ ذَا غِنَى ،
فَأَنْتَ كَذِي رَحْلٍ وَلَيْسَ لَهُ بَعْلُ
وإن كُنْتَ ذَا مَالٍ وَلَمْ تَكُ عَاقِلًا ،
فَأَنْتَ كَذِي بَعْلٍ وَلَيْسَ لَهُ رَحْلُ

ويقال : إنَّ العَقْلَ عَيْنَ القَلْبِ ، فإذا لم يَكُنْ للمرءِ عَقْلٌ
كان قلبه أكمه^١ .

وقال صالح بن جَنَاح :

ألا إنَّ عَقْلَ المرءِ عَيْنَا فُؤَادِهِ ،
وإن لم يَكُنْ عَقْلٌ فَلَا يُبْصِرُ القَلْبُ

١ الاكمه : الاعمى .

وقال بعض الفلاسفة : الهَوَى مَصَادُ الْعَقْلِ .

•
ولعبد الله بن محمد :

ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ حَوَى الْفَضْلِ وَإِنْ كَانَ رَاغِبًا عَنْ
سِوَاهَا : صِحَّةُ الْعَقْلِ ، وَالتَّمَسُّكُ بِالْعَدْلِ ، وَتَنْزِيهِ نَفْسِهِ
عَنْ هَوَاهَا .

•
ولمحمد بن الحسن بن دُرَيْد :

وآفةُ الْعَقْلِ الْهَوَى ، فَمَنْ عَلَا ، عَلَى هَوَاهُ ، عَقْلُهُ ، فَقَدْ نَجَا

•
وقال بعضُ الْحُكَمَاءِ : مَا تُعْبِدُ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ
الْعَقْلِ ، وَمَا تُعْصِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السُّتْرِ .

•
وقال مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَا قَرَأْتُ كِتَابًا قَطُّ لِأَجْدِ
إِلَّا عَرَفْتُ عَقْلَهُ مِنْهُ .

•
وقال يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : ثَلَاثَةُ أَسْيَاءٍ تَدُلُّ عَلَى عُقُولِ أَرْبَابِهَا :
الْكِتَابُ يَدُلُّ عَلَى عَقْلِ كَاتِبِهِ ، وَالرَّسُولُ يَدُلُّ عَلَى عَقْلِ مَرْسَلِهِ ،
وَالْهَدِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى عَقْلِ مَهْدِيهَا .

واستعمل عمرُ بن عبد العزيز رجلاً ، فقيل له : انه حديث السنِّ ولا نزاه يَضْبَطُ عملك ؛ فأخذ العهدَ منه وقال : ما أراك تَضْبَطُ عملك لحدائتك ؛ فقال الفتي :

وليس يزيد المرءَ جهلاً ولا عمى ،
إذا كان ذا عَقْلٍ ، حدائهُ سِنِّهِ

فقال عمرُ : صدق ؛ وردَّ عليه عهدَه .

وقال جَثَّامَةُ بن قَيْسٍ يَصِفُ عاقلاً :

بَصِيرٌ بأَعْقَابِ الأُمُور ، كأنَّما
تُخاطِبُهُ من كُلِّ أمرٍ عواقِبُهُ

ولغيره في المعنى :

بَصِيرٌ بأَعْقَابِ الأُمُور ، كأنَّما
يَرَى بصُوابِ الرأْيِ ما هو واقعٌ

وقال سَلِيبُ بن سَيْبَةَ خالِدِ بنِ صَفْوان : اني لأعرفُ أمراً
لا يتلاقى فيه اثنان إلا وَجِبَ النُّجُوحُ بينهما .

قال له خالد : ما هو ؟

قال : العقل ، فإنَّ العاقل لا يسألُ إلا ما يجوز ، ولا يُردُّ
عما يُمكن .

فقال له خالد : نَعَيْتَ إِلَيَّ نَفْسِي ، إِنَّمَا أَهْلُ بَيْتِ لَا يَمُوتُ
مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى يَرَى خَلْفَهُ .

وقال عبد الله بن الحسين لابنه محمد : يَا بُنَيَّ ، احْذَرِ الْجَاهِلَ
وَإِنْ كَانَ لَكَ نَاصِحًا ، كَمَا تَحْذَرُ الْعَاقِلَ إِذَا كَانَ لَكَ عَدُوًّا ؛
وَيُوشِكُ الْجَاهِلُ أَنْ تَوَرَّطَكَ مَشُورَتِهِ فِي بَعْضِ اغْتِرَارِكَ
فَيَسْبِقَ إِلَيْكَ مَكْرَ الْعَاقِلِ ؛ وَإِيَّاكَ وَمُعَادَاةَ الرَّجَالِ ،
فَإِنَّكَ لَا تَعْدَمَنَّ مِنْهَا مَكْرَ حَلِيمٍ عَاقِلٍ ، أَوْ مُعَانِدَةَ جَاهِلٍ .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه :
لَا مَالَ أَعُودُ مِنْ عَقْلِ ، وَلَا فَقْرٌ أَضُرُّ مِنْ جَهْلِ .

ويقال : لَا مَرُوءَةَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ .

وقال بعض الحكماء : لَوْ اسْتَفْنَى أَحَدٌ عَنِ الْأَدَبِ لَاسْتَفْنَى
عَنْهُ الْعَاقِلُ ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِالْأَدَبِ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، كَمَا لَا يَنْتَفِعُ
بِالرِّيَاضَةِ إِلَّا النَّجِيبُ .

وكان يقال : بِالْعَقْلِ تُنَالُ لَذَّةُ الدُّنْيَا ، لِأَنَّ الْعَاقِلَ لَا

يسعى إلا في ثلاث : مزيّة لمعاش ، أو منفعة لمعاد ، أو لذة
في غير محرم .

ولبعضهم :

إذا أحببت أقواماً ، فلا تصق بأهل العقل منهم والحياء
فإنّ العقل ليس له ، إذا ما تفاضلت الفضائل ، من كفاء

لمحمد بن يزيد :

وأفضل قسم الله للمرء عقله ،

وليس من الخيرات شيء يُقاربه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ،

فقد كملت أخلاقه ومآربه

يعيش الفتى بالعقل في الناس ، إنّه

على العقل يجري علمه وتجاربه

ومن كان غلاباً بعقله ونجدة ،

فدو الجد في أمر المعيشة غالبه

فزين الفتى في الناس صحة عقله ،

وإن كان محصوراً عليه مكاسبه

ولبعضهم :

يُمَثَّلُ ذُو الْعَقْلِ ، فِي نَفْسِهِ ، مَصَائِبَهُ ، قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَا
فَإِنْ نَزَلَتْ بَعْنَةً لَمْ تَرُعْهُ ، لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلًا
رَأَى الْهَمَّ يُفْضِي إِلَى آخِرِهِ ، فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا
وَذُو الْجَهْلِ يَأْمَنُ أَيَّامَهُ ، وَيَنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قَدْ خَلَا

الحكمة

قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : ما أخلصَ عبدٌ العملَ
لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه .

•

وقال عليه الصلاة والسلام : الحكمة ضالة المؤمن يأخذها
ممن سمعها ولا يُبالي من أي وعاء خرجت .

•

وقال عليه الصلاة والسلام : لا تَضَعُوا الحكمة عند غير أهلها
فَتَظْلِمُوهَا ، ولا تَمْتَعُوهَا أهلها فَيَتَظْلِمُوهم .

•

وقال الحكماء : لا يطلب الرجل حكمة إلا بحكمة عنده .

•

وقالوا : إذا وجدتكم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها .

•

وفي الحديث : خذوا الحكمة ولو من ألسنة المشركين .

•

وقال زياد : أيها الناس لا يَمْنَعُكُمْ سَوْءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنْهَا أَنْ
تَلْتَفِعُوا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمَعُونَ مِنْهَا ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

اعْمَلْ بِعِلْمِي ، وَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي ،
يَنْفَعَكَ قَوْلِي ، وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

نوادِر من الحكمة

قيل لقُس بن ساعدة : ما أفضلُ المعرفة ؟

قال : معرفة الرجل نفسه .

قيل له : فما أفضلُ العِلْمِ ؟

قال : وقوفُ المرء عند علمه .

قيل له : فما أفضلُ المروءة ؟

قال : استبقاءُ الرجل ماء وجهه .



وقال الحسنُ : التَّقْدِيرُ نِصْفُ الكَسْبِ ، والتَّوَدُّة

نِصْفُ العَقْلِ ، وَحُسْنُ طَلْبِ الحَاجَةِ نِصْفُ العِلْمِ .



وقالوا : لا عقل كالتَّديبِ ، ولا ورَع كالكَفِّ ، ولا

حَسَب كحُسْنِ الخُلُقِ ، ولا غِنَى كَرِضا عن الله ، وأحقُّ

ما صُبِرَ عليه ما ليس إلى تغييره سَبِيلُ .



وقالوا : أفضلُ البِرِّ الرَّحْمَةُ ، ورأسُ المودة الاسترسالُ ،

ورأسُ العُقُوقِ مُكَاثِمَةُ الأَدْنَيْنِ ، ورأسُ العَقْلِ الإِصَابَةُ بالظنِّ .



وقالوا : التفكُّر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ،
والعلم حياة ، والأول سابق ، والآخر لاحق ، والسَّعيد
من وُعِظَ بغيره .

حَدَّث أَبُو حَاتِمٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي غَيْرُ
وَاحِدٍ مِنْ هَوَازِنَ مِنْ أَوْلِي الْعِلْمِ ، وَبَعْضُهُمْ قَدْ أَدْرَكَ أَبُوهُ
الْجَاهِلِيَّةَ أَوْ جَدُّهُ ، قَالُوا : اجْتَمَعَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي ،
وَحُمَمَةُ بْنُ رَافِعِ الدَّوْسِيِّ ، وَيَزْعُمُ النَّسَّابُ أَنَّ لَيْلَى بِنْتَ
الظَّرْبِ أُمُّ دَوْسٍ ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ الظَّرْبِ أُمُّ ثَقِيفٍ وَهُوَ
قَيْسِي ، عِنْدَ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرٍ ، فَقَالَ : تَسَاءَلَا حَتَّى أَسْمَعَ
مَا تَقُولَانِ .

فَقَالَ عَامِرُ الحُمَمَةِ : أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ أَيَادِيكَ ؟
قَالَ : عِنْدَ ذِي الرِّثِيَّةِ^١ الْعَدِيمِ ، وَعِنْدَ ذِي الحِلَّةِ الْكَرِيمِ ،
وَالْمُعْسِرِ الْغَرِيمِ ، وَالْمُسْتَضْعَفِ الْهَضِيمِ^٢ .

قَالَ : مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِالْمَقْتِ ؟

قَالَ : الْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ ، وَالضَّعِيفُ الصَّوَّالُ ، وَالْعَبِي الْقَوَّالُ .

قَالَ : فَمِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ ؟

قَالَ : الْحَرِيصُ الْكَانِدُ ، وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ ، وَالْبُلْغِيفُ الْوَاحِدُ .

١ الرثية : وجع المفاصل واليدين والرجلين ، أو الضعف .

٢ الهضم : الذي هضم حقه .

قال : فمن أجدرُ الناس بالصَّنِيعَة ؟

قال : من إذا أُعطي شكر ، وإذا مُنِع عذر ، وإذا مُطيل صبر ، وإذا قَدُم العهدُ ذَكَر .

قال : من أكرمُ الناس عِشْرَة ؟

قال : من إذا قَرُب مَنَح ، وإذا بَعُد مدح ، وإذا ظلم صَفَح ، وإذا ضَوِّق سَمَح .

قال : من أَلَم الناس ؟

قال : من إذا سأل خَضَع ، وإذا سُئِل مَنَع ، وإذا مَلَكَ كَنَع ، ظاهره جَشَع ، وباطنه طَبَع .

قال : فمن أَحْلَم الناس ؟

قال : من عَفَا إذا قَدَرَ ، وأَجْمَلَ إذا انتصر ، ولم تُطغِيه عِزَّة الظَّفَر .

قال : فمن أَحْزَمُ الناس ؟

قال : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الأُمُور بِيَدَيْهِ ، وَجَعَلَ العَوَاقِبَ نُصْبَ عَيْنِيهِ ، وَنَبَذَ التَّهْيِيبَ دَبْرَ أُذُنِيهِ .

قال : فمن أَخْرَقُ الناس ؟

قال : من رَكِبَ الحِطَارَ ، وَاَعْتَسَفَ العِثَارَ ، وَأَسْرَعَ فِي البَدَارِ قَبْلَ الاقْتِدَارِ .

قال : من أَجودُ الناس ؟

قال : من بَدَلَ المِجْهُودِ ، ولم يَأْسَ على المِجْهُودِ .

قال : من أبلغ الناس ؟

قال : من جَلَّى المعنى المزيح باللَّفْظ الوجيز ، وطَبَّق المِفْصَل قبل التَّحْزِين .

قال : من أنعم الناس عَيْشاً ؟

قال : من تَحَلَّى بالعِفَاف ، ورَضِيَ بالكِفَاف ، وتَجَاوَز ما يَخَاف إلى ما لا يَخَاف .

قال : فمن أَشَقَى الناس ؟

قال : من حَسَد على النِّعَم ، وَسَخِطَ على القِسَم ، واستشعر النَّدَم ، على فَوْت ما لم يُحْتَم .

قال : من أغنى الناس ؟

قال : من استشعر الياس ، وأظهر التَّجَمُّل للناس ، واستكثر قليل النِّعَم ، ولم يَسْخَط على القِسَم .

قال : فمن أحكم الناس ؟

قال : من صَمَت فادَّكَّر ، ونظَر فاعتَبَّر ، ووَعِظ فازْدَجَر .

قال : من أجهل الناس ؟

قال : من رأى الحُرُوق مَغْنِماً ، والتَّجَاوَزَ مَغْرَماً .

وقال أبو عبيدة : الحِلَّة : الحاجة ، والحِلَّة : الصداقة .

والكاند : الذي يكفر النعمة ، والكنود : الكفور .

والمُسْتَمِيد : مثل المُسْتَمِير ، وهو المُسْتَعْطِي . ومنه اشتقاق
المائدة ، لأنها تُمَادُ . وَكَنْع : تَقَبَّضُ ؛ يُقَالُ مِنْهُ : تَكَتَّعَ
جِلْدُهُ ، إِذَا تَقَبَّضَ . يريد أنه مُمَسَّكٌ بِجَيْلٍ . وَالجَشَّعُ :
أَسْوَأُ الحِرْصِ . وَالطَّبَّيعُ : الدَّائِسُ . وَالاعْتِسَافُ : رُكُوبُ
الطَّرِيقِ عَلَى غَيْرِ هِدَايَةٍ ، وَرُكُوبُ الأَمْرِ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ .
والمُتَزَيِّزُ : مَنْ قَوْلُهُمْ : هَذَا أَمْرٌ مِنْ هَذَا ، أَي أَفْضَلُ مِنْهُ
وَأَزِيدُ . وَالْمُطَبَّبُ مِنَ السُّيُوفِ : الَّذِي يُصِيبُ المَفَاصِلَ
لَا يَجَاوِزُهَا .

وقال عمرو بن العاص : ثلاثٌ لا أناةَ فيهنَّ : المُبَادِرَةُ
بِالعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَدَفْنُ المَيِّتِ ، وَتَرْوِيجُ الكُفِّءِ .

وقالوا : ثلاثةٌ لا يُندَمُ عَلَى ما سَلَفَ إِلَيْهِمْ : اللهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِيما عَمِلَ لَهُ ، وَالْمَوْلَى الشُّكُورُ فِيما أُسْدِيَ إِلَيْهِ ، وَالأَرْضُ
الْكُرَيْمَةُ فِيما بُدِرَ فِيها .

وقالوا : ثلاثةٌ لا بقاءَ لهما : ظِلُّ العَمَامِ ، وَصُحْبَةُ الأَشْرَارِ ،
وَالنِّسَاءُ الكاذِبِ .

وقالوا: ثلاثة لا تكون إلاّ في ثلاثة: الغنى في النفس ،
والشرف في التواضع ، والكرم في التقوى .

وقالوا: ثلاثة لا تُعرف إلاّ عند ثلاثة: ذو البأس لا يُعرف
إلاّ عند اللّقاء ، وذو الأمانة لا يُعرف إلاّ عند الأخذ والعطاء ،
والإخوان لا يُعرفون إلاّ عند النّوائب .

وقالوا: من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة: من طلب
المال بالكيّماء لم يسلم من الإفلاس ، ومن طلب الدّين
بالفلسفة لم يسلم من الزّندقة ، ومن طلب الفقه بغرائب الحديث
لم يسلم من الكذب .

وقالوا: عليكم بثلاث: جالسوا الكُبراء ، وخالطوا
الحُكماء ، وسائلوا العلماء .

وقال عمرُ بن الخطّاب ، رضوان الله عليه: أخوفُ ما
أخاف عليكم شُحُّ مطاع ، وهوى مُتّبِع ، وإعجاب المرء بنفسه .

واجتمعت علماء العرب والعجم على أربع كلمات: لا تحمل
على ظنّك ما لا تُطيق ، ولا تعمل عملاً لا ينفعك ، ولا تغترّ
بامرأة ، ولا تشقّ بمال وإن كثر .

وقال الرِّياحي في نُخطبته بالمِرْبَد : يا بَنِي رِيَّاح ، لا تَحْقِرُوا
صَغِيرًا تَأْخُذُونَ عَنْهُ ، فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ الثَّعْلَبِ رَوَّغَانَهُ ، وَمِنَ
الْقِرْدِ حِكَايَتَهُ ، وَمِنَ السَّنَّوْرِ صَرَاعَهُ ، وَمِنَ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ ،
وَمِنَ ابْنِ آوَى حَذْرَهُ ؛ وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ سَيْرَ اللَّيْلِ ،
وَمِنَ الشَّمْسِ ظُهُورَ الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ .

•
وقالوا : ابن آدم هو العالم الكبير الذي جمع الله فيه العالم
كله ، فكان فيه بسالة الليث ، وصبر الحمار ، وحِرْصُ الحَنْزِيرِ ،
وحَذْرُ الغُرَابِ ، وروَّغان الثعلب ، وضرع السنور ،
وحكاية القرد ، وجبن الصفرد .

•
ولما قتل كِسْرَى بُزْرُجُمِهَرَ وجد في منطقتِه مكتوباً :
إِذَا كَانَ الْغَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالثَّقَةُ بِالنَّاسِ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ
الْقَدْرُ حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ رَاصِدًا
فَالطَّمَانِينَةُ تُحْمَقُ .

•
وقال أبو عمرو بن العلاء : نُخِذَ الْخَيْرُ مِنْ أَهْلِهِ ، وَدَعَّ
الشَّرَّ لِأَهْلِهِ .

١ الصفرد : طائر كالصفور يضرب به التل في الجبن .

وقال عمرُ بن الحطَّاب ، رضي الله عنه : لا تَنهَكوا وَجِه
الأرض فإنَّ سَحْمَتها في وَجْهها .

•
وقال : بَيْع الحيوانِ أَحْسَنَ ما يكون في عَيْنِكَ .

•
وقال : فرِّقوا بين المنايا ، واجعلوا من الرأس رأسين ،
ولا تلبثوا بدار معجزة .

•
وقالوا : إذا قَدُمْتَ المُصيبةُ تُرِكَت التعزية ، وإذا قَدُمَ
الإيحاءُ سَمِحَ الثناء .

•
وفي كتاب للهند : يَنْبَغِي للعاقل أن يَدَعَ التماسَ ما لا
سبيلَ إليه ، لئلا يُعَدَّ جاهلاً ، كَرَجُلٍ أراد أن يُجْرِيَ السفنَ
في البرِّ والعَجَلِ في البحر ، وذلك ما لا سبيلَ إليه .

•
وقالوا : إِحسانُ المُسيءِ أن يَكُفَّ عنكَ أذاه ، وإِساءةُ
المُحْسِنِ أن يَمْنَعَكَ جَدَواه .

•
وقال الحسنُ البصري : اقدَعُوا هذه النفوسَ فإنها طَلَعَةٌ ،

١ اقدعوا : اراد بها اردعوا ، وكفوا .

وحادِثوها بالذكور فإنها سريعة الدثور ، فإنكم إلاَّ تقدعوها
تتزعج بكم الى شرٍّ غاية .

يقول : حادِثوها بالحكمة كما يُحادث السيف بالصقال ،
فإنها سريعة الدثور ، يريد الصدا الذي يعرض للسيف .
واقدها : من قدعت أنف الجمل ، إذا دفعته . فإنها طلعة ،
يريد مُتطلعة الى الأشياء .

قال أردشير بن بابك : إن للآذان مجة ، وللقلوب ملاء ،
ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماماً .

البلاغة وصفتها

قيل للعمرو بن عُبيد : ما البلاغة ؟

قال : ما بَلَّغَكَ الجَنَّةَ ، وعدَلَّ بِكَ عن النار .

قال السائل : ليس هذا أُريد .

قال : فما بَصَّرَكَ مواضعَ رُشدِكَ ، وعواقبَ عَيْبِكَ .

قال : ليس هذا أُريد .

قال : من لم يُحسِن أن يَسْكَتْ لم يُحسِن أن يَسْمَعَ ، ومن

لم يُحسِن أن يَسْمَعَ لم يُحسِن أن يَسْأَلَ ، ومن لم يُحسِن أن

يَسْأَلَ لم يُحسِن أن يَقُولَ .

قال : ليس هذا أُريد .

قال : قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : إنَّنا معشر النَّبِيِّينَ

بِكِأَمِّ ، أي قليلو الكلام ، وهو جمع بكيء ، وكانوا يكرهون

أن يزيدَ مَنْطِقَ الرَّجُلِ على عَقْلِهِ .

قال السائل : ليس هذا أُريد .

قال : فكأنك تُريدُ تَخْيِيرَ الألفاظِ في حُسنِ إِفْهَامِ .

قال : نعم .

قال : إنك إن أردت تقرير حُجَّةِ الله في عُقولِ المُكَلَّفِينَ ،

وتخفيفِ المَؤَوَّنةِ على المُسْتَمْعِينَ ، وتزوينِ المعاني في قلوبِ

المُسْتَفْهِمِينَ بِالْأَلْفَاظِ الْحَسَنَةِ رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَنَفِي
الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ النَّاطِقَةِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ،
كُنْتَ قَدْ أَوْتَيْتَ فَصْلَ الْحِطَابِ .

•

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟
قال : معرفة الوصل من الفصل .

•

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟
قال : إيجاز الكلام ، وحذف الفضول ، وتقريب البعيد .

•

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟
قال : أن لا يُؤْتَى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يُؤْتَى
السامع من سوء بيان القائل .

•

وقال معاوية لصُحَابِ الْعَبْدِيِّ : ما البلاغة ؟
قال : أن تُجِيبَ فَلَائِبِيَّ ، وَتُصِيبَ فَلَائِحِيَّ ؛ ثُمَّ
قال : أَقْلِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قال : قَدْ أَقْلَنْتَكَ .
قال : لَا تُبْطِئْ وَلَا تُخْطِئْ .

قال أبو حاتم : استطال الكلام الأول فاستقال ، وتكلم
بأوجز منه .

وسمع خالد بن صفوان رجلاً يتكلم ويكثر فقال : اعلم ،
رحمك الله ، أنّ البلاغة ليست بخفة اللسان ، وكثرة الهديان ،
ولكنّها بإصابة المعنى ، والقصد إلى الحجة . فقال له :
أبا صفوان ، ما من ذنب أعظم من اتّفاق الصنعة .

وتكلم ربيعة الرأبي يوماً فأكثر ، وإلى جنبه أعرابيٌّ ،
فالتفت إليه ، فقال : ما تعدّون البلاغة يا أعرابيٌّ ؟ قال :
قلّة الكلام وإيجاز الصّواب .

قال : فما تعدّون العبيّ ؟

قال : ما كنت فيه منذُ اليوم . فكأنما ألقمه حجراً .

ومن أمثالهم في البلاغة قولهم : يُقِلُّ الحَزَّ وَيُطَبِّقُ المِفْصَلَ .
وذلك أنّهم سبّهُوا البليغ المَوْجِزَ الذي يُقِلُّ الكلامَ ،
ويُصِيبُ الفُصُولَ والمعاني ، بالجزّار الرَفِيقِ يُقِلُّ حَزَّ اللَّحْمِ
ويُصِيبُ مَفَاصِلَهُ .

ومثله قولهم :

يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ

أي لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام، مثل الطائي الرقيق
الذي يضع الهناء مواضع النقب . والهناء : القطران .
والنقب : الجرب .

•
وقولهم : قرطس فلان فأصاب الثغرة ، وأصاب عين
القرطاس . كل هذا مثل للمصيب في كلامه الموجز في لفظه .

•
قيل للعتابي : ما البلاغة ؟
قال : إظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في
صورة الحق .

•
وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟
قال : أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة .

•
وقيل لآخر : ما البلاغة ؟
قال : كثر الكلام بمعانيه إذا قصر ، وحسن التأليف
له إذا طال .

•
قرطس : رمى فأصاب القرطاس . والقرطاس : كل أديم ينصب للنضال .

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟
فقال : قَرَعُ الحُجَّةِ ودُنُوّ الحَاجَةِ .

•
وقيل لآخر : ما البلاغة ؟
قال : الإيجاز في غير عَجَز ، والإطناب في غير خَطَل .

•
وقيل لغيره : ما البلاغة ؟
قال : إقلال في إيجاز ، وصواب مع سرعة جواب .

•
قيل لليونانيّ : ما البلاغة ؟
قال : تصحيح الأقسام واختيار الكلام .

•
وقيل لبعضهم : من أبلغ الناس ؟
قال : من ترك الفضول واقتصر على الإيجاز .

•
وكان يقال : رسولُ الرجل مكان رأيه ، وكتابه مكان عقله .

•
وقال جعفر بن محمد ، عليه السلام : سُمِّيَ البليغ بليغاً
لأنه يَبْلُغ حاجتَه بأهون سَعِيه .

وسئل بعضُ الحكماء عن البلاغة فقال : من أخذ معاني
كثيرة فأداها بألفاظ قليلة ، وأخذ معاني قليلة فولد منها لفظاً
كثيراً ، فهو بليغ .

وقالوا : البلاغة ما أحسن من الشعر المنظوم نثره ، ومن
الكلام المنثور نظمه .

وقالوا : البلاغة ما كان من الكلام حسناً عند استماعه ،
موجزاً عند بديته .

وقيل : البلاغة لمحة دالة على ما في الضمير .

وقال بعضهم : إذا كفاك الإيجاز فلاكثر عيي ، وإنما
يُحسن الإيجاز إذا كان هو البيان .

ولبعضهم :

خير الكلام قليلٌ ، على كثيرٍ دليلٌ

والعبيُّ معنىٌ قصيرٌ ، يحويه لفظٌ طويلٌ

وقال بعضُ الكتّاب : البلاغةُ معرفةُ الفصلِ من الوصلِ .
وأحسنُ الكلامِ القصدُ وإصابةُ المعنى .

•
قال الشاعر :

وإذا نَطَقْتَ فلا تَكُنْ أَشْرًا ،
واقصِدْ فخيرُ الناسِ مَنْ قَصَدَا

•
وقال آخر :

وما أحدٌ يكون له مَقالٌ ،
فيسَلِّمَ من مَلامٍ أو أثمٍ

•
وقال :

الدَّهْرُ يَنْقُصُ تارةً ويطولُ ؛
والمرءُ يَصْمِتُ مرَّةً ويقولُ
والقولُ مُخْتَلِفٌ ، إذا حَصَلَتْهُ ،
بَعْضٌ يُرَدُّ ، وبعضُهُ مَقْبُولُ

•
وقال :

إذا وَضَحَ الصَّوابُ فلا تَدَعُهُ ،
فإنك كلما دُفِيتَ الصَّوابا

وجدت له على اللّهوات برّداً،
كبرّود الماء حين صفا وطابا

وقال آخر :

ليس شأنُ البليغِ إرساله القولَ
بطولِ الإِسهابِ والإِكثارِ

إنما شأنُه التَّلطُّفُ للمعنى
بِحُسْنِ الإِيرادِ والأَصْدَارِ

وجوه البلاغة

البلاغة تكون على أربعة أوجه : تكون باللفظ والحط
والإشارة والدلالة ، وكلّ منها له حظ من البلاغة والبيان ،
وموضع لا يجوز فيه غيره ، ومنه قولهم : لكل مقام مقال ،
ولكل كلام جواب ، وربّ إشارة ابلغ من لفظ . فأما الحط
والإشارة فمفهومان عند الخاصة وأكثر العامة . وأما الدلالة :
فكل شيء ذلك على شيء فقد أخبرك به ، كما قال الحكيم :
أشهد أن السموات والأرض آياتٌ دالاتٌ ، وشواهد قائمات ،
كل يؤدي عنك الحجّة ويشهد لك بالرّبوبية .

وقال آخر : سل الأرض فقل : من سقّ أنهارك ،
وغرس أشجارك ، وجنّى ثمارك ؛ فإن لم تُجيبك إخباراً ،
أجابتك اعتباراً .

وقال الشاعر :

لقد جيئتُ أبغي لِنَفْسِي مُجِيروا ،
فجيئتُ الجِبَالَ ، وجيئتُ البُحُورا

فقال لي البحرُ ، إذ جِئْتُهُ :
وكيف يُجِيرُ ضَرِيْرُهُ ضَرِيْرًا !

وقال آخر :

نَطَقْتُ عَيْنَهُ بِمَا فِي الضَّمِيرِ

وقال نصيب بن رباح :

فَعَاجِبُوا فَاتَّخَمُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ،
وَلَوْ سَكَتُوا أَتَيْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

يريد : لو سكتوا لأتت عليك حقايب الابل التي يحتمبها
الراكب من هباتك . وهذا الثناء إنما هو بالدلالة لا باللفظ .

وقال حبيب :

الِدَارُ نَاطِقَةٌ ، وَلَيْسَتْ تَنْطِقُ ،
بِدَثْوَرِهَا ، أَنَّ الْجَدِيدَ سَيَخْلُقُ

وهذا في قديم الشعر وحديثه ، وطارف الكلام وتليده ، أكثر
من أن يحيط به وصف ، أو يأتي من ورائه نعت .

وقال رجل للعتابي : ما البلاغة ؟

قال : كل من بلَّعك حاجته وأفهمك معناه ، بلا إعادة ولا
حُبسة ولا استعانة ، فهو بليغ .

قالوا : قد فهمنا الاعادة والحُبسة ، فما معنى الاستعانة ؟

قال : أن يقول عند مقاطع كلامه : اسمع مني ، وافهم
عني ، أو يمسح عُشُونَه ، أو يَفْتِيلُ أَصَابِعَه ، أو يُكْثِرُ
التفاتَه من غير مُوجب ، أو يَتَسَاعَلُ من غير سُئلة ، أو يَنْبَهَرُ
في كلامه ١ .

وقال الشاعر :

مَلِيءٌ بِبُهْرٍ وَالتَّفَاتِ وَسُعْلَةٍ ،
وَمَسْحَةٍ عُشُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ .

وهذا كله من العي .

وقال أبرويز لكتابه : اعلم أن دعائم المقالات أربع ، ان
التمس لها خامسة لم توجد ، وإن نقصت منها واحدة لم تتم ،
وهي : سُؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ؛ وأمرك بالشيء ،
وإخبارك عن الشيء . فإذا طلبتَ فأسجح ٢ ، وإذا سألتَ

١ : ينهر : يبالغ في الشيء ولم يدع جهداً ، أو ينقطع نفسه من الجهد .

٢ : اسجح : سهل الفاظك وارفق .

فأوضح ، وإذا أمرت فأحكم ، وإذا أخبرت فحقق . واجمع
الكثير مما تريد في القليل مما تقول . يريد الكلام الذي تقل
حروفه ، وتكثر معانيه .

وقال ربعة الرأي : إني لأسمع الحديث عطلاً فأشغفه
وأقرطه^١ فيحسُن ، وما زدت فيه شيئاً ولا غيّرت له معنى .

وقالوا : خير الكلام ما لم يُحتج بعده الى كلام .

وقال يحيى : الكلام ذو فنون ، وخيره ما وفق له القائل ،
وانتفع به السامع .

وللحسن بن جعفر :

عجبت لادِّلالِ العبيِّ بنفسه ،
وصمَّتِ الذي قد كان بالحقِّ أعلماً

١ اشغفه : البسه الشغف ، وهو ما علق في الاذن او اعلاها من الحلي . اقرطه :
البسه القرط ، وهو ما يعلق في شحمة الاذن من درة ونحوها ، والمراد هنا
تزيين الحديث .

وفي الصّمتِ ستراً للعيِّ ، وإنما
صحيّفة لبّ المرء أن يتكلّمها

•
وصف اعرابيّ بليغاً فقال : كأنّ الألسنِ رِيضَتْ فما
تَنعَقِدُ إلا على وُدّه ، ولا تَنطِقُ الا ببيانه .

•
وصف ابو الوجيهِ بلاغة رجل فقال : كان والله يَشول^١
بلسانه شولان البروق^٢ ويتخلل^٣ به تخلل الحية :

•
وللعرب من موجز اللفظ ولطيف المعنى ، فصول عجيبة ،
وبدائع غريبة ، وسنأتي على صدر منها إن شاء الله تعالى .

١ يشول : يرفع .

٢ البروق : الناقة اذا طلبت الفعل ، فانها حينئذ ترفع ذنبها .

٣ تخلل بلسانه : ازال به ما علق بلسانه .

فصول من البلاغة

قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها فقال : من كان في يده شيء من مال عبد الله بن خازم فليتبذره ، وإن كان في فيه فليكنفه ، وإن كان في صدره فلينفثه . فعجب الناس من حسن ما فصل .

•
وقيل لأبي السَّمَّالِ الأَسَدِيِّ أيامَ مُعَاوِيَةَ : كيف تركتَ الناس ؟

قال : تركتهم بين مظلوم لا ينتصف ، وظالم لا ينتهي .

•
وقيل لشبيب بن شَيْبَةَ عند باب الرِّشِيدِ : كيف رأيتَ الناس ؟

قال : رأيت الداخلَ راجياً ، والخارجَ راضياً .

•
وقال حسان بن ثابت في عبد الله بن عباس :

إذا قال لم يتترك مقالاً لقائلٍ
بمُلْتَقَطَاتٍ ، لا ترى بينها فضلاً

كفَى وَشَفَى مَا فِي النَّفُوسِ ، وَلَمْ يَدَعْ
لِذِي إِرْبَةِ ، فِي الْقَوْلِ ، جِدًّا وَلَا هَزْلًا

ولقي الحسين بن عليّ ، رضوان الله عليهما ، الفرزدق في مسيره
إلى العراق ، فسأله عن الناس ، فقال : القلوب معك ، والسيوف
عليك ، والنصر في السماء .

وقال مجاشع النهشلي : الحق ثَقِيلٌ فَمَنْ بَلَغَهُ اِكْتَفَى ، وَمَنْ
جَاوَزَهُ اِعْتَدَى .

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، عليه السلام : كم
بين المشرق والمغرب ؟

فقال : مسيرة يوم للشمس .

قيل له : فكم بين السماء والأرض ؟

قال : مسيرة ساعة لدعوة مُسْتَجَابَةٍ .

وقيل لأعرابي : كم بين موضع كذا وموضع كذا ؟

قال : بياضُ يومٍ وسوادُ ليلةٍ .

١ الاربة : الدهاء والحيلة .

وشكا قوم الى المسيح ، عليه السلام ، ذنوبهم ، فقال :
اتركوها تُغفَر لكم .

وقال عليُّ بنُ أبي طالب ، رضي الله عنه : قيمة كلِّ انسان
ما يحسن .

وقيل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقربُ شيء ؟
قال : الأجل .

قيل له : فما ابعد شيء ؟

قال : الأمل .

قيل له : فما أوحش شيء ؟

قال : الميت .

قيل له : فما آنس شيء ؟

قال : الصاحب المواتي .

مرَّ عمرو بن عُبيد بسارق يُقَطِّع ، فقال : سارق السريرة
يقطع سارق العلانية .

١ السريرة : السر .

وقيل للخليل بن أحمد : ما لك تروى الشعر ولا تقوله ؟
قال : لأنني كالمِسْنِ ، أشحذا ولا أقطع .

وقيل لعقيل بن علففة : ما لك لا تطيل الهجاء ؟
قال : يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعنق .

ومرَّ خالد بن صفوان برجل صلبه الخليفة ، فقال : أنبتته
الطاعة ، وحصدته المعصية .

ومر اعرابي برجل صلبه السلطان ، فقال : مَنْ طَلَّقَ الدنيا
فالأخرة صاحبه ، ومن فارق الحقَّ فالجِدع راحلته .

ومن النطق بالدلالة ما حدَّث به العباس بن الفرج
الرياشي قال :

نزل النعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد العبادي في ظل
شجرة مورقة ليلهو النعمان هناك ، فقال له عدي : أبيت اللعن ،
أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟

قال : ما تقول ؟

١ اشحذ : اسن .

قال تقول :

رُبَّ شَرِبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا ، يَمْرُجُونَ الْحَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ ١
ثُمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ ، وَكَذَاكَ الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ
فَتَنَعَصْ عَلَى النِّعْمَانِ مَا هُوَ فِيهِ .

وقال رجلٌ لخالد بن صفوان : اذك لتكثير .
قال : أَكْثَرُ لَضْرِبَيْنِ ، أَحَدُهُمَا فِيمَا لَا تُغْنِي فِيهِ الْقِلَّةُ ،
وَالْآخَرُ لِمُتَمِرِينَ اللِّسَانَ ، فَإِنَّ حَبْسَهُ يُورِثُ الْعُقْلَةَ .

وكان خالد بن صفوان يقول : لا تكون بليغاً حتى تكلم
أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما تتكلم به في
نادي قومك .

وإنما اللسان عضو إذا مررتَه مران، وإذا تركته لكن ٢،
كاليد تحسنتها بالممارسة، والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما
أشبهه ، والرجل إذا عودت المشي مشت .

وكان نوفل بن مساحق إذا دخل على امرأته صمت، فإذا خرج

١ الشرب : الشاربون ، وهو اسم جمع .

٢ لكن : ثقل وعي .

عنها تكلم ، فقالت له : إذا كنت عندي سكتاً ، وإذا كنت
عند الناس تنطق ؟

قال : إني أجبلٌ عن دقيقتك وتدقيتين عن جليلي .

وذكر سيب بن شيبه خالد بن صفوان فقال : ليس له صديق
في السر ، ولا عدو في العلانية . وهذا كلام لا يعرف قدره
إلا أهل صناعته .

ودخل معن بن زائدة على المنصور يُقارب خطوه ، فقال
المنصور : لقد كبرت سنك .

قال : في طاعتك .

قال : وإنك جلد .

قال : على أعدائك .

قال : أرى فيك بقية .

قال : هي لك .

وكان عبد الله بن عباس بليغاً ، فقال فيه معاوية :

إذا قال لم يتترك مقالاً ، ولم يقف
لعيي ، ولم يثن اللسان على هجر

يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى ،
وَيَنْتَظِرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ

•
وتكلّم صَعَصَعَةً بنُ صُوحَانَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ، فَقَالَ
لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَهْرِكُ الْقَوْلُ ؟ قَالَ : الْجِيَادُ نَضَّاحَةٌ بِالْعَرَقِ .

•
وَكَتَبَ ابْنُ سَيَابَةَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ : إِنَّ الدَّهْرَ قَدْ كَلَّحَ
فَجْرَحَ ، وَطَمَحَ فَجَمَحَ ، وَأَفْسَدَ مَا صَلَحَ ، فَإِنْ لَمْ تُعَيْنْ
عَلَيْهِ فَضَحَ .

•
وَمَدَحَ رَجُلٌ مِنْ طَيِّءٍ كَلَامَ رَجُلٍ فَقَالَ : هَذَا الْكَلَامُ
يُكْتَفَى بِأَوْلَادِهِ ، وَيُسْتَفَى بِأَخْرَافِهِ .

•
وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : إِنَّ رِفْدَكَ لَسَنَجِيحٌ ، وَإِنَّ
خَيْرَكَ لَصَرِيحٌ ، وَإِنَّ مَنَعَكَ لَمُرِيحٌ .

•
وَدَخَلَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الشَّامَ وَهُوَ غَلَامٌ ، فَقَدَّمَ خَصْمًا
لَهُ إِلَى قَاضٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَتَقَدَّمُ شَيْخًا كَبِيرًا ؟
فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ !
قَالَ لَهُ : اسْكُتْ .

قال : فمن يَنْطِقُ بِجُجَّتِي ؟
قال : ما أَظُنُّكَ تقولُ حقًّا حتى تقوم .
قال : أشهد أن لا إله إلا الله .

فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر ؛ فقال :
اقض حاجته الساعةَ وأخرجه من الشام لا يُفسدِ عليَّ الناس .

ومن الأسجاع قولُ ابنِ القريَّةِ ، وقد دُعي لكلام
فاحتبس القولُ عليه فقال : قد طال السَّمْر ، وسَقَطَ القَمَر ،
واشْتَدَّ المطر ، فما أنتظر .

فأجابه فتىٌ من عبد القيس : قد طال الأرق ، وسَقَطَ
الشَّقَق ، فليَنْطِقْ من نَطَق .

قال أحمدُ بنُ يوسف الكاتب : دخلتُ على المأمون وبِيدِهِ
كتابُ لعمرو بنِ مسعدة ، وهو يُصعَّدُ في ذراه ويقوم
مرَّةً ويَقعدُ أخرى ، ففعل ذلك مراراً ثم التفت إليَّ فقال :
أحسبكَ مُفكِّراً فيما رأيتَ ؟

قلتُ : نعم ، وقى الله ، عزَّ وجلَّ ، أهير المؤمنين المكاره .
فقال : ليس بمكروه ، ولكن قرأتُ كلاماً نظيرَ خبرِ
خبرني به الرشيدُ ، سمعته يقول : إنَّ البلاغةَ لتتقاربُ من

المعنى البعيد وتباعده من حشو الكلام ، ودلالة بالقليل
على الكثير . فلم أتوهم أن هذا الكلام يستتب على هذه
الصفة حتى قرأت هذا الكتاب ، فكان استعطافاً على
الجند ، وهو :

كتابي الى أمير المؤمنين أيده الله ، ومن قبلي من أجناده
وقواده في الطاعة والانقياد على أفضل ما تكون عليه طاعة
جند تأخرت أروافهم واختلت أحوالهم .
فأمر بإعطائهم ثمانية أشهر .

•
ووقع جعفر البرمكي إلى كتابه : إن استطعتم أن
تكون كتبكم توقيعات فافعلوا .

وأمره هارون الرشيد أن يعزل أخاه الفضل عن الخاتم
ويأخذه إليه عزلاً لطيفاً . فكتب إليه : قد رأى أمير المؤمنين
أن ينقل خاتم خلافته من يمينك الى شمالك .

فكتب إليه الفضل : ما انتقلت عني نعمة صارت إليك ،
ولا خصتك دوني .

ووقع جعفر في رقة رجل تنصل إليه من ذنب :
تقدمت لك طاعة ، وظهرت منك نصيحة ، كانت بينهما نبوة ،
ولن تغلب سيئة حسنتين .

قال الفضل بن يحيى لأبيه : ما لنا نُسدي الى الناس
المعروف فلانرى من الشرور في وجوههم عند انصرافهم
ببرنا ما نراه في وجوههم عند انصرافهم ببرنا غيرنا ؟
فقال له يحيى : إن آمال الناس فينا أطول منها في غيرنا ،
وانما يُسرُّ الانسان بما بلَّغهُ أمله .

•
قيل ليحيى : ما الكرم ؟

قال : ملك في زيِّ مسكين .

قيل : فما الفرعة ؟

قال : مسكين في بطش عفريت .

قيل : فما الجود ؟

قال : عفو بعد قدرة .

•
أُتي المأمون برجل قد وجب عليه الحدُّ، فقال وهو يُضرب :

قتلتني يا أمير المؤمنين .

قال : الحقُّ قتلك .

قال : ارحمني .

قال : لست ارحمَ بك بمن أوجب عليك الحد .

١ الفرعة : التكبر ، والدهاء والمكر .

وسأل المأمونُ عبدَ الله بن طاهر في شيء، فأمرع في ذلك؛
فقال له المأمون : فإن الله، عزَّ وجلَّ، قد قطع عُذْرَ العَجُولِ بما
مكنه من التثبُّتِ ، وأوجب الحجَّةَ على القَلْبِ بما بَصَّرَه من
فضل الأناة .

قال : أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أكتبه ؟

قال : نعم ؛ فكتبه .

قال ابراهيم بن المهدي : قال لي المأمون : انت الحليفة الأسود؟
قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت مَنْتَ عليّ بالعفو ، وقد قال
عبد بني الحسحاس :

أشعارُ عبدِ بني الحسحاس قُمنَ له ،
عند الفخار ، مقامَ الاصلِ والورقِ

إن كنتُ عبداً فتنفسي حُرَّةٌ كَرَمًا ،
أو أسودَ الجِلْدِ إني أبيضُ الخُلُقِ

فقال المأمون : يا عمّ ، خرَّجك الهزلُ إلى الجِدِّ ؛ ثم أنشأ
يقول :

ليس يُزْرِي السوادُ بالرجلِ الشَّهْمُ ،
ولا بالفَتَى الأديبِ الأريبِ

إن يكن للسواد منك نصيب،
فببياض الأخلاق منك نصيبي

قال المأمون : أستحسن من قول الحكماء : الجودُ بَذل
الموجود، والبخل بَطْر بالمعبود، عز وجل .

قالت أمُّ جعفر زبيدة بنت جعفر للمأمون حين دخلت عليه
بعد قتل ابنها : الحمد لله الذي ادخرك لي لما أتكلمني ولدي ،
ما تكلمتُ ولدًا كنتَ لي عوضاً منه . فلما خرجت قال
المأمون لأحمد بن أبي خالد : ما ظننتُ أن نساءً يُجلن علي مثل
هذا الصبر .

وقال أبو جعفر لعمر بن عُبيد : أعنني بأصحابي
يا أبا عثمان ؛ قال : ارفع علم الحق يتبعك أهله .

آفات البلاغة

قال محمد بن منصور كاتب إبراهيم ، وكان شاعراً راوياً وطالباً للنحو علامة ، قال : سمعتُ أبا ذؤاد ، وجرى شيءٌ من ذكر الخطب وتمييز الكلام ، فقال : تلخيصُ المعاني رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق في غير أهل البادية نقص ، والنظر في عيون الناس عيٌّ ، ومسُّ اللحية كهلج ، والخروج عما بُني عليه الكلام إسهاب .

قال : وسمعتُه يقول : رأسُ الخطابة الطَّبَع ، وعمودها الدُّرْبَة ، وحليُّها الاعراب ، وبهاؤها تحيُّرُ اللفظ ، والمحبَّة مقرونة بقلَّة الاستكراه . وأنشدني بيتاً في خطباء إباد :

يَرْمُونَ بِالخُطْبِ الطَّوَالِ وتارةً وَحَيِّ المَلاَحِظِ خِيفَةَ الرُّقْبَاءِ

وقال ابن الاعرابي : قلت للفضل : ما الایجاز عندك ؟ قال : حَذَفُ الفُضُولِ ، وتقريب البعيد .

وتكلم ابنُ السَّمَاكِ يوماً وجارية له تسمع ، فلما دخل قال لها : كيف سمعتِ كلامي ؟ قالت : الى أن تفهَّمته من لم يفهِّمه يكون مله من ففهمه .

الحلم ودفع السيئة بالحسنة

قال الله، تبارك وتعالى: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا «ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» .

وقال رجلٌ لعمرو بن العاص : والله لأتفرغنَّ لك .

قال : هنالك وقعتَ في الشغل .

قال : كأنك تُهددني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولن لك عشرًا .

قال : وأنت والله لئن قلت لي عشرًا لم أقل لك واحدة .

وقال رجل لأبي بكر، رضي الله عنه : والله لأسبئنك سبًّا

يدخل القبرَ معك .

قال : معك يدخل لا معي .

وقيل لعمرو بن عبيد : لقد وقع فيك اليوم أيوب السخيتاني

حتى رحمتك ؛ قال : إياه فارحموا .

وشتم رجل الشعبي ، فقال له : ان كنت صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك .

وشتم رجل أبا ذرٍ فقال : يا هذا ، لا تغرق في شتمنا ودع للصالح موضعاً ، فإننا لا نكافيء من عصى الله فينا بأكثر من ان نطيع الله فيه .

ومرَّ المسيح بن مريم ، عليه الصلاة والسلام ، بقوم من اليهود ، فقالوا له شرّاً ، فقال خيراً ؛ فقيل له : انهم يقولون شرّاً وتقول لهم خيراً ؟ فقال : كل واحد يفتق بما عنده .

وقال الشاعر :

ثالبني عمرو وثالبته ، فأتهم المثلوب والثالب
قلت له خيراً وقال الحني ، كل على صاحبه كاذب

وقال آخر :

وذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ
يَحِلِّمِي عَنْهُ ، حِينَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ

١ الايات لعن بن أوس .

إِذَا سُمِّيَتْهُ وَصَلَ الْقَرَابَةَ سَامِنِي
فَقَطِيعَتَهَا ، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِثْمُ
فِدَاوَيْتُهُ بِالْحِلْمِ ، وَالْمَرْءُ قَادِرٌ
عَلَى سَهْمِهِ مَا كَانَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ

•
وعن النبي ، صلى الله عليه وسلم : ما تجرّع عبد في الدنيا
جرعة أحبّ الى الله من جرعة غيظ ردّها بحلم ، أو جرعة مصيبة
ردّها بصبر .

•
وكتب رجلٌ الى صديق له ، وبلغه انه وقع فيه :
لئن ساءَ لي أن نلتني بمساءة ،
لقد سرّني أنّي خطرتُ ببالك

•
وأنشد طاهر بن عبد العزيز :
إِذَا مَا حَلِيلِي أَسَا مَرَّةً ، وَقَدْ كَانَ فِيهَا مَضَى مُجْمِلًا
ذَكَرْتُ الْمَقْدَمَ مِنْ فِعْلِهِ ، فَلَمْ يُفْسِدِ الْآخِرُ الْأَوَّلًا

١ البيت لابن الدمينية .

صفة الحلم وما يصلح له

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلّمت الحلم ؟
قال : من قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ ، رأيتُه قاعداً بفناء
داره محتبياً بمائل سيفه يُحدّث قومه ؛ حتى أتى برجل
مكتوف ورجل مقتول ، فقيل له : هذا ابنُ أخيك قتل ابنك ؛
فوالله ما حلّ حبوتَه ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت الى ابن
أخيه فقال له : يا بن أخِي ، أثمت برَبِّك ، ورميت نفسك
بسَهْمِك ، وقتلت ابنَ عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بُني
فوارِ أخاك ، وحلِّ كِتاف ابن عمك ، وسقِ الى أمّه مائة
ناقة ديةَ ابنها فإنها غريبة . ثم أنشأ يقول :

إني امرؤ لا شأنٌ حَسبي دَنَسٌ يَهَجِّنُه ، ولا أفنُ
من منقَرٍ في بيت مكرُمة ، والغصن يَنْبُت حوله الغُصنُ
خطباء حين يقول قائلهم ؛ بيضُ الوجوه أَعْفَةٌ لُسُنُ
لا يَفْطَنون لعيَب جارهم ، وهم حَفِظ جِواره فُطُنُ

١ شأن : عائب . يهجنه : يقبحه . الأفن : ضعف الراي .

وقال رجل للأحنف بن قيس : عَلَّمَنِي الحِلْمَ يَا أَبَا بَجْر ؛
قال : هو الذلُّ يابن أخي ، أَقْتَصِرْ عَلَيْهِ ؟

•
وقال الأحنف : لستُ حليماً ولكني أتحملم .

•
وقيل له : مَنْ أَحْلَمُ : أنت أم معاوية ؟
قال : تالله ما رأيتُ أَجْهَلَ مِنْكُمْ ، إِنَّ مَعَاوِيَةَ يَقْدِرُ
فِيَحْلُمُ ، وَأَنَا أَحْلَمُ وَلَا أَقْدِرُ ، فَكَيْفَ أَقَاسَ عَلَيْهِ أَوْ أَدَانِيهِ !

•
وقال هشامُ بن عبد الملك خالداً بن صفوان : بَمَ بَلَغَ فِيكُمْ
الأَحْنَفُ مَا بَلَغَ ؟
قال : إِنَّ شَتَّ أَخْبَرْتُكَ بِحِلَّةٍ ، وَإِنْ شَتَّتَ بِحِلَّتَيْنِ ،
وَإِنْ شَتَّتَ بِثَلَاثٍ .

قال : فَمَا الحِلَّةُ ؟

قال : كَانَ أَقْوَى النَّاسِ عَلَى نَفْسِهِ .

قال : فَمَا الحِلَّتَانِ ؟

قال : كَانَ مُوَقَّسَى الشَّرِّ مُمْلَقَسَى الخَيْرِ ؟

قال : فَمَا الثَّلَاثُ ؟

قال : كَانَ لَا يَجْهَلُ وَلَا يَبْغِي وَلَا يَبْخُلُ .

وقيل لقيس بن عاصم : ما الحليم ؟
قال : أن تصل من قطعك ، وتُعطي من حرَمك ،
وتعفو عن ظلمك .

وقالوا : ما قُرن شيء إلى شيء أزين من حليم إلى عليم ،
ومن عفو إلى قُدرة .

وقال لقمان الحكيم : ثلاثة لا تعرفهم إلا في ثلاثة : لا
تعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ،
ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه .

وقال الشاعر :

ليست الأحلام في حين الرضا ، إنما الأحلام في حين الغضب

وفي الحديث : أقرب ما يكون المرء من غضب الله
إذا غضب .

وقال الحسن : المؤمن حليم لا يجهل وإن جهل عليه ؛ وتلا
قول الله ، عز وجل : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً .

وقال معاوية : إني لأستحي من ربي أن يكون ذنبي

أعظمَ من عفوي ، أو جهلُهُ أكبرَ من حلمي ، أو عورةٌ لا
أوارها بستري .

وقال مُورِّقُ العِجْلِيِّ : ما تكلمتُ في الغضبِ بكلمة
ندمتُ عليها في الرضا .

وقال يزيدُ بن أبي حبيب : إنما عَضِي في نَعْلِي ، فإذا
سمعتُ ما أكره أخذتُهما ومَضيت .

وقالوا : إذا غَضِبَ الرجلُ فليَسْتَلِقِ على قفاه ، وإذا عَيِ
فليُراوِحَ بين رِجْلَيْهِ .

وقيل للأحنف : ما الحِلْمُ ؟ فقال : قولٌ إن لم يكن فِعْلٌ ،
وصَمْتُ إن ضَرَّ قول .

وقال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه :
مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ ، وَجِبَتْ مَحَبَّتُهُ .
وقال : حِلْمُكَ عَلَى السَّفِيهِ يُكَثِّرُ أَنْصَارَكَ عَلَيْهِ .

وقال الأحنف : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ .

وقال : رَبِّ غَيْظٍ تَجَرَّعْتَهُ مَخَافَةَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ . وَأَنْشُد :

رَضِيتُ بِبَعْضِ الذُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ ،
كَذَلِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وَأَسْمَعَ رَجُلٌ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ ، فَقَالَ :
لَا عَلَيْكَ ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يَسْتَفْزِعُنِي الشَّيْطَانُ بِعِزَّةِ السُّلْطَانِ ،
فَأَنَالَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالَهُ مِنِّي غَدًا ، أَنْصَرَفَ إِذَا سَنَتَ .

وقال الشاعرُ في هذا المعنى :

لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا ،
حَتَّى يَبْذُلُوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمُوا فَيَتَرَى الْأُلْوَانَ كَاسْفَةً ،
لَا ذُلٌّ عَجْزٌ وَلَكِنْ ذُلٌّ أَحْلَامُ .

ولآخر :

إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَعْضَى كَأَنَّه
ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ ، وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرُ

وأحسن بيت في الحليم قولُ كعب بن زهير :
إذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجهل والحقنى ،
أصبتَ حليماً ، أو أصابك جاهلٌ

وقال الأحنفُ : آفةُ الحليمِ الذلُّ .

وقال : لا حليم لمن لا سفيه له .

وقال : ما قلُّ سُفهاء قومٍ إلا ذكوا . وأنشد :

لا بُدَّ للسُّودَدِ من رِماحٍ ، ومن رجالٍ مُصَلَّتِي السَّلَاحِ
يُدَافِعُونَ دُونَهُ بِالرِّاحِ ، ومن سفيهٍ دائمِ التُّشَابِحِ

وقال التَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ :

ولا خَيْرَ في حليمٍ ، إذا لم تكن له
بِوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَةٍ أَنْ يُكَدِّرَا

ولا خَيْرَ في جَهِلٍ ، إذا لم يكن له
حَلِيمٌ ، إذا ما أورد الأمرُ أُصدرا

ولما أنشدَ هذين البيتينِ للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا
يَفْضُضُ اللهُ فاكُ ، فعاش مائةً وثلاثين سنةً لم تنغصَّ له ثَبِيَّةٌ .

١ تنغص : تضطرب وتحرك .

وقالوا : لا يظهر الحِلْم إلا مع الانتصار ، كما لا يظهر العفو
إلا مع الاقتدار .

وقال الأصمعيّ : سمعتُ أعرابياً يقول : كان سِنانُ بن
أبي حارثة أحلمَ من فرخ الطائر .
قلت : وما حِلْم فرخ الطائر ؟
قال : إنه يخرج من بيضة في رأس نيقٍ ولا يتحوّل حتى
يتوفر ريشه ، ويقوى على الطيران .

وللأشدّندانى :

وفي اللّين صَعْفٌ ، والشّراسة هَيْبَةٌ ؛
ومن لا يُهَبُّ يُحْمَلُ على مَرَكَبٍ وَعَرَبٍ
وللفقرُ خَيْرٌ من غِنَى في دَناءة ؛
وللموتُ خَيْرٌ من حَيَاة على صُغرٍ
وما كُلٌّ حين يَنْفَع الحِلْمُ أهْلَهُ ؛
ولا كُلٌّ حالٍ يَقْبُحُ الجَهْلُ بالصَّبْرِ

١ النيق : ارفع موضع في الجبل .

وما يبى على من لان لي من فظاظه ،
ولكنني فظّ أبي على القمسر

•
وقال آخر في مدح الحلم :

إني أرى الحليم محموداً عواقبه ،
والجهل أفتى من الأقوام أقواماً

•
ولسابق :

ألم ترَ أنّ الحليمَ زينٌ مُسوّدٌ
لصاحبه ، والجهلَ للمرءِ شائنٌ ؟
فكن دافئاً للجهل بالحلم تستريح
من الجهل ، إنّ الحليمَ للجهل دافين

•
ولغيره :

ألا إنّ حلم المرء أكبر نسبة
يسامي بها ، عند الفخار ، كريم
فيا ربّ هب لي منك حلماً ، فإنني
أرى الحليم لم يندم عليه حلیم

وقال بعض الحكماء : ما حَلَاحَ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ عَيْظِ
أَجْرَعِهِ .

وقال بعضهم :

وَفِي الْحِلْمِ رَدْعٌ لِّلسَّفِيهِ عَنِ الْأَدَى ؛
وَفِي الْخُرْقِ إِغْرَاءٌ فَلَا تَكُ أَخْرَقَا
فَتَنْدَمَ ، إِذْ لَا تَنْفَعَنَّكَ نِدَامَةٌ ،
كَمَا تَدِمُ الْمَغْبُونُ لِمَا تَفَرَّقَا

وقال عليّ ، عليه السلام : أول عوض الحليم عن حلمه أن
الناس أنصاره على الجاهل .

سئل كسرى أنوشروان : ما قدر الحليم ؟
فقال : وكيف تعرف قدر ما لم ير كآله أحد ؟

وقال معاوية لخالد بن المعمر : كيف حببك لعلي بن أبي
طالب ، عليه السلام ؟

١ الخرق : السفه .

قال : أحبّه لثلاث خصال : على حمله إذا غضب ، وعلى
صدقه إذا قال ، وعلى وفائه إذا وعد .

•
وكان يقال : ثلاثٌ من كُنَّ فيه استكمل الإيمان : من
إذا عَضِبَ لم يُخْرِجْهُ عَضْبُهُ عن الحقِّ ؛ ومن إذا رَضِيَ لم
يُخْرِجْهُ رِضاهُ إلى الظُّلمِ والباطل ؛ ومن إذا قَدَرَ لم يَتَنَاول
ما ليس له .

•
وقال عمرُ بن الخطاب ، رضي الله عنه : إذا سَمِعْتَ الكَلِمَةَ
تُؤَذِيكَ فطَأَطِيءْ لها حتى تَتَخَطَّأَكَ .

•
وقال الحسن : إنما يُعرف الحِلْمُ عند الغضب ، فإذا لم تغضب
لم تكن حليماً .

•
وقال الشاعر :

وليس يَتِمُّ الحِلْمُ للمرءِ راضياً ،
إذا هو عند السُّخْطِ لم يَتَحَلَّمْ .

كما لا يَتِمُّ الجُودُ للمرءِ مُوسراً ،
إذا هو عند العُسْرِ لم يَتَجَسَّمْ .

وقال بعض الحكماء : إن أفضل وادٍ ، تُرى به ، الحليمُ ،
فإذا لم تكن حليماً فتحلّم ، فإذا لم تكن عليماً فتعلّم ، فقلّما
تشبهه رجلٌ بقوم الا كان منهم .

وقال بعضهم : الحلمُ عُدَّةٌ على السفّيه ، لأنك لا تقابل
سفيهاً بالاعراض عنه والاستخفاف بفعله الا أدلته .

ويقال : ليس الحليم من ظلم فحلّم حتى إذا قدّر انتقم ،
ولكنّ الحليم من ظلم فحلّم ثم قدّر فعفا .

وللأحنف أو غيره :

ولرُبّما ضحك الحليم من الأذى ، وفؤاده من حرّه يتأوّه
ولرُبّما شكّل الحليم لسانه ، حدّرَ الجواب ، وإنّه لمفوّه

وقيل : ما استبّ^١ اثنان إلا غلب الأُمهما .

وقال الأحنف : وجدتُ الحلم أنصرَ لي من الرجال .

١ استبّ : تشاتم .

وقال بعضهم : إيتاك وعزّة الغضب فإنها تُصيرك الى
ذلّ الاعتذار .

وقيل : من حلّم ساد ، ومن تفهّم ازداد .

وقال الأحنف : ما نازعني أحدٌ قطُّ إلا أخذتُ امرئ
بإحدى ثلاث : إن كان فوقي عرفتُ قدره ؛ وإن كان دوني
أكرمتُ نفسي عنه ؛ وإن كان مثلي تفضّلتُ عليه .

ولقد أحسن الذي أخذ هذا المعنى فنظّمه فقال :

إذا كان دوني من بُليتُ بجَهْلِهِ ،
أبيتُ لنفسي أن تُقارع بالجهلِ
وإن كان مثلي ، ثم جاءَ بزلّةٍ ،
هويتُ لصفحي أن يُضاف الى العدلِ
وإن كنتُ أدنى منه قدراً ومنصباً ،
عرفتُ له حقَّ التقديم والفضلِ

وفي مثله قال بعضُ الشعراء :

سألزِم نفسي الصّفحَ عن كلِّ مُذنبٍ ،
وإن كُثرتُ منه اليَّ الجرائمُ

وما الناسُ إلاَّ واحدٌ من ثلاثة :
شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاومٌ
فأمّا الذي فوقِ فأعرِفَ فضلَه ،
وأتبع فيه الحقَّ ، والحقُّ قائمٌ
وأمّا الذي دوني ، فإن قال صنتُ ، عن
إجابته ، نفسي ، وإن لامَ لامٌ
وأمّا الذي مثلي ، فإن زلَّ أو هفا ،
تفضلتُ إنَّ الفضلَ للحُرِّ لازمٌ

•
ولأصرم بن قيس ، ويُقال إنها لعلِّي عليه السلام :

أصمُّ عن الكلامِ المُحفظاتِ ؛ وأحلّم والحلمُ بي أشبهُ
وإني لأتركُ جُلَّ الكلامِ ، لئلا أُجابَ بما أكرهُ
إذا ما اجتورتُ سِفاه السِّفيهِ عليّ ، فإني أنا الأسفهُ
فلا تغتور برؤاء الرِّجالِ ، وما زخرَ فوالك ، أو موّهوا
فكم من فتى يُعجبُ الناظرينَ ، له ألسنٌ وله أوجهُ
ينام إذا حضرَ المكرُماتِ ، وعند الدّناءةِ يَسْتَبهُ

•
وللحسن بن رجا :

أحبُّ مكارم الأخلاقِ جَهدِي ، وأكره أن أعيب وأن أعابا

وأصْفَحَ عن سبَابِ النَّاسِ حِلْمًا ؛ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السَّبَابَا
وَمَنْ هَابَ الرَّجَالَ تَهَيَّبُوهُ ؛ وَمَنْ حَقَّرَ الرَّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا
وَمَنْ قَضَتِ الرَّجَالَ لَهُ حُقُوقًا ، وَلَمْ يَقْضِ الْحُقُوقَ فَمَا أَصَابَا

•
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمَا : مَنْ حَلِمَ وَقَى
عِرْضَهُ ، وَمَنْ جَادَتْ كَفَّتْهُ حَسُنُ ثَنَاؤُهُ ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَالَهُ
اسْتَفْنَى ، وَمَنْ أَحْتَمَلَ الْمَكْرُوهَ كَثُرَتْ مَحَاسِنُهُ ، وَمَنْ صَبَرَ
حُمِدَ أَمْرُهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ فَشَا إِحْسَانُهُ ، وَمَنْ عَفَا عَنِ
الذُّنُوبِ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ ، وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ كَفَاهُ مَا أَهَمَّهُ .

•
وَسَأَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَبِيرًا مِنْ كُبَرَاءِ
الْفُرْسِ : أَيُّ شَيْءٍ لُمُو كَيْفَ كَانَ أَحْمَدَ عِنْدَكُمْ ؟
قَالَ : كَانَ لِأَرْدَشِيرِ فَضْلَ السَّبْتِ فِي الْمَمْلَكَةِ ، غَيْرَ أَنَّ
أَحْمَدَ هُمْ سِيرَةً أَنْوَشِرُونَ .

قَالَ : فَأَيُّ أَخْلَاقِهِ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ ؟

قَالَ : الْحِلْمُ وَالْإِنَاءَةُ .

قَالَ : هُمَا تَوْأَمَانِ يُنْتَجِمُهُمَا عُلوُّ الْهَمَةِ .

•
وَلِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْوَرِثَاقُ :

إِنِّي وَهَبْتُ لِظُلْمِي ظُلْمِي ، وَغَفَرْتُ ذَاكَ لِي عَلَى عِلْمِ

ورأيتُه أسدى إليّ يداً ، لما أبان بجَهله حِلْمِي
رجعتُ إساءته عليه ، وإحْساني إليّ مُضاعَفَ الغنمِ
وعَدوتُ ذا أجرٍ ومَحْمَدَةٍ ؛ وغدا بكسبِ الظلمِ والايِّمِ
وكأنما الاحسانُ كان له ، وأنا المُسيءُ اليه في الحُكْمِ
ما زال يظلمني وأرحمَه ، حتى رثيتُ له من الظلمِ

ولمحمد بن زياد يصفُ حُلَماءَ :

نَخَلَهُمْ فِي النَّاسِ صُمًّا عَنِ الْحَسَنِ ،
وخرُساً عَنِ الْفَجْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاجُرِ
ومَرَضِي ، إِذَا التَّوَقُّوْا ، حِيَاءً وَعِفَّةً ،
وعِنْدَ الحِفَاطِ كَاللثِيوِثِ الحَوَادِرِ
كَأَنَّ لَهُمْ وَصْمًا يَخَافُونَ عَارَهُ ،
وما ذاكُ إِلَّا لِاتِّقَاءِ المَعَايِرِ

وله أيضاً :

وَأَرَفَعَ نَفْسِي عَنِ نَفُوسِ ، وَرُبَّمَا
تَدَلَّلْتُ فِي إِكْرَامِهَا لِنَفُوسِ

١ اللبوث الحوادير : الاسود الملازمة عرائنها .

وإن رامي يوماً خسيساً بجبهله،
أبي الله أن أرضى بعيرض خسيس

قال وهب : مكتوب في الإنجيل : لا ينبغي للإمام
ان يكون جائراً ومنه يلتبس العدل ، ولا سفيهاً ومنه
يقتبس الحلم .

ولبعضهم :

وإذا استشارك من تودد ، فقل له :
أطع الحليم ، إذا الحليم نهاكا
واعلم بأنك لن تسود ، ولن تترى
سبل الرشايد ، إذا أطعت هواكا

وقال آخر :

وكن معدناً للحلم ، واصفح عن الأذى ،
فإنك راء ، ما عملت ، وسامع
وأحبيب ، إذا أحببت ، حُباً مقارباً ،
فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض ، إذا أبغضت ، غير مبين ،
فإنك لا تدري متى أنت راجع

السودد

قيل لعدي بن حاتم : ما السودد ؟

قال : السيّد الأحمق في مالِه ، الذليل في عِرْضِه ، المطرّح
لِحْفده .

وقيل لقيس بن عاصم : بمّ سوّدك قومك ؟

قال : بكفّ الأذى ، وبذل الندى ، ونصر المولى .

وقال رجلٌ للأحنف : بمّ سوّدك قومك وما أنت بأشرفهم

بيتاً ، ولا أصبحهم وجهاً ، ولا أحسنهم خلقاً ؟

قال : بخلاف ما فيك يا بن أخي ؛ قال : وما ذاك ؟

قال : بتزكّي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري

ما لا يعنيك .

وقال عمرُ بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، لرجل : من

سيّد قومك ؟

قال : أنا .

قال : كذبت ، لو كنت كذلك لم تقله .

وقال ابن الكلبي : قدم أوس بن حارثة بن لأم الطائيّ وحاتم
ابن عبد الله الطائيّ على النعمان بن المنذر ، فقال لإياس بن قبيصة
الطائيّ : أيهما أفضل ؟

قال : أبيتَ اللعن أيها الملك ، إني من أحدهما ، ولكن سلهما
عن أنفسهما فإنهما يخبرانك .

فدخل عليه أوس ، فقال : أنت أفضل أم حاتم ؟

فقال : أبيتَ اللعن ، ان أدنى ولد حاتم أفضلُ مني ، ولو
كنتُ أنا وولدي ومالي لحاتم لأنهبنا في غداة واحدة .

ثم دخل عليه حاتم ، فقال له : أنت أفضل أم أوس ؟

فقال : أبيتَ اللعن ، ان أدنى ولد لأوس أفضل مني .

فقال النعمان : هذا والله السودد ؛ وأمر لكل واحد منهما

بمائة من الإبل .

وسأل عبدُ الملك بن مروان روحَ بن زنباع عن مالك

ابن مِسمع ، فقال : لو غضبَ مالكٌ لغضبِ معه مائةُ ألف

سيف لا يسأله واحدٌ منهم : لم غضبتَ ؟

فقال عبدُ الملك : هذا والله السُّودد .

أبو حاتم عن العُتبي قال : أهدى ملكُ اليمن سبعَ جزائرٍ
إلى مكة ، وأوصى أن يَنحَرها أعزُّ قرشيٍّ بها ، فأنت وأبو
سفيان عروس بهند ، فقالت له هِنْد : يا هذا ، لا تَشغلك
النِّساء عن هذه الأكرومة التي لعلَّك أن تُسبِّقَ إليها ؛ فقال
ها : يا هذه ، ذري زوجك وما اختار لنفسه ، فوالله لا نحرها
أحدٌ إلا نحرته . فكانت في عُقلها حتى خرجَ إليها بعد
السابع فنَحَرها .

ونظر رجلٌ إلى مُعاوية ، وهو غلام صغير ، فقال : إني
أظن أن هذا الغلام سيسود قومه ؛ فسمعتُه أمه هند فقالت :
ثكلتهُ إذاً إن لم يسُد غيرَ قومه .

ودخل صَمرة بن صَمرة على النُّعمان بن المُنذر ، وكانت
به دَمامة شديدة ، فالتفت النُّعمانُ إلى أصحابه ، وقال : تَسْمع
بالمُعديِّ خيراً من أن تراه .

فقال : أيها الملك ، إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فإن
قال قال ببيان ، وإن قاتل قاتل بِجَنان .

١ الجزائر ، واحدها جزيرة : كل شيء مباح للذبح .

قال : صدقت ، وبحقِّ سوّدك قومك .

وقيل لعرابة الأوسيّ : بم سوّدك قومك ؟
قال : بأربع خِلال : أنخدع لهم في مالي ، وأذلّ لهم في
عِرضي ، ولا أحقِر صغيرهم ، ولا أحسد كبيرهم .
وفي عرابة الأوسيّ يقول الشَّمَّاخ ، وهو ابن ضِرار :
رأيتُ عرابةَ الأوسيّ يَسْمُو إلى الخِيراتِ ، مُنقطعَ القرين
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ ، تلقّاها عرابة باليمين

وقالوا : يسود الرجل بأربعة أشياء : بالعقل والأدب
والعلم والمال .

وكان سلم بن نوفل سيّد بني كِنانة ، فوثب رجلٌ على
ابنه وابن أخيه ، فجرّحهما ، فأتي به ، فقال له : ما أمّك
من انتقامي ؟
قال : فلم سوّدناك إذآ ، إلا أن تكظم الغيظ ، وتحلّم
عن الجاهل ، وتحتمل المكروه .

فخلّى سبيلَه . فقال فيه الشاعر :

يُسوّد أقوامٌ ، وليسوا بسادة ،
بل السيّد الصنديد سلم بن نوفل

وقال ابن الكلبي : قال لي خالدُ العنبريُّ : ما تَعَدُّون
السُّودد ؟

قلت : أما في الجاهليَّة فالرِّياسة ، وأما في الإسلام
فالولاية ، وخير من ذا وذاك التقوى .

قال : صدقت ؛ كان أبي يقول : لم يُدرك الأوَّلُ الشرفَ
إِلَّا بالعقل ، ولم يُدرك الآخرُ إلاَّ بما أدرك به الأوَّل .
قلتُ له : صدق أبوك ، إنَّما ساد الأحنفُ بن قيسٍ بحلمه ،
ومالكُ بن مِسمعٍ بحُبِّ العشيرةِ له ، وقتيبةُ بن مُسلمٍ بدهائه ،
وساد المهلبُ بهذه الحلالِ كلها .

•
الأصمعي قال : قيل لأعرابي يقال له مُنتَجِع بن نَبهان :
ما السَّميدع ؟ قال : السيد الموطأ الأكناف .

•
وكان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يُفرَّش له فراش في
بيته في وقت خلافته ، فلا يجلس عليه أحدٌ إلاَّ العباس بن عبد
المطلب ، وأبو سفيان بن حرب .

•
وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لأبي سفيان : كلُّ الصِّيدِ
في جوف القَرأ . والقرأ : الحمار الوحشي ، وهو مَهْموز ،

وجمعه فراء . ومعناه : أنه في الناس مثل الحِمار الوحشي في
الوحش .

•
ودخل عمرو بن العاص مكة ، فرأى قوماً من قريش قد
تحلَّقوا حلقة ، فلما رأوه رموا بأبصارهم اليه ، فعدل اليهم ، فقال :
أحسبكم كنتم في شيء من ذكري ؟
قالوا : أجل ، كنا نُمائل بينك وبين أخيك هشام ، أيكما
أفضل .

فقال عمرو : إن لهشام عليّ أربعة : أمه ابنة هشام بن
المغيرة ، وأمي من قد عرفتكم ؛ وكان أحبّ الناس الى أبيه
منّي ، وقد عرفتكم معرفة الوالد بالولد ؛ وأسلم قبلي ؛ واستشهد
وبقيت .

•
قال قيسُ بن عاصم لبنيهِ لما حضرته الوفاة : يا بنيّ ،
احفظوا عني فلا أحدَ أنصح لكم مني ، أمّا إذا أنا متُّ
فسودّوا كيباركم ولا تسودّوا صغاركم ، فيحقّر الناسُ
كيباركم .

•
وقال الأحنف بن قيس : السودد مع السواد .
وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير ، أحدهما أن يكون

أراد بالسواد سوادَ الشَّعر ، يقول : من لم يَسُدْ مع الحدائث
لم يَسُدْ مع الشيخوخة . والوجه الآخر ، أن يكون أراد
بالسواد سواد الناس ودهماءهم ، يقول : من لم يَطِرْ له اسمٌ على
السنة العامة بالسودد لم يَنْفَعه ما طارَ له في الخاصة .

•
وقال أبان بن مَسلمة :

ولَسْنَا كَقَوْمٍ مُخَدَّيْنِ سِيَادَةٍ
يُرَى مَا لَهَا ، وَلَا تُحَسُّ فَعَالُهَا
مَسَاعِيهِمْ مَقْصُورَةٌ فِي بُيُوتِهِمْ ،
وَمَسْعَاتِنَا ذُبْيَانُ طُرّاً عِيَالُهَا

•
الهِيم بن عدي قال : لما انفرد سُفيان بن عُيينة ومات
نُظراؤه من العلماء تكاثرت الناس عليه ، فأنشأ يقول :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ ،
وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالشُّودِدِ

سودد الرجل بنفسه

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : من أسرع به عمله لم يُبطيء به حسبه ، ومن أبطأ به عمله لم يُسرعه به حسبه .

وقال قسُّ بن ساعدة : من فاتته حسبُ نفسه لم ينفعه حسب أبيه .

وقالوا : اتما الناس بأبدانهم .

وقال الشاعر :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا ، وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِفْدَامَا

وقال عبدُ الله بن معاوية :

لَسْنَا ، وَإِنْ كَرُمْتَ أَوَائِلُنَا ، يَوْمًا ، عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ، وَنَفْعَلْ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

١ عصام : عبد كان للنعمان بن المنذر .

وقال قيسُ بن ساعدة: لأقْضينَ بينَ العربِ بقضيةٍ لم يَقْضِ
بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي ، وَلَا يَرُدُّهَا أَحَدٌ بَعْدِي ، أَيُّمَا رَجُلٌ رَمَى رَجُلًا
بِمَلَامَةٍ دُونَهَا كَرَمٌ فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ ، وَأَيُّمَا رَجُلٌ ادَّعَى كَرَمًا دُونَهُ
لَوْمٌ فَلَا كَرَمَ لَهُ .

وقالت عائشةُ ، رضي اللهُ عنها : كَلُّ كَرَمٍ دُونَهُ لَوْمٌ
فَاللَّوْمُ أَوْلَى بِهِ ، وَكُلُّ لَوْمٍ دُونَهُ كَرَمٌ فَالْكَرَمُ أَوْلَى بِهِ .
تريد أن أولى الأمور بالإنسان خصال نفسه ، فإن كان
كريمًا وآبؤه لئام لم يضره ذلك ، وإن كان لئيمًا وآبؤه كرام
لم ينفعه ذلك .

وقال عامر بن الطفيل العامري :

وإِنِّي ، وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ
وَفَارِسِيهَا الْمَشْهُورِ فِي كُلِّ مَوْكِبٍ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاثَةٍ ،
أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُوَ بِجَدِّ وَلَا أَبٍ
وَلَكِنِّي أَحْمِي حِمَاها ، وَأَتَّقِي
أَذَاهَا ، وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِي

وتكلم رجلٌ عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه
كل مذهب ، فأعجب عبد الملك ما سمع من كلامه ، فقال له :
ابن من أنت ؟

قال : أنا ابنُ نَفْسِي يا أميرَ المؤمنين التي بها توصلت إليك .
قال : صدقت .

فأخذ الشاعر هذا المعنى ، فقال :

ماليَ عقلي ، وهِمَّتِي حَسْبِي ، ما أنا مَوْلى ، ولا أنا عَرَبِي
إِذَا انْتَمَى مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ ، فَإِنِّي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

وقال بعض المحدثين :

رَأَيْتُ رِجَالَ بَنِي دَالِقٍ مُلُوكًا ، بِفَضْلِ تِجَارَاتِهِمْ
وَبِرْبُونَا ، عِنْدَ حَيْطَانِهِمْ ، يَخْبُوضُونَ فِي ذِكْرِ أَمْوَاتِهِمْ

المروءة

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : لا دين الا بمروءة .

وقال ربعة الرأي : المروءة ست خصال : ثلاث في الحُضْر وثلاث في السَّفَر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد، وحُسن الخلق، ومداعبة الرفيق؛ وأما التي في الحُضْر : فتلاوة القرآن، ولزوم المساجد ، والعفاف .

وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : المروءة مروءتان : مروءة ظاهرة ، ومروءة باطنة ، فالمروءة الظاهرة الرياش^١ ، والمروءة الباطنة العفاف .

وقدم وفد على معاوية فقال لهم : ما تَعُدُّون المروءة ؟
قالوا : العفاف واصلاح المعيشة .
قال : اسمع يا يزيد .

١ الرياش : المال .

وقيل لأبي هريرة : ما المروءة ؟
قال : تقوى الله وتفقد الضيعة .

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟
قال : العفة والحرفة .

وقال عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما : إننا معشر
قريش لا نعدُّ الحليم والجودُ سودداً ، ونعدُّ العفاف وإصلاح
المال مروءة .

قال الأحنف : لا مروءة لكذوب ، ولا سودد لبخيل ،
ولا ورع لسيء الخلق .

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : تجاوزوا لذوي المروءات
عن عثراتهم ، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده
لبسيد الله .

وقال العنبي عن أبيه : لا تتمُّ مروءة الرجل إلاً بخمس :
أن يكون عالمياً ، صادقاً ، عاقلاً ، ذا بيان ، مُستغنياً
عن الناس .

وقال الشاعر :

وما المرءُ إلاَّ حيثُ يجعلُ نفسه ،
ففي صالحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاجعلِ

•
وقيل لعبد الملك بن مروان : أكان مُصعب بن الزُّبَيْرِ
يَشرب الطَّلأَ ؟
فقال : لو عَلِمَ مُصعبُ أنَّ الماءَ يُفسِدُ مِروءته ما شَرِبَه .

•
وقالوا : من أخذ من الدَّيِّكِ ثلاثةَ أشياء ، ومن الغُرَابِ
ثلاثةَ أشياء ، تمَّ بها أدبُه ومِروءته : من أخذ من الدَّيِّكِ
سَخاه و شجاعته وغيَرتَه ، ومن الغُرَابِ بُكوره لطلبِ
الرِّزقِ وشدَّةَ حَدَرِه وسِتْرَ سِفاده .

طبقات الرجال

قال خالدُ بنُ صَفْوان : الناسُ ثلاثُ طبقات : طبقة علماء ،
وطبقة خطباء ، وطبقة أدباء ؛ ورجرجة^١ بين ذلك يُعلّون
الأسعار ، ويضيقون الأسواق ، ويكدّرون المياه .

وقال الحسن : الرجال ثلاثة : فرجل كالغذاء لا يُستغنى
عنه ، ورجل كالدواء لا يُحتاج إليه إلاّ حيناً بعد حين ، ورجل
كالدواء لا يُحتاج إليه أبداً .

وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : فرجل يدري
ويدري أنه يدري ، فذلك عالم فسكّوه ، ورجل يدري ولا
يدري أنه يدري ، فذلك النَّاسي فذكّروه ، ورجل لا يدري
ويدري أنه لا يدري ، فذلك الجاهل فعلمّوه ، ورجل
لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ، فذلك الأحمقُ فارفضوه .

١ الرجرجة : ضعفاء العقول .

وقال الشاعر :

أليس من البلوى بأنك جاهلٌ،
وأنت لا تدري بأنك لا تدري؟
إذا كنت لا تدري ولست كمن درى،
فكيف إذاً تدري بأنك لا تدري؟

•
ولآخر :

وما الداء إلا أن تُعلِّمَ جاهلاً،
ويزعمُ جاهلاً أنه منك أعلمُ

•
وقال عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : الناس ثلاثة :
عالمٌ ربّاني ، ومُتعلِّمٌ على سبيل نجاة ، ورعاع همجٌ يميلون
مع كل ريح .

•
وقالت الحكماء : الاخوانُ ثلاثة : فأخٌ يُخلِّصُ لك ودّه ،
ويَبْدُلُ لك رِفدَه ، ويستفِرغ في مُهمِّك جُهدَه ، وأخٌ ذو
نيّةٍ يقتصر بك على حُسن نيّته دون رِفده ومعوّنته ، وأخٌ
يتملّق لك بلباساته ، ويتشاغل عنك بشانه ، ويوسعك من
كذبِه وأيّمانه .

وقال الشعبيّ : مرّ رجُلٌ بعَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ، فقال
لأصحابه : هذا لا يَعْلَمُ ، ولا يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ ، ولا يَتَعَلَّمُ
مَنْ يَعْلَمُ .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : كن عالماً أو متعلماً
ولا تكن الثالثةَ فَتَهْلِكُ .

الغوغاء

الغوغاء : الدِّبَا ، وهي صِغار الجَرَاد ، وشُبَّه بها
سوادُ الناس .

وذكر الغوغاء عند عبد الله بن عباس فقال : ما اجتمعوا
قطُّ إلاَّ ضرُّوا ، ولا افترقوا إلاَّ نفعوا .

وقيل له : قد عَلِمْنَا ما أضرَّ اجتماعهم ، فما نفعُ افتراقهم ؟
قال : يذهب الحجام الى دُكانه ، والحداد الى أكياره ،
وكلُّ صانع الى صناعته .

ونظر عمرُ بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، الى قوم يتبعون
رجلاً أخذ في رِيبة ، فقال : لا مَرَجَباً بهذه الوجوه التي لا
ترى إلاَّ في كلِّ شرٍّ .

وقال حميب بن أوس الطائي :

إن شئتَ أن يسودَّ ظنُّك كبُلِّه ،
فأجلُّه في هذا السَّوادِ الأعظمِ .

وقال دَعْبِل :

ما أكثرَ الناسَ ، لا بل ما أقلَّهمُ ،
اللهُ يعلمُ أني لم أقلُّ فنَدا
إني لأفتح عَيني ، حينَ أفتَحُها ،
على كثيرٍ ، ولكن لا أرى أحدا

الثقلاء

قالت عائشة أمُّ المؤمنين ، رضي الله عنها : نزلت آيةٌ في الثقلاء : فإذا طَعِمْتُمْ فانتَشَرُوا ولا مُسْتَأْسِنِينَ حَدِيث .

وقال الشعبي : من فاتته رَكْعَتَا الفجر فليلعن الثقلاء .

وقيل لجالينوس : بِمَ صار الرجلُ الثقيلُ أَثْقَلَ من الحِمْلِ الثقيلِ ؟

فقال : لأنَّ الرجلَ الثقيلَ إِنَّمَا ثَقَلَهُ على القلبِ دون الجوارح .
والحمل الثقيل يستعين فيه المرء بالجوارح .

وقال سهل بن هارون : من ثَقُلَ عليك بنفسه ، وغَمَّكَ بسؤاله ، فأعِرِه أَذْنًا صَمًّا ، وَعَيْنًا عَمِيَاء .

وكان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً ، قال : اللهم اغفر له وأرخنا منه .

وكان الأعمشُ إذا حضرَ مجلسه ثقيلٌ يقول :
فما الفيلُ ، تَحْمِلُهُ مَيْتًا ، بأثقلَ من بعضِ جِلاَسِنَا

وقال أبو حَنِيفَةَ للأعمش ، وأتاه عائداً في مرضه : لولا أن
أثقلَ عليكَ أبا محمدَ لعدتكَ واللهِ في كلِّ يومٍ مرتين ؛ فقال
له الأعمش : واللهِ يا ابنَ أخي ، أنت ثقيلٌ عليَّ وأنت في بيتك ،
فكيف لو جِئْتَنِي في كلِّ يومٍ مرتين !

وذكر رجلٌ ثقيلًا كان يجلسُ إليه ، فقال : واللهِ إني لأبغضُ
شَقِييَ الذي يليه إذا جلسَ إليَّ .

ونَقَشَ رجلٌ على خاتمه : أبرمتَ فقوم . فكان إذا جلس
إليه ثقيلٌ ناوَلَه إيَّاه وقال : اقرأ ما على هذا الخاتم .

وكان حمَّادُ بنُ سلمة إذا رأى من يستثقله قال : ربَّنَا
اكشِفْ عَنَّا العَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ .

وقال بشرُّ العُقَيْليُّ في ثقيلٍ يُكنى أبا عمران :
ربما يَثْقُلُ الجَلِيسُ ، وإن كان خَفِيفًا في كِفَّةِ المِيزانِ

ولقد قلتُ، إذ أظُلُّ على القومِ ثقيلٌ، يُرِي على ثَهْلانِ :
كيف لا تحمِلُ الأمانةَ أرضٌ، حمَلتْ فوقها أباَ عمرانِ !

ولآخر :

أنتَ يا هذا ثقيلٌ وثقيلٌ وثقيلٌ
أنتَ في المنظرِ إنسانٌ، وفي المِيزانِ فيلٌ

وقال الحسن بن هانيء في رجل ثقيل :

ثقيلٌ يُطالِعُنا من أممٍ، إذا سرَّه رَعْمٌ أنفي ألمٌ
أقولُ له، إذ بدا، لا بدا، ولا حمَلتْهُ إلينا قَدَمٌ :
فقدتُ خيالَكَ لا مِن عمى، وصوتَ كلامِكَ لا من صممٍ

وله فيه :

وما أظُنُّ القِلاصَ مُنْجِيتي منك، ولا الفُلكَ أيها الرجلُ
ولو رَكِبتُ البُرَاقَ أدرَكني منك، على نأي دارِكَ، الثَّقَلُ
هل لك فيما مَلَكتْهُ هِبةٌ تأخُذه جُملةً وترتَحِلُ؟

١ القلاص : النياق ، واحدها قلوص .

وله فيه :

يا مَنْ على الجُلَّاسِ كالفَتْحِ ، كلامك التَّخْدِيشُ في الحَلْتِ
هل لك في مالي وما قد حَوَتْ ، من جِلٍّ ومن دِقِّ
تأخذه مني كذا فِدِيَةٍ ، واذهب ففي البُعْدِ وفي السُّحْقِ

وله فيه :

ألا يا جَبَلَ المَقْتِ ، الذي أرسى ، فما يَبْرَحُ
لقد اكَثرتُ تفكيري ، فما أدري لما تَصْلُحُ
فما تَصْلُحُ أن تُهْجَى ؛ ولا تَصْلُحُ أن تُمْدَحُ

أهدى رجلٌ من الثُّقَلَاءِ الى رجلٍ من الظُّرَفَاءِ جَمَلًا ،
ثم نزل عليه حتى أبرمه ، فقال فيه :

يا مُبرِمًا أهدى جَمَلٌ ، خذوا نصْرَ أَلْفِي جَمَلٌ
قال : وما أوقارُها ؟ قلتُ : زيبٌ وعَسَلٌ
قال : ومَنْ يَقودها ؟ قلتُ له : أَلْفَا رَجُلٌ
قال : ومَنْ يَسوقها ؟ قلتُ له : أَلْفَا بَطَلٌ

قال : وما لباسهم ؟ قلت : حُلِيٍّ وحُلَلٍ
 قال : وما سلاحهم ؟ قلت : سُيُوفٌ وَأَسَلٌ
 قال : عبيد لي إذن ؟ قلت : نعم ثم خَوَلٌ
 قال : بهذا فاكتبوا إذن عليكم لي سجل
 قلت له : أَلْفِي سِجِلٌ ، فاضمن لنا أن ترتجل
 قال : وقد أضجرتكم ؟ قلت : أَجَلٌ ثم أَجَلٌ
 قال : وقد أبرمتكم ؟ قلت له : الأمر جَللٌ
 قال : وقد أثقلتكم ؟ قلت له : فوق الثقل
 قال : فإني راحلٌ ! قلت : العَجَلُ ثم العَجَلُ
 يا كوكبَ الشُّومِ وَمَنْ أُرِي على نَحْسٍ زَحَلٌ
 يا جَبَلًا من جَبَلٍ ، في جَبَلٍ فوق جَبَلٍ

وقال الحمَدوني في رجل بغيض مقيت :

أيا بن البَغِيضَةِ وابن البَغِيضِ ، وَمَنْ هو في البَغِضِ لا يُلْحَقُ
 سألتك بالله إلا صدقت ؛ وَعِلْمِي بأنك لا تَصْدُقُ
 أتُبغِضُ نفسك من بُغْضِها ، وإلا فأنتَ إذن أحمقُ

وله فيه :

في حَمِيرِ النَّاسِ ، إِنْ كُنْتَ مِنَ النَّاسِ ، تُعَدُّ
وَلَقَدْ أُنبِئْتُ : إِبْلِيسَ إِذَا رَاكَ يَصُدُّ

•
ولجيب الطائي في مثله ، أي في رجل مقيت :

يَا مَنْ تَبَيَّرَمْتَ الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ ،
كَمَا تَبَيَّرَمْتَ الْأَجْفَانُ بِالرَّمْدِ
يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُخْتَالًا ، فَأَحْسِبُهُ
لِبَعْضِ طَلْعَتِهِ يَمْشِي عَلَى كَبِدِي
لَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا مِنْ سَمَاجَتِهِ ،
لَمْ يَقْدَمْ الْمَوْتُ إِشْفَاقًا عَلَى أَحَدٍ

•
وللحسن بن هانيء في الفضل الرقاشي :

رَأَيْتُ الرَّقَاشِيَّ فِي مَوْضِعٍ ،
وَكَانَ إِلَيَّ بَغِيضًا مَقِيئًا
فَقَالَ : اقْتَرِحْ بَعْضَ مَا تَسْتَهِي !
فَقُلْتُ : اقْتَرِحْتُ عَلَيْكَ السُّكُوتَا

•
وأنشد الشعبي :

إِنِّي بُلَيْتُ بِمَعَشَرِ نَوَكِي ، أَحَقُّهُمْ ثَقِيلُ

بُلْهٌ ، إِذَا جَالَسْتُهُمْ صَدَّتْ ، لِقُرْبِهِمْ ، الْعُقُولُ
لَا يُفْهَمُونِي قَوْلَهُمْ ، وَيَدِيقُ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ
فَهُمْ كَثِيرٌ بِي ، كَمَا أَنِّي ، بِقُرْبِهِمْ ، قَلِيلٌ

وقال العُتبي : كتب الكسائي الى الرقاشي :

شَكَوْتَ إِلَيْنَا بِجَانِبِكُمْ ، وَأَشْكُو إِلَيْكَ بِجَانِبِنَا
وَأَنْشَأْتَ تَذَكُّرُكُمْ ، فَأَنْتِنَ وَأَقْدِرُ بَيْنَ عِنْدِنَا
فَلَوْ لَا السَّلَامَةُ كُنَّا كَهُمْ ؛ وَلَوْ لَا الْبَلَاءُ لَكُنَّا كُنَّا

وقال حبيب الطائي :

وَصَاحِبِي لِي مَلَيْتُ صُحْبَتَهُ ، أَفَقَدَنِي اللَّهُ سَخِصَهُ عَجِلاً
سَرَقَتْ سِكِّينُهُ وَخَاتَمَهُ ، أَقْطَعُ مَا بَيْنَنَا ، فَمَا فَعَلَا

وقال حبيب :

يَا مَنْ لَهُ فِي وَجْهِهِ ، إِذْ بَدَأَ ، كَنْوُزُ قَارُونََ مِنَ الْبُعْضِ
لَوْ فَرَّ شَيْءٌ قَطُّ مِنْ شَكْلِهِ ، فَرَّ إِذَا بَعْضُكَ مِنْ بَعْضِ
كَوْنُكَ فِي صُلْبِ آبِنَا ، الَّذِي أَهْبَطْنَا جَمْعاً إِلَى الْأَرْضِ

وقال أبو حاتم: وأنشدني أبو زيد الانصاري النحوي صاحب
النوادر :

وَجْهٌ يَحْيِي يَدْعُو إِلَى الْبَصْقِ فِيهِ،
غَيْرَ أَنِّي أَصُونُ عَنْهُ بُصَاقِي

•
قال أبو حاتم: وأنشدني العُتبي :

لَهُ وَجْهٌ يَحِلُّ الْبَصْقُ فِيهِ،
وَيَحْرُمُ أَنْ يُلْقَى بِالتَّحِيَّةِ

قال وأنشدني :

قَمِيصُ أَبِي أُمَيَّةَ مَا عَلِمْتُمْ،
وَأَوْسَخُ مِنْهُ جِلْدُ أَبِي أُمَيَّةَ

التفاؤل بالاسماء

سأل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، رجلاً أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه؛ فقال: ظالم بن سُراقَة؛ فقال: تَظَلِّم أنت وَيَسْرِقُ أبوك؟ ولم يَسْتَعِنْ به في شيء .

وأقبل رجل الى عمر بن الخطاب فقال له عمر: ما اسمك؟

قال: شهاب بن حُرقة .

قال: ممَّن؟

قال: من أهل حَرَّة النار .

قال: وأين مسكنك؟

قال: بذات لظى .

قال: اذهب فإن أهلك قد احترقوا، فكان كما قال عمر،

رضي الله عنه .

ولقي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، مسروق بن الأجدع،

فقال له: من أنت؟

قال: مسروق بن الأجدع .

قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :
الأجدع شيطان .

وروى سفيان عن هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير
قال : كتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى امرائه :
لا تُبَرِّدُوا بَرِيداً الا حَسَنَ الوجه ، حَسَنَ الاسم .

ولما فرغ المهلب بن أبي صفرة من حرب الأزارقة وجّه بالفتح
إلى الحجاج رجلاً يقال له مالك بن بشير؛ فلما دخل على الحجاج،
قال له : ما اسمك ؟

قال : مالك بن بشير .

قال : مُلك وبشارة .

وقال الشاعر :

وإذا تكون كريمةً فَرَجَّتْهَا أَدْعُو بِأَسْمَ مَرَّةً وَرَبَاحِ
يريد التطير^١ بأسلم ورباح ، للسلامة والربح .

الرياشي عن الاصمعي قال : لما قدم رسول الله ، صلى الله عليه

١ اراد بالتطير هنا التفاؤل .

وسلم، المدينة نزل على رجل من الأنصار، فصح الرجل بغلاميه :
يا سالم ويا يسار! فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: سَلِمْتَ
لنا الدار في يُسْر .

وقال سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي:
قدم جدّي حزن^١ بن أبي وهب على النبي، صلى الله عليه
وسلم، فقال له: كيف اسمك؟
قال: حزن .

قال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: بل سهل .
قال: ما كنت لأدع اسماً سمّيتي به أُمي .
قال سعيد: فإنما لتجد تلك الحزونة في أخلاقنا الى اليوم .

وإنما تطيّرت^٢ العرب من الغراب للغربة، إذ كان اسمه
مُشْتَقًّا منها .

وقال أبو الشَّيْص :

أشاقك، والليل مُلْقِي الجِرانِ،
غرابٌ يَنُوحُ على غُصْنِ بَانِ^٣

١ الحزن: ضد السهل .

٢ التطير هنا: التشاؤم .

٣ ملقي الجران: مقبل .

وفي نَعَبَاتِ العُرَابِ اغْتِرَابِ ؛
وفي البَانِ بَيْنَ بَعِيدِ التَّدَانِي

•
ولآخر في السفرجل :

أهدى إليه سَفَرَجَلًا فَتَطِيرَا
منه ، فَظَلَّ مُفَكَّرًا مُسْتَعْبِرَا
خَوْفَ الفِرَاقِ لِأَنَّ سَطْرَ هِجَابِهِ
سَفَرَ ، وَحُقَّ لَهُ بِأَنْ يَتَطِيرَا

•
ولآخر في السوسن^١ :

يا ذا الذي أهدى لنا السَّوسِنَا ،
ما كنتَ في إهدائه مُحْسِنَا
سَطْرُ اسْمِهِ سَوءٌ ، فَقَدْ سُوتِنِي ؛
يا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَرَ السَّوسِنَا

١ السوسن : نبات من الرياحين بري وبستاني .

ولآخر في الأترج^١ :

أهدى إليه حبيبه أترجةً
فبكى وأسفق من عيافة زاجر
خاف التبدل والتلوّن ، إنَّها
لَونان باطنها خلاف الظاهر

وقال الطائي في الحمام :

هُنَّ الحمام ، فإن كسرت عيافةً
من حائهن ، فإنهن حمام^٢

وكان أشعب يختلف^٣ الى قَيْنة^٤ بالمدينة ، فلما أراد الخروج
سألها ان تُعطيه خاتم ذهبٍ في يدها ليذكرها به .
قالت : إنه ذهب ، وأخاف أن تذهب ، ولكن هذا العود ،
فلعلك أن تعود .

١ الأترج : هو ما تسميه العامة بالكباد ، وهو من جنس الليمون .

٢ الحمام بفتح الحاء ، واحده حمامة : الطائر المعروف . الحمام بكسر الحاء : الموت .

٣ يختلف : يتردد .

٤ القينة : المغنية .

الطيرة

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يكاد يسلم منهن
أحد : الطيرة والظن والحسد .

قيل : فما المخرج منهن يا رسول الله ؟

قال : إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقّق ،
وإذا حسدت فلا تبغ .

وقال أبو حاتم : السانح ما ولاك ميامنه ، والبارح
ما ولاك مياسره ، والجاه ما استقبلك من تجاهك ، والقعيد
الذي يأتيك من خلفك .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : لا عدوى ولا طيرة .
وقال : ليس منّا من تطير .

وقال : إذا رأى أحدكم الطيرة فقال : اللهم لا طير إلا
طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، لم تضره .

وقد كانت العرب تتطير ، ويأتي ذلك في أشعارهم ،
وقال بعضهم :

وما صدقتك الطيرُ يومَ لقيتنا،
وما كان من دلائك فينا بخابِرِ

وقال حسّان ، رضي الله تعالى عنه :

يا ليتَ شعري ، وليت الطير تُخبرني ،
ما كان بين عليّ وابنِ عَقّانا
لتسمعنَّ وشيكاً في ديارهمُ :
الله أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانا

وقال الحسن بن هاني :

قام الأميرُ بأمرِ الله في البَشَرِ ،
واستقبل الملكَ في مستقبلِ الثمرِ
فالطيرُ تُخبرنا ، والطيرُ صادقةٌ ،
عن طيبِ عيشٍ ، وعن طولِ من العمرِ

وقال الشَّيباني : لما قَدِمَ قُتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ والياً على
خُرَاسانَ ، قامَ خَطِيباً ، فسقطت المِخْصَرَةُ من يده ، فتطيرَ
به أهلُ خُرَاسانَ ، فقال : أيها الناس ، ليس كما ظننتم ولكنه
كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقرَّت بها النوى ،
كما قرَّ عَيْناً بالأيابِ المُسافرُ

اتخاذ الاخوان وما يجب لهم

روى الازاعي عن يحيى بن أبي كثير أن داود قال لابنه سليمان ، عليهما السلام : يا بُنيَّ لا تستقلَّ عدوًّا واحداً ، ولا تستكثرُ ألفَ صديق ، ولا تستبدل بأخٍ قديمٍ أخاً مُستحدثاً ما استقام لك .

وفي الحديث المرفوع : المرء كثير بأخيه .

وقال شبيب بن شيبه : إخوان الصفاء خير مكاسب الدنيا ، هم زينة في الرِّخاء ، وعدة في البلاء ، ومعونة على الأعداء .

وأشدُّ ابن الأعرابي :

لعمرك ما مالُ الفتى بذخيرة ،
ولكنَّ إخوانَ الصِّفاء الذِّخائرُ

وقال الأحنف بن قيس : خيرُ الاخوان إن استغنيت عنه لم يزدك في المودة ؛ وإن احتجت إليه لم ينقصك منها ، وإن

كُوثِرَتْ عَضْدَكَ ، وَإِنْ اسْتَرَفَدْتَ رَفْدَكَ . وَأَنْشُد :

أَخُوكَ ، الَّذِي إِنْ تَدَعُهُ ، لِمُؤَمَّةٍ ،
يُجِيبُكَ ، وَإِنْ تَعَضِبَ إِلَى السِّيفِ يَغْفِضُ

•
وَلَا آخِرَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَالَه ،
كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بغيرِ سِلَاحٍ
وَإِنْ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ ، فَاعْلَمْ ، جَنَاحَهُ ،
وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بغيرِ جَنَاحٍ ؟

•
وَمَا يَجِبُ لِلصِّدِّيقِ عَلَى الصِّدِّيقِ النَّصِيحَةُ جَهْدَهُ . فَقَدْ قَالُوا :
صَدِّيقُ الرَّجُلِ مِرْآةُ تَرْيَهُ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ .

•
وَقَالُوا : الصِّدِّيقُ مَنْ صَدَّقَكَ وُودَهُ ، وَبِذَلِكَ لَكَ رِفْدَهُ .

•
وَقَالُوا : خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ إِذَا أَدْبَرَ الزَّمَانَ عَنْكَ .

١ هَذَا الْبَيْتَانِ لِمُسْكِينِ الدَّارِمِيِّ .

وقال الشاعر :

فإنَّ أولى الموالي أن تُواليه ،
عند الشُّرور ، لَمَنَ واساك في الحَزَنِ
إنَّ الكِرام ، اذا ما أسهلوا ذكروا
مَن كان يألُفُهُم في المنزلِ الحُشِنِ ١

ولآخر :

البُزُّ من كرم الطيبه ، والمَنِّ مَفسدة الصَّنيعه
تركُ التعهُّد للصدیقِ ، يكون داعيةَ القطيعه

أنشد محمد بن يزيد المبرِّد لعبد الصَّمَد بن المُعدَّل في
الحسن بن إبراهيم :

يا من فدتْ نفسَه نفسي ، ومن بُجِعتْ
له وِقَاءً لِمَا يَحْشَى وأخْشَاهُ
أبْلِغْ أخاك ، وإن شطَّ المزار به ،
أني ، وإن كنتُ لا ألقاه ، ألقاهُ

١ هذان البيتان لأبي تمام .

وَأَنَّ طَرْفِي مَوْصُولٌ بِرُؤْيَيْتِهِ؛
 وَإِنْ تَبَاعَدَ عَنِ مَثْوَايَ مَثْوَاهُ
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكَرُهُ؛
 وَكَيْفَ يَذْكَرُهُ مَنْ لَيْسَ يَنْسَاهُ؟
 عُذُّوا، فَهَلْ حَسَنٌ لَمْ يَجُوهَ حَسَنٌ؛
 وَهَلْ فَتَىَّ عَدَلَتْ جَدَوَاهُ جَدَوَاهُ؟
 فَالدهرُ يَفْنِي، وَلَا تَفْنِي مَكَارِمُهُ؛
 وَالقَطْرُ يُحْصَى، وَلَا تُحْصَى عَطَايَاهُ

•

وقيل لبعض الولاة : كم صديقاً لك ؟
 قال : لا أدري ، الدنيا مُقبلةٌ عليّ والناس كلهم أصدقائي ،
 وإنما أعرف ذلك إذا أدبرتُ عني .

•

ولما صارت الخِلافة الى المنصور كتب إليه رجلٌ من
 إخوانه كتاباً فيه هذه الأبيات :

إِنَّا بِطَانَتُكَ ، الألى كُنَّا نُكَايِدُ مَا تُكَايِدُ
 وَنُرِي ، فَتُعْرِفُ بِالْعِدَاوَةِ وَالْبِعَادِ لِمَنْ تَبَاعَدُ
 وَتَبِيْتُ ، فِي شَفَقِ عَلَيْكَ ، رَبِيئَةٌ ، وَاللَّيْلُ هَاجِدٌ

أصناف الاخوان

قال العتّابي: الاخوان ثلاثة أصناف: فرع بائن من أصله ، وأصل مُتّصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل . فأما الفرع البائن من أصله ، فإنّاء بُني على مودّة ثم انقطعت فحفظ على ذمام الصُّحبة ؛ وأما الأصل المتصل بفرعه ، فإنّاء أصله الكرم وأغصانه التقوى ؛ وأما الفرع الذي لا أصل له ، فالمُموّه الظاهر الذي ليس له باطن .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : صاحب رُقعة في قميصك فانظر بمَ ترقّعه .

ويقال : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ولعدوه عدواً .

وقدِم دحية الكلبي على أمير المؤمنين عليّ ، عليه السلام ، فما زال يذكر معاوية ويُطريه في مجلسه ؛ فقال عليّ ، عليه السلام :

صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي،
وَإِنِّي ، لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ ، وَدُودُ
فَلَا تَقْرَبَنَّ مِنِّي ، وَأَنْتَ صَدِيقُهُ،
فَإِنَّ الَّذِي بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعِيدُ

•
وفي هذا المعنى قول العتّابي :

تَوَدُّ عَدُوِّي ، ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي
صَدِيقُكَ ، إِنَّ الرَّأْيَ عَنكَ لِعَازِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأْيَ عَيْنِهِ،
وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهُوَ غَائِبُ

•
وقال آخر :

ليس الصديقُ ، الذي إن زلَّ صاحبه
يوماً ، رأى الذنبَ منه غيرَ مَغْفُورِ
وإن أضع له حقّاً فعاتبه
فيه ، أتاه بِتَزْوِيقِ المَعَاذِيرِ
إنَّ الصَّدِيقَ ، الذي ألقاه يَعْدِرُ لي،
ما ليس صاحبه فيه بِمَعْدُورِ

وقال آخر :

كم من أخٍ لك لم يَلِدْهُ أبوك؛
وأخٍ أبوه أبوك قد يَجْفُوكا

صاف الكرامَ ، إذا أردتَ إِياءَهُم ،
واعلَمَ بأنَّ أخا الحِفاظِ أخوكا

والناسُ ما استغنيتَ كُنْتَ أخاهُ ،
وإذا افتقرتَ إليهِمُ رَفَضُوكا

وقال بعضهم :

أخوك الذي ، إن قُمتَ بالسَّيفِ عامِداً
لتَضْرِبَهُ ، لم يَسْتَنْغِشْكَ في الوُدِّ

وإن جِئتَ تَبْغِي كَفَّهُ لَتُبَيِّنْها ،
لبادرٍ إِسْفاقاً عَلَيْكَ مِنَ الرُّدِّ

يَرى أَنَّهُ في الوُدِّ وإن مُقَصِّرٌ ،
على أَنَّهُ قد زادَ فِيهِ على الجَهْدِ

وقال آخر :

إن كنتَ مُتَّخِذاً خَلِيلاً ، فَتَنَقَّ وانتَقَدَ الخَلِيلاً

مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصِيفًا فِي الْوُدِّ ، فابغِ بِهِ بَدِيلًا
وَلَقَلَّمَا تَلَقَى اللَّئِيمَ عَلَيْكَ إِلَّا مُسْتَطِيلًا

•
وللعطوي :

صُنِ الْوُدَّ إِلَّا عَنِ الْأَكْرَمِينَ ،
وَمَنْ بِمُؤَاخَاتِهِ تَشْرَفُ
وَلَا تَغْتَرِزْ ، مِنْ ذَوِي خَلَّةٍ ،
بِمَا مَوَّهُوا لَكَ أَوْ زَخْرَفُوا
وَكَمْ مِنْ أَخٍ ظَاهِرٍ وَدُّهُ ،
صَمِيرٌ مَوْدَّتِهِ أَحْيَفُ
إِذَا أَنْتَ عَاتَبْتَهُ فِي الْإِخَاءِ ،
تُنْكِرُ مِنْهُ الَّذِي تَعْرِفُ

•
وكتب العباس بن جرير الى الحسن بن محمد :

إِرْعَ الْإِخَاءَ ، أبا مُحَمَّدَ ، لِلَّذِي يَصْفُو ، وَصْنُهُ
وَإِذَا رَأَيْتَ مُنَافِسًا فِي نَيْلِ مَكْرُمَةٍ ، فَكُنْهُ
إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الَّذِي يَرَعَاكَ ، حَيْثُ تَغِيبُ عَنْهُ

١ أحيف : مجذب مقفر .

فإذا كَشَفْتَ إِخَاءَهُ ، أَحْمَدْتَ مَا كَشَفْتَ مِنْهُ
مِثْلَ الْحُسَامِ ، إِذَا انْتَضَاهُ أَخُو الْحَفِيظَةِ لَمْ يَخُنْهُ
يَسْعَى لِمَا تَسْعَى لَهُ كَرَمًا ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَعِنْهُ

وقال آخر :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرِّ ،
وَأَيُّ الشَّرِيكِ فِي الْمُرِّ أَيْنًا ؟
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ زَادَكَ فِي الْبِئْرِ ؛
وَإِنْ غَبْتَ كَانَ أُذُنًا وَعَيْنًا

وقال آخر :

وَمِنْ الْبَلَاءِ أَخٌ ، جَنَابَتُهُ عَلَقُ بِنَا ، وَلِغَيْرِنَا سَلْبُهُ

ولآخر :

إِذَا رَأَيْتُ الْخِرَافًا مِنْ أَخِي ثِقَةً ،
ضَاقَتْ عَلَيَّ بِرُحْبِ الْأَرْضِ أَوْطَانِي
فَإِنْ صَدَدْتُ بِوَجْهِ كَيْ أُكَافِئَهُ ،
فَالْعَيْنُ غَضْبِي ، وَقَلْبِي غَيْرُ غَضْبَانِ

وكتب بعضهم الى محمد بن بشار :

مَنْ لَمْ يُرِدْكَ ، فَلَا تُرِدْهُ ، لَتَكُنْ كَمَنْ لَمْ تَسْتَفِدْهُ
بَاعِدْ أَخَاكَ لِبُعْدِهِ ، وَإِذَا دَنَا شَبْرًا فَرِدْهُ
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ ، يَا بَنَ بَشَّارٍ ، وَأُمِّكَ لَمْ تَلِدْهُ
وَأَخِي مُنَاسَبَةٌ يَسُوءُكَ ، غَيْبُهُ لَمْ تَفْتَقِدْهُ
فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ :

عَلِطَ الْفَتَى فِي قَوْلِهِ : مَنْ لَمْ يُرِدْكَ ، فَلَا تُرِدْهُ
مَنْ يَأْتِسُ الْإِخْوَانَ لَمْ يَبْدِ الْعِتَابَ ، وَلَمْ يُعِدْهُ
عَاتِبَ أَخَاكَ ، إِذَا هَفَا ، وَاَعْطِفَ يُوَدِّكَ وَاسْتَعِدْهُ
وَإِذَا أَتَاكَ بِعَيْبِهِ وَاشِ ، فَقُلْ لَمْ تَعْتَمِدْهُ

معاينة الصديق واستبقاء مودته

قالت الحكماء: مما يجب للصديق على الصديق الإغضاء عن زلاته، والتجاوز عن سيئاته، فإن رجع وأعتب وإلا عاتبته بلا إكثار، فإن كثرة العتاب مدرجةٌ للقطعة .

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: لا تقطع أخاك على ارتياب، ولا تهجره دون استعتاب .

وقال أبو الدرداء: من لك بأخيك كلّه؟

وقالوا: أيّ الرجال المهذب؟

وقال بشار العقيلي:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القدي،
ظمئت، وأيُّ الناس تصفو مشاربُه؟

وقالوا: معاينة الأخر خير من فقده .

وقال الشاعر:

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ ، فَلَيْسَ وُدٌّ ،
وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ

•
ولمحمد بن أبان :

إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِرْ عَلَى الذَّنْبِ مِنْ أَخٍ ،
وَكُنْتُ أُجَازِيهِ ، فَأَيْنَ التَّفَاضُلُ ؟
إِذَا مَا دَهَانِي مِفْصَلٌ ، فَقَطَعْتُهُ
بَقِيتُ وَمَا لِي لِلشُّهُوسِ مَفَاصِلُ
وَلَكِنْ أَدَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرْنِي ؛
وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ

•
وقال الأحنف : من حق الصديق أن يتحمل ثلاثاً : ظلم
الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم المهفوة .

•
لعبد الله بن معاوية :

وَلَسْتُ بِبَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ ؛
وَلَسْتُ بِمُقْسٍ سِرِّهِ حِينَ يَغْضَبُ
عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الثَّقَاتِ ، فَإِنَّهُمْ
قَلِيلٌ ، فَصَلِّهِمْ دُونَ مَنْ كُنْتَ تَصْحَبُ
وَمَا الْحَدَنُ إِلَّا مَنْ صَفَا لَكَ وُدُّهُ ،
وَمَنْ هُوَ ذُو نُصْحٍ ، وَأَنْتَ مُغَيَّبٌ

ومما يستجلب الاخاء والمودة

ولين الكلمة

قال عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام : مَنْ لانت كلمته
وَجَبَتْ محبته . وأنشد :

كيف أصبحت ، كيف أمسيت بما
يُنبت الوُدَّ في فؤاد الكريم .

وعلى الصديق ألاّ يلقي صديقه إلاّ بما يُحبّ ، ولا يُؤذي
جليسه فيما هو عنه بمعزل ، ولا يأتي ما يعيب مثله ، ولا
يعيب ما يأتي شكله . وقد قال المتوكل اللّيثي :

لا تنه عن خلقٍ وتأني مثله ،
عارٌ عليك ، إذا فعلت ، عظيمُ

وقال عمرُ بن الخطّاب ، رضي الله عنه : ثلاث تُثبت لك
الوُدَّ في صدرِ أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في
المجلس ، وتدعوه بأحبّ الأسماء إليه .

وقال : ليس شيءٌ أبلغَ في خيرٍ ولا شرٍّ من صاحب .

وقال الشاعر :

إن كنتَ تبغي الأمرَ ، أو أصله ،
وشاهدًا يُخبر عن غائبِ
فاعتبرِ الأرضَ بأشباها ؛
واعتبرِ الصَّاحبَ بالصَّاحبِ

لعدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ،
فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يفتدي

ولعمرو بن جميل التغلبي :

سأصبر من صديقي ، إن جفاني ،
على كلِّ الأذى ، إلا الهوانا
فإنَّ الحرَّ يأنفُ في حلاء ،
وإن حضرَ الجماعةَ ، أن يُهاناً

وقال رجلٌ لمطيع بن إياس : جئتُك خاطباً مودتكَ ؛

قال : قد زوّجْتُكها على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع
فيّ مقالَ الناس .

ويقال في المثل : مَنْ لم يزدِ الرِّيقَ لم يستكثر من الصديق .

وما أحسنَ ما قال إبراهيم بن العباس :

يا صديقي ، الذي بذلتُ له الوُدَّ ، وأنزلتُه على أحشائي
إنَّ عيناَ أفديتَها لتُراعِيك ، على ما بها من الإقضاء
ما بها حاجةٌ إليك ، ولكنْ هي معقودةٌ بحَبْلِ الوفاءِ

ولابن أبي حازم :

إرضَ من المرءِ ، في مودتِه ، بما يُودِّي إليك ظاهرُه
مَنْ يَكشِفُ الناسَ لا يرى أحداً تَصِحُّ منه له سرائِرُه
توشك أن لا تُتِمَّ وصلَ أخٍ ، في كلِّ زلاتِه تُنافِرُه
إنْ ساءَ في صاحبي احتملتُ ، وإنْ سرَّ ، فإني أخوه شاكرُه
أصْفَحَ عن ذنبه ، وإنْ طَلَبَ العُدْرَ ، فإني عليه عاذِرُه

ولغيره :

لعمري لئن أبطأتُ عنكَ ، فلم أزل
لأحداثِ دهرٍ ، لا يزال يعوقُ
لقد أصبحتُ نفسي عليك شفيقةً ،
ومثلي على أهل الوفاء شفيقُ
أسرُّ بما فيه سرورك ، إنني
جديرٌ بمكنون الأخاء حقيقُ
عدوٌّ لمن عاديتَ ، سلمٌ مسالمُ
لكلِّ امرئٍ يهوى هواك صديقُ

•
ولأبي عبد الله بن عرفة :

هُمومُ رجالٍ في أمورٍ كثيرةٍ ،
وهَمِّي من الدنيا صديقٌ مُساعدُ
يكون كروحٍ بين جسمين فرّقا ،
فجسماهما جسمان ، والروحُ واحدُ

•
قال بعض الحكماء :

الأخاء جوهرة رقيقة ، وهي ما لم تُوقَفْها وتخرسها
معرضة للآفات ، فرُض الأخاء بالحدِّ له حتى تصل إلى قبره ،

وبالكظم حتى يعتذر إليك من ظلمك ، وبالرضى حتى لا
تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير .

•
لمحمود الوراق :

لا يبرّ أعظمُ من مُساعدةٍ ، فاشكرُ أخاك على مُساعدتهِ
وإذا هفا ، فأقبله هفوته ، حتى يعودَ أخاً كعادتهِ
فالصّفح عن زلل الصديق ، وإن أعياك ، خيرٌ من مُعاندتهِ

•
لعبد الصمد بن المعدّل :

مَنْ لَمْ يُرِدْكَ ، وَلَمْ تُرِدْهُ ، لَمْ يَسْتَفِدْكَ ، وَلَمْ تُفِدْهُ
قَرَّبُ صَدِيقِكَ مَا نَأَى ، وَزِدِ التَّقَارُبَ وَاسْتَزِدْهُ
وَإِذَا وَهَتْ أَرْكَانُ وِدِّ مِّنْ أَخِي ثِقَةٍ ، فَسِدْهُ

فضل الصداقة على القرابة

قيل لبزرجهر : مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ : أَخوك أم صديقك ؟
فقال : ما أَحَبُّ أَخِي ، إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا .

وقال أكرم بن صيفي : القرابة تحتاج إلى مودَّة ، والمودَّة
لا تحتاج إلى قرابة .

وقال عبد الله بن عباس : القرابة تُقْطَع ، والمعروف يُكْفَر ،
وما رأيتُ كتقارب القلوب .

وقالوا : إِيَّاكُمْ وَمَنْ تَكْرَهَهُ قُلُوبُكُمْ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ
تُجَازِي الْقُلُوبَ .

وقال عبد الله بن طاهر الخراساني :

أَمِيلُ مَعَ الذَّمِّ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي ، وَأَحْمِلُ لِلصِّدِّيقِ عَلِيِّ الشَّقِيقِ
وَإِنَّ أَلْفَيْتَنِي مَلِكًا مُطَاعًا ، فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصِّدِّيقِ
أَفْرَقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنْنِيِّ ؛ وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقُّوقِ

وقال حبيب الطائي :

ولقد سبرتُ الناس ثم خبرتُهم ، ووصفت ما وصفوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً ؛ وإذا المودة أقرب الأنساب

وللمبرّد :

ما القربُ إلا لمن صحّت مودّته ،
ولم يخنك ، وليس القربُ للنسبِ
كم من قريبٍ ذوي الصدر مضطّعين ،
ومن بعيدٍ سليمٍ غيرٍ مقربٍ

وقالت الحكماء : رُبَّ أخ لك لم تَلِدْه أمُّك .

وقالوا : القريب من قَرَب نفعه .

وقالوا : رُبَّ بعيدٍ أقرب من قريب .

وقال آخر :

رُبَّ بعيدٍ ناصح الجيبِ ، وابنِ أبٍ مُتَّهم الغيبِ ٢

١ الدوي : الفاسد . المضطّغن : الحقود .

٢ ناصح الجيب : أمين .

وقال آخر :

أخُوثِقَةٌ يُسَرُّ بِبَعْضِ سَانِي، وَإِنْ لَمْ تُدْنِهِ مِنِّي قَرَابَةٌ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْفَيْ قَرِيبٍ، تَبَيْتُ صُدُورَهُمْ لِي مُسْتَرَابَهُ

وقال آخر :

فَصِيلُ حِبَالِ الْبَعِيدِ، إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ،
وَأَقْصِ الْقَرِيبِ، إِنْ قَطَعَهُ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ،
وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
فَارْضَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ،
مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ. نَفَعَهُ

وقال :

لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْهُمُومِ سَعَاءٌ؛
وَاللَّيْلُ وَالصُّبْحُ لَا بَقَاءَ مَعَهُ
لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ
تَرَكَعَ يَوْمًا، وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

وقال ابن هرمة :

لله ذرُّك من فنيّ ، فجمعتُ به ،

يومَ البقيع ، حواديثُ الأيامِ

هشّ ، إذا نزل الوُفودُ ببابه ؛

سهل الحجاب ، مؤدّب الخُدّامِ

وإذا رأيتَ صديقَه وشقيقَه ،

لم تدْرِ أيّهما أخو الأرحامِ

التعجب الى الناس

في الحديث المرفوع : أحبُّ الناس الى الله أكثرهم تحبُّباً الى الناس .

وفيه ايضاً : إذا أحبَّ اللهُ عبداً حبَّبه الى الناس .

ومن قولنا في هذا المعنى :

وجهُهُ عليه من الحياء سَكِينَةٌ ، ومحبَّةٌ تجري مع الأنفاسِ
وإذا أحبَّ الله يوماً عبده ، ألقى عليه محبَّةً للناسِ

وكتب عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إلى سعد بن أبي وقاص : إن الله إذا أحبَّ عبداً حبَّبه الى خلقه ، فاعتبروا منزلتكم من الله بمنزلتكم من الناس ، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك .

وقال أبو دُهَيمان لسعيد بن مسلم ، ووقف الى بابيه فحجَّبه حيناً ، ثم أذن له ، فمثل بين يديه وقال : ان هذا الأمر الذي صار اليك وفي يديك ، قد كان في يدي غيرك ، فأمرسى والله حديثاً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتعجَّب إلى عباد الله بحسن البشر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ، فإنَّ حبَّ عبادِ الله موصولٌ بحُبِّ الله ، وبغضهم موصول

يبغض الله ، لأنهم شهداء الله على حقا ، ورقبواؤه على من اعوج
عن سبيله .

وقال الجارود : سوء الخُلُق يُفسد العَمَل ، كما يُفسد
الخلُّ العَسَل .

وقيل لمعاوية : من أحبُّ الناس اليك ؟

قال : من كانت له عِندي يدٌ صالحة .

قيل له : ثم من ؟

قال : من كانت لي عنده يدٌ صالحة .

وقال محمد بن يزيد النحوي : أتيتُ الخليلَ فوجدته جالسا
على طُنفسة صَغيرة ، فوسَّع لي وكرهت ان أُضيقَ عليه ،
فانقبضت ، فأخذ بعَضدي وقرَّبني إلى نفسه ، وقال : إنه لا
يضيق سَمُ الحياطِ بمُتحابِّين ، ولا تسع الدنيا مُتباغِضين .

ومن قولنا في هذا المعنى :

صل من هَويتَ ، وإن أبدى مُعاببةً ،
فأطيبُ العيشِ وَصلٌ بينَ إلفينِ
واقطعُ حَبائلِ خَدنِ لا تُلانمهُ ،
فربُّما ضاقتِ الدُّنيا بِإثنينِ

صفة المحبة

أبو بكر الورّاق قال : سأل المأمونُ عبدَ الله بن طاهر ،
ذا الرّياستين ، عن الحبِّ ما هو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا
تقادحتْ جواهر النفوس المتقاطعة ، بوصل المُشاكلة ، انبعثت
منها لمحة نور تستضيء بها بواطنُ الأعضاء ، فتحرّك لِإشراقها
طبائع الحياة ، فيتصوّر من ذلك خَلق حاضر للنفْس ، مُتمّصل
بجواطِرِها ، يسمّى الحب .

وسئل حمّاد الراوية عن الحب ، فقال : شجرة أصلها
الفكر ، وعُروِقها الذِّكر ، وأغصانُها السَّهر ، وأوراقها
الأسقام ، وثمرتها المنية .

وقال مُعاذ بن سهيل : الحبُّ أصعبُ ما رُكِّب ، وأسکر
ما شُرب ، وأفظع ما لُقي ، وأحلى ما استُهي ، وأوجع ما
بَطَن ، وأشهى ما علَن ، وهو كما قال الشاعر :

وللحبِّ آياتٌ ، إذا هي صرّحت ،
تبَدَّتْ علاماتٌ لها عُزْرٌ صُفْرٌ

فباطنه سُقْمٌ ، وظاهره جَوِيٌّ ،
وأوله ذِكْرٌ ، وآخره فِكْرٌ

•
وقالوا : لا يكن حُبِّكَ كَلْفًا ، ولا بغضُكَ سَرَفًا .

•
وقال بشار العقبلي :

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً
تُدني اليكِ ، فإنَّ الحبَّ أقصاني

•
وقال غيره :

أحبِّكَ حُبًّا ، لو تُحِبِّينَ مثله
أصابك ، من وجدِ عليٍّ ، جنونُ
لطيِّفًا مع الأحشاء ، أمّا نهاره
فدمعٌ ، وأمّا ليلُهُ فأنينُ

مواصلتك لمن كان يواصل أباك

من حديث ابن أبي شَيْبَةَ عن النبي ، صلى الله عليه وسلم :
لا تقطع مَنْ كان يواصلُ أباك تُطفئُ بذلك نُورَه ، فَإِنَّ
وُدَّكَ وُودٌ أَبِيكَ .

وقال عبدُ الله بن مسعود : مِنْ بَرِّ الْحَيِّ بِالْمَيِّتِ أَنْ يَصِلَ
مَنْ كَانَ يَصِلُ أَبَاهُ .

وقال أبو بكر : الْحُبُّ وَالْبَغْضُ يُتَوَارِثَانِ .

ومن أمثالهم في هذا المعنى : لا تقتنِ مِنْ كَلْبٍ سَوْءٍ جِرواً .

وقال الشاعر :

ترجو الوليدَ ، وقد أعياك والدُه ،
وما رجاؤك ، بعد الوالدِ ، الولدا !

واجتمع عند ملك من ملوك العرب تميمُ بن مُرٍّ ، وبكر

ابن وائل ، فوَقعت بينهما مُنازعة ومُفاخرة ، فقالا : ايها
الملك ، اعطينا سيفين نتجالد بهما بين يديك حتى تعلم ايُّنا اَجلد .
فأمر الملك فنُحِتَ لهما سيفان من عُودين ، فأعطاهما إياهما ،
فجعلوا يَضطربان مَلِيًّا من النهار ، فقال بكرُ بن وائل :

لو كانَ سيفانا حديدًا قَطَعَا

فقال تميم بن مُرّ :

أو نُحِيتا من جَنْدِلٍ تَصَدَّعا

وحالَ الملكُ بينهما ، فقال تميم بن مُرّ لبكر بن وائل :

أَساجلك العداوة ما بَقِينا

فقال له بكر :

وإن مِتْنَا نُورِثُها البِئِينا

فيقال إنَّ عداوة بكر و تميم من أجل ذلك الى اليوم .

أبو زيد : قال أبو عبيدة : بُني دُكان بسِجِسْتان بَنَتْه
بكر بن وائل ، فهدَّمته تميم ، ثم بنته تميم فهدَّمته بكر ،
فتوافقوا في ذلك أربعاً وعشرين وقعة . فقال ابن حِلْزة
اليسْكُري في ذلك :

١ الجندل : الصخر . تصدعا : تشققا .

قَرَّبِي ، يَا حَلِيٌّ ، وَيَحْكِ دِرْعِي ،
لَقِحَتْ حَرْبُنَا وَحَرْبُ تَمِيمِ
إِخْوَةَ قَرَشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا ،
فِي حَدِيثٍ مِنْ دَهْرِهِمْ وَقَدِيمِ
طَلَبُوا صُلْحَنَا ، وَلَاتَ أَوَانَ ،
إِنَّ مَا يَطْلُبُونَ فَوْقَ النَّجُومِ

١ قرشوا الذنوب : جمعوها من هاهنا وهاهنا .

الحسد

قال عليّ ، رضي الله عنه : لا راحةَ لحسود ، ولا إخاء
للملول ، ولا مُحِبَّ لسيِّء الخلق .

وقال الحسن : ما رأيتُ ظالماً أشبهَ بمظلوم من حاسِد ،
نفسٍ دائمٍ ، وحزنٍ لازمٍ ، وغمٍّ لا ينفد .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : كاد الحسد يَغلب القَدَر .

وقال معاوية : كلُّ الناس أقدِرُ أرضيهم ، إلاَّ حاسِدَ
نعمة ، فإنه لا يُرضيه إلاَّ زوالها .

وقال الشاعر :

كلُّ العداوة قد تُرجى إِماتتِها ،
إلاَّ عداوةَ مَنْ عاداك من حَسَدٍ

وقال عبدُ الله بن مسعود : لا تُعادوا نِعَمَ الله .

قيل له : ومن يُعادي نِعَمَ الله ؟

قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .
يقول الله في بعض الكتب : الحسود عدوٌ نعمتي ، مُتَسَخِّطٌ
لقضائي ، غيرُ راضٍ بقِسْمتي .

ويقال : الحسد أوّلُ ذنبٍ عُصي الله به في السماء ، وأوّل
ذنبٍ عُصي الله به في الأرض ؛ فأما في السماء فحسد إبليسَ لآدمَ ،
وأما في الأرض فحسد قابيلَ لهابيل .

وقال بعض أهل التفسير ، في قوله تعالى : رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذِينَ
أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلَنَّهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَ مِنَ
الْأَسْفَلِينَ . إنه أراد بالذي من الجن إبليس ، والذي من الإنس
قابيل ، وذلك أن إبليس أوّلُ من سنَّ الكفر ، وقابيل أوّلُ
من سنَّ القتل ؛ وإنما كان أصل ذلك كله الحسد .

ولأبي العتاهية :

فيا ربّ ! إنّ الناس لا يُنصفونني ؛
وكيف ولو أنصفتهم ظلموني
وإنّ كان لي شيءٌ تصدّوا لأخذه ؛
وإنّ جئتُ أبغي سئبهم منعوني

١ السبب : العطاء .

وإن نالهم بَدْلِي ، فلا تُشكرَ عندهم ؛
وإن أنا لم أبذل لهم شتموني

وإن طَرَفْتَنِي نِعمَةً فرِحُوا بها ؛
وإن صَحِبْتَنِي نِعمَةً حَسَدُونِي

سَأْمَنَعُ قَلْبِي أَنْ يَجِنَّ إِلَيْهِمْ ؛
وَاحْجُبْ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي

•
أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ : مرَّ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ
بِبِلَادِ غُظْفَانَ ، فرَأَى ثَرَوَةً وَعَدَدًا ، فَكَرِهَ ذَلِكَ ؛ فَقِيلَ لَهُ :
أَيْسُوءُكَ مَا يَسُرُّ النَّاسَ ؟ قَالَ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي أَنَّ مَعَ النِّعْمَةِ
وَالثَّرْوَةِ التَّحَاذُلَ وَالتَّخَاذُلَ ، وَأَنَّ مَعَ القِلَّةِ التَّحَاشُدَ وَالتَّنَاصُرَ .

•
وكان يقال : ما أثرى قوم قط إلا تحاسدوا وتخاذلوا .

•
وقال بعض الحكماء : ألزمُ الناسُ للكآبة أربعةٌ : رجلٌ
حديد ، ورجل حَسود ، وخليطُ الأدباء ، وهو غيرُ أديب ،
وحكيمٌ مُحَقَّرٌ لدى الأَقْوَامِ .

•
عليٌّ بنُ بشرِ المَرْزُوقِيّ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ ابْنُ المَبَارِكِ
هذه الأبيات :

كلُّ العداوة قد تُرجى إِمَاتَتِهَا،
إِلَّا عداوة مَنْ عاداك من حَسَدٍ
فإنَّ في القلب منها عُقْدَةٌ عُقِدَتْ،
وليس يَفْتَحُهَا راقٍ إلى الأبدِ
إِلَّا الإِلهَ ، فإنَّ يَرْحَمُ تُحَلِّ به ،
وإنَّ أباه فلا تَرْجُوهُ من أحدِ

سُئِلَ بعضُ الحكماء: أيُّ أعدائك لا تُحِبُّ أن يَعودَ لك
صديقاً؟ قال: الحاسد الذي لا يَرُدُّهُ إلى مودتي إلا زوالَ نعمتي.

وقال سليمان التيمي: الحسد يُضعف اليقين، ويُسهر العين،
ويُكثرُ الهمَّ .

الأحنف بن قيس صلى على حارثة بن قدامة السعدي، فقال:
رحمك الله، كنت لا تُحْسُدُ غنياً ولا تُحْقِرُ فقيراً .

وكان يقال: لا يوجد الحُرُّ حريصاً، ولا الكريم حسوداً .

وقال بعض الحكماء: أجهدُ البلاء أن تَظْهَرَ الحِلَّةُ، وتطول
المدة، وتَعْجِزَ الحِيلَةُ، ثمَّ لا تَعمدُ صديقاً مُولياً، وابن عمِّ

شامتاً ، وجاراً حاسداً ، وولياً قد تحول عدواً ، وزوجة
مختلعة^١ ، وجارية مُستبيعة^٢ ، وعبدًا يحقرك ، وولداً ينتهرك ،
فانظر أين موضع جهدك في الهرب .

•
لرجل من قريش :

حَسَدُوا النَّعْمَةَ لَمَّا ظَهَرَتْ ، فَرَمَوْهَا بِأَبَاطِيلِ الْكَلِمِ
وَإِذَا مَا اللَّهُ أُسْدَى نِعْمَةً ، لَمْ يَضِرْهَا قَوْلُ أَعْدَائِ النَّعْمِ

•
وقيل : إذا سرك أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمرك .

•
وكانت عائشة ، رضي الله عنها ، تتمثل بهذين البيتين :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَسٍ حَوَادِثَهُ ، أَنَاخَ بِأَخْرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا ، سِيَلَقِي الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

•
ولبعضهم :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ ، الَّذِي هُوَ آفَةٌ ، فَتَوَقَّهْ وَتَوَقَّ غَيْرَهُ مَن حَسَدَ
إِنَّ الحُسُودَ ، إِذَا أَرَاكَ مَوْدَّةً بِالْقَوْلِ ، فَهُوَ لَكَ العَدُوُّ الْمُجْتَهِدُ

١ المختلعة : التي تطلب الخلع والطلاق من زوجها .

٢ المستبيعة : التي تطلب أن تباع لتخرج من ملك سيدها .

الليث بن سعد قال : بلغني أن إبليس لقي نوحاً ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له إبليس : اتَّق الحسد والشُّحَّ ، فإنِّي حَسَدت آدم فخرجتُ من الجنة ، وشحَّ آدم على شجرة واحدة مُنِع منها حتى خرج من الجنة .

وقال الحسن : أصول الشر ثلاثة وفروعه ستة ، فالأصول الثلاثة : الحسد ، والحِرص ، وحبُّ الدنيا . والفروع الستة : حبُّ النوم ، وحبُّ الشَّبَع ، وحبُّ الراحة ، وحبُّ الرئاسة ، وحبُّ الثناء ، وحبُّ الفخر .

وقال الحسن : يحسُدُ أحدهم أخاه حتى يَقع في سريره وما يَعرف علانيته ، ويلومه على ما لا يَعلمه منه ، ويتعلم منه في الصداقة ما يُعيِّره به إذا كانت العداوة ، والله ما أرى هذا بمُسْلِم .

ابن أبي الدنيا قال : بلغني عن عمر بن ذر أنه قال : اللهم من أرادنا بشرًّا فاكفناه بأبي حكيمك شئت ، إمَّا بتوبة وإمَّا براحة . قال ابن عباس : ما حسدتُ أحداً ما حسدتُ على هاتين الكلمتين .

١ عمر بن ذر : قاض فقيه .

وقال ابن عباس: لا تحقِّرن كلمة الحكمة أن تسمعها من
الفاجر، فإنما مثله كما قال الأول: رُبَّ رَمِيَةٍ من غير رامٍ .

وقال بعض الحكماء: ما أحق للإيمان ولا أهتك للستر
من الحسد، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله، باغٍ على
عباده، عاتٍ على ربِّه، يَعْتَدُّ نِعَمَ الله نِقَمًا، ومزيدَه غَيْرًا،
وعدلَ قضائه حَيْفًا، للناس حالٌ وله حال، ليس يهدأ ليله،
ولا ينام جَشَعُهُ، ولا ينفعه عيشه، مُحْتَقِرٌ لِنِعَمِ الله عليه،
متسَخِّطٌ ما جرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمِّن
غوائله، إِنْ سألته وترَكْ^١؛ وإِنْ واصلته قَطَعْكَ؛ وإِنْ
صَرَمْتَهُ سَبِقْكَ^٢.

ذَكَرَ حاسِدٌ عند بعض الحكماء فقال: يا عجباً لرجل أسلحه
الشیطان ماهوي الضلالة، وأورده قُحْمَ الهلكة، فصار لنعم الله
تعالى بالمرصاد، إِنْ انالها من أحبٍّ من عبادة أُشعر قلبه الأسف
على ما لم يُقدِّر له، وأغارَه الكلف بما لم يكن لينا له .

١ وترك: أصابك بمكروه .

٢ سبقك إلى الصرم، القطع .

أنشدني فتىً بالرِّملة^١ :

اصبرْ على حسدِ الحسودِ ، فإنَّ صَبْرَكَ قاتلُهُ
النارُ تأكلُ بعضَهَا ، إن لم تَجِدْ ما تأكلُهُ

وقال عبدُ الملكِ بن مروانَ للحجاجِ : إنه ليس من أحدٍ
إلاَّ وهو يعرف عيبَ نفسه ، فصف لي عيوبك . .

قال : أعفني يا أمير المؤمنين .

قال : لستُ أفعل .

قال : أنا جُوجُ لدُودِ حَقُودِ حَسُودِ .

قال : ما في إبليس شرٌّ من هذا .

وقال المنصور لسليمان بن معاوية المهلبّي : ما أسرعَ الناسَ

إلى قومك^٢ ! فقال : يا أمير المؤمنين :

إنَّ العرّانين تلقاهما مُحَسَّدَةً ،

ولن ترى للثّامِ الناسَ مُحَسَّاداً^٣

١ بالرِّملة : أي بقرطبة .

٢ يريد ما أسرعهم بالدم .

٣ العرّانين : السادة الأشراف ، الواحد عرنين

وأشَدُّ أبو موسى لَمَصْرَ بنِ سَيَّارِ :

إِنِّي نَشَأْتُ ، وَحُسَّادِي ذُوو عَدَدٍ ،
يَا ذَا الْمَعَارِجِ لَا تَنْقُصْ لَهُمْ عَدَدًا ،
إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ بِهِمْ ،
فَمِثْلُ حُسْنِ بَلَائِي جَرٌّ لِي حَسَدًا

وقال آخر :

إِنْ يَحْسُدُونِي ، فَإِنِّي غَيْرُ لَأْمِهِمْ ،
قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ ،
وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ

وقال آخر :

إِنَّ الْغُرَابَ ، وَكَانَ يَمْشِي مَشِيَّةً ،
فِي مَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْوَالِ ٢ ،
حَسَدَ الْقَطَاةَ ، فَرَامَ يَمْشِي مَشِيهَا ،
فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ ٣

١ المعارج ، واحدها المعرج والمعراج: السلم ، المصعد ، واراد بها معارج السماء ،
وذو المعارج : الله تعالى .

٢ الاحوال : السنين ، واحدها حول .

٣ العقال : داء يأخذ الدواب في ارجلها .

فأضلَّ مشيته وأخطأ مشيها ، فلذلك كَنَّوه أبا مِرْقال ١

وقال حبيب الطائي :

وإذا أراد الله نَشْرَ فضيلةٍ طَوَّيت ، أتاح لها لسانَ حَسودٍ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت ، ما كان يُعرف طيبَ عَرَفِ العودِ

وقال محمد بن منذر :

يا أيها العائبي ، وما بيَ من عَيْبٍ ، ألا تَرُعوي وتزْدَجِرُ؟
هلْ لك عندي وتَرُّ فتَطْلِبُه ، أم أنت بما أتيتَ مُعْتَذِرُ؟
إِنَّ يَكُ قَسَمُ الإلهِ فضلني ، وأنتَ صلدٌ ما فيك مُعْتَصِرُه
فالحمدُ والشكرُ والثناءُ له ، وللحَسودِ الترابُ والحَجَرُ
فما الذي يَجْتَنِي جَلِيسِكَ ، أو يَبْدُو له منك حينَ يَجْتَبِرُ؟
أقرأ لنا سُورَةَ تُذَكِّرُنَا ، فَإِنَّ خَيْرَ المَوَاعِظِ السُّورُ
أو صِفْ لنا الحُكْمَ في فرائضنا ، ما تَسْتَحِقُّ الأُنثَى أو الذَكَرُ
أَوِ ارْوِ فَقَهًا تَحِي القلوبَ به ، جاء به عن نبيِّنا الأثرِ

١ مِرْقال ، من ارقل : اسرع ، وربما سمي الغراب هكذا سخرأ به .

أو من أعاجيب جاهليتنا ، فإنها حكمةٌ ومختبر
أو أرو عن فارسٍ لنا مثلاً ، فإن أمثالها لنا عبر
فإن تكن قد جهلت ذلك وذا ، ففك للناظرين مُعتبر
فتغن صوتاً تُشجى النفوس به ، وبعض ما قد آتت يُعتقر

الأصمعي قال : كان رجلٌ من أهل البصرة بديئاً شريراً ،
يؤذي جيرانه ويستم اعراضهم ، فأتاه رجلٌ فوعظه ، فقال له :
ما بال جيرانك يشكونك ؟

قال : انهم يحسدونني .

قال له : على أي شيء يحسدونك ؟

قال : على الصلب .

قال : وكيف ذلك ؟

قال : أقبل معي .

فأقبل معه الى جيرانه ، فقعده متحازناً ، فقالوا له : ما لك ؟

قال : طرق الليلة كتابٌ معاوية أن أصلب أنا ومالك بن

المنذر وفلان وفلان ، فذكر رجالاً من أشرف أهل البصرة ،

فوثبوا عليه ، وقالوا : يا عدو الله ، أنت تُصاب مع هؤلاء ولا

كرامة الك ! فالتفت إلى الرجل فقال : أما تراهم قد حسدوني على
الصلب ، فكيف لو كان خيراً !

وقيل لأبي عاصم النبيل : إن يحيى بن سعيد يحسدك وربما
قرضك^١ ؛ فأنشأ يقول :

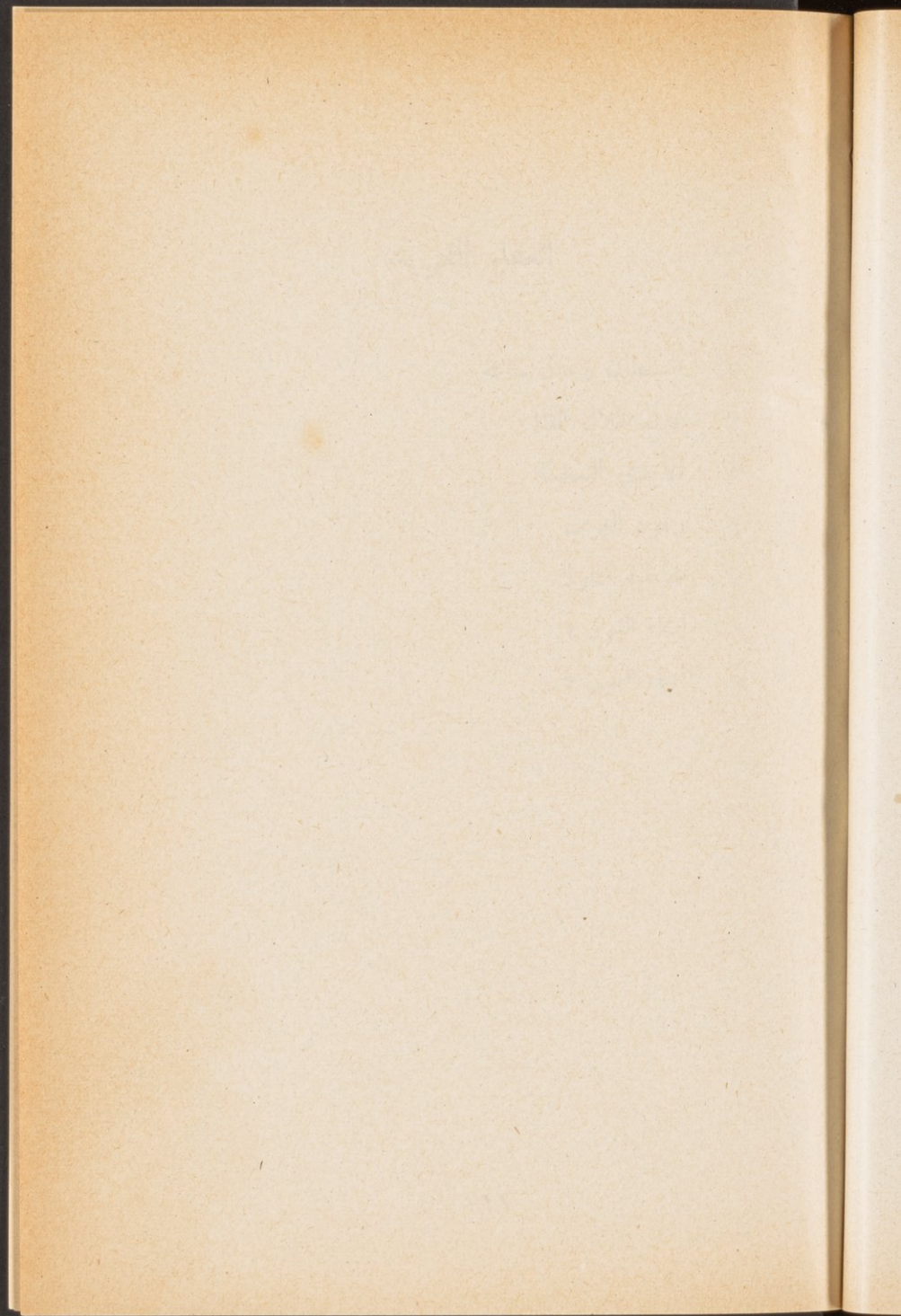
فلمستَ يحيى ولا مئيتي ، إذا لم تُعادَ ولم تُحسدِ

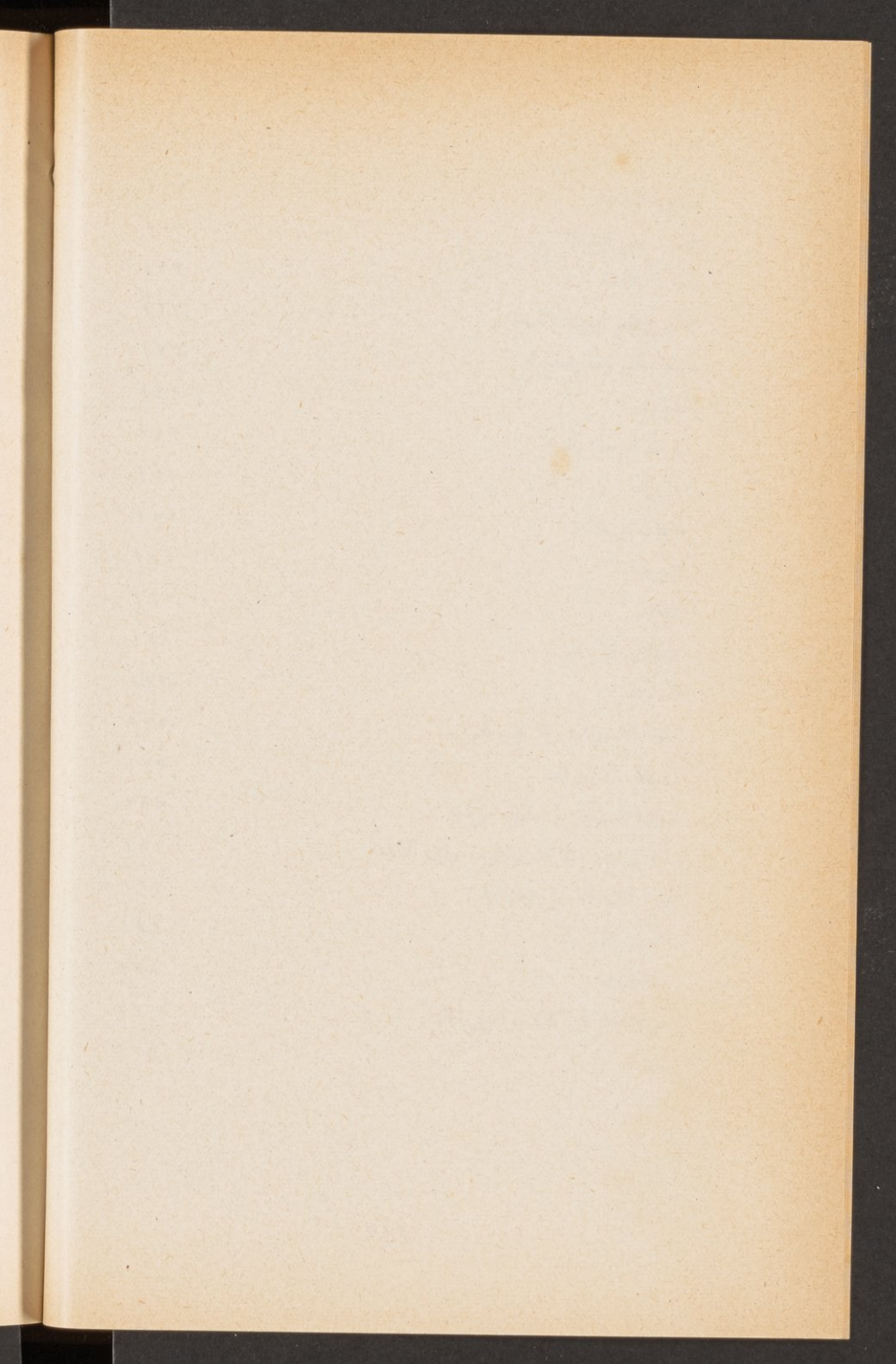
١ قرضك : ذمك .

ابناء النور

| | | | | |
|----|---|---|---|--|
| ٥ | . | . | . | كتاب الياقوتة في العلم والادب |
| ٨ | . | . | . | فنون العلم |
| ١١ | . | . | . | الحض على طلب العلم |
| ١٦ | . | . | . | فضيلة العلم - علي بن ابي طالب وكميل النخعي |
| ٢٣ | . | . | . | ضبط العلم والتثبت فيه |
| ٢٥ | . | . | . | اتتحال العلم |
| ٢٨ | . | . | . | شرائط العلم |
| ٣٢ | . | . | . | حفظ العلم واستعماله |
| ٣٤ | . | . | . | رفع العلم وقولهم فيه |
| ٣٥ | . | . | . | تحامل الجاهل على العالم |
| ٣٧ | . | . | . | تبجيل العلماء وتعظيمهم |
| ٣٨ | . | . | . | عويص المسائل |
| ٤٠ | . | . | . | التصحيح |
| ٤١ | . | . | . | طلب العلم لغير الله |
| ٤٢ | . | . | . | من اخبار العلماء والادباء |
| ٥٩ | . | . | . | قولهم في حملة القرآن |
| ٦٢ | . | . | . | العقل |
| ٨٦ | . | . | . | الحكمة |
| ٨٨ | . | . | . | نوادير من الحكمة |
| ٩٧ | . | . | . | البلاغة وصفحتها |

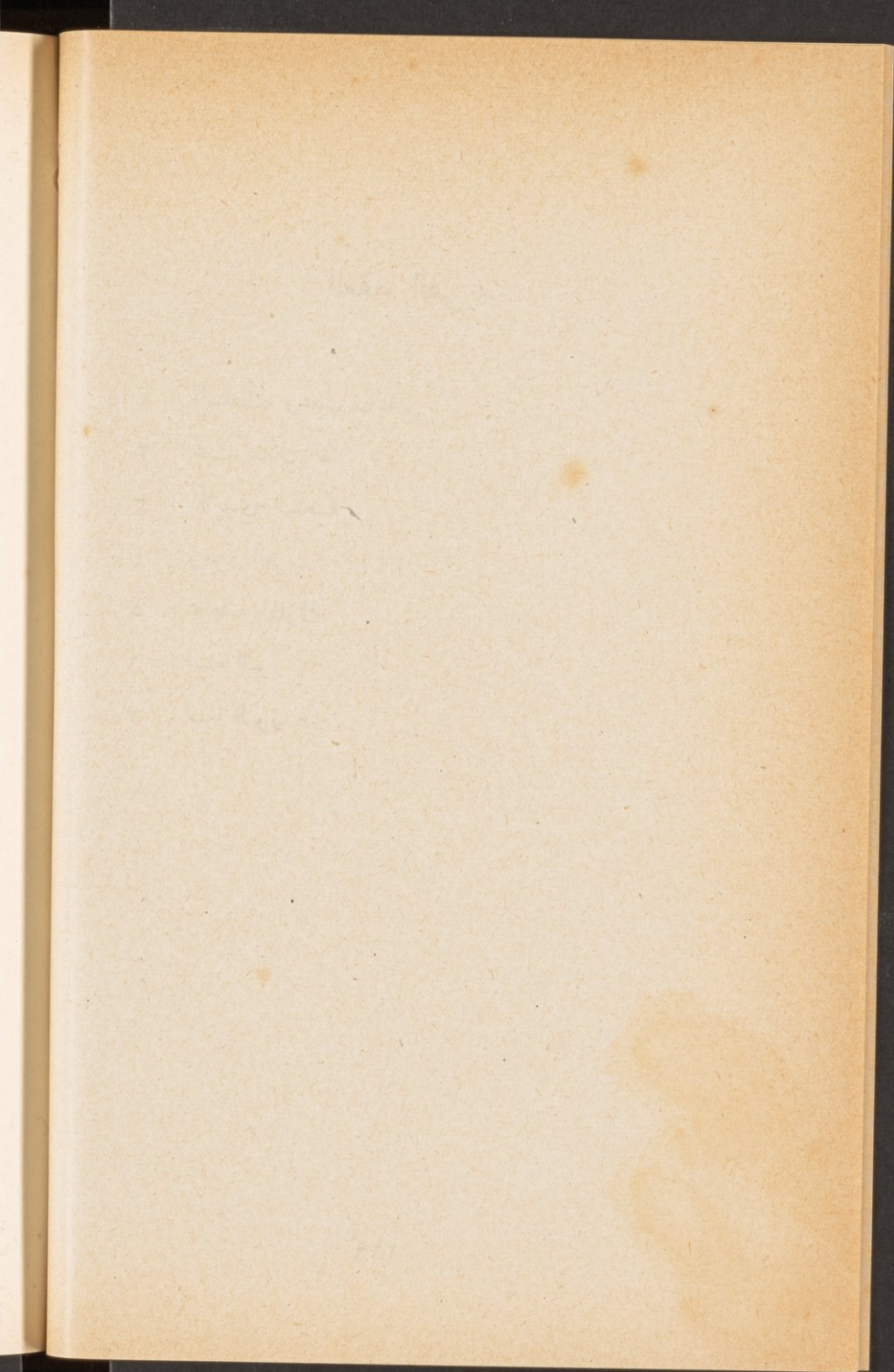
| | | | | | |
|-----|---|---|---|---|--|
| ١٠٥ | . | . | . | . | وجوه البلاغة |
| ١١٠ | . | . | . | . | فصول من البلاغة |
| ١٢٢ | . | . | . | . | آفات البلاغة |
| ١٢٣ | . | . | . | . | الحلم ودفع السيئة بالحسنة |
| ١٢٦ | . | . | . | . | صفة الحلم وما يصلح له |
| ١٤٢ | . | . | . | . | السودد |
| ١٤٩ | . | . | . | . | سودد الرجل بنفسه |
| ١٥٢ | . | . | . | . | المروءة |
| ١٥٥ | . | . | . | . | طبقات الرجال |
| ١٥٨ | . | . | . | . | الغوغاه |
| ١٦٠ | . | . | . | . | التقلد |
| ١٦٨ | . | . | . | . | التفاؤل بالأسماء |
| ١٧٣ | . | . | . | . | الطيرة |
| ١٧٥ | . | . | . | . | اتخاذ الاخوان وما يجب لهم |
| ١٧٩ | . | . | . | . | أصناف الاخوان |
| ١٨٥ | . | . | . | . | معاملة الصديق واستبقاء مودته |
| ١٨٧ | . | . | . | . | ومما يستجاب الاخاء والمودة ولين الكلمة |
| ١٩٢ | . | . | . | . | فضل الصداقة على القرابة |
| ١٩٦ | . | . | . | . | التحجب الى الناس |
| ١٩٨ | . | . | . | . | صفة المحبة |
| ٢٠٠ | . | . | . | . | مواصلتك لمن كان يواصل أباك |
| ٢٠٣ | . | . | . | . | الحسد |

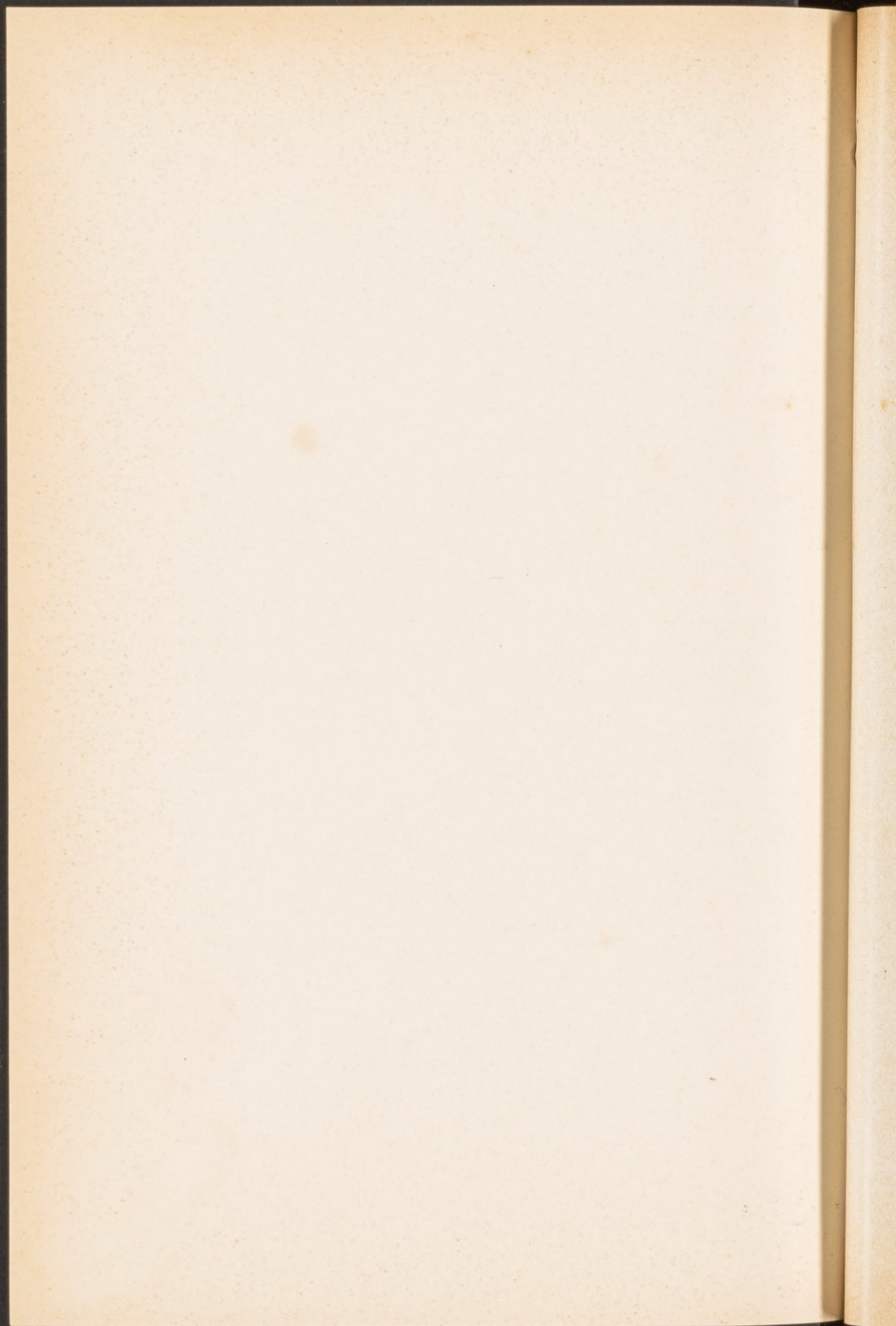




العقد الفريد

| | |
|-------------------|---|
| السلطان وعدل ساعة | ١ |
| تحت ظلال القنا | ٢ |
| الأيدي السخية | ٣ |
| وفود العرب | ٤ |
| مخاطبة الملوك | ٥ |
| ابناء النور ١ | ٦ |
| ابناء النور ٢ | ٧ |





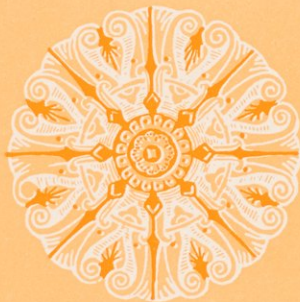
٧. ٢ (no. ٧)

المجلة العربية

٧

ابناء النور

٢



مكتبة صنادير
بيروت

غ. ل.

1872

ابناء النور

٢

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه أدب - وأقوال - ونوادر - وملح -
وتاريخ - واخبار الخ . الخ

•
ابناء النور

هو كتاب الياقوتة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

المعتمد الفريدي

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٧

ابناء النور

٢

مكتبة صادر
ببيروت

Near East

PS

7745

I 15

I 5

v. 2

c. 1

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

محاسبة الاقارب

كتب عُمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، الى أبي موسى الأشعريّ : مُرْ ذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا .

وقال أكرم بن صيفي: تباعدوا في الدار تقاربوا في المودة .

وقالوا : أزهدُ الناس في عالمِ أهله .

فرَج بن سلام قال : وقف أمية بن الأسكر على ابن عمّ له فقال :

نَشَدْتُكَ بِالْبَيْتِ ، الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
رِجَالُ بَنَوِهِ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ
فَإِنَّكَ قَدْ جَرَّبْتَنِي ، فَوَجَدْتَنِي
أَعْيُنِكَ فِي الْجُلْسِيِّ وَأَكْفِيكَ جَانِبِي
وَإِنْ دَبَّ مِنْ قَوْمِي إِلَيْكَ ، عِدَاوَةٌ ،
عَقَارِبُهُمْ ، دَبَّتْ إِلَيْهِمْ عَقَارِبِي

قال : أكذلك أنت ؟

قال : نعم .

قال : فما بالُ مُبْرِكٍ لا يزالُ اليَّ دسيساً ؟

قال : لا أعود .

قال : قد رضيت ، وعفا الله عما سلف .

•

وقال يحيى بن سعيد : من أراد أن يبين عمله ، ويظهر
علمه ، فليجلس في غير مجلس رهطه .

•

وقالوا : الاقارب هم العقارب .

•

وقيل لعطاء بن مصعب : كيف غلبت على البرامكة ،
وكان عندهم من هو آدبُ منك ؟

قال : كنت بعيدَ الدار منهم ، غريبَ الاسم ، عظيمَ
الكبر ، صغيرَ الجرْم ، كثيرَ الالتواء ، فقرَّبني اليهم تبعدي
منهم ، ورغبهم فيَّ رغبتي عنهم ، وليس للقرباء طرفة الغرباء .

•

وقال رجلٌ لخالد بن صفوان : إني أحبُّك ؛ قال : وما

١ المثير : النيمة والافساد .

يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ وَلَسْتُ لَكَ بِجَارٍ وَلَا أَخٍ وَلَا ابْنَ عَمٍّ؟ يُرِيدُ أَنْ
الْحَسَدَ مُوَكَّلَ بِالْأَدْنَى فَالْأَدْنَى .

الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : خَرَجَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُتَنَزِّهًا
بِالْأَنْبَارِ فَأَمَعْنَ فِي نَزْهَتِهِ وَانْتَبَذَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَوَافَى خِيبَاءَ
لِأَعْرَابِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟

قال : من كِنَانَةٍ .

قال : من أي كِنَانَةٍ ؟

قال : من أَبْغَضَ كِنَانَةَ إِلَى كِنَانَةٍ .

قال : فَأَنْتَ إِذَاً مِنْ قَرِيْشٍ .

قال : نَعَمْ .

قال : فَمِمَّنِ أَيْ قَرِيْشٍ ؟

قال : مِنْ أَبْغَضَ قَرِيْشٍ إِلَى قَرِيْشٍ .

قال : فَأَنْتَ إِذَاً مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

قال : نَعَمْ .

قال : فَمِمَّنِ أَيْ وَلَدِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنْتَ ؟

قال : مِنْ أَبْغَضَ وَلَدِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَى وَلَدِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

قال : فَأَنْتَ إِذَاً أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة .

وقال ذو الاصبع العَدَواني :

لِي ابْنُ عَمٍّ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي ،
مُحَاسِدٌ لِي فَأَقْلِيهِ وَيَقْلِبْنِي
أَزْرَى بِنَا أَتْنَا سَالَتْ نِعَامَتُنَا ،
فَخَالَني دُونَهُ ، أَوْ خَلَتْهُ دُونِي
يَا عَمْرُو إِلَّا تَدَعُ سَمِّي وَمَنْقُصِي ،
أَضْرِبْكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةَ اسْقُونِي
مَاذَا عَلَيَّ ، وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحِمِي ،
أَنْ لَا أُحِبُّكُمْ إِنْ لَمْ تُحِبُّوْنِي ؟
لَا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ ،
مَا فِي صَمِيرِي لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ يَكْفِينِي

وقال آخر :

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا
لَا تَنْبَشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونَا
لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَتُكْرِمَكُمُ ،
وَأَنْ تَكْتِفَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُوذُونَا

الله يَعْلَمُ أَنَّا لَا نَحْبُكُمُ،
وَلَا نَلُومَكُمُ إِنْ لَمْ تُحِبُّوْنَا

•
وقال آخر :

وَلَقَدْ سَبَرْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبَرْتَهُمْ،
وَوَصَفْتُ مَا وَصَفُوا مِنَ الْأَسْبَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرِّبُ قَاطِعًا،
وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ

المشاكلة ومعرفة الرجل لصاحبه

قالوا : أقربُ القرابة المشاكلة . وقالوا : الصاحبُ المناسبُ .

وقال حبيب :

وقلتُ أخي، قالوا أخٌ من قرابة؟ فقلتُ لهم إنَّ الشُّكول أقاربٌ^١

وقال أيضاً :

ذو الودِّ منِّي وذو القُرْبى بمنزلةِ ،

وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني

عصابةٌ جاورتْ آدابهم أدبي ،

فهم ، وإن فرَّقوا في الأرض ، جيرانني

وقال أيضاً :

إن نَفْتَرِقْ نَسَباً يُؤَلِّفُ بَيْنَنَا أَدَبٌ ، أقمناه مُقامِ الوالدِ

أو نَخْتَلِفُ ، فالوصلُ منّا ماؤه عَذْبٌ تَحَدَّرُ مِنْ غَمَامٍ واحدٍ

١ الشكول ، واحدها شكل : ما يوافقك ويصلح لك .

وقال آخر :

إنَّ النفوسَ لأجنَادَ مُجَنَّدَةٍ،
بالإِذْنِ من رَبِّنا تَجْرِي وتَخْتَلِفُ^١
فما تَعَارَفَ منها ، فهو مُؤْتَلِفٌ،
وما تناكرَ منها ، فهو مُخْتَلِفٌ

•

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الأَنْفُسُ أَجْنَادٌ مُجَنَّدَةٌ،
وإنها لتتَشام^٢ في الهوى كما تتشامَّ الحَيْلُ، فما تعارفَ منها اتلفَ،
وما تناكرَ منها اختلفَ .

وقال صلى الله عليه وسلم: الصاحب رقيقة في الثوب، فليُنظر
الانسان بمَ يَرِيقُ ثوبه .

وقال عليه الصلاة والسلام : امتحنوا الناس بإخوانهم .

•

وقال الشاعر :

فاعتبر الأرضَ بأشباهاها ؛ واعتبر الصاحبَ بالصاحبِ

•

١ تختلف : تتردد .

٢ تشام : تعارف باختبار بعضها بعضاً .

وقيل : كلُّ إلفٍ الى إلفه يَنْزِعُ^١ .

وقال الشاعر :

والإِلفُ يَنْزِعُ نَحْوَ الْإِلفِينِ ، كما طَيْرُ السَّماءِ عَلى أَلْفِها تَقَعُ

وقال امرؤ القيس :

أجارَتنا إِنّا عَرِيبانِ ها هنا ، وكلُّ عَرِيبٍ للعَرِيبِ نَسِيبُ

وقال آخر :

إِذا كَنتَ في قَومٍ ، فَصاحِبُ خِيارِهِمُ ،
ولا تَصحَبُ الأَرَدى ، فَتَرَدى مَعَ الرَدِى
عَنِ المَرءِ لا تَسألُ وَسَلْ عَنِ قَرينِهِ ،
فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقارِنِ يَقْتَسِدي

وقال آخر :

إِصْحابُ ذَوِي الفَضْلِ وَأَهْلِ الدِّينِ ،
فالمَرءُ مَنسُوبٌ إِلى القَرينِ

١ ينزع : يشقاق .

أيوب بن سليمان قال : حدثنا أبان بن عيسى عن أبيه عن
ابن القاسم ، قال : بينما سليمان بن داود عليهما السلام تحمله الريح ،
إذ مرّ بنسر واقع على قصر ، فقال له : كم لك مذ وقعت ها هنا ؟
قال : سبعمئة سنة .

قال : فمن بنى هذا القصر ؟

قال : لا أدري ، هكذا وجدته .

ثم نظر فإذا فيه كتاب منقور بأبيات من شعر وهي :

خَرَجْنَا مِنْ قَرْيِ اصْطَخْرِ إِلَى الْقَصْرِ ، فَقَلْنَاهُ ١
فَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْقَصْرِ ، فَمَبْنِيًّا وَجَدْنَاهُ
فَلَا تَصْحَبْ أَخَا السَّوِّءِ ، وَإِيَّاكَ وَإِيَاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَكِيمًا ، حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ ، إِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِسٌ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ غِنَىٌ لِلْعَيْنِ أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ

١ قلناه : نخذناه مقبلاً .

السعاية والبغي

قال الله تعالى ذكره: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ. » وقال عز وجل: « ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ. »

وقال الشاعر :

فلا تَسْبِقْ إلى أحدٍ بَبْعِي ، فإنَّ البَعِي مَصْرَعُهُ وَخِمُّ

وقال العتّابي :

بَغَيْتَ فَلَـم تَقَعْ إِلاَّ صَرِيْعاً ، كَذَاكَ البَعِي يَصْرَعُ كُلُّ بَاغِي

وقال المأمون يوماً لبعض ولده : إياك وأن تُصْغِي لاسْتِمَاعِ
قول السُّعَاةِ ، فإنه ما سعى رجلٌ برجلٍ إلا انْحَطَّ من قَدْرِهِ
عندي ما لا يتلافاه أبداً .

ووقَّع في رُقْعَةٍ سَاعٍ : سنظُرُ أَصْدَقْتَ أم كنت من
الكاذِبِينَ .

ووقَّع في رُقْعَةٍ رجل سعى إليه ببعض عماله: قد سَمِعْنَا ما

ذكره الله ، عز وجل ، في كتابه ، فانصرف رحمك الله .
فكان إذا ذكر عنده الشّعة ، قال : ما ظنّكم بقومٍ يلغونهم
الله على الصّدق ؟

وسعى رجلٌ الى بلال بن أبي بُردة ، فقال له : انصرف
حتى أكشِفَ عما ذكرت . ثم كشف عن ذلك فإذا هو لغير
رَشْدَةٍ ، فقال : أنا أبو عمرو وما كذبتُ ولا كذّبتُ .

حدثني أبي عن جدي أنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
قال : الساعي لِغيرِ رَشْدَةٍ .

وسأل رجلٌ عبدَ الملك الخَلْوَةَ ، فقال لأصحابه : إذا
سِتَّمْتُم فقوموا . فلما تهيأ الرجل للكلام ، قال له : إِيّاك أن
تمدحني ، فأنا أعلم بنفسِي منك ، أو تكذّبتني ، فإنه لا
رأي لكذوب ، أو تسعى إليّ بأحد ، وإن سِتّتَ أفلتك ؛
قال : أفِلّني .

١ الرشدة : ضد الزنية . يقال هذا ولد رشدة ، اذا كان لزواج صحيح .

ودخل رجلٌ على الوليد بن عبد الملك ، وهو والي دمشق
لأبيه ، فقال : للأمير عندي نصيحة .

فقال : إن كانت لنا فاذكرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة
لنا فيها .

قال : جارٌ لي عصي وفِرٌّ من بعثه .

قال : أما أنت فتُخبر أنك جارٌ سوء ، وإن شئت أرسلنا
معك ، فإن كنت صادقاً أقصيناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك .
وإن شئت تاركناك .

قال : تارِكُنِي .

وفي سِيَرِ الْعِجَمِ : أن رجلاً وشى بوجل الى الاسكندر ،
فقال : أتحب أن نقبل منه عليك ومنك عليه؟ قال : لا؛ قال :
فكُفَّ الشَّرُّ يُكْفَى عَنْكَ الشَّرُّ .

وقال الشاعر :

إذا الواشي نعى يوماً صديقاً ، فلا تدع الصديق لقولِ واشي^١

وقال ذو الرياستين : قبول النميمة شرٌّ من النميمة ، لأن

١ المراد : نعي الصداقة التي بينك وبينه .

النميمة دلاله ، والقبول إجازة ، وليس من دلّ على شيء
كمن قبله وأجازه .

•
ذكر السّعاة عند المأمون ، فقال رجلٌ من حضر : لو لم
يكن من عيبتهم إلا أنهم ، أصدق ما يكونون ، أبغض ما
يكونون الى الله تعالى لكفاهم .

•
وعاتب مُصعبُ بن الزبير الأحنفَ في شيء ، فأنكره ،
فقال : أخبرني الثقة ؛ قال : كلا ، إنّ الثقة لا يُبلِّغ .

•
وقد جعل الله السامعَ شريكَ القائل ، فقال : « سمّعون
للكذبِ أكّالون للسُّحتِ . »

•
وقيل : حسبك من شرِّ سماعه .

•
وقال الشاعر :

لعمرك ما سبّ الأميرَ عدوّه ، ولكنّما سبّ الأميرَ المُبلِّغُ

•
وقال آخر :

لا تقبلنّ نميمةً بلّغتها ، وتحفظنّ من الذي أنباكها

إِنَّ الَّذِي أَنْبَاكَ عَنْهُ نَمِيمَةٌ ، سَيَدِبُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا
لَا تَنْقُشَنَّ بِرَجُلٍ غَيْرِكَ شَوْكَةً ، فَتَقِي بِرَجْلِكَ رَجُلًا مِنْ قَدْسِنَا كَمَا ١

وقال دعبل ٢ :

وقد قطع الواشون ما كان بيننا ، ونحن ، إلى أن نوصل الجبل ، أحوج
رأوا عورة فاستقبلوها بألبهم ، فلم ينههم حلمٌ ولم يتجرَّ جوا ٣
وكانوا أناساً كنت آمنٌ غيبهم ، فراحوا على ما لا نحبُّ فأدجوا ٤

١ تنقش : تستخرج ، والباء في قوله « برجل » بمعنى عن .

٢ هو دعبل الخزاعي شاعر عباسي .

٣ بألبهم : بجمعهم .

٤ ادجوا : ساروا ليلاً .

الغيبة

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إذا قلتَ في الرجل ما فيه
فقد اغتَبْتَه ، وإذا قلتَ ما ليس فيه فقد بهَّته^١ .

•
ومر محمدُ بن سيرين بقوم ، فقام اليه رجل منهم فقال : أبا
بكر ، إنا قد نلنا منك فحللنا ؛ فقال : لا أحِلُّ لك ما حرَّم
الله عليك ، فأما ما كان اليَّ فهو لك .

•
وكان رقبة بن مصقلة جالساً مع أصحابه فذكروا رجلاً
بشيء ، فاطَّلَعَ ذلك الرجلُ ، فقال بعض أصحابه : ألا أخبره
بما قلنا فيه لئلا تكون غيبة ؟
قال : أخبره حتى تكون تسمية .

•
اغتاب رجل رجلاً عند قتيبة بن مسلم ، فقال له قتيبة :

١ بهته : افتريت عليه الكذب .

أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ تَلَمَّظْتَ^١ بِمُضْعَةِ طَالِمَا
لَقَطَهَا الْكِرَامُ .

محمد بن مسلم الطائفي قال : جاء رجل الى ابن سيرين ،
فقال : بلغني أنك نلت مني ؛ قال : نفسي أعزُّ عليَّ من ذلك .

وقال رجل لبكر بن محمد بن عصمة : بلغني أنك تقع في^٢ ؛
قال : أنت إذاً عليَّ أكرم من نفسي .

ووقع رجل في طلحة والزبير عند سعد بن أبي وقاص ،
فقال له : اسكت ، فإنَّ الذي بيننا لم يبلغ ديننا .

وعاب رجلٌ رجلاً عند بعض الأشراف ، فقال له : قد
استدلتُّ على كثرة عيوبك بما تُكثِر من عُيوب الناس ، لأنَّ
طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها ، أما سمعت قول الشاعر :

لَا تَهْتِكَنَّ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا ،
فَيَهْتِكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

١ تلمظ : تتبع بلسانه اللماظة ، بقية الطعام . وتلمظ بذكره : عابه .

٢ تقع في : تسبني وتعيبني وتعتابني .

واذكر محاسن ما فيهم، إذا ذكروا،
ولا تعيب أحداً منهم بما فيك

وقال آخر :

لاتنه عن خلقي وتأني مثله ؛ عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ
وابداً بنفسك، فانها عن غيبها ، فإذا انتهت عنه ، فأنتَ حَكيم

وقال محمد بن السماك : تجتنب القول في أخيك خلّتين ،
أما واحدة ، فلعلك تعيبه بشيء هو فيك ؛ وأما الأخرى ، فإن
يكن الله عافاك مما ابتلاه به ، كان سُكْرُكَ اللهُ على العافية تعبيراً
لأخيك على البلاء .

وقيل لبعض الحكماء : فلانٌ يعيبك ؛ قال : إنما يقرض
الدرهم الوازن .

وقيل لبزُرْ جُمَهر : هل تعلم أحداً لا عيب فيه ؟ قال :
إن الذي لا عيب فيه لا يموت .

وقيل لعمر بن عبيد : لقد وقع فيك أيوب السخّتياني حتى
رحمناك ؛ قال : إياه فارحموا .

وقال ابن عباس : اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن
يذكرك به ، ودع منه ما تحب أن يدع منك .

وقدم العلاء بن الحضرمي على النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
فقال له : هل تروي من الشعر شيئاً؟ قال : نعم ؛ قال : فأنشدني ؛
فأنشده :

تَحَبَّبَ ذَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِ نَفُوسِهِمْ
تَحَبُّبِكَ الْقُرْبَى ، فَقَدْ تَرَقَّعَ النَّعْلُ

وإن دحسوا بالكُره ، فاعفُ تكررُماً ؛

وإن غيَّبوا عنك الحديث ، فلا تسَلْ

فإنَّ الذي يُؤذيك منه سماعُه ،

وإنَّ الذي قالوا وراءك لم يُقل

فقال النبي ، عليه السلام : إن من الشعر لحِكمة .

وقال الحسن البصري : لا غيبة في ثلاثة : فاسقٍ مُبْجَاهِرٍ ،
وإمامٍ جائرٍ ، وصاحبٍ يدعة لم يدع يدعته .

١ دحسوا : افسدوا .

وكتب الكسائي إلى الرقاشي :

تركت المسجد الجامع ، والترُّكُ له ريبه
فلا نافلة تقضي ، ولا تقضي مكتوبه
وأخبارك تأتينا ، على الأعلام ، منصوبه
فإن زدت من الغيبة ، زدناك من الغيبة ١

١ الغيبة بفتح الغين : الغياب . والغيبة بكسر الغين : الاغتيال .

مداراة أهل الشر

قال النبي ، عليه الصلاة والسلام : شرُّ الناس من اتقاه
الناسُ لشرِّه .

وقال عليه الصلاة والسلام : إذا لقيت اللئيمَ فخالِفِه ، وإذا
لقيت الكريمَ فخالِطِه .

وقال أبو الدرداء : إنا لنكثيرُ في وجوه قوم وإنَّ
قلوبنا لتلعنهم .

وسئل شبيب بن شيبه عن خالد بن صفوان ، فقال : ليس
له صديق في السرِّ ولا عدو في العلانية .

وقال الأحنف : ربُّ رجلٍ لا تغيب فوائده وإنَّ غابَ ،
وآخرَ لا يسلم منه جليسه وإنَّ احتوس .

وقال كثير بن هراسة : إنَّ من الناس ناساً يَنقصونك إذا

زديتهم ، وتهون عندهم إذا خاصصتهم^١ ، ليس لرضاهم موضع
تعرفه ، ولا لسخطهم موضع تحذره ، فإذا عرفت اولئك بأعيانهم
فابذل لهم موضع المودة ، واحرمهم موضع الخاصة ، يكن ما
بذلت لهم من المودة حائلاً دون شرهم ، وما حرمتهم من الخاصة
قاطعاً لحرمتهم .

•
وأنشد العتبي :

لي صديقٌ يَرَى حُقوقِي عليه
نافلاتٍ ، وحقُّه الدهرَ فَرَضاً
لو قَطَعْتُ البلادَ طَوَلاً إليه ،
ثم من بَعْدُ طَوَلها سِرْتُ عَرَضاً
لرَأَى ما فَعَلْتُ غَيْرَ كَثِيرٍ ،
واشْتَهَى أن يَزِيدَ في الأَرْضِ أرضاً

•
وفي هذه الطبقة من الناس يقول دِعبِل الخَزاعيّ :

أَسْقَمهم السُّمُّ إن ظَفِرْتَ بهم ،
وامزُجْ لهم من لِسَانِكَ العَسَلَا

١ خاصصتهم : جعلتهم من خاصصتك .

كتب سهل بن هارون الى موسى بن عمران في ابي
الهذيل العلاف :

إن الصمير، إذا سألتك حاجة، لأبي الهذيل خلاف ما أبدي
فألن له كنفاً ليحسن ظنه، في غير منفعة ولا رِفد
حتى إذا طالت شقاوة جدّه وعناؤه، فاجنبه بالردّ

•
وقال صالح بن عبد القدوس :

تَجَنَّبَ صَدِيقَ السَّوِّءِ وَاصْرِمَ حِبَالَهُ،
وَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَنْهُ حَيْصًا، فَدَارِهِ
وَمَنْ يَطْلُبُ الْمَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ
يَجِدُهُ وَرَاءَ الْبَحْرِ أَوْ فِي قَرَارِهِ
وَلِلَّهِ فِي عَرْضِ السَّمَوَاتِ جَنَّةٌ،
وَلِكُنْهَا مَخْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ

•
وقال آخر :

بَلَاءٌ، لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلَاءٌ،
عَدَاوَةٌ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ

يُبيحك منه عرضاً لم يصنّه،
ليرتع منك في عرضٍ مّصون

•
عرض على أبي مسلم صاحب الدعوة^١ فرسٌ جواد ، فقال
لقواده : لماذا يصلح مثلُ هذا الفرس ؟
قالوا : إننا نغزو عليه العدو .
قال : لا ، ولكن يركبه الرجلُ فيهرب عليه من جار السوء .

١ هو أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة لبني العباس .

ذم الزمان

قالت الحكماء : 'جبل الناس' على ذمّ زمانهم وقلة الرضا
عن أهل عصرهم ، فمنه قولهم : رضا الناس غاية لا تدرك ؛
وقولهم : لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة ؛ وقولهم : الناس
يعيرون ولا يغفرون ، والله يغفر ولا يعيّر .

وفي الحديث : لو أن المؤمن كالقدح المقوم لقال الناس :
ليت ولو .

وقال الشاعر :

مَنْ لَابَسَ النَّاسِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ النَّاسِ ،
وَضَرَّ سَوْهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها قالت : رَحِمَ اللهُ

١ القدح : السهم .

ليبدأً كان يقول :

ذهب الذين يُعاش في أكثافهم ،
وبقيتُ في خلفِ كجِلْدِ الأجرَبِ

فكيف لو أبصر زماننا هذا ؟

قال عُروة : ونحن نقول : رَحِمَ اللهُ عائِشَةَ ، فكيف لو
أدركت زماننا هذا ؟

•
وكان بعضهم يقول : ذهب الناسُ وبقي النَّسْناَسُ ، فكيف
لو أدرك زماننا هذا ؟

•
دخل مسلم بن يزيد بن وهب على عبد الملك بن مروان ،
فقال له عبدُ الملك : أي زمان أدركتَ أفضل ، وأي الملوك اكمل ؟
قال : أما الملوك فلم أرَ إلا حامداً أو ذامماً ، وأما الزمان
فيرفع أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يذم زمانه لأنه يُبلي جديدهم ،
ويفرِّق عديدهم ، ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم .

•
وقال الشاعر :

أيا دهرُ إن كنتَ عاديتنا ، فها قد صنعت بنا ما كفاكا

جعلت الشَّرارَ علينا خياراً ، وولَّيتنا بعد وَجْهٍ قفا كما

وقال آخر :

إذا كان الزمانُ زمانَ تَيْمٍ وعُكْلٍ ، فالسلام على الزمانِ ١
زمان صارَ فيه الصدرُ عَجْزاً ، وصار الرُّجُحُ قُدَّامَ السَّنَانِ ٢
لعلَّ زماننا سيعود يوماً ، كما عاد الزمان على بَطانِ ٣

أبو جعفر الشيباني قال : أنا يوماً أبو مَيَّاس الشاعر ونحن
في جماعة ، فقال : ما أنتم فيه وما تتذاكرون ؟
قلنا : نذكر الزمان وفساده .

قال : كلا ، إنما الزمانُ وعاءٌ وما أُلقي فيه من خيرٍ أو شرٍ
كان على حاله ؛ ثم أنشأ يقول :

أرى حُللاً تُصان على أناسٍ ، وأخلاقاً تُداسُ ، فما تُصانُ
يقولون الزمانُ به فسادٌ ، وهمُ فسدوا وما فسد الزمان

١ تيم وعكل : قبيلتان .

٢ الزج : الحديدية في أسفل الرمح .

٣ هو بطان بن بشر الضبي .

أنشد فرج بن سلام :

هذا الزمانُ الذي كُنَّا نُحَدِّثُهُ
فِيما يُحَدِّثُ كَعْبُ وابْنِ مَسْعُودِ
إِنْ دامَ ذا الدَّهْرِ لم نَحْزَنْ على أَحَدٍ
يَمُوتُ مِنَّا ، ولم نَفْرَحْ بِمَوْلُودِ

وقال حبيب الطائي :

لم أَبْكِ في زَمَنِ لم أَرْضَ حَلَّتْهُ
إِلَّا بِكَيْتٍ عليه حينَ يَنْصَرِمُ

وقال آخر في طاهر بن الحسين :

إِذا كانتِ الدُّنْيَا تُنالُ بِطاهِرٍ ،
تَجَنَّبْتُ مِنْها كُلَّ ما فِيهَ طاهِرُ
وأَعْرَضْتُ عَنها عِفَّةً وَتَكَرُّمًا ،
وأَرَجَأْتُها حَتَّى تَدورَ الدَّوائِرُ

وقال محمد بن منذر :

يا طالِبَ الأَسْعارِ والنَّحوِ ، هذا زَمانٌ فَاسدُ الحِشْمِ

١ كعب : هو كعب الأخبار . ابن مسعود : هو عبد الله بن مسعود الهذلي .

نهاره أو وحش من ليله ، ونشوه من أخبت النشوا
 فدع طلاب النحو لا تبغيه ، ولا تقل شعراً ولا ترو
 فما يجوز اليوم إلا امرؤه مُستحکم العزف ، أو الشدو
 أو طرمذان قوله كاذب ، لا يفعل الخير ولا ينوي ٢

ومن قولنا في هذا المعنى :

رجاء دون أقربه السحاب ؛ ووعد مثل ما ماع السراب
 ودهر سادت العبدان فيه ، وعائت في جوانبه الذئاب
 وأيام خلت من كل خمير ، ودنيا قد توزعها الكلاب
 كلاب لو سألتهم تراباً ، لقالوا عندنا انقطع التراب
 يعاقب من أساء القول فيهم ، وإن يحسن ، فليس له ثواب

كتب عمرو بن بحر الجاحظ الى بعض اخوانه في ذم الزمان :
 بسم الله الرحمن الرحيم ، حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة ،
 واستعمله في الطاعة . كتبت اليك وحالي حال من كشفت

١ النشو : السكر .

٢ الطرمذان : المدعي والتمدح بما ليس عنده .

غمومه وأشكلت عليه أمورُه واشتبه عليه حالُ دهره، ومخرج أمره ، وقلَّ عنده من يثِقُ بوفائه ، أو يحمِدُ مَغْبَةَ إِخَائِهِ ، لاستحالة زماننا ، وفساد أَيْامنا ، ودولة أُنْدَالِنَا .

وقدِمَا كَانَ يُقَالُ : مَنْ قَدَّمَ الْحِيَاءَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَكَّمَ الصِّدْقَ فِي قَوْلِهِ ، وَآثَرَ الْحَقَّ فِي أُمُورِهِ ، وَنَبَذَ الْمُشْتَبِهَاتِ عَلَيْهِ مِنْ شُؤْنِهِ ، تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، وَفَازَ بِوَفُورِ حِظِّ الْعَاقِبَةِ ، وَحَمْدِ مَغْبَةِ مَكْرُوهِ الْعَاقِبَةِ .

فَنظَرْنَا إِذْ حَالَ عِنْدَنَا حُكْمُهُ ، وَتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُهُ ، فَوَجَدْنَا الْحِيَاءَ مُتَصِلًا بِالْحِرْمَانِ ، وَالصِّدْقَ آفَةً عَلَى الْمَالِ ، وَالْقَصْدَ فِي الطَّلَبِ بِتَرْكِ اسْتِعْمَالِ الْفِتْحَةِ وَإِخْلَاقِ الْعَرِضِ فِي طَرِيقِ التَّوَكُّلِ دَلِيلًا عَلَى سَخَافَةِ الرَّأْيِ ، إِذْ صَارَتْ الْحِظُّوَةُ السَّابِقَةُ وَالنِّعْمَةُ السَّابِقَةُ فِي لَوْمِ النَّيِّبَةِ ، وَتَنَاوَلُ الرِّزْقُ مِنْ جِهَةِ مَحَاشَاةِ الْوَفَاءِ وَمَلَابَسَةِ مَعْرِةِ الْعَارِ .

ثُمَّ نَظَرْنَا فِي تَعَقُّبِ الْمُتَعَقِّبِ لِقَوْلِنَا ، وَالكَاسِرِ حُجَّتِنَا ، فَأَقَمْنَا لَهُ عِلْمًا وَاضِحًا ، وَشَاهِدًا قَائِمًا ، وَمَنَارًا بَيِّنًا ، إِذْ وَجَدْنَا مَنْ فِيهِ السُّفُولِيَّةُ الْوَاضِحَةُ ، وَالْمَثَالِبُ الْفَاضِحَةُ ، وَالكَذِبُ الْمُبْرَحُ ، وَالخُلْفُ الْمُصْرَحُ ، وَالْجَهَالَةُ الْمَفْرُطَةُ ، وَالرَّكَاكَةُ الْمُسْتَحْفِقَةُ ، وَضَعْفُ الْيَقِينِ وَالْإِسْتِيَابُ^١ ، وَسُرْعَةُ الْغَضَبِ وَالْحِقْفَةُ ، قَدْ

١ الاستيئاب : طلب الثواب .

استكمل سروره ، واعتدلت أموره ، وفاز بالسهم الأغلب ،
والحظ الأوفر ، والقدر الرفيع ، والجواب الطائع ، والأمر
النافذ ، إن زلَّ قِيلَ حَكْمُ ، وإن أخطأ قِيلَ أصاب ، وإن هذى
في كلامه وهو يَقْظَان ، قِيلَ رُؤْيَا صادقة في سنة مُباركة .

فهذه حُجَّتنا أبقاك الله على مَنْ زَعَمَ أن الجَهِلَ يَخْفِضُ ،
وأن الحمق يَضَعُ ، وأن النَّوْكَ^١ يُرْدِي ، وأن الكذب يَضُرُ ،
وأن الحُلْفَ يُزْرِي^٢ .

ثم نظرنا في الوفاء والأمانة ، والنَّسْبُ والبراعة ، وحسن
المذهب ، وكِمال المروءة ، وسعة الصدر ، وقلَّة الغضب ، وكرم
الطبيعة ، والفاق في سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب
لهواه ، فوجدنا فلانَ بنَ فلان ، ثم وجدنا الزَّمانَ لم يُنصفه من
حقِّه ، ولا قام له بوظائف فرُّضه . ووجدنا فضائله القائمة له
قاعدةً به . فهذا دليلٌ على أن الطَّلَاح^٣ أجدى من الصَّلَاح ،
وأن الفضل قد مضى زمانه ، وعَفَّت آثاره ، وصارت الدائرة
عليه ، كما كانت الدائرة على ضده ؛ ووجدنا العقلَ يَشْقَى به
قرينه ، كما أن الجَهِلَ والحمقَ يحظى به خدينه . ووجدنا الشعرَ

١ النوك : الحمق والجَهِل .

٢ يزري : يعيب .

٣ الطلاح : الفساد ، ضد الصلاح .

ناطقاً على الزمان ، ومُعرباً عن الأيام حيث يقول :

تَحَامَقُ مع الحَمَقَى إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ ،

وَلَا قِيَهُمْ بِالْجَهْلِ فَعَلَّ أَخِي الْجَهْلِ

وَخَلَطَ ، إِذَا لَاقَيْتَ يَوْمًا مُخَلِّطًا

مُخَلِّطٌ فِي قَوْلٍ صَحِيحٍ ، وَفِي هَزَلٍ

فَإِنِّي رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ ،

كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَسْعُدُ بِالْعَقْلِ

فبقيت ، أبتاك الله ، مثل من أصبح على أوفاز^١ ، ومن

الثقله على جهاز^٢ ؛ لا تسوغ له نعمة ، ولا يُطعم عينه غمضة ؛

في أهويل^٣ يُياكره مكروهاها ، وتراوحه عقابيلها ، فلو أن

الدُّعَاءَ أُجِيبَ ، وَالتَّضَرُّعَ سُمِعَ ، لَكَانَتِ الْهُدَى الْعُظْمَى ،

وَالرَّجْفَةَ الْكَبْرَى ؛ فليْتَ الَّذِي يَا أَخِي مَا أَسْتَبْطَنَهُ مِنَ النَّفْخَةِ^٦ ،

١ على أوفاز : على عجلة .

٢ الثقله : اسم بمعنى الانتقال . الجهاز : ما يحتاج إليه في نقلته .

٣ أهويل : أهوال ، مخاوف ، واحدها هول .

٤ العقابيل : الشدائد ، واحدها عقبول ، وعقبولة .

٥ الهدة ، من هد البناء : هدمه هدماً شديداً وكسره بشدة صوت .

٦ النفخة : نفخة بوق القيامة .

ومن فجأة الصيحة^١ ، قضي فحان ، وأذن به فكان ؛ فوالله ما
عذبت أمة^٢ برجفة ، ولا ريح ولا سخطة ، عذاب عيني بروية
المغاظة المضنية ، والأخبار المهلكة ، كأن الزمان توكل
بعذابي ، أو انتصب لايلامي ؛ فما عيش من لا يسر بأخ شقيق ،
ولا خدن شقيق ، ولا يصطبج في أول نهاره إلا بروية من
تكره رؤيته ، ونعمة من تغمه طلعت ، فبدل الله لي ، أي
أخي ، بالمسكن مسكناً وبالربع ربعاً ، فقد طالت الغمة ،
وواطنت الكربة ، وادهمت الظلمة ، وخمد السراج ، وتباطأ
الانفراج . والسلام .

١ الصيحة : فزع يوم الدين .

فساد الاخوان

قال ابو الدرداء: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فصاروا شوكاً لا ورق فيه .

وقيل لعروة بن الزبير: ألا تنتقل الى المدينة؟ قال: ما بقي بالمدينة الا حاسدٌ على نعمة، أو شامتٌ بمصيبة .

الحشني قال أنشدني الرياشي :

إذا ذهب التكرُّم والوفاء، وباد رجاله وبقي الغشاء
وأسلمني الزمان إلى رجالٍ كأمثال الذئاب، لها عُواء
صديق كلِّما استغنيت عنهم، وأعداء إذا جهد البلاء
إذا ما جتُّهم يتدافعوني، كأنني أجربُ آذاه داء
أقول، ولا ألام على مقالٍ، على الإخوان كلِّهم العفاء

وقالت الحكماء: لا شيء أضيع من مودة من لا وفاء له،

واصطناع من لا سُكْرَ عنده ، والكرِيمُ يُوَدُّ الكَرِيمَ عن لُفِيَةِ
واحدة ، والثلِيمُ لا يَصِلُ أَحَدًا الا عن رَغْبَةٍ أو رَهْبَةٍ .

وفي كتاب للهند : انَّ الرَّجُلَ السَّوْءَ لا يَتَغَيَّرُ عن طَبْعِهِ ،
كما أن الشَّجَرَةَ المَرَّةَ لو طَلَبْتِهَا بالعِسلِ لم تُثْمِرِ إِلَّا مرًّا .

وسمع رجل أبا العتاهية يُنشد :

فَارْمِ بِطَرَفِكَ حَيْثُ شِئْتِ ، فِلا تَرى إِلَّا بَخِيلاً
فقال له : تَجَمَّلْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ ؛ قال : فأكذبني بسخميِّ واحد .
وقال أيضاً في هذا المعنى :

لله دَرُّ أَيِّك أَيِّ زَمَانِ ،
أصبحتُ فيه ، وأيِّ أَهْلِ زَمَانِ
كُلُّ يُوَازِنُكَ المَوَدَّةَ جَاهِداً ،
يُعْطِي وَيأخُذُ مِنْكَ بالمِيزانِ
فإذا رَأَى رُجْحانَ حَبَّةَ خَرْدَلِ ،
مالتْ مَوَدَّتُهُ مع الرُّجْحانِ

وقال فيه أيضاً :

أَرى قوماً وُجوهُهُمُ حِسانٌ ، إذا كانت حَوَائِجُهُمُ إِلينا

وَإِنْ كَانَتْ حَوَائِجُنَا إِلَيْهِمْ ، يُقَبِّحُ حُسْنَ أَوْجِهَهُمْ عَلَيْنَا
فَإِنْ مَنَعَ الْأَشْحَةَ مَا لَدَيْهِمْ ، فَإِنَّا سَوْفَ نَمْنَحُ مَا لَدَيْنَا
وقال :

مَوَالِينَا ، إِذَا احْتَاوَا الْيَنَا ،
وَلَيْسَ لَنَا ، إِذَا احْتَجْنَا ، مَوَالِي

•
لِلبَكْرِيِّ :

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخُنْهُ سَاعَةً ، فِي دَمِي كَفَيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسُ
كَانَ فِي سِرِّي وَجْهِي ثِقَتِي ، لَسْتُ عَنْهُ فِي مُهِمِّ أَحْتَسِرُ
سَتَرَ الْبُعْضَ بِالْفَاظِ الْهَوَى ، وَادَّعَى الْوُدَّ بَغِشٍ وَدَلَسُ^١
إِنْ رَأَيْتَنِي قَالَ لِي خَيْرًا ، وَغَيْبَتْ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسُ^٢
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّنْتَهُ فُرْصَةً ، حَمَلَ السِّيفَ عَلَى تَجْرِى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنْ خَانَهُ قَدَرٌ أَيْقَظُ مَنْ كَانَ نَعَسُ

١ دلس : خدع .

٢ دحس : افسد .

وَأَنشُدُ الْعُتْبِي :

إِذَا كُنْتَ تَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ،
وَتَعْتَبُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ عَلَيَّا
طَلَبْتُ رِضَاكَ فَإِنْ عَزَيْتِي ،
عَدَدْتُكَ مِثْلًا ، وَإِنْ كُنْتَ حَيًّا
فَلَا تَعْجَبَنَّ بِمَا فِي يَدَيْكَ ،
فَأَكْثَرُ مِنْهُ الَّذِي فِي يَدَيَّا

وقال ابن أبي حازم :

وصاحبٍ كان لي ، وكنْتُ له ،
أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَيَّ وَوَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ ،
أَوْ كَذِرَاعٍ نِيْطُ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْخَوَادِثُ فِي
عَظْمِي ، وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
أَزُورٌ عَنِي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ
طَرَفِي ، وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي

وقال :

وخِلِّ كَان يَخْفِضُ لِي جَنَاحًا ،
أَفَادَ غِنَى ، فَنَابَذَنِي جِمَاحًا ١
فقلتُ له ولي نَفْسُ عَزُوفٍ ،
إِذَا حَمِيَتْ تَقَحَّمت الرِّمَاحًا : ٢
سأبَدِلُ بِالْمَطَامِعِ فِيكَ يَأْسًا ،
وَبِالْيَأْسِ اسْتِرَاحَ مِنْ اسْتِرَاحَا

قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

وَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً ،
فَإِنْ عَرَضَتْ أَقْبَتُ أَنْ لَا أَخَا لِيَا
فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، بَعْدَ مَا
بَلَوْتُكَ فِي الْحَاجَاتِ ، إِلَّا تَمَادِيَا
كَلَانَا غِنِيًّا عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ ،
وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

١ نابذه : خالفه وفارقه عن عداوة. الجماع ، من جمع الرجل : إذا ركب هواه .

٢ عزوف ، من عزف عن الشيء : زهد فيه وملاه .

وعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ،
كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِّي الْمَسَاوِيَا

وقال البُحْتَرِيُّ :

أُشْرِقُ أُمَّ أَعْرَبُ يَا سَعِيدُ،
وَأَنْقُصُ مِنْ ذِمَامِي ، أَوْ أَزِيدُ
عَدَّتِي عَنْ نَصِيْبِي الْعَوَادِي،
فَبَخَّتِي أَيْبُهُ فِيهَا بَلِيدًا
وَحَلَفَنِي الزَّمَانُ عَلَى رِجَالِ،
وُجُوهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ حَدِيدِ
لَهُمْ نُحْلَلُ حَسَنٌ ، فَهُنَّ بَيْضُ،
وَأَخْلَاقُهُ سَمُجْنٌ ، فَهُنَّ سُودُ
أَلَا لَيْتَ الْمَقَادِرَ لَمْ تُقَدَّرْ،
وَلَمْ تَكُنْ الْعَطَايَا وَالْجُدُودُ^٢

١ عدتني : صرفتني . العوادي : العوائق . البخت : الحظ .

٢ الجدود : الحظوظ ، واحدها جد .

وقال ابن أبي حازم :

وقالوا لو مَدَحْتَ فَتَى كَرِيمًا
فَقُلْتُ وَكَيْفَ لِي بِفَتَى كَرِيمٍ؟
بُلَيْتُ، وَمَرَّ بِي خَمْسُونَ حَوْلًا،
وَحَسْبُكَ بِالْمُجْرَبِ مِنْ عَلِيمٍ
فَلَا أَحَدٌ يُعَدُّ لِيَوْمِ خَيْرٍ،
وَلَا أَحَدٌ يَعُودُ عَلَى عَدِيمٍ

وقال :

قد بلوتُ النَّاسَ طُرًّا، لَمْ أَجِدْ فِي النَّاسِ حُرًّا
صَارُ حُلُوُ النَّاسِ فِي الْعَيْنِ، إِذَا مَا ذِيقَ، مُرًّا

وقال :

مَنْ سَلَ عَنِّي أَطْلَقْتُ حِبَالِي مِنْ حِبَالِهِ
أَوْ أَجَدَّ الْوَصْلَ سَارَعْتُ بِجَهْدِي فِي وَصَالِهِ
إِنَّمَا أَحْذُو عَلَى فِعْلِ صَدِيقِي بِمِثَالِهِ
غَيْرَ مُسْتَجِدٍّ، إِذَا ازْوَرَ، كَأَنِّي مِنْ عِيَالِهِ

١ يعود على عديم : اي يحسن الى فقير .

لَنْ تَرَانِي أَبَدًا أُعْظِمُ ذَا مَالٍ لِمَالِهِ
لَا وَلَا أَزْرَى بَمَنْ يَعْقِلُ عِنْدِي سُوءُ حَالِهِ
إِنَّمَا أَقْضِي عَلَى ذَاكَ وَهَذَا بِفِعَالِهِ
كَيْفَمَا صَرَفَنِي الدَّهْرُ ، فَإِنِّي مِنْ رِجَالِهِ

ومن قولنا في هذا المعنى :

أَبَا صَالِحٍ جَاءَتْ عَلَى النَّاسِ غَفْلَةٌ
عَلَى غَفْلَةٍ ، بَانَتْ بِكُلِّ كَرِيمٍ
فَلَيْتَ الْآلِي بَانُوا يُفَادُونَ بِالْآلِي
أَقَامُوا ، فَيُفْدى ظَاعِنٌ بِمُقِيمٍ
وَيَا لَيْتَهَا الْكُبْرَى ، فَتَطْوَى سَمَاوُنَا
لَهَا ، وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدًّا أَدِيمٍ
فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا عَيْشٌ كُلُّ مُبَحَّلٍ ؛
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَوْتُ كُلِّ دَمِيمٍ
وَأَعْدَرُ مَا أَدْمَى الْجُفُونَ ، مِنَ الْبُكَاءِ ،
كَرِيمٌ رَأَى الدُّنْيَا بِكَفِّ لَسِيمٍ

ومثله في هذا المعنى :

أبا صالح ! أين الكرامُ بأسرهم؟
أفدني كريماً ، فالكريمُ رِضاءُ
أحقاً يقول الناسُ في جود حاتمٍ ،
وإبنِ سنانٍ كان فيه سخاءٌ؟
عذيري من خلقٍ تَخَلَّقَ منهمُ
غَبَاءُ ، ولُوؤْمٌ فاضحٌ ، وجَفَاءُ
حِجَارَةٌ بُخِلَ ما تَجُودُ ، ورُبُّما
تَفَجَّرَ من صُمِّ الحِجَارَةِ ماء
ولو أنَّ موسى جاء يَضْرِبُ بالعَصَا ،
لما انبجست من ضربه البُخلاءُ
بِقَاءُ لئامِ الناسِ مَوْتٌ عليهمُ ،
كما أنَّ موتَ الأكرمين بقاءُ
عزيرتُهم أن تجود أكفَّهمُ ،
عليهم من الله العزيرِ عَفَاءُ

١ ابن سنان : هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبي سلمى ، وقطع الهمزة للشعر .

ومثله قولنا في هذا المعنى :

ساقٌ تَرَنِّحُ يَشْدُو فَوْقَهُ ساقٌ،
كَأَنَّهُ لِحَنِينِ الصَّوْتِ مُشْتاقٌ^١
يا ضَيْعَةَ الشَّعْرِ فِي بُلْبُلِهِ جَرَامِقَةٌ،
تَشَابَهَتْ مِنْهُمْ، فِي اللُّثُومِ، أَخلاقٌ^٢
عُغِلَتْ بِأَعْنَاقِهِمْ أَيْدٍ مُقْفَعَةٌ؛
لا بُورَكَتْ مِنْهُمْ أَيْدٍ وَأَعْنَاقٌ^٣
كَأَنَّمَا بَيْنَهُمْ، فِي مَنَعِ سَائِلِهِمْ،
وَحَبَسِ نَائِلِهِمْ، عَهْدٌ وَمِيثاقٌ
كَمْ سُقِئْتُهُمْ بِأَمَادِيحِي، وَقُدْتُهُمْ
نَحْوَ الْمَعَالِي، فَمَا انْقَادُوا وَمَا انْساقُوا
وَإِنْ نَبَا بِي فِي سَاحَاتِهِمْ وَطَنُهُ،
فَالأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالنَّاسُ أَفْرَاقٌ^٤

١ الساق الأولى : جذع الشجرة . الساق الثانية : اراد بها ساق حر ، وهو ذكر

القماري ، ضرب من الحمام . يشدو : يبغي .

٢ الجرامقة : قوم من العجم كانوا ينزلون الموصل في اوائل الاسلام ، واحدهم

جرمقاني .

٣ المقفعة : المتشعبة .

٤ أفراف : أقسام ، واحدهم فرق .

ما كنتُ أوَّلَ ظمآنٍ بِمَهْمَةٍ،
 يَغْرُهُ من سِرابِ القَفْرِ رَقْرَاقِ
 رِزْقٍ من الله أَرْضَاهمِ وَأَسْخِطِنِي،
 وَاللهُ لِلأَنْوَكِ المَعْتَوِهِ رِزْاقٌ^١
 يَا قَابِضَ الكَفِّ، لا زَالَتِ مُقَبِّضَةٌ،
 فَمَا أَنَامِلُهَا لِلنَّاسِ أَرْزَاقِ
 وَغِيبٌ إِذَا سِئْتِ، حَتَّى لا تُرَى أَبَدًا،
 فَمَا لِفَقْدِكَ فِي الأَحْشَاءِ إِقْلَاقِ
 وَلا إِلَيْكَ سَبِيلُ الجُودِ شَارِعَةٌ؛
 وَلا عَلَيْكَ لِنُورِ المِجْدِ إِشْرَاقِ
 لَمْ يَكْتَنِفْنِي رِجَاءٌ لا وَلا أَمَلٌ،
 إِلا تَكْتَفِهِ 'ذَلٌّ' وَإِمْلَاقِ

•
 وقال مؤمِّل بن سعيد في هذا المعنى :

إِنَّمَا أَرزَى بِقَدْرِي أَنِّي لستُ من نَابِيهِ أَهْلِ البَلَدِ^٢

١ الانوك : الاحمق .

٢ النابه : الشريف المشهور .

ليس منهم غيرُ ذي مَقْلِيَّةٍ لذوي الألباب، أو ذي حَسَدٍ
يَتَحَامَوْنَ لِقَائِي مثلما يتحامون لقاء الأسد
طَلَعْتِي أَثْقَلُ، في أعينهم وعلى أنفسهم، من أحد
لورأوني وَسَطَ بَحْرِ، لم يكن أحدٌ يأخذ منهم بيدي

١ المقلية : البغض .

في الكبر

قال النبي، صلى الله عليه وسلم : يقول الله، تبارك وتعالى :
العظمة إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعني واحداً منهما
قصمته وأهنته .

•
وقال عليه السلام : لا يدخل حاضرة القدس مُتكبر .

وقال : فضل الإزار في النار . معناه : من سحب ذيله
في الحياء قاده ذلك الى النار .

•
ونظر الحسن الى عبد الله بن الاهتم يخطِر في المسجد ،
فقال : انظروا الى هذا ، ليس منه عُضو إلا والله عليه نعمة ،
وللشيطان فيه لعنة .

•
وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بُنى ، اياك والكبير ،
وليكن فيما تستعين به على تركه ، علمك بالذي منه كنت ،
والذي اليه تصير . وكيف الكبر مع النُطفة التي منها خلقت ،

والرَّحِمِ التي منها قُدِّفَتْ ، والغِذاء الذي به عُذِّيت ؟

وقال يحيى بن حَيَّان: الشَّريفُ إِذا تقوَّى تواضع ، والوَضِيعُ إِذا تقوَّى تكبَّر .

وقال بعض الحكماء : كيف يَسْتَقِرُّ الكِبَرُ فيمن خُلِقَ من تراب ، وطوي على القدر ؟

وقال الحسن: عجباً لابن آدم كيف يَتَكَبَّرُ وفيه تِسْعَةُ سُمُومٍ^١ كلُّها يُؤْذِي !

وذكر الحسن المتكبرين فقال : يُلْفَى أَحدهم يَنْصُ رَقْبَتَهُ نَصًّا ، يَنْفُضُ مِذْرُوبَهُ^٢ ، وَيَضْرِبُ أَصْدْرِيهِ^٣ ، يَمْلُخُ فِي الباطِلِ^٤ ، مَلَخًا ، يَقُولُ : ها أَنَا ذَا فاعرفوني ؛ قد عَرَفْنَاكَ يا أَحْمَقَ ، مَقْتَك اللهُ ومَقْتَك الصالحون .

١ لم يورد تفصيلاً لهذه السموم .

٢ النفض : التحريك . المذروان : فرعا منكبيه .

٣ يضرب صدره : أخذه من قولهم : جاء يضرب صدره ، اي فارغاً ، وقيل بطراً مرحاً .

٤ يملخ في الباطل : يتردد فيه ويكثر .

ووقف عُيَيْنَةُ بنِ حِصْنِ بِيَابِ عَمَرَ بنِ الحَطَّابِ ، رضي الله
عنه ، فقال : استأذِنُوا لي على أمير المؤمنين وقولوا له : هذا ابن
الأخيار بالباب . فأذِنَ له ، فلما دخل عليه ، قال له : أنت ابنُ
الأخيار ؟ قال : نعم ؛ قال له : بل أنت ابن الأشرار ، وأما ابن
الأخيار فهو يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بنِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيمَ .

وقيل لعبيد الله بن ظبيان : كثر الله في العشيرة أمثالك ؛
فقال : لقد سألت الله شططاً .

وقيل لرجل من بني عبد الدار عظيم الكبر : ألا تأتي الخليفة ؟
قال : أخشى ألا يحمل الجسرُ شرفي .
وقيل له : ألا تلبس فإن البرد شديد ؟ قال : حسبي
يُدْفِئُنِي .

قيل للحجاج : كيف وجدتَ منزلَك بالعِراقِ أيها الأمير ؟
قال : خَيْرَ مَنْزِلٍ ، لو أدركتُ بها أربعة نفر فتقرَّبتُ إلى
اللهُ سُبحانَهُ وتعالى بدمائهم .
قيل له : ومن هم ؟

قال : مُقاتِلُ بنِ مِسمع ، وَلِيَّ سِجِسْتان ، فأتاه الناسُ

فأعطاهم الأموال ؛ فلما قَدِمَ البصرة بسط له الناسُ أُرديتهم
فمشى عليها ، فقال : لمثل هذا فليعمل العامِلون . وعبيد الله بن
ظبيان ، خطب خطبة أوجز فيها ، فناداه الناس من أعراض
المسجد : كثر الله فينا أمثالك ؛ قال : لقد كلَّفتم ربكم شططاً .
ومعبد بن زُرارة ، كان ذات يومٍ جالساً على طريق ، فمرت
به امرأةٌ ، فقالت : يا عبد الله ، أين الطريقُ لمكان كذا ؟
فقال : لمثلي يُقال يا عبد الله ! ويلك ! وأبو السَّمال الحَنفيّ ،
أضلَّ ناقته ، فقال : والله لئن لم تُردَّ عليّ ناقتي لا صليت أبداً .
وقال ناقلُ الحديث : ونسي الحجَّاج نفسه ، وهو خامسُ
هؤلاء الأربعة ، بل هو أشدُّهم كُفراً وأعظمهم إحداداً ، حين
كتب الى عبد الملك بن مروان في عطسة عَطسها فشمته أصحابه
وردَّ عليهم : بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين وتشميت
أصحابه له وردّه عليهم ، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً .
وكتابه اليه : إنّ خَليفة الرجل في أهله أكرمُ عليه من
رسوله اليهم ، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلةً من
المُرسلين .

العتبيّ قال : رأيتُ محرزاً مولى باهلة يطوف على بَغلة بين
الصفاء والمروّة ، ثم رأيتُه بعد ذلك على جسر بَغداد راجلاً ،

فقلت له : أراجله أنت في مثل هذا الموضع ؟ قال : نعم ، اني
ركبتُ في مَوْضع يَمْشي الناس فيه ، فكان حقيقاً على الله أن
يُرَجِّلني في مَوْضع يركب الناس فيه .

وقال بعض الحكماء لابنه : يا بُني ، عليك بالترحيب والبشر ،
وإياك والتقطيب والكبر ، فإن الأحرار أحب إليهم أن يلقوا
بما يحبون ويحرموا ، من أن يلقوا بما يكرهون ويعطوا .
فانظر الى خصلة غطت على مثل اللؤم فالزمها ، وانظر الى خصلة
غفت على مثل الكرم فاجتنبها . ألم تسمع قول حاتم الطائي :

أضاحكُ ضيفي قبل إنزال رحله ،
ويُخصب عندي والمحلُّ جديبُ
وما الخِصب للأضياف أن يكثر القري ،
ولكننا وجهُ الكريم خصيب

وقال محمود الوراق :

التَّيِّهُ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ ، مَنقَصَةٌ
للعقل ، مَجَلِبَةٌ لِلذَّمِّ وَالسَّخَطِ

١ التيه : الكبرياء .

مَنْعُ الْعَطَاءِ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ أَحْسَنُ مِنْ
بَذْلِ الْعَطَاءِ بِوَجْهِ غَيْرِ مُنْبَسِطٍ

وقال أيضاً :

بِشْرُ الْبَخِيلِ يَكَادُ يُصْلِحُ بُخْلَهُ،
وَالْتِيَهُ مَفْسَدَةٌ لِكُلِّ جَوَادٍ
وَنَقِيصَةٌ تَبْقَى عَلَى أَيَامِهِ،
وَمَسْبَةٌ فِي الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ

وقال آخر في الكبير :

مَعَ الْأَرْضِ يَابِنَ الْأَرْضِ فِي الطَّيْرِانِ،
أَتَأْمُلُ أَنْ تَرْفَى إِلَى الدَّبْرَانِ؟^١
فَوَاللَّهِ مَا أَبْصَرْتُ يَوْمًا مُحَلَّقًا،
وَلَوْ حَلَّ بَيْنَ الْجَدْيِ وَالسَّرَطَانِ^٢
حَمَاهُ مَكَانُ الْبُعْدِ مِنْ أَنْ تَنَالَهُ
بِسَهْمٍ، مِنْ الْبَلْوَى، يَدُ الْحَدَثَانِ

١ الدبران : منزلة للقمر .

٢ الجدي والسرطان : برجان في السماء .

التسامح مع النعمة

والتذلل مع المصيبة

قالوا : من عزَّ بإقبال الدهر ذلَّ بإدباره .

•

وقالوا : من أبطره الغنى أذله الفقر .

•

وقالوا : مَنْ وَلي ولاية يَرى نفسه أكبر منها لم يَتغير لها ،
ومَنْ وَلي ولاية يراها أكبر من نفسه تَغير لها .

•

وقال يحيى بن حيان : الشَّريف إذا تقوى تواضع ، والوَضيع
إذا تقوى تكبَّر .

•

وقال كسرى : احذروا صولة الكرم إذا جاع ، واللئيم
إذا شبع .

•

وكتب علي بن الجهم الى ابن الزيات :

أبا جعفرٍ عَرَّجَ على مُخْطِئِكَ،
وأقصرَ قليلاً من مَدَى غُلُوَانِكَ
فإن كُنْتَ قد أوتيت ، في اليوم ، رِفْعَةً
فإنَّ رَجَائِي ، في غَدٍ ، كَرَجَائِكَ

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي :

لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْهُ اللَّيَالِي لِأَنَّهُ
صَبُورٌ عَلَى عَضَاءِ تِلْكَ الْبَلَابِلِ^١
إِذَا نَالَ لَمْ يَفْرَحْ ، وَلَيْسَ لِنَسِيبَةِ
أُمَّتْ بِهِ بِالْحَسَّاسِ الْمُتَضَائِلِ

وقال الحسن بن هانئ :

ولقد حَزِنْتُ فلم أُمَّتْ تَرَحَاهُ
ولقد فَرِحْتُ فلم أُمَّتْ فَرَحَاهُ

١ العضاء : الشديدة . البلابل : الوسوس والمهموم .

كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي بن أبي
طالب ، عليه السلام ، يسأله عن حاله ، فكتب إليه علي ، رضي
الله عنه :

فإن تسأليني كيف أنت ، فإنني
جليدٌ ، على عَصِّ الزَّمان ، صليبُ
عزيرٍ عليٍّ أن تَرى بي كآبةً ،
فيفرحَ واشٍ ، أو يُساءَ حبيب

ما جاء في ذم الحمق والجهل

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : الجهلُ يظلم من خالطه ، ويعتدي على من هو دونه ، ويتناول على من هو فوقه ، ويتكلم بغير تمييز ، وإن رأى كريمةً أعرض عنها ، وإن عرّضت فتنة أرذته وتهوّر فيها .

وقال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث : العُجب ، وكثرة المنطق ، وأن ينهى عن شيء ويأتيه .

وقال أردشير : حسبكم دلالة على عيب الجهل أن كل الناس تنفر منه وتغضب من أن تُنسب إليه .

وكان يقال : لا تغررك من الجاهل قرابة ولا أخوة ولا إلف ، فإن أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها .

وقيل : خصمتان تُقربانك من الأحمق ، كثرة الالتفات ، وسرعة الجواب .

وقيل: لا تصطبج الجاهل فإنه يريد أن ينفك فيضرك.

ولبعضهم :

لكل داءٍ دواءٌ يُستطبُّ به ، إلا الحماقة أعيّت من يداويها

ولأبي العتاهية :

إحذر الأحمق أن تصحبه ، إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلّما رقّعته من جانب زعزعته الريح يوماً فالخرق
أو كصدع في زجاج فاحش ، هل ترى صدع زجاج يلتصق؟
فإذا عاتبته كي يرعوي زاد شراً وتمادى في الحمق

في التواضع

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: مَنْ تواضع لله رَفَعَهُ اللهُ .

•
قالت الحكماء: كلَّ نِعْمَةٍ يُجَسَدُ عَلَيْهَا إِلَّا التَّوَاضِعَ .

•
وقال عبدُ الملك بن مروان، رَفَعَهُ اللهُ إِلَى النبي، صلى الله عليه وسلم: أَفْضَلُ الرَّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ .

•
وقال ابن السمَّك لعيسى بن موسى: تَوَاضَعْ فِي شَرَفِكَ أَكْبَرُ مِنْ شَرَفِكَ .

•
وأصبح النجاشي يوماً جالساً على الأرض والتاج عليه، فأعظمت بطارقته ذلك، وسأله عن السبب الذي أوجبه، فقال: إني وَجَدْتُ فيما أنزل اللهُ على المسيح: إِذَا أَنْعَمْتُ عَلَى عَبْدِي نِعْمَةً فَتَوَاضَعَ أَتَمَّتْهَا عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ وَلَدِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ غَلَامٌ فَتَوَاضَعْتُ شُكْرًا لِلَّهِ .

خرج عمرُ بن الخطاب، رضي الله عنه، ويدهُ على المعلّى بن الجارود العبديّ فلقيته امرأةٌ من قريش، فقالت له: يا عمر! فوقف لها؛ فقالت: كُنّا نعرفك مُدةً عميراً، ثم صرت من بعد عميرٍ عمر، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين، فاتق الله يا ابن الخطاب وانظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد قُربَ عليه البعيد، ومن خاف الموتَ خشِيَ الفوت. فقال المعلّى: إيهًا يا أمة الله، فقد أبكيت أمير المؤمنين. فقال له عمر: اسكت، أتدري من هذه ويحك؟ هذه حوّلة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمر أخرى أن يسمع قولها ويقتدي به.

وقال أبو عبّاد: ما جالس إليّ رجل قطُّ إلا خيّل إليّ أنّي سأجلس إليه.

وسئل الحسن عن التواضع فقال: هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضلَ عليك.

وقال رجل لبكر بن عبد الله: علّمني التواضع؛ فقال: إذا رأيتَ من هو أكبرُ منك فقل: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح، فهو خيرُ مني، وإذا رأيتَ من هو أصغرُ منك فقل:

سبقته الى الذنوب والعمل السيء ، فأنا شر منه .

وقال أبو العتاهية :

يا مَنْ تَشَرَّفَ بالدُّنْيَا وزينتها،
ليسَ التَّشَرُّفُ رَفَعَ الطَّيْنَ بالطَّيْنِ
إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلِّهمْ،
فانظُرْ إلى مَلِكٍ في زِيِّ مَسْكِينِ
ذالكَ الذي عَظُمَت في الناسِ هِمَّتُه،
وذاكَ يَصْلُحُ للدُّنْيَا وللدِّينِ

الرفق والائانة

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : من أوتي حظه من الرفق فقد أوتي حظه من خير الدنيا والآخرة .



وقالت الحكماء : يُدرك بالرفق ما لا يُدرك بالعنف ، ألا ترى أن الماء على لينة يقطع الحجر على شدته ؟



وقال أشجع بن عمرو السلمي لجعفر بن يحيى بن خالد :
ما كان يُدرك بالرجال ، ولا بالمال ، ما أدرك بالرفق



وقال النابغة :

الرفق يُمنُّ ، والائانةُ سعادةٌ ، فاستأن في رفقٍ تلاقٍ نجاحاً



وقالوا : العجل بريدُ الزلّل .

أخذ القطامي التعلبي هذا المعنى فقال :

قد يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ؛
وقد يكونُ معَ المُسْتَعِجِلِ الزَّلُّ

وقال عديُّ بن زيد :

قد يُدْرِكُ المُبْطِئُ مِنَ حَظِّهِ ،
والْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ الْحَرِيصِ

استراحة الرجل

بمكنون سره الى صديقه

تقول العرب^١ : أفضيتُ اليك بشقوري^١ . وأطلعتك على
عجبري وبجبري^٢ . ولو كان في جسدي برص ما كتته .

•
وقال الله ، تبارك وتعالى : لكل نبياً مُستقراً .

•
وقالت الحكماء : لكل سرٍّ مُستودع .

•
وقالوا : مُكامة الأذنين صريحُ العقوق .

•
وقال الشاعر :

وأبثتُ عمراً بعضَ ما في جوانيحي ،
وجرّعتُه من مرٍّ ما أنجرعُ

١ بشقوري : بالأموال اللاصقة بقلبي المهمة له .

٢ عجبري وبجبري : عيوني وأحزاني ، وما أبدي وما أخفي .

ولا بُدَّ من شَكْوَى إلى ذي حَفِيظَةٍ ،
إِذَا جَعَلَتْ أَسْرَارُ نَفْسٍ تَطْلَعُ

وقال حبيب :

شكوتُ ، وما الشَّكْوَى لِثَلِي عَادَةٍ ،
ولكن تَفِيضُ النَفْسِ عِنْدَ امْتِلَائِهَا

وأشَدُّ أبو الحسن محمدُ البصري :

لَعِبَ الهَوَى بِعَالَمِي ورُسُومِي ،
وَدَفِنْتُ حَيًّا تَحْتَ رَدْمِ هُمُومِي
وشكوتُ هَمِّي ، حين ضَمْتُ ، ومن شكا
هَمًّا يَضِيقُ بِهِ ، فغَيْرَ مَلُوم

وقال آخر :

إِذَا لم أَطِيقَ صَبْرًا رَجَعْتُ إلى الشَّكْوَى ،
وَنَادَيْتُ تَحْتَ اللَّيْلِ يَا سَامِعَ التَّجْوَى
وَأَمْطَرْتُ صَحْنِ الحُدِّ غَيْثًا ، من البُكَاءِ ،
على كَبِدِ حَرَّى لِتَرَوِي فَمَا تَرَوِي

١ الحفيظة : اسم من المحافظة على المحارم والمنع لها عند الحرب .

الاستدلال باللحظ على الضمير

قالت الحكماء : العين باب القلب ، فما كان في القلب ظهر في العين .

أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس بن مُصعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال :

إني لأعرف في العين إذا عرفت ، وأعرف فيها إذا أنكرت ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تُنكر ، أما إذا عرفت فتخواس^١ ، وأما إذا أنكرت فتجحظ^٢ ، وأما إذا لم تعرف ولم تُنكر فتسجؤ^٣ .

وقال صريع الغواني :

جعلنا علامات المودة بيننا
مصايد لحظ ، هن أخفى من السحر

١ تخواس : تغور .

٢ فتجحظ : تمظم مقلتها وتنتأ .

٣ تسجؤ : تسكن .

فَأَعْرِفُ فِيهَا الْوَصْلَ فِي لَيْنِ طَرْفِهَا،
وَأَعْرِفُ فِيهَا الْهَجْرَ فِي النَّظْرِ الشَّرِّرِ

وقال محمودُ الوراق :

إِنَّ الْعُيُونَ عَلَى الْقُلُوبِ شَوَاهِدٌ،
فَبَغِيضُهَا لَكَ بَيِّنٌ وَحَبِيبُهَا
وَإِذَا تَلَاخِظْتَ الْعُيُونَ تَفَاوَضَتْ،
وَتَحَدَّثَتْ عَمَّا تُجِنُّ قُلُوبُهَا
يَنْطِقِينَ، وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ، فَمَا
يَخْفَى عَلَيْكَ بَرِيئُهَا وَمُرِيبُهَا

وقال ابن أبي حازم :

تُخَذُ مِنَ الْعَيْشِ مَا كَفَى، وَمِنِ الدَّهْرِ مَا صَفَا
عَيْنُ مَنْ لَا يُحِبُّ وَصَلَكَ تُبْدِي لَكَ الْجَفَا

ومن قولنا في هذا المعنى :

صَاحِبٌ فِي الْحُبِّ مَكْذُوبٌ، دَمَعَهُ لِلشَّوْقِ مَسْكُوبٌ

كلُّ ما تَطْوِي جَوَانِحَهُ ، فهو في العَيْنين مَكْتُوب

وقال الحسن بن هانئ :

وإنِّي لَطَيْرُ العَيْنِ بِالعَيْنِ زاجِرٌ ،
فقد كِدْتُ لا يَخْفَى عليَّ ضَمِيرٌ

الاستدلال بالضمير على الضمير

كتب حكيم الى حكيم : إذا أردتَ معرفة مالِكَ عندي
فضع يدَكَ على صدرك ، فكما تَجِدني كذلك أجِدك .

وقالوا : إيَّاكم ومن تبغضه قلوبُكم ، فإن القلوب تجازي
القلوب .

وقال ذو الإصبع :

لا أسألُ الناسَ عمّا في ضمائرهم ،
ما في ضميري لهم من ذلك يكفيني

وقال محمودُ الورّاق :

لا تَسألنَّ المرءَ عمّا عنده ، واستمّل ما في قلبه من قلبك
إن كان بُغضاً كان عندك مثله ، أو كان حُبّاً فازَ منك بحُبِّك

الاصابة بالظن

قيل لعمر وبن العاص: ما العقل؟ قال: الاصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ ظَنُّهُ لَمْ يَنْفَعَهُ يَقِينُهُ .

وقال عليُّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: لله دَرُّ ابن عباس، إن كان لينظر الى الغيب من ستر رقيق .

وقال الشاعر :

وَقَلَّمَا يَفْجَأُ الْمَكْرُوهُ صَاحِبَهُ،

حَتَّى يَرَى لَوَجُوهِ الشَّرِّ أَسْبَابَا

وإنَّما ركب الله العقلَ في الانسان دون سائر الحيوان

ليستدلَّ بالظاهر على الباطن ، ويفهم الكثير بالقليل .

ومن قولنا في هذا المعنى :

يا غافلاً ما يرى إلا محاسنه ،

ولو درى ما رأى إلا مساويه .

انظر إلى باطن الدنيا ، فظاهرها

كلُّ البهائم يجري طرفها فيه

تقديم القرابة وتفضيل المعارف

قال الشَّيباني : أول من آثر القرابة والأولياء عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه . وقال : كان عمر بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله . فلا يُرى أفضل من عمر .

وقال لما آوى طريد النبي^١ ، صلى الله عليه وسلم : ما نقيم الناسُ عليَّ أن وصلتُ رحيمًا وقرَّبتُ عمًّا .

وقيل لمعاوية بن أبي سُفيان : إنَّ آذَنكَ يُقدِّمُ معارفه وأصدقاءه في الأذن على أشرف الناس ووجوههم ؛ فقال : ويلكم ! إنَّ المعرفة لتَنفَع في الكلب العقور ، والجمل الصَّوُول ، فكيف في رجل حسيب ذي كرم ودين !

وقال رجل لزياد : أصلح الله الأميرَ ، إنَّ هذا يُدلُّ بمكانة

١ طريد النبي : هو الحكم بن ابي العاص .

يَدْعِيهَا مِنْكَ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَخْبِرْكَ بِمَا يَنْفَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، إِنْ
كَانَ الْحَقُّ لَهُ عَلَيْكَ أَخَذْتِكَ بِهِ أَخْذًا شَدِيدًا ، وَإِنْ كَانَ لَكَ عَلَيْهِ
قَضِيَّتُهُ عَنْهُ .

وقال الشاعر :

أَقُولُ لِحَارِي ، إِنْ أَتَانِي مُخَاصِمًا ،
يُدِلُّ بِحَقِّ ، أَوْ يُدِلُّ بِبَاطِلٍ :
إِذَا لَمْ يَصِلْ خَيْرِي ، وَأَنْتَ مُجَاوِرِي ،
إِلَيْكَ ، فَمَا شَرِّي إِلَيْكَ بِوَاصِلٍ

العتبي قال : وليَ عبد الله بن خالد بن عبد الله القسري قضاء
البصرة ، فكان يجابي أهل مودّته ؛ فقبل له : ايّ رجلٍ أنت
لولا أنك تُجابي ! قال : وما خَيْرُ الصّدِيقِ إِذَا لَمْ يَقْطَعْ لَصْدِيقَهُ
قِطْعَةً مِنْ دِينِهِ !

وولي ابن شبرمة قضاء البصرة وهو كاره ، فأحسن السيرة .
فلما عُزِلَ اجتمع إليه أهلُ خاصّته ومودّته ، فقال لهم : والله
لقد وليتُ هذه الولاية وأنا كارهٌ ، وعُزِلت عنها وأنا كارهٌ ؛

وما بي من ذلك الا مخافة أن يلي هذه الوجوه من لا يعرف
حقها . ثم تمثل بقول الشاعر :

فما السَّجْنُ أبْكَاني ، ولا القَيْدُ سَقَّنِي ،
ولا أَتَنِي من خَشْيَةِ المَوْتِ أَجْزَعُ
بَلِي إِنَّ أَقْواماً أَخافُ عَلَيْهِمُ ،
إِذا مِتُّ ، أن يُعْطُوا الَّذِي كُنْتُ أُمْنَعُ

•
وتقول العامة : بحبة السلطان أردُّ عليك من شهودك .

•
وقال الشاعر :

إِذا كان الأَميرُ عَلَيْكَ خَصْماً ، فَكَيْسَ بِقَابِلٍ مِنْكَ الشُّهُودا

•
وقال زياد : أحبُّ الولاية لثلاث ، وأكرهها لثلاث : أحبها
لنفع الأولياء ، وضرر الأعداء ، واسترخاض الأشياء ، وأكرهها
لروعة البريد ، وقرب العزل ، وشماتة العدو .

•
ويقول الحكماء : أحقُّ من شاركك في النعمة شركاؤك
في المصيبة .

أخذه الشاعر^١ فقال :

وإنَّ أوَّلَى الموالى أنْ تُواسِيَهُ
عند الشُّرور، لَمَنْ آسَاكَ في الحَزَنِ
إنَّ الكِرَامَ، إذا ما أَسْهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كانَ يَأْلِفُهُم في المَنْزِلِ الحَسَنِ

وقال حبيب^٢ :

فَبِحِ العِداوَةِ لا تُتَّقَى، ومودَّةٌ يُدلى بها لا تَنْفَعُ

١ - ٢ هو أبو تمام .

فضل العشيرة

قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: عشيرة الرجل خير للرجل من الرجل للعشيرة، إن كف عنهم يداً واحدة كفوا عنه أيدياً كثيرة، مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم .

إن الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه إلا بنسبه، وسأتلو عليكم في ذلك آيات من كتاب الله تعالى، قال الله، عز وجل، فيما حكاه عن لوط: «لو أن لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد» يعني العشيرة، ولم يكن للوط عشيرة . فوالذي نفسي بيده ما بعث الله نبياً من بعده إلا في ثروة من قومه، ومنعة من عشيرته . ثم ذكر شعيباً إذ قال له قومه: «إنّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك» ، وكان مكفوفاً، والله ما هابوا الله ولا هابوا إلا عشيرته .

وقيل لبزرجهم: ما تقول في ابن العم؟ قال: هو عدوك وعدوك وعدوك .

الدين

من حديث عائشة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :
الدِّينُ يُنْقَضُ ذَا الْحَسَبِ .

وقال عمر : أَلَا إِنَّ الْأَسِيْفَ أَسِيْفَ جُبَيْنَةَ رَضِيَ مِنْ دِينِهِ
وَأَمَانَتِهِ أَنْ يُقَالَ : سَبَقَ الْحَاجُّ ، أَلَا وَانْه قَدَادَانُ مُعْرَضًا وَأَصْبَحَ
قَدْرِينَ بِهِ ٢ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْغَدَاةِ نَقْسِمَ لَهُ مَا
لَهُ بَيْنَ عُرْمَائِهِ ، وَإِنَّا كَمِ وَالِدَيْنِ فَإِنَّ أَوَّلَهُ هَمٌّ وَآخِرُهُ حُزْنٌ .

وقال مولى قضاة ٣ :

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد
علي ، لا إنسان من الناس ، درهما

١ المعرض: هو الذي يأخذ الدين ولا يبالي ان لا يؤديه ولا ما يكون من التبعة.
٢ رين به: أحاطت بماله الديون أو وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به.
٣ هو شقران القضاة .

ولكيتني مولى قضاة كلِّها ،
فلمستُ أباي أن أدين وتغرماً

وقال آخر :

إذا ما قضيتَ الدينَ بالدينِ لم يكنِ
قضاءً ، ولكنِ كانُ عُزْماً على عُزْمِ

وقال سُفيان الثَّوري: الدينُ هَمٌّ بالليلِ وذُلٌّ بالنهارِ ، فإذا
أراد الله أن يُذلَّ عبداً جعله قِلادةً في عُنقه .

ورأى عمرُ بن الخطاب ، رضي الله عنه ، رجلاً مُتقنّاً ،
فقال له : كان لقمان الحكيم يقول : القِناع رِيبةٌ بالليلِ ذُلٌّ
بالنهارِ ؛ فقال الرجل : إنَّ لقمان الحكيم لم يكن عليه دين .

وقال المقتنع الكِندي :

يَعِيبُونِي بِالدِّينِ قَوْمِي ، وَإِنَّمَا
تَدَايَنْتُ فِي أَشْيَاءِ تُكْسِبُهُمْ حَمِداً
إِذَا أَكَلُوا اللَّحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ ؛
وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْداً

مجانبة الخلف والكذب

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : الكذب بجانب الايمان .

•

وقالت الحكماء : ليس لكذّاب مُروءة .

•

وقالوا : مَنْ عُرِفَ بِالكَذِبِ لَمْ يَحْزُرْ صِدْقَهُ .

•

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: لا يجوز الكذب في جدِّ ولا هزل .

وقال : لا يكون المؤمن كذّاباً .

•

وقال عبد الله بن عمر : خُلف الوَعْدِ ثُلثُ النِّفَاقِ .

•

وقال حبيب الطائي في عيَّاش :

يا أَكْثَرَ النَّاسِ وَعَدًّا حَشُوهُ نُخْلَفُ ؛
وأَكْثَرَ النَّاسِ قَوْلًا حَشُوهُ كَذِبُ

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

صَحِيفَةٌ أَفْنَيْتُ لَيْتُ بِهَا وَعَسَى ،
عُنْوَانُهَا رَاحَةُ الرَّاجِي ، إِذَا يَتَسَا
وَعَدُّهُ لَهَا جَسُّهُ فِي الْقَلْبِ ، قَدْ بَرِمَتْ
أَحْشَاءُ صَدْرِي بِهِ مِنْ طُولِ مَا انْجَبَسَا
مَوَاعِدُ غَرْنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنِي ،
حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مَقْتَبِسَا^١
فَصَادَفْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ ،
مِنْ لُؤْمِهِ ، بَعْصَا مُوسَى لَمَّا انْجَبَسَا^٢
كَأَنَّمَا صَيَّغَ مِنْ بُجْلِ وَمَنْ كَذَبَ ،
فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسًا

١ مقتبسا : أخذاً قبساً ، شملة .

٢ انجس الماء : تفجر .

التنزه عن استماع الخنا

والقول به

اعلم أن السامعَ شريكَ القائلِ في الشر . قال الله تعالى :
« سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ . »

وقال العُتبي : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعْدِ الْقَصِيرِ قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى
عَمْرُو بْنِ عُتْبَةَ وَرَجُلٍ يَشْتُمُ رَجُلًا بَيْنَ يَدَيَّ ، فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ ،
وَمَا قَالَ وَيْلَكَ قَبْلَهَا ، نَزَّهَ سَمْعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا ، كَمَا تَنْزَهُ
لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ السَّامِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، وَإِنَّهُ عَمَدٌ
إِلَى شَرٍّ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةٌ جَاهِلٌ
فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا كَمَا شَقِي قَائِلُهَا .

في الغلو في الدين

توفي رجل في عهد عمر بن ذرّ من أسرف على نفسه في الذنوب،
وجاوزَ في الطُّغْيَانِ ، فَتَحَامَى النَّاسُ عَنْ جِنَازَتِهِ ، فَحَضَرَهَا
عمر بن ذرّ وصلى عليه، فلما أُذِّيَ فِي قَبْرِهِ قَالَ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ
أبا فلان ، صَحِبْتِ عُمَرَكَ بِالتَّوْحِيدِ ، وَعَفَّرْتَ وَجْهَكَ لِلَّهِ
بِالسُّجُودِ، فَإِنْ قَالُوا مُذْنِبٌ وَذُو خَطَايَا، فَمَنْ مَنَّا غَيْرُ مُذْنِبٍ
وَذِي خَطَايَا ؟

ومن حديث أبي هريرة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
قال : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا
الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ . » وَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ . » ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُرَى أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى
السَّمَاءِ يَقُولُ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ
وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، فَأَنْسَى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالْخَنِيفَةِ

السَّمْحَة ولم يبعثني بالرهبانية المبتدعة ، سُنتي الصلاة والنوم ،
والإفطار والصوم ، فمن رَغِبَ عن سُنتي فليس مني .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الدين مَتِين فَأَوْغِلْ
فيه بِرَفِقٍ ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ^١ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى .

وقال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : خير هذه الأمة هذا
التَّمَطُّ الأوسط ، يَرْجِعُ اليَهُمُ الغَالِي وَيَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي .

وقال مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشَّخِيرِ لابنه ، وكان قد
تعبَّد : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ الْحَسَنَةَ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ ، يَعْنِي أَنَّ الدِّينَ بَيْنَ
الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْصِيرِ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا ، وَشَرُّ السَّيْرِ الْحَقِيقَةُ^٢ .

وقال سلمان الفارسي : القَصْدُ وَالدَّوَامُ فَأَنْتَ الْجَوَادُ السَّابِقُ .

١ المنبت : يقال للرجل إذا انقطع في سفره وعطبت راحلته ، وهو من انبت :
انقطع .

٢ الحققة : أرفع السير وأتممه للظهر .

وقالوا : طالبُ العِلْمِ وعاملُ البرِّ كآكلِ الطعامِ ، ان أكل
منه قوتاً عَصَمَهُ ، وإن أُسْرِفَ منه أبْشَمَهُ ١ .

وفي بعض الحديث : إن عيسى بنَ مريمَ ، عليه السلام ، لقي
رجلاً فقال له : ما تَصْنَعُ ؟ قال : أتَعْبُدُ ؟ قال : فمن يَعودُ عليك ؟
قال : أخي ؛ قال : هو أَعْبَدُ منك .

ونظير هذا أن رُفْقَةً من الأشعريين كانوا في سفر ، فلما
قَدِمُوا قالوا : ما رأينا يا رسول الله بعدك أَفْضَلَ من فلان ،
كان يَصُومُ النهارَ ، فإذا نزلنا قام من الليل حتى نرتحل ؛ قال :
فمَنْ كان يَمَهِّنُ له وَيَكْفُلُهُ ؟ قالوا : كلَّنا ؛ قال : كلِّكم
أفضل منه .

وقيل للزُّهري : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : أما إنه ما هو
بتشعِثِ اللَّئِمَةِ ، ولا قَسَفِ الهَيْئَةِ ، ولكِنَّهُ ظَلَفَ النَّفْسِ ٢
عن الشهوة .

١ أبشمه : اتخمه .

٢ ظلف النفس : كفها عن الشيء .

علي بن عاصم عن أبي اسحق الشيباني قال :
رأيت محمد بن الحنفية واقفاً بعرفات على برذون وعليه
مطرف خز أصفر .

السدي عن ابن جريج أن ابن عباس كان يرتدي رداء
بألف .

اسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت
رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران :
رداء وعمامة .

وقال معمر : رأيت قميص أيوب السخثياني يكاد يمس الأرض ،
فسألته عن ذلك ؛ فقال : إن الشهرة كانت فيما مضى في تذييل
القميص ، وإنما اليوم في تشميره .

أبو حاتم عن الأصمعي : أن ابن عون اشترى ثوباً فمر
على معاذا العديّة ، فقالت : مثلك يلبس هذا ؟ فذكرت

ذلك لابن سيرين ، قال : أفلا أخبرتها أن تيمماً الدارمي اشترى
حُلة بألف فضلي فيها ؟

قدم حمّاد بن سلمة البصرة فجاءه فرقد السَّبَّخِي وعليه
ثيابُ صوف ، فقال له حمّاد : ضعْ عنك نصرانيتك هذه ،
فلقد رأيتنا ننتظر إبراهيم فيخرج إلينا وعليه مُعَصْفرة ، ونحن نرى
أن الميِّتة قد حلَّت له .

أبو الحسن المدائني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن
مسلم والي خراسان في مدرعة صوف ، فقال له : ما يدعوك
إلى لباس هذه ؟ فسكت ؛ فقال له قتيبة : أكلمك ولا تُجيبني ؟
قال : أكره أن أقول زهداً فأزكّي نفسي ، أو أقول فقراً فأشكو
ربي ، فما جوابك إلا الشكوت .

قال ابن السمّك لأصحاب الصّوف : والله لئن كان لباسكم
وفقاً لسرايركم فقد أحببتم أن يطّلع الناس عليها ، وإن كان
مخالفاً لها لقد هلكتم .

وكان القاسم بن محمد يلبس الخُرْءَ ، وسالم بن عبد الله يلبس

الصُّوف ، ويقعُدان في مسجد المدينة ، فلا يُنكر هذا على هذا شيئاً ولا ذا على هذا .

•
ودخل رجل على محمد بن المُسَكر فوجده قاعداً على حشايا مُضاعفة ، وجاريةٌ تُغَلِّفه بالغالية^١ ، فقال : رَحِمَكَ اللهُ ، جِئْتُ أسألك عن شيءٍ وجدتك فيه ، يريد التزَيُّن ؛ قال : على هذا أدركتُ الناس .

•
وصلى الأعمش في مسجد قوم فأطال بهم الامام ، فلما فرغ ، قال له : يا هذا ، لا تُطِيلْ صلاتك ، فإنه يكون خَلْفَكَ ذُو الحاجة والكبير والضعيف ؛ قال الامام : وإِنها لكبيرة إلا على الخاشعين ؛ فقال له الأعمش : أنا رسولُ الخاشعين إليك ، إنهم لا يحتاجون الى هذا منك .

•
العنبي قال : أصابت الربيعَ بن زياد نُسابةً^٢ في جبينه ، فكانت تنتقص عليه كل عام ، فأتاه علي بن أبي طالب عائداً ، فقال له : كيف تَجِدُكَ يا أبا عبد الرحمن ؟

١ الغالية : خليط من الطيب .

٢ النشابة : النبلة .

قال : أجدني لو كان لا يذهب ما بي الا بذهاب بصري
لتمنيت ذهابه .

قال له : وما قيمة بصرك عندك ؟

قال : لو كانت لي الدنيا فديته بها .

قال : لا جرم ، ليُعطينك الله على قدر الدنيا، لو كانت
لك لأنفقتها في سبيله، ان الله يُعطي على قدر الألم والمصيبة وعنده
بعدُ تضعيفٌ كثير .

قال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألا أشكو اليك عاصم
ابن زياد ؟

قال : وما له ؟

قال لبس العباء، وترك الملاء، وغم أهله، وأحزن ولده.

قال : علي عاصماً .

فلما أتاه عبس في وجهه، وقال : ويلك يا عاصم ! أترى الله
أباح لك اللذات وهو يكره منك أخذك منها، أنت أهونُ على
الله من ذلك، أو ما سمعته يقول : « مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ .
بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ » حتى قال : « يُخْرِجُ مِنْهُمَا التُّؤَلُؤَ
وَالْمَرْجَانُ . » وتالله لا ابتذالُ نعم الله بالفعال، أحبُّ اليَّ من
ابتذالها بالمقال ، وقد سمعته يقول : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

فحدّث . » وقوله : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ

لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . »

قال عاصم : فعلام اقتصرت أنت يا أمير المؤمنين؟ على لبس

الحُشْنِ وأكُل الحَشْفِ ١ ؟

قال : إنّ الله افترض على أُمَّة العَدَل أن يُقدِّروا أنفسهم

بالعوامِّ لئلا يَشْنَعَ بالفقير فقرُهُ .

قال : فما بَرِحَ حتى لبس المِلاءَ وترك العِباءَ .



محمد بن حاطب الجُمَحي قال : حدّثني من سمع عمرو بن

شعيب ، وكنتُ سمعته أنا وأبي جميعاً ، قال : حدّثني عمرو بن

شعيب عن أبيه عن جدّه عن عبد الله بن مسعود قال : أتى رسول

الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذاتَ يوم أمّ عبد الله بن عمرو بن

العاص ، وكانت امرأة تَدَلِّطُفُ ٢ برسول الله ، صلى الله عليه

وسلم ، فقال : كيف أنتِ يا أمّ عبد الله ؟

قالت : كيف أكون وعبد الله بن عمرو رجلٌ قد تخلّى

من الدنيا ؟

١ الحشف : الخبز اليابس .

٢ تلطف : ترفق .

قال لها : كيف ذلك ؟

قالت : حرّم النوم فلا ينام ، ولا يُفطر ، ولا يَطمعم اللحم ،
ولا يؤدي إلى أهله حقّهم .

قال : فأين هو ؟

قالت : خرج وبوشك أن يرجع الساعة .

قال : فإذا رجع فاحبسبه عليّ .

فخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وجاء عبد الله
واوشك رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الرجعة ، فقال :
يا عبد الله بن عمرو ، ما هذا الذي بلغني عنك ؟

قال : وما ذاك يا رسول الله ؟

قال : بلغني أنك لا تنام ولا تُفطر .

قال : أردت بذلك الأمن من الفزع الأكبر .

قال : وبلغني أنك لا تَطمعم اللحم .

قال : أردتُ بذلك ما هو خيرٌ منه في الجتّة .

قال : وبلغني أنك لا تؤدي إلى أهلك حقّهم .

قال : أردتُ بذلك نساءً هنّ خيرٌ منهنّ .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : يا عبد الله بن عمرو ،
إن لك في رسول الله أُسوةً حسنةً ، فرسول الله يصوم ويُفطر ،

ويأكل اللحم، ويؤدي الى أهله حقوقهم. يا عبد الله بن عمرو، إن
الله عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً.
فقال : يا رسول الله ، ما تأمرني أن أصوم خمسة أيام
وأفطر يوماً ؟

قال : لا .

قال : فأصوم أربعة وأفطر يوماً ؟

قال : لا .

قال : فأصوم ثلاثة وأفطر يوماً ؟

قال : لا .

قال : فيومين وأفطر يوماً ؟

قال : لا .

قال : فيوماً وأفطر يوماً ؟

قال : ذلك صيام أخي داود، يا عبد الله بن عمرو، كيف

بك إذا بقيت في حُثالة من الناس قد مرَّ جت^١ عهدهم وموائيقهم
فكانوا هكذا ، وخالف بين أصابعه .

قال : فما تأمرني به يا رسول الله ؟

قال : تأخذ ما تعرف ، وتدع ما تُنكر ، وتعمل بخاصة

نفسك ، وتدع الناس وعوام^٢ أمرهم .

١ مرجت : فسدت .

قال: ثم أخذه بيده وجعل يمشي به حتى وضع يده في يد أبيه،
وقال له: أطع أباك. فلما كان يوم صفين، قال له أبوه
عمرو: يا عبد الله، اخرج فقاتل.

فقال: يا أبتاه، أتأمرني أن أخرج فأقاتل وقد سمعت من
رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما سمعت وعهد إلي ما عهد؟
قال: أنشدك الله ألم يكن آخر ما قال لك أن اخذ بيدك
فوضعها في يدي، وقال لك: أطع أباك؟

قال: اللهم بلي.

قال: فإني أعزم عليك أن تخرج فقاتل.

قال: فخرج فقاتل متقلداً بسيفين.

القول في القدر

اتى قومٌ من أهل القدر محمد بن المنكدر، فقالوا له: انت الذي تقول : ان الله يُعذِّب الخلق على ما قدر عليهم؟ فصرف وجهه عنهم ولم يُجيبهم . فقالوا له : أصلحك الله ، إن كنت لا تُجيبنا فلا تُخلِّسنا من بركة دعائك .

فقال : اللهم لا تُردِّنا بعقوبتك، ولا تمكِّر بنا في حيلتك، ولا تؤاخذنا بتقصيرنا عن رضاك ، قليل أعمالنا تقبَّل، وعظيم خطايانا اغفر ، انت الله الذي لم يكن شيء قبلك ، ولا يكون شيء بعدك ، وليّ الاشياء ، ترفع بالهدى من تشاء ؛ لا آمن أحسن استغنى عن عونك ، ولا آمن أساء غلبك ، ولا استبد شيء عن حكومتك وقدرتك ، لا ملجأ الا إليك ، فكيف لنا بالمغفرة وليست إلا في يديك ، وكيف لنا بالرحمة وليست إلا عندك ، حفيظ لا ينسى ، قديم لا يبلى ، حي لا يموت ، بك عرفناك ، وبك اهتدينا إليك ، ولولا انت لم ندر ما انت ، سبحانك وتعاليت .

فقال القوم : قد والله أخبر وما قصر .

وقال : ذكر القدر في مجلس الحسن البصري ، فقال :
 إن الله خلق الخلق للابتلاء ، لم يُطيعوه بإكراه ، ولم يعصوه
 بغلبة ، لم يُسلمهم من الملك وهو القادر على ما أقدرهم عليه ،
 والمالك لما ملكهم إياه ، فإن يأتمر العباد بطاعة الله لم يكن
 الله مُثبِّطاً لهم ، بل يزيدهم هدى إلى هداهم ، وتقوى إلى
 تقواهم ، وإن يأتمروا بمعصية الله ، كان الله قادراً على صرفهم
 إن شاء ، وإن خلتى بينهم وبين المعصية ، فمن بعد إغذار^٢
 وإنذار^٣ .

•
 مروان بن موسى قال : حدثنا أبو ضمرة ؛ أن غيلاً
 قدم بكلمة قد صاغها حتى وقف على ربيعة^٥ ، فقال له : أنت
 الذي تزعم أن الله أحب أن يعصى ؟
 فقال له ربيعة : أنت الذي تزعم أن الله يعصى كرهاً ؟
 فكأنما ألقمه حجراً .

١ مثبِّطاً : معوقاً ، وشاغلاً .

٢ الاعتذار ، من اعذر الله الى فلان : امهله حتى لم يبق فيه موضع للاعتذار .

٣ الانذار ، من انذره : خوفه وحذره .

٤ ابو ضمرة : انس بن عياض الليثي المدني .

٥ ربيعة : هو ربيعة الرأي أبو عثمان بن عبد الرحمن .

قيل لطاوس : هذا قتادة يُحِبُّ أن يَأْتِيكَ ؛ فقال : إن
جاء لأقومنّ ؛ قيل له : إنه فقيه ؛ قال : إبليس أفقه منه ،
قال : « رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي . »

وقيل للشعبيّ : رأيت قتادة ؟ قال : نعم ، رأيت كُنُاسَةَ
بين حَشَيْنِ ١ ، القَدْر هو العِلْم والكِتَاب والكَلِمَة والاذن
والمَسِيئَة .

قال الأصمعيّ : سألتُ أعرابياً فقلت له : ما فَضْلُ بَنِي
فُلانٍ على بَنِي فلان ؟ قال : الكِتَاب ، يعني القَدْر .

وقال الله ، عزّ وجلّ : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ . »
وقال : « كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ . » وقال : « وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ » يعني القَدْر ، وقال : « وَلَوْ لَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً . »

قال الحُشَينِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ : شَاعِرَانِ مِنْ

١ الحش : موضع قضاء الحاجة .

فحول الجاهليّة هما بيتان ذهب أحدهما في بيته مذهب العدلية
والآخر ذهب مذهب الجبّرية ، فالذي ذهب مذهب العدلية
أعشى بكر حيث يقول :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل ، وولّى الملامة الرّجلا
والذي ذهب مذهب الجبّرية لسبيد بن ربيعة حيث يقول :
إنّ تقوّى ربّنا خيرٌ نَقَلْ ، وبإذن الله ريشى وعجّل^١
من هداه سبلَ الخير اهتدى ناعِمَ البال ، ومن شاء أضل

وقال إياس بن معاوية : كملت الفرق كلها ببعض عقلي
وكلمت القدرى بعقلي كله ، فقلت له : دخولك فيما ليس
لك ظم منك ؛ قال : نعم ؛ قلت : فإن الأمر كله لله .

ومن قول الله ، عز وجل ، في القدر : « قُلْ فَلله الحُجَّةُ
البالِغَةُ فلو شاء هَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ . » وقال : « يَمْسُون
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . »

١ الريثي : البطء .

ابن شهاب قال : أنزل الله على نبيّه آية في القدرية :
« الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ، قل
فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين . » وقال :
« قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل إلى مصاجعهم . »

وقال محمد بن سيرين : ما ينكر القدرية ان يكون الله
قد علم من خلقه علماً فكتبه عليهم .

وقال رجل لعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : ما تقول
في القدر ؟ قال : ويحك ! أخبرني عن رحمة الله ، أكانت قبل
طاعة العباد ؟
قال : نعم .

قال علي : أسلم صاحبكم وقد كان كافراً .
فقال الرجل له : أليس بالمشيئة الأولى التي انشأني بها
وقوم خلقي ، أقوم وأقعد ، وأقبض وأبسط ؟
قال له علي : إنك بعد في المشيئة ، أما إنني أسألك عن
ثلاث ، فإن قلت في واحدة منهن لا ، كفرت ، وإن قلت
نعم ، فأنت أنت .

فمدَّ القوم أعناقهم ليسمعوا ما يقول ، فقال له علي :
أخبرني عنك ، أخلقك الله كما شئت أو كما شاء ؟

قال : بل كما شاء .

قال : فخلقك الله لما شئت أو لما شاء ؟

قال : بل لما شاء .

قال : فيوم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء ؟

قال : بل بما شاء .

قال : قم فلا مشيئة لك .

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : كان هشام بن عبد
الملك قد أنكر على غيلان التكلم في القدر ، وتقدم إليه في
ذلك أشد التقدم ، وقال له في بعض ما توعد به من الكلام :
ما احسبك تنتهي حتى تنزل بك دعوة . عمر بن عبد العزيز
إذ احتج عليك في المشيئة بقول الله ، عز وجل : « وما تشاؤون
إلا أن يشاء الله » ، فزعمت أنك لم تلق لها بالاً ؛ فقال
عمر : اللهم إن كان كاذباً فاقطع يده ورجله ولسانه واضرب
عنقه ، فأنته أولى لك ، ودع عنك ما ضره إليك أقرب من نفعه .
فقال له غيلان ، ليحيينه وشقوته : ابعث إلي يا امير المؤمنين
من يكلمني ويحتج علي ، فإن أخذته حجتي أمسكت عني فلا

سبيل لك إلي ، وان أخذتني حجته ، فسألتك بالذي أكرمك
بالخِلافة إلا نقّدت فيّ ما دعا به عمر عليّ .

فغاظ قوله هشاماً ، فبعث إلى الأوزاعي فحكى له ما قال
لغيلان ، وما رد غيلان عليه ؛ فالتفت إليه الأوزاعي ، فقال
له : أسألك عن خمس أو عن ثلاث ؟

فقال غيلان : بل عن ثلاث .

قال الأوزاعي : هل علمت أن الله أعان علي ما حرّم ؟

قال غيلان : ما علمت ؛ وعظمت عنده .

قال : فهل علمت أن الله قضى علي ما نهى ؟

قال غيلان : هذه اعظم ! ما لي بهذا من علم .

قال : فهل علمت أن الله حال دون ما أمر ؟

قال غيلان : حال دون ما أمر ! ما علمت .

قال الأوزاعي : هذا مرتاب من أهل الزبغ . فأمر هشام

بقطع يده ورجله ، ثم ألقى به في الكناسة فاحتوشه الناس
يعجبون من عظيم ما أنزل الله به من نعمته .

ثم أقبل رجل كان كثيراً ما ينكر عليه التكلم في القدر ،

١ احتوشه الناس : جماعه وسطهم .

فتخلل الناس حتى وصل إليه ، فقال : يا غيلان ، اذكر دعاء
عمر ، رحمه الله .

فقال غيلان : أفلح إذا هشام إن كان الذي نزل بي بدعاء
عمر أو بقضاء سابق ، فإنه لا حرج على هشام فيما أمر به .
فبلغت كلمته هشاماً ، فأمر بقطع لسانه وضرب عنقه لتأم
دعوة عمر ، ثم التفت هشام إلى الأوزاعي وقال له : قد قلت يا
أبا عمرو ففسر .

فقال : نعم ، قضى على ما نهى عنه ، نهى آدم عن أكل
الشجرة ، وقضى عليه بأكلها ؛ وحال دون ما أمر ، أمر إبليس
بالسجود لآدم ، وحال بينه وبين ذلك ؛ وأعان على ما حرّم ،
حرّم الميتة ، وأعان المضطر على أكلها .

الرياشي عن سعيد بن عامر عن جويرية عن سعيد بن أبي
عروبة ، قال : لما سألت قتادة عن القدر ، فقال : رأي العرب
تريد فيه أم رأي العجم ؟ فقلت : بل رأي العرب ؛ قال : فإنه
لم يكن أحد من العرب إلا وهو يثبت القدر . وأنشد :
ما كان قَطْعِي هَوْلَ كُلِّ تَنْوُفَةٍ ، إِلَّا كِتَابًا قَدْ خَلَا مَسْطُورًا

١ التوافة: المفازة والارض الواسعة الاطراف ، او القلاة لاماء فيها ولا أنيس .

وقال أعرابي : الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس
يعرف ضوءها ولا يجتم على حدودها .

وقال كعب بن زهير :

لو كنتُ أعجب من شيء لأعجبني
سَعْيُ الفتي ، وهو محبوبٌ له القَدْرُ
يَسْعَى الفتي لأُمور ليس يُدرُكها
فالنفسُ واحدةٌ والهمُّ منتشرٌ
والمرءُ ما عاش ممدودٌ له أملٌ ،
لا تَنْتَهِي العينُ حتى يَنْتَهِيَ الأثرُ

وقال آخر :

والجَدُّ أَنهَضُ بالفتى مِنْ عقله ،
فأنهَضُ بِجَدِّ فِي الحوادثِ أَوْ دَرِ
ما أَقربَ الأَشياءِ ، حينَ يَسوقها
قَدْرٌ ، وأبعدها ، إذا لم تُقَدَّرِ

عبد الرحمن القصير قال : حدثنا يونس بن بلال عن يزيد
ابن أبي حبيب ، أن رجلاً قال للنبي ، صلى الله عليه وسلم :
يا رسول الله ، أيقدر الله عليّ الشر ثم يعذبني عليه ؟ قال :
نعم ، وأنت أظلم .

وحدث أبو عبد الرحمن المقرئ ، يرفعه إلى أبي هريرة ،
عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، عن رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، قال : لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم .

ومن حديث عبد الله بن مسعود ، قال : ما كان كفر بعد
نبوة قط ، إلا كان مفتاحه التّكذيب بالقدر .

قال الكندي في الفن التاسع من التوحيد : اعلم أن العالم
كله مسوس بالقضاء والقدر ، أعني بالقضاء ، ما قُسم لكل معلول
بما هو أصلح وأحكم وأتقن في بنية الكل ، لأنه ، جل ثناؤه ،
خاتم وأبدع مضطراً ومختاراً بتمام القدرة ، فلما كان المختار غير
تام الحكمة ، لأن تمام الحكمة لمبدع الكل ، كان لو أُطلق
واختياره لاختار كثيراً مما فيه فساد الكل ، فقدّر ، جل ثناؤه ،
بنية لكل تقديراً محكماً ، فصير بعضه سوانح لبعض ، يختار

بإرادته ومشيئته غير مقهور بما هو أصاح وأحكم في بنية الكل ،
فتقدير هذه السوانح هو القدر ، فبالقضاء والقدر ساس ، جلُّ
ثناؤه ، جميع ما أبدع بهذه السياسة المحكمة المنظمة ، التي
لا يدخلها زلل ولا نقص ، فاتضح أنّ كل معلول فيما قسم
له ربه من الأحوال لا خارج عنها ، وأن بعض ذلك باضطرار
وبعضه باختيار ، وأنّ المختار عن سوانح قدره اختار ، وبإرادته
لا بالكراهة منه فَعَل .

سئل أعرابي عن القدر فقال : ذاك علم اختصت فيه
الظنون ، وكثر فيه المختلفون ، والواجب علينا أن نَرُدَّ ما
أشكل من حكمه إلى ما سبق في علمه .

واصطحب مجوسي وقَدري في سفر ، فقال القدريُّ للمجوسي :
مالك لا تُسلم ؟

قال : إن أذن اللهُ في ذلك كان .

قال : إن الله قد أذن إلا أنّ الشيطان لا يدعك .

قال : فأنا مع اقواهما .

وقال رجل لهشام بن الحكم : أنت تزعم أن الله في فضله

وكرمه وعدله كلفنا ما لا نطيعه ، ثم يعذبنا عليه ؟ قال هشام :
قد والله فعل ، ولكن لا نستطيع أن نتكلم .

اجتمع عمرو بن عُبيد مع الحارث بن مسكين بمِني ، فقال له :
إِنَّ مِثْلِي وَمِثْلَكَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَيَفْتَرِقَانِ
مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ ، فَإِنْ سَأَلْتَ فَقُلْ ، وَإِنْ سَأَلْتَ فَأَنَا أَقُولُ .

قال له : قل .

قال : هل تعلم أحداً أقبل للعذر من الله ، عز وجل ؟

قال : لا .

قال : فهل تعلم عذراً أبينَ من عذر مَنْ قال لا أقدر ، فيما
تعلم أنت أنه لا يقدر عليه ؟

قال : لا .

قال : فلم لا يقبلُ ، مَنْ لا أقبلَ للعذر منه ، عُذرَ من
لا أبينَ من عُذره ؟

فانقطع الحارث بن مسكين فلم يردَّ شيئاً .

رد المأمون على الملحدین

وأهل الأهواء

قال المأمون للثنوي الذي تكلم عنده : أسألك عن حرفين
لا أزيد عليهما ، هل نَدِمُ مُسِيءَ قَطُّ على إساءته ؟
قال : بلى .

قال : فالندم على الإساءة إساءة أم إحسان ؟
قال : بل إحسان .

قال : فالذي نَدِمَ هو الذي أساء أم غيره ؟
قال : بل هو الذي أساء .

قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحب الشر .

قال : فأني أقول : إن الذي نَدِمَ غير الذي أساء ؟

قال : فندم على شيء كان منه أم على شيء كان من غيره ؟
فسكت .

قال له أيضاً : أخبرني عن قوالك بائنين ، هل يستطيع أحدهما
أن يخلق خلقاً لا يستعين فيه بصاحبه ؟

قال : نعم .

قال : فما تصنع باثنين؟ واحداً يخلق كل شيء خيراً لك وأصح .

وقال المأمون للمرتد الحراساني الذي أسلم على يديه وحمله معه الى العراق فارتدّ عن الاسلام : أخبرني ما الذي أوحشك بما كنت به آنساً من ديننا؟ فوالله لأن أستحسبك بحق، أحب اليّ من أن أقتلك بحق، وقد صرتَ مسلماً بعد أن كنتَ كافراً، ثم عدتَ كافراً بعد أن صرتَ مسلماً، وإن وجدت عندنا دواءً لدائك تداويتَ به، وإن أخطأك الشفاء، وتباعد عنك، كنت قد أبليت العذر في نفسك، ولم تُقصر في الاجتهاد لها، فإن قتلناك قتلناك في الشريعة، وترجع أنت في نفسك الى الاستبصار واليقين، ولم تُفرط في الدخول من باب الحزم .

قال المرتد : أوحشني منكم ما رأيتُ من كثرة الاختلاف في دينكم .

قال المأمون : لنا اختلافان : أحدهما كاختلافنا في الأذان، وتكبير الجناز، وصلاة العيدين، والتشهد، والتسليم من الصلاة، ووجوه القراآت، واختلاف وجوه الفئيا، وما أشبه ذلك، وهذا ليس باختلاف، وإنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من السنّة، فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يَأثم، ومن ربّع لم يَأثم .

والاختلاف الآخر كَنَحْوِ اختلافنا في تأويل الآية من كتاب
الله، وتأويل الحديث عن نبينا، مع اجتماعنا على أصل التنزيل،
واتفاقنا على عين الخبر، فإن كان إنما أوحشك هذا، فينبغي أن
يكون اللفظُ بجميع التوراة والانجيل متفقاً على تأويله كما
يكون متفقاً على تنزيله، ولا يكون بين اليهود والنصارى
اختلافٌ في شيء من التأويلات، ولو شاء الله أن يُنزل كتبه
مفسّرة، ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يُختلف في تأويله لفعل،
ولكننا لم نجد شيئاً من أمور الدين والدنيا وقع الينا على
الكفاية الا مع طول البحث والتحصيل والنظر، ولو كان الأمر
كذلك لسقطت البلوى والمجن، وذهب التفاضل والتباين،
ولما عُرف الحازم من العاجز، ولا الجاهل من العالم، وليس على
هذا بُنيت الدنيا.

قال المرتد: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأن المسيح عبد الله، وأنّ محمداً صادق، وأنك أمير المؤمنين حقاً.

وقال المأمون لعليّ بن موسى الرضا: بيم تدعون هذا الأمر؟
قال: بقرابة عليّ من رسول الله، صلى الله عليه وسلم،
وعلى آله، وبقرابة فاطمة منه.

فقال له المأمون: إن لم يكن ها هنا إلا القرابة، فقد خَلَّف

رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من أهل بيته من كان أقربَ
إليه من عليٍّ ، أو من في مثل قَعْدُودِهِ^١ ، وإن كان بقراة فاطمة
من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإنَّ الحقَّ بعد فاطمة
للحسن والحسين ، وليس لعليٍّ في هذا الامر حق وهما حيَّان ،
فإذا كان الأمر كذلك ، فإنَّ عليًّا قد ابتزَّهما حقَّهما وهما
صحيحان ، واستولى على ما لا يجب له . فما أجابه عليٌّ بن
موسى بشيء .

كتب واصل بن عطاء الغزَّال إلى عمرو بن عُبيد: أما بعد،
فإنَّ استلاب نعمة العبد وتَعْجِيل المعاقبة بيد الله، ومهما يكن
ذلك فباستكمال الآثام ، والمجاورة للجدال الذي يحول بين
المراء وقلبه، وقد عرفت ما كان يُطعن به عليك ويُنسب إليك
ونحن بين ظهرائي الحسن بن أبي الحسن، رحمه الله، لاستبشاع
قبح مذهبك ، ونحن ومن قد عرفته من جميع أصحابنا ، ولئمة
إخواننا ، الحاملين الواعين عن الحسن ، فله تلكم لئمة وأوعياء
وحفظة ، ما أدمت الطبائع ، وأرزن المجالس ، وأبين الزهد ،
وأصدق الألسنة، اقتدوا والله بمن مضى شهباً بهم، وأخذوا يهد بهم.

١ قعدده : قرب نسبه .

عهدي والله بالحسن وعهدكم به أمس في مسجد رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، بشرقيّ الاجنحة ، وآخر حديث حدثنا
إذ ذكر الموت وهول المطلع^١ ، فأسف على نفسه واعترف بذنبه ،
ثم التفت والله يئمة ويسرة معتبراً باكياً ، فكانني أنظر إليه يمسح
مُرفضاً العرق عن جبينه ، ثم قال :

اللهم إني قد شددت وضيئ^٢ راحلتي ، وأخذت في أهبة
سفري إلى محل القبر وقرش العفر^٣ ، فلا تؤاخذني بما ينسبون
إلي من بعدي .

اللهم اني قد بلّغت ما بلغني عن رسولك ، وفسرت من
حكم تأويلك ما قد صدّقه حديث نبيك ، ألا وإني خائف عمراً ،
شكاية لك إلى ربه جهراً ، وأنت عن يمين أبي حذيفة أقربنا
إليه ؛ وقد بلغني كبير ما حملته نفسك ، وقلّدته عنقك ، من
تفسير التنزيل ، وعبارة التأويل ، ثم نظرت في كتبك ، وما
أدته إلينا روايتك من تنقيص المعاني ، وتفريق المباني ، فدلت
شكاية الحسن عليك بالتحقيق بظهور ما ابتدعت وعظيم ما تحملت ،
فلا يغرك تدبير من حولك ، وتعظيمهم طولك ، وخفضهم

١ هول المطلع : خوف ما يشرف عليه من أمر الآخرة .

٢ الوضيئ : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر ، أو لا يكون الا من جلد .

٣ العفر : التراب .

أعينهم عنك اجلالاً لك ، غداً والله تمضي الحيلاء والتفاخر ،
وتُجزى كلُّ نفس بما تسعى .

ولم يكن كتابي إليك ، وتجليبي عليك ، إلا لتذكيرك
بحديث الحسن ، رحمه الله ، وهو آخر حديث حدثناه ، فأدِّ المسموع ،
وانطق بالمفروض ، ودع تأويلك الأحاديث على غير وجهها ، وكن
من الله وجيلاً .

من أخبار الخوارج

لما خرجت الخوارج على علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وكانوا من أصحابه، وكان من أمر الحكمين ما كان، واختداع عمرو لأبي موسى الأشعري، قالوا: لا نُحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ. فلما سمع علي، رضي الله عنه، نداءهم، قال: كلمة حق يراد بها باطل، وإنما مذهبهم أن لا يكون أمير، ولا بد من أمير بَرّاً كان أو فاجراً.

وقالوا لعلي: شككت في أمرك، وحكمت عدوك في نفسك.

وخرجوا إلى حروراء، وخرج إليهم علي، رضي الله عنه، فخطبهم متوكئاً على قوسه، وقال: هذا مقام من أفلح فيه أفلح يوم القيامة، أنشدكم الله، هل علمتم أن أحداً كان أكره للحكومة مني؟

قالوا: اللهم لا.

قال: أفعلتم أنكم أكرهتموني عليها حتى قبلتها؟

قالوا: اللهم نعم.

قال : فعلامَ خالفتُموني وناذتُموني ؟
قالوا : إنا أتينا ذنباً عظيماً فتبنا إلى الله منه ، فمب إلى الله
منه ، واستغفره نعد إليك .

فقال عليّ : إني أستغفر الله من كلِّ ذنب .
فرَجَعوا معه وهم في ستة آلاف . فلما استقرُّوا بالكوفة
أشاعوا أن عليّاً رجع عن التَّحْكِيم ، وتاب منه ، ورآه ضلالاً .
فأتى الأشعثُ بن قيسَ عليّاً ، رضي الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إن الناس قد تحدّثوا أنك رأيتَ الحكومةَ ضلالاً والاقامةَ عليها
كُفراً وثبّت .

فخطب عليّ الناسَ فقال : مَنْ زعم أني رجعتُ عن الحكومةِ
فقد كذب ، ومن رآها ضلالاً فهو أضلُّ منها .

فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت ، فقيل لعليّ : إنهم
خارجون عليك ؛ فقال : لا أقاتلهم حتى يُقاتلوني ، وسيفعلون .
فوجه إليهم عبد الله بن العباس ، فلما سار إليهم رحّبوا به
وأكرموه ، فرأى منهم جباهاً قريحةً لطول السجود ، وأيدياً
كثيفات^١ الأيل ، وعليهم قمصٌ مرَّحضة^٢ وهم مُشمِّرون ،

١ الثقات ، واحدها ثفة : هي من البعير الركية ، وما مس الأرض من كركرته
وسعداناته وأصول أفضاه .

٢ مرَّحضة : مغسولة .

فقالوا : ما جاء بك يا بن عباس ؟

قال : جئتم من عندِ صهرِ رسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، وابنِ عمه ، وأعلمنا بربِّه وسنَّة نبيِّه ، ومِن عندِ المهاجرين والانصار .

فقالوا : إنا أتينا عظيمًا حينَ حَكَمنا الرجالَ في دينِ الله ، فإن تاب كما تُبنا ونهض لمجاهدةِ عدوتنا رجعنا .

فقال ابنُ عباس : نشدكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم ، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنبِ تُساوي ربعِ درهمٍ تُصاد في الحرَم ، وفي شقاقِ رجلٍ وامرأته ؟

فقالوا : اللهم نعم .

قال : فأنشدكم الله ، هل علمتم أن رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، أمسك عن القتالِ للهُدنةِ بينه وبين أهلِ الحُدَيْبِيَّةِ ؟ قالوا : نعم ، ولكنَّ عليًّا حَا نفسه من خِلافةِ المسلمين !

قال ابنُ عباس : ليس ذلك يُزيلها عنه ، وقد حَا رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، اسمه من النبوة ، وقال سُهيلُ بن عمرو : لو علمتُ أنك رسولُ الله ما حاربْتُك ؛ فقال للكاتب : اكتب : محمد بن عبد الله . وقد أخذ على الحكَّامين أن لا يجورا ، وإن يجورا ، فعليٌّ أولى من معاوية وغيره .

قالوا : إن معاوية يدَّعي مثلَ دعوى عليٍّ .

قال : فأبئهما رأيتُموه أولى فولئوه .

قالوا : صدقت .

قال ابن عباس : ومتى جار الحكيمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما .

فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف .

فصلى بهم صلاتهم ابن الكواء، وقال : متى كانت حرب فرئيسكم شبت بن ربعي الرياحي . فلم يزالوا على ذلك حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي ، فخرج بهم إلى النهروان ، فأوقع بهم عليّ ، فقتل منهم ألفين وثمانمائة ، وكان عددهم ستة آلاف ، وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يُسرُّ أمره ، فخرج منهم رجلٌ بعد أن قال عليّ ، رضي الله عنه : ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد الله بن حَبَّاب .

قالوا : كلنا قتله وشرك في دمه .

وذلك أنهم لما خرجوا إلى النهروان لقوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيراً ، وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم . ولقوا عبد الله بن حَبَّاب ، وفي عنقه المصحف ومعه امرأته وهي حامل ، فقالوا : إن هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك .

فقال لهم : أحيوا ما أحيا القرآن ، وأميتوا ما أمات القرآن .

قالوا : حدثنا عن أبيك .

قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يسي مؤمناً ويصبح كافراً ، فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل .

قالوا : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟
فأثنى خيراً .

قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وفي عثمان ؟
فأثنى خيراً .

قالوا : فما تقول في الحكومة والتحكيم ؟
قال : أقول : إن علياً أعلم بكتاب الله منكم ، وأشد توقيفاً على دينه وأبعد بصيرةً .

قالوا : إنك لست تتبع الهدى بل الرجال على أسمائها .
ثم قرَّبوه إلى شاطئ البحر فذبحوه فامدَّقروا دمه ، أي جرى مستقيماً على دقة . وسامُوا رجلاً نصرانياً بنخلة ، فقال : هي لكم هبة .

قالوا : ما كُنَّا نأخذها إلا بئس .

فقال : ما أعجب هذا ! أتقتلون مثل عبد الله بن حَبَّاب ، ولا تقبلون منا نخلة إلا بئس !

ثم افتترقت الخوارج على أربعة أضرب : الاباضية ، أصحاب

عبد الله بن إباح ، والصُّفْرِيَّة ، واختلفوا في نسبهم ، فقال قوم : سُمُّوا بابن الصَّفَّار ، وقال قوم : نهكتم العبادة فاصفرت وجوههم ؛ ومنهم البيهسية ، وهم أصحاب ابن بيهس ؛ ومنهم الأزارقة ، أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي ، وكانوا قبلُ على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء الشاذ .

فبلغهم خروجُ مسلم بن عقبة إلى المدينة ، وقتلته أهل حرّة ، وأنه مُقبل إلى مكة ، فقالوا : يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم ، ونمتحن ابن الزبير ، فإن كان على رأينا تابعناه .

فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفوه أنفسهم ، وما قدّموا له ، فأظهر لهم أنه على رأيهم ، حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام ، فدافعوه إلى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية ، ولم يتابعوا ابن الزبير ، ثم تناظروا فيما بينهم ، فقالوا : ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده ، فإن قدّم أبا بكر وعمر ، وبرىء من عثمان وعليّ ، وكفّر أباه وطلحة بايعناه ، وإن تكُن الأخرى ظهر لنا ما عنده ، وتشاغلنا بما يجدي علينا .

فدخلوا على ابن الزبير وهو مُتبدّل وأصحابه مُتفرون عنه ، فقالوا له : إنا جئناك لتُخبرنا رأيك ، فإن كنت على صواب بايعناك ، وإن كنت على خلافه دعوناك إلى الحق ، ما تقول في الشيخين ؟

قال : خيراً .

قالوا : فما تقول في عثمان الذي حمى الحمى^١ ، وآوى
الطريد^٢ ، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه^٣ ، وأوطأ
آل بني مغيط رقاب الناس^٤ ، وآثرهم بقيء المسلمين^٥ ؛ وفي
الذي بعده الذي حكم في دين الله الرجال^٦ ، وأقام على ذلك
غير تائب ولا نادم ؛ وفي أبيك وصاحبه^٦ ، وقد بايعنا علياً ،
وهو إمام عادل مرضي لم يظهر منه كفر ، ثم نكثنا ببيعته
وأخرجنا عائشة تقاتل ، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن
في بيوتهن ، وكان لك في ذلك ما يدعوك الى التوبة ، فإن أنت
قبّلت كل ما نقول لك فلك الزئلفى عند الله ، والنصر على

١ يشيرون الى انه خالف قول النبي : « لا حمى الا لله ورسوله . » وحمى
مراعي لابله شأن شرفاء الجاهلين .

٢ الطريد : هو الحكم بن ابي العاص ، نفاه النبي الى الطائف وظل منفيّاً الى ان
استخلف عثمان فأواه .

٣ اشارة الى وفد مصر الذي جاءه يريد خلمه أو قتله فظهر الصفح عنهم ، ثم
ارسل الى عامله على مصر أن يجاد رؤساءهم .

٤ يريدون بأل مغيط أقارب عثمان .

٥ الفيء : ما غنمه المسلمون في حروبهم . اشارة الى مصالحة ابن ابي سرح أمير
مصر بطريق افرريقية على مال يؤديه له فأعطاه عثمان لآل الحكم .

٦ ابوك : هو الزبير بن العوام . صاحبه : طلحة بن عبد الله بن عثمان .

أيدينا ، إن شاء الله ، ونسأل الله لك التوفيقَ ، وإن أُبَيِّتَ
خَذَلَك اللهُ وانتصر منك بأيدينا .

فقال ابن الزبير: إن الله أمر، وله العِزَّة والقُدرة، في مخاطبة
أكفر الكافرين ، وأعتى العاتين ، بأرقِّ من هذا القول ، فقال
لموسى وأخيه ، صلى الله عليهما : « اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى . »
وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : « لا تُؤذُوا الأحياء
بِسَبِّ المَوْتَى . » فنهى عن سبِّ أبي جهل من أجل عِكْرمة ابنه،
وأبوجهل عدوُّ الله وعدو رسوله والمقيم على الشِّرك، والجاد في
محاربة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قَبْل الهِجْرَة، والمحارب
له بعدها، وكفى بالشِّرك ذنبًا، وقد كان يُغْنِيكُم عن هذا القول
الذي سَمَّيْتُم فِيهِ طَلْحَة وأبي أن تقولوا: أتبرأ من الظالمين؟ فإن
كانا منهم دخلا في عُمار النَّاس، وإن لم يكونا منهم لم تُحْفِظُونِي
بِسَبِّ أَبِي وصاحبه، وأنتم تعلمون أن الله ، جلَّ وعزَّ ، قال
للمؤمن في أوبه : « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا . »
وقال : « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا . »

وهذا الذي دعوتم إليه أمرٌ له ما بعده ، وليس يُقْنِعْكُم إِلَّا
السَّوْقِيفُ والتَّصْرِيحُ ، ولعمري إن ذلك أحرى بِقِطْعِ الحججِ ،

وأوضح لمنهاج الحق، وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه،
فروحوا الي من عشيتكم هذه أكشيف لكم ما أنا عليه إن شاء
الله تعالى .

فلما كان العشي راحوا اليه ، فخرج اليهم وقد لبس سلاحه ،
فلما رأى ذلك نجدة^١ ، قال : هذا خروج منا بئذ لكم .

فجلس^٢ على رَفَع من الأرض ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،
وصلى على نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسنَ ذكر ، ثم
ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته ، ثم وصلهن بالسنين
التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية ، وأخبر أنه آوى الحكم
ابن أبي العاصي بإذن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وذكر
الحمي وما كان فيه من الصلاح ، وأن القوم استعتبوه من أمور
ما كان له أن يفعلها ، أولاً مُصيباً ، ثم أعتبهم بعد ذلك مُحسنًا ،
وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن
لهم العتبي ، ثم كُتب ذلك الكتابُ بقتلهم ، فدفعوا الكتاب
اليه ، فحلف بالله أنه لم يكتبه ولم يأمر به ، وقد أمر الله ، عزَّ
وجلَّ ، بقبول اليمين بمن ليس له مثل سابقته ، مع ما اجتمع

١ نجدة بن عاصم الحنفي الخارجي .

٢ الضمير عائذ الي ابن الزبير .

له من صهر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومكانه من الإمامة،
وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه .

وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف عليها لحلف
على حق، فافتداها بمائة ألف ولم يحلف؛ وقد قال رسول الله،
صلى الله عليه وسلم: « من حلف بالله فليصدق، ومن حلف
له بالله فليقبل . »

وعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأناولي وليه وعدو عدوه،
وأبي وصاحبه صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورسول
الله يقول عن الله، عز وجل، يوم أحد لما قطعت إصبع طلحة:
سبقتني إلى الجنة . وقال: « أوجب طلحة . »

وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك يوم كلفه أو
جلته لطلحة . والزيير حوارى رسول الله، صلى الله عليه وسلم،
وصفوته، وقد ذكر أنه في الجنة، وقال عز وجل: « لقد
رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . »
وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم؛ وإن يكن ما صنعوا
حقاً فأهل ذلك هم، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها،
وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم، صلى الله عليه وسلم،
ومهما ذكرتموهما به فقد بدأت بأممكم عائشة، فإن أبي آب أن
تكون له أمماً، تبد اسم الإيمان عنه، وقد قال جل ذكره:

« النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ . »

فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه .

وكتب بعد ذلك نافع بن الأزرق الى عبد الله بن الزبير يدعو الى أمره : أما بعد ، فإني أحذرك من الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه . فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين فإن الله يقول : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ . » وقال : « لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ . »

وقد حضرت عثمان يوم قُتِل ، فلعمري إن كان قُتِل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ، وإن كان قاتلوه مهتدين ، وإنهم مهتدون ، لقد كفر من تولاه ونصره .

ولقد علمت أن أباك وطلحة وعلياً كانوا أشد الناس عليه ، وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل ، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان ، فكيف ولاية قاتل مُتعمد ومقتول في دين واحد ، ولقد ملك عليٌ بعده فننقى الشبهات ، وأقام الحدود ، وأجرى الأحكام مجارياً ، وأعطى الأمور حقها فيما عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحة ، ثم خلعنا بيعته ظالمين له ، وإن القول

فيك وفيهما لكما قال ابن عباس ، رحمه الله : ان يكن
عليّ في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً لقد
كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ، وان كان كافراً كما
زعمتم ، وفي الحكم جائراً ، فقد بوّتم بغضب من الله لفراركم
من الزحف . ولقد كنت له عدوّاً ، ولسيرته عائباً ، فكيف
توليته بعد موته ؟

وكتب نجدة^١ ، وكان من الصّفرية القعدية^٢ ، الى نافع بن
الأزرق ، لما بلغه عنه استعراضه للناس^٣ ، وقتله الأطفال ،
واستحلاله الأمانة : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد : فإن
عهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالأخ البرّ ،
لا تأخذك في الله لومة لائم ، ولا ترى معونة ظالم ، كذلك
كنت أنت وأصحابك ، أمّا تذكر قولك : لولا أني أعلم أنّ
للإمام العادل مثل أجر جميع رعيتيه ما توليت أمر رجلين من
المسلمين ، فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت
من الحق فصّه ، وركبت مره ، تجرّد لك الشيطان فلم يكن أحد
أثقل وطأه عليه منك ومن أصحابك ، فاستمالك واستغواك ،

١ القعدية : أي المقيمون من الخوارج بين أظهر أعدائهم من المسلمين ، وكان
نافع بن الأزرق يرى اكفارهم .

٢ يريد قتله الناس .

فغَوِيَتَ وَأَكْفَرَتَ الَّذِينَ عَازَبَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ قَعْدَةِ الْمُسْلِمِينَ
 وَضَعَفْتَهُمْ ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَوَعْدُهُ الصِّدْقُ :
 « لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا
 يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا تَصَحَّحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ . »
 ثُمَّ سَمَّاهُمْ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ فَقَالَ : « مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ
 سَبِيلٍ . » ثُمَّ اسْتَحَلَّتْ قَتْلَ الْأَطْفَالِ ، وَقَدَّهَى رَسُولَ اللَّهِ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ قَتْلِهِمْ ، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : « وَلَا تَزِرُ
 وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . » وَقَالَ فِي الْقَعْدِ خَيْرًا ، وَفَضَّلَ اللَّهُ
 مَنْ جَاهَدَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَدْفَعُ مَنْزِلَهُ أَكْثَرَ النَّاسِ عَمَلًا مَنْزِلَةً مِنْهُ
 دُونَهُ ، إِلَّا إِذَا اشْتَرَكَا فِي أَمَلٍ ، أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :
 « لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ
 وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . » فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفَضَّلَ
 عَلَيْهِمُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَرَأَيْتَ مَنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تُؤَدِّي الْأَمَانَةَ
 إِلَى مَنْ يُخَالِفُكَ ، وَاللَّهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تُؤَدِّي الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا ، فَاتَّقِ
 اللَّهَ وَانظُرْ لِنَفْسِكَ ، وَاتَّقِ يَوْمًا لَا يُجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا
 مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ اللَّهَ بِالْمِرْصَادِ ، وَحُكْمِهِ
 الْعَدْلِ ، وَقَوْلِهِ الْفَصْلِ ، وَالسَّلَامِ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَمَا
 بَعْدُ : فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَعِظُنِي فِيهِ وَتَذَكِّرُنِي ، وَتَنْصَحُنِي

وتزجرني، وتصف ما كنت عليه من الحق، وما كنت أوثره
من الصواب، وأنا أسأل الله أن يجعلني من الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه .

وعبث علي ما دنت به من إكفار القعد، وقتل الأطفال،
واستحلال الأمانة؛ وسأفسر لك لم ذلك إن شاء الله : أما
هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكة -مقهورين محصورين لا
يجدون إلى الهرب سبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً؛
وهؤلاء قد فقهوا في الدين، وقرأوا القرآن؛ والطريق لهم نهج
واضح؛ وقد عرفت ما يقول الله فيمن كان مثلهم إذ قال :
« إن الذين توفاهم الملائكة الظالمين أنفسهم قالوا فيم كنتم .
قالوا كنا مستضعفين في الأرض . قالوا ألم تكن أرض
الله واسعة فتهاجروا فيها . » وقال : « فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله . » وقال : « وجاء المعتدرون
من الأعراب ليؤذن لهم . وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله . » فخبّر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله . وقال :
« سيصيب الذين كفرُوا منهم عذابٌ أليم . » فانظر إلى
أسمائهم وسماهم .

وأما أمر الأطفال فإن نبي الله نوحاً كان أعرف بالله يا نجدة

مني ومنك، قال: « رَبِّ لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَدْرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا
فَاجِرًا كَفَّارًا. » فسَمَّاهم بالكفر وهم أطفال وقيل أن يولدوا،
فكيف جاز ذلك في قوم نوح ولا يجوز في قومنا؟ والله يقول:
« أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ. »
وهؤلاء كمشركي العرب لا تُقبل منهم جزية، وليس بيننا وبينهم
إلا السيف أو الاسلام.

وأما استحلال الأمانات ممن خالفنا، فإن الله، عزَّ وجلَّ،
أحلَّ لنا أموالهم، كما أحل لنا دماءهم، فدمائهم حلالٍ طلقاً،
وأموالهم فيء للمسلمين، فاتسَّق الله وراجع نفسك، فإنه لا
عذر لك إلا بالتوبة، ولا يسعك خذلاننا، والقعود دوننا،
وترك ما نهجناه لك من طريقتنا ومقاتلتنا، والسلام على من أقرَّ
بالحق وعَمِلَ به .

وكان مرداس أبو بلال من الخوارج وكان مُسْتَتراً، فلما
رأى جدَّ ابن زياد في قتل الخوارج وحبسهم، قال لأصحابه:
إنه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم
بجانين للعدل، مفارقين للعقل، والله إن الصبر على هذا

١ طلق : مطلق .

لِعَظِيمٍ ، وَإِنْ تَجْرِيدَ السِّيفِ وَإِخَافَةَ السَّبِيلِ لِعَظِيمٍ ، وَلَكِنَّا
لَا نَسْتَدْنَهُمْ وَلَا نَجْرِدُ سَيْفًا وَلَا نُقَاتِلُ إِلَّا مَنْ قَاتَلَنَا .

فاجتمع عليه أصحابه ، وهم ثلاثون رجلاً ، فأرادوا أن يولوا
أمرهم حُرَيْثُ بْنُ حَبَلٍ ، فَأَبَى فَوَلُوا أَمْرَهُمْ مِرْدَاسًا أبا
بِلَالٍ . فلما مضى بأصحابه لَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ
وكان له صديقاً ، فقال له : يا أخي ، أين تريد ؟

قال : أريد أن اهرب بديني ودين أصحابي هؤلاء من احكام
هؤلاء الجَوْرَةِ وَالظُّلْمَةِ .

فقال له : أَعَلِمَ بِكُمْ أَحَدٌ ؟

قال : لا .

قال : فارجع .

قال : اوتخاف عليّ مكرورها ؟

قال : نعم ، وَأَنْ يُؤْتَى بِكَ .

قال : فلا تخف فإني لا أُجْرِدُ سَيْفًا ، ولا أُخِيفُ أَحَدًا ،
ولا أُقَاتِلُ إِلَّا مَنْ قَاتَلَنِي . ثم مضى حتى نزل آسَكَ ، وهو
موضع دون خُرَاسَانَ ، فمر به مالٌ يُجْمَلُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ وَقَدْ
بَلَغَ أَصْحَابَهُ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَحَطَّ ذَلِكَ الْمَالُ ، وَاخَذَ مِنْهُ عَطَاءَهُ
وَأَعْطَى أَصْحَابَهُ ، وَرَدَّ الْبَاقِيَ عَلَى الرَّسُلِ ، فقال : قولوا
لصاحبكم إِنَّا قَبَضْنَا اعْطِيَاتِنَا .

فقال بعض أصحابه : فعلام ندع الباقي ؟

فقال : إنهم يَقسَمون هذا الفَيء ، كما يقيمون الصلاة ،
فلا نقاتلهم .

ولأبي بلال مرْداس هذا أشعارٌ في الخروج ، منها قوله :

أبعَدَ ابن وَهَبٍ ذي النزاهة والثَّقَى ،

ومَن خاضَ في تلك الحُرُوب المَهالِكا

أحِبُّ بقاءً أو أُرَجِّي سَلامَةً ،

وقد قَتَلوا زيدا بنَ حِصنٍ ومالِكا

فيا رَبِّ سَلِّمْ نِيتِي وبصيرتِي ،

وهَبْ لي الثَّقَى حتى الأقبِي أولئِكا

وقالوا : إن رجلاً من أصحاب زياد قال : خرجنا في

جيش تُريد خُرَاسان ، فَمَررنا بِأسك ، فإذا نحن بِمرْداس

وأصحابه ، وهم اربعون رجلاً ، فقال : أقاصدون لقتالنا انتم ؟

قلنا : لا ، إنما تُريد خُرَاسان .

قال : فأبلِغوا من لقيتم أنْ تالم فخرِج لنفسد في الأرض

ولا لثروِّع أحداً ، ولكن هربنا من الظلم ، ولسنا نقاتل

١ زيد بن حصن بن وبرة الطائي .

إِلَّا مَنْ قَاتَلْنَا ، وَلَا نَأْخُذُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَّا أُعْطِيَاتُنَا ؛ ثُمَّ قَالَ :
أَنْدَبُ لَنَا أَحَدٌ ؟

فَقُلْنَا : نَعَمْ ، أَسْلَمُ بْنُ زُرْعَةَ الْكِلَابِيِّ .

قَالَ : فَمَتَى تَرَوْنَهُ يَصِيلُ إِلَيْنَا ؟

قُلْنَا لَهُ : يَوْمَ كَذَا وَكَذَا .

فَقَالَ أَبُو بَلَالٍ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

وَتَدَبَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ أَسْلَمَ بْنَ زُرْعَةَ الْكِلَابِيِّ وَوَجَّهَهُ

إِلَيْهِمْ فِي الْفَيْنِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِمْ صَاحَ بِهِ أَبُو بَلَالٍ : اتَّقِ اللَّهَ يَا

أَسْلَمُ ، فَإِنَّا لَا نُرِيدُ قِتَالًا وَلَا نَحْتَجِزُ مَالًا ؛ فَمَا الَّذِي تُرِيدُ ؟

قَالَ : أُرِيدُ أَنْ أُرِدَكُمْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ .

قَالَ : إِذَا يَقْتُلْنَا .

قَالَ : وَإِنْ قَتَلَكُمْ .

قَالَ : أَقْتَشِرْكَهَ فِي دِمَائِنَا ؟

قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّهُ مُحِقٌّ وَأَنْتُمْ مُبْطَلُونَ .

قَالَ أَبُو بَلَالٍ : وَكَيْفَ هُوَ مُحِقٌّ وَهُوَ فَاجِرٌ يُطِيعُ الظُّلْمَةَ ؟

ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْهِ حَمَلَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ .

فَلَمَّا وُردَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ غَضِبَ عَلَيْهِ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ :

انْهَزَمْتَ وَأَنْتَ فِي الْفَيْنِ عَنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا !

قال له أسلم : والله لأن تَدُمَني حياً أحبُّ إليَّ من أن
تَحْمَدني مَيِّتاً .

وكان إذا خرج إلى السوق ومرَّ بالصبيان صاحوا به : أبو
بلال وراءك ؛ حتى شكوا إلى ابن زياد، فأمر الشرط أن يكفوا
الناس عنه .

رد عمر بن عبد العزيز

رضي الله عنه على شوذب الخارجي

الهيثم بن عدي قال : أخبرني عوانة بن الحكم عن محمد ابن الزبير قال : بعثني عمر بن عبد العزيز مع عون بن عبد الله ابن مسعود إلى شوذب الخارجي وأصحابه إذ خرجوا بالجزيرة ، وكتب معنا كتاباً ، فقدمنا عليهم ودفعنا كتابه إليهم ، فبَعَثُوا معنا رجلاً من بني شيبان ورجلاً فيه حبشية يقال له شوذب . فقدمنا معنا على عمر وهو بخصاصة^١ ، فصعدنا إليه وكان في غُرْفَةٍ ومعه ابنه عبد الملك وحاجبه مزاحم ، فأخبرناه بمكان الخارجيِّين ؛ فقال عمر : فتشوهما لا يكن معهما حديد وأدخلوهما ؛ فلما دخلا قالا : السلامُ عليكم ! ثم جلسا ، فقال لهما عمر : أخبراني ما الذي أخرجكم عن حكمي هذا وما نَقَمْتُم عليّ .

فتكلّم الأسود منهما ، فقال : إنا والله ما نَقَمنا عليك في سيرتك ، وتحرّيك العدل والاحسان إلى من وليت ، ولكن

١ خصاصة : بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين .

بيننا وبينك أمراً إن أعطيتناه فنحن منك وأنت متنا ، وإن
منعتناه فليست منا ولسنا منك .

قال عمر : ما هو ؟

قالا : رأيناك خالفت أهل بيتك وسميتها مظالم وسلكت
غير طريقهم ، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم
وابراً منهم ، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق .

فتكلم عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني قد علمت
أو ظننت أنكم لم تخرجوا تخرجكم هذا لطلب الدنيا
ومتاعها ، ولكتكم أردتم الآخرة فاخطأتم سبيلها ، وإني
سألكما عن أمر ، فبالله أصدقاني فيه مبلغ علمكما .

قالا : نعم .

قال : أخبراني عن أبي بكر وعمر ، أليسا من أسلافكما
ومن تتولييان وتشهدان لهما بالنجاة ؟

قالا : اللهم نعم .

قال : فهل علمتا أن أبا بكر حين قبض رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، فارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ
الأموال وسبى الذراري ؟

قالا : نعم .

قال : فهل علمتم أن عمر قام بعد أبي بكر فرداً تلك
السَّبايا الى عشائرها ؟

قالا : نعم .

قال : فهل برىء عمر من أبي بكر أو تبرأون أنتم من
أحد منهما ؟

قالا : لا .

قال : فأخبراني عن أهل النَّهروان ، أليسوا من صالحى
أسلافكم وممن تشهدون لهم بالنجاة ؟

قالا : نعم .

قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كَفَّوْا
أيديهم ، فلم يَسْفِكُوا دماً ، ولم يُخَيِّفُوا آمناً ، ولم يأخذوا مالاً ؟

قالا : نعم .

قال : فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر
ابن قديك استعرضوا الناسَ يقتلونهم ، ولقُوا عبد الله بن

خبَّاب بن الأرت ، صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم قتلوا النساء والاطفال ، حتى

جعلوا يُلْقونهم في قُدور الأقطا وهي تفور ؟

١ الأقط : طعام يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يهصل .

قالا : قد كان ذلك .

قال : فهل براء أهل الكوفة من أهل البصرة ؟

قالا : لا .

قال : فهل تبرأون أنتم من إحدى الفئتين ؟

قالا : لا .

قال : أفرايتم الدين ، أليس هو واحد ، أم الدين اثنان ؟

قالا : بل واحد .

قال : فهل يسعكم منه شيء يُعجزني ؟

قالا : لا

قال : فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر وتولّي

كل واحد منهما صاحبه ، وتولّيتم أهل الكوفة والبصرة

وتولّي بعضهم بعضاً ، وقد اختلفوا في أعظم الأشياء : الدماء

والفروج والأموال ، ولا يسعني الا لعن أهل بيتي والتبرؤ

منهم ؟ أورايت لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد

منها ؟ فإن كان ذلك فمتى عهدك بلعن فرعون ، وقد قال :

أنا ربكم الأعلى ؟

١ ربما أفرد الضمير لمخاطبته شوقاً وحده .

قال : ما أذكر أني لعنته .

قال : ويحك ! أيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أحبُّ
الخلق ، ولا يسعني إلا أن العن أهل بيتي والبراءة منهم ؟
ويحك ! إنكم قوم جهال أردتم أمراً فأخطأتموه ، فأنتم تردون
على الناس ما قبل منهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعثه
الله إليهم وهم عبدة أوثان ، فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان ، وأن
يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فمن قال
ذلك حقن بذلك دمه ، وأحرز ماله ، ووجبت حرمة ،
وأمن به عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكان إسوة
المسلمين ، وكان حسابه على الله ، أفلمستم تلقون من خلع
الأوثان ، ورفض الأديان ، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله ، تستحلون دمه وماله ، ويلعن عندكم ، ومن ترك
ذلك وأباه من اليهود والنصارى وأهل الأديان فتحرّمون دمه
وماله ويأمن عندكم ؟

فقال الأسود : ما سمعتُ كاليوم أحداً أبين حجّة ،
ولا أقرب مأخذاً ، أمّا أنا فأشهد أنك على الحق وأني بريء من
بريء منك .

فقال عمر لصاحبه : يا أخا بني سيبان ، ما تقول أنت ؟

قال : ما أحسنَ ما قُلْتَ ووصفتَ ، غيرَ أني لا أفنأتُ
على الناسِ بأمرٍ حتى ألقاهم بما ذكرتَ وأنظر ما حُجَّتْهم .
قال : أنتَ وذاك .

فأقام الحَبَشِيُّ معَ عمرَ ، وأمرَ له بالعطاء ، فلم يَلْبَثْ أن
ماتَ ، ولجِحِقَ الشَّيْبَانِيُّ بأصحابه ، فقتلَ معهم بعدَ وفاةِ عمرَ ،
رضي اللهُ عنه .

١ افنأت : مسهل أفنئت ، من افنأت عليه الباطل : اختلقه .

القول في أصحاب الاهواء

وذُكر رجل عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فدَكَرُوا فضله وشدّة اجتهاده في العبادة . فبينما هم في ذكره حتى طلع عليهم الرجل ، فقالوا : يا رسول الله ، هو هذا .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أما إني أرى بين عينيه سَفْعَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ^١ .

فأقبل الرجل حتى وقف فسلم عليهم ، فقال^٢ : هل حَدَّثْتُكَ نَفْسُكَ إذْ طَلَعْتَ عَلَيْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَحْسَنُ مِنْكَ ؟ قال : نعم .

ثم ذهب الى المسجد فصفّ بين قدميه يصلّي . فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : أَيَكُمُ يَقُومُ إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ ؟

فقال أبو بكر : أنا يا رسول الله .

فقام اليه فوجده يصلّي فهاهه فانصرف ؛ فقال : ما صنعت ؟ قال : وجدته يصلّي يا رسول الله فهبته .

١ سفعة من الشيطان : مس من الجنون ، و اراد جنون العجب بالنفس .

٢ الضمير عائد الى النبي .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : أيكم يقوم اليه فيقتله ؟
قال عمر : أنا يا رسول الله .

فقام اليه فوجده يصلّي فهابه فانصرف ؛ فقال : يا رسول الله ،
وجدته يصلي فهبته .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أيكم يقوم اليه فيقتله ؟
فقال عليّ : أنا يا رسول الله .
قال : أنت له ان أدركته .

فقام اليه فوجده قد انصرف . فقال النبي ، عليه الصلاة
والسلام : هذا أول قرنٍ يَطْلُعُ في أمتي ، لو قتلتموه ما
اختلف بعده اثنان ، إن بني إسرائيل اختلفت على اثنتين وسبعين
فرقة ، وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها
في النار إلا فرقة واحدة ، وهي الجماعة .

١ قرن : أي بدعة .

الرافضة

إنما قيل لهم رافضة، لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ولم يرفضهما أحدٌ من أهل الأهواء غيرهم، والشيعَة دونهم، وهم الذين يُفضلون عليّاً على عثمان، ويتوَكَّون أبا بكر وعمر.

فأما الرافضة فلها غُلُوٌّ شديد في عليٍّ، ذهب بعضهم مذهب النَّصارى في المسيح، وهم السَّبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، عليهم لعنة الله، وفيهم يقول السيّد الحميري:

قَوْمٌ غَلَوُوا فِي عَلِيٍّ لَا أَبَاهُمْ،
وَأَجَشَّمُوا أَنْفُسًا فِي حُبِّهِ تَعَبًا

قالوا هو الله، جَلَّ اللهُ خَالِقُنَا
من أن يكون ابن شيء أو يكون أبا

وقد أحرقهم عليٌّ، رضي الله عنه، بالتَّار.

ومن الرِّافض: المغيرة بن سعد مولى جَمِيلَةَ. قال الأعمش:
دخلتُ على المغيرة بن سعد، فسألته عن فضائل عليٍّ؛ فقال:
إنك لا تحتملها.

قلتُ: بلى.

فذكر آدم ، صلوات الله عليه ، فقال : عليّ خير منه ، ثم
ذكر من دونه من الأنبياء ، فقال : عليّ خير منهم ، حتى انتهى
الى محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : عليّ مثله .
فقلت : كذبت ، عليك لعنة الله ! قال : قد أعلمتُك أنك
لا تحملها .

ومن الروافض من يزعم أن عليّاً ، رضي الله عنه ، في
السّحاب ، فإذا أطلّت عليهم سحابة قالوا : السلامُ عليك يا
أبا الحسن . وقد ذكرهم الشاعر فقال :

بَرِئْتُ مِنْ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ مِمَّنِ الْعَزَّالِ مِنْهُمْ وَابْنِ بَابِ
وَمِنْ قَوْمٍ ، إِذَا ذَكَرُوا عَلِيّاً ، يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ
وَلَكِنِّي أَحَبُّ بِكُلِّ قَلْبِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
رَسُولَ اللَّهِ وَالصَّادِقَ حَقّاً ، بِهِ أَرْجُو غَدّاً حُسْنَ الثَّوَابِ
وهؤلاء من الرافضة يقال لهم : المنصورية . وهم أصحاب
أبي منصور الكسيف ، وإنما سُمِّي الكسيف لأنه كان يتأول
في قول الله ، عزّ وجلّ : « وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ
سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ » ، فالكسيف عليّ وهو
في السحاب .

وكان المغيرة بن سعد من السبئية الذين أحرقهم عليّ ،

رضي الله تعالى عنه ، بالنار ، وكان يقول : لو شاء عليّ لأحيا
عاداً وثمودَ وقروناً بين ذلك كثيراً . وقد خرج علي خالد بن
عبد الله ، فقتله خالدٌ وصلبه بواسط عند قنطرة العاشر .

ومن الرّواض كُثَيِّرَ عَزَّةَ الشاعر . ولما حضرته الوفاة
دعا ابنةَ أخٍ له ، فقال : يا بِنْتَ أَخِي ، انِّ عَمَّكَ كان يجب
هذا الرَّجُلَ فأحْبَبْتِهِ ، يعني عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ؛
فقالَتْ : نصيحتك يا عم مردودة عليك ، أحْبَبَهُ والله خِلافَ
الحُبِّ الذي أَحْبَبْتَهُ أَنْتَ ؛ فقال لها : بَرِّئْتُ مِنْكَ ؛ وأنشد
يقول :

بَرِّئْتُ إِلَى الْإِلَهِ مِنْ ابْنِ أَرْوَى ، وَمِنْ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَجْمَعِينَ
وَمِنْ عُمَرَ بَرِّئْتُ وَمِنْ عَتِيقٍ ، غَدَاةَ دُعَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
ابن أروى : عثمان .

والرّواض كلها تؤمن بالرجعة ، وتقول : لا تقوم الساعةُ
حتى يخرج المهديُّ ، وهو محمد بن عليّ ، فيملؤها عدلاً كما
مليّت جوراً ، ويُحيي لهم موتاهم فيرجعون إلى الدنيا ،
ويكون الناسُ أمةً واحدةً . وفي ذلك يقول الشاعر :

أَلَا إِنَّ الْأُمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ وُلَاةَ الْعَدْلِ أَرْبَعَةٌ سِوَاءِ
عَلِيِّ وَالثَّلَاثَةِ مِنْ بَنِيهِ ، هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خِفاءُ
فَسَبِطٌ سَبِطُ إِيمَانٍ وَبِرٍّ ، وَسَبِطٌ غَمْبِيَّةُ كَرِّ بَلَاءِ

أراد بالأسباط الثلاثة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن
الحنفية ، وهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان .

ومن الروافض : السيد الحميري ، وكان يلقي له وسائد
في مسجد الكوفة يجلس عليها ، وكان يؤمن بالرجعة ، وفي
ذلك يقول :

إذا ما المرءُ سابَّ له قَدالٌ ، وَعَلَّه المَواشِطُ بِالْحِضابِ
فقد ذهبَتْ بِشاشتُهُ وَأَوْدَى ، فَقمُ بأبيكَ فابكِ على الشَّبابِ
فليس بعائِدٍ ما فاتَ منه إلى أحدٍ ، إلى يومِ المَتابِ
إلى يومٍ يئوبُ الناسُ فيه إلى دُنياهمُ ، قبلِ الحِسابِ
أدين بأنَّ ذاكَ كذاكَ حقًّا ، وما أنا في النُّشورِ بذي ارتيابِ
لأنَّ اللهَ خَبَّرَ عن رِجالٍ حَيَوا ، من بعد دَسِّ في التُّرابِ
وقال يرثي أخاه :

يا بنَ أُمِّي فَدَتِكَ نَفسي ومالي ،
كنتَ رُكني ومفزعِي وجمالي
ولعمري لئن تَرَكتُكَ مَيِّتًا ،
رَهْنَ رَمَسٍ صَنِكَ ، عليك مُهال

لوشيكاً ألقاكَ حيّاً صحيحاً،
سامِعاً ، مُبصراً ، على خيرِ حال
قد بُعثتم من القُبور ، فأبْتَم
بعدها رَمَّت العِظام البَوالي
أو كَسَبَعين وافداً معَ موسى،
عائِنُوا هائِلاً من الأَهْوال
حين رامُوا من خُبْهم رُؤية الله،
وأنتى برؤية المتعالي
فرماهم بصعقة أحرقتهم،
ثم أحياهمُ شديدُ المِحال

دخِل رجل من الحِسْبانيَّة على المأمون ، فقال لثُمّامة بن
أشرس : كَلِّمهُ . فقال له : ما تقول وما مذهبك ؟

فقال : أقول إن الأشياء كلها على التوهّم والحِسبان ، وإنما
يُدرِك منها الناسُ على قَدْر عقولهم ، ولا حقّ في الحقيقة .

فقام إليه ثُمّامة ، فلَدَطَمَه لطمَةً سوَدَّت وَجْهَهُ ، فقال : يا
أمير المؤمنين ، يفعل بي مثلَ هذا في مجلسك !

فقال له ثُمّامة : وما فعلتُ بك ؟

قال : لَطَمْتَنِي .

قال : وَلَعَلَّ إِنَّمَا دَهَنْتُكَ بِالْبَانِ ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَلَعَلَّ آدَمَ أُمْنَا ، وَالْأَبُ حَوْا فِي الْحِسَابِ
وَلَعَلَّ مَا أَبْصَرْتَ مِنْ بَيْضِ الطَّيُورِ ، هُوَ الْغُرَابُ
وَعَسَاكِ حِينَ قَعَدْتَ قَمْتًا ، وَحِينَ جِئْتَ هُوَ الذَّهَابُ
وَعَسَى الْبَيْفَسَجَ زَنْبَقًا ؛ وَعَسَى الْبَهَارَ هُوَ السُّذَابُ ١

ومن حديث ابن أبي سَيِّبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَّادٍ قَالَ : قَالَ
لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : لِأَخْبَرَنَّكَ بِأَعْجَبِ شَيْءٍ : قَرَعَ الْيَوْمَ
عَلَيَّ الْبَابَ رَجُلٌ لَمَّا وَضَعْتُ ثِيَابِي لِلظَّهْرِ ، فَقُلْتُ : مَا أَتَى بِهِ
فِي مِثْلِ هَذَا الْوَحِينِ إِلَّا أَمْرٌ مَهْمٌ ، أَدْخَلُوهُ . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : مَتَى
يُبْعَثُ ذَلِكَ الرَّجُلُ ؟

قلت : أَيُّ رَجُلٍ ؟

قال : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

قلتُ : لَا يُبْعَثُ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ مَنْ فِي الْقُبُورِ .

قال : وَإِنَّكَ لَتَقُولُ بِقَوْلِ هَذِهِ الْجَهْلَةِ !

قلت : أَخْرَجُوهُ عَنِّي لَعْنَةُ اللَّهِ .

١ البهار : نبت طيب الرائحة ، السذاب : من البقول .

ومن الروافض: الكَيْسَانِيَّة ، قلتُ : وهم أصحاب المختار
ابن أبي عبيد ، ويقولون إن اسمه كَيْسَان .
ومن الرافضة : الحُسَيْنِيَّة ، وهم أصحاب إبراهيم بن الأَشر،
وكانوا يطوفون بالليل في أزقة الكوفة وينادون : يا ثاراتِ
الحُسَيْن ! فقبل لهم : الحُسَيْنِيَّة .
ومن الرافضة : العُرَابِيَّة ، سمّيت بذلك لقولهم : عليٌّ
أشبه بالنبيِّ من العُرَاب بالعُرَاب .
ومن الرافضة : الزَيْدِيَّة ، وهم أصحاب زيد بن عليِّ المقتول
بجُرّاسان ، وهم أقلُّ الرافضة عُلوّاً ، غير أنهم يَرَوْنَ الخروج
مع كلِّ مَنْ خرج .

مالك بن مُعاوية قال : قال لي الشَّعْبِي ، ودكرنا الرافضة :
يا مالك ، لو أردتُ أن يُعطوني رِقَابَهُمْ عبيداً وأن يَمْلأوا
بيتي ذهباً عليّ ، على أن أكذبَ لهم على عليٍّ كذبةً واحدةً
لَقَبِلُوا ، ولكنني والله لا أكذبُ عليه أبداً .

يا مالك ، إنني دَرَسْتُ الأهواء كلها فلم أرَ قوماً أحقَّ
من الرافضة ، فلو كانوا من الدوابِّ لكانوا حَمِيرًا ، أو كانوا
من الطير لكانوا رَخَمًا .

ثم قال : أحذركُ الأهواءَ المُضلة شرُّها الرافضة ، فإنها
يهود هذه الأمة ، يُبغضون الاسلام ، كما يُبغض اليهودُ النصرانية ،

ولم يدخلوا في الاسلام رغبةً ولا رهبةً من الله ، ولكن مَقْتاً
لأهل الاسلام وبسغياً عليهم ، وقد أحرَقهم عليّ بن ابي طالب ،
رضي الله عنه ، بالنار ، ونفاهم إلى البلدان ، منهم : عبد الله بن
سبأ ، نفاه إلى ساباط ، وعبد الله بن سبأ ، نفاه إلى الجزائر ،
وأبو الكَرَوَس ، وذلك ان مَحْنَةَ الرافضة محنة اليهود : قالت
اليهود : لا يكون المُلْك إلا في آل داود ؛ وقالت الرافضة :
لا يكون المُلْك إلا في آل عليّ بن أبي طالب ؛ وقالت اليهود :
لا يكون جِهَادٌ في سبيل الله حتى يخرج المسيح المُنتظر ،
ويُنَادِي منادٍ من السماء ؛ وقالت الرافضة : لا جِهَاد في سبيل
الله حتى يخرج المَسْهَدِيُّ ، وينزل سبب من السماء ؛ واليهود
يُؤَخَّرُونَ صلاةَ المَغْرِبِ حتى تَشْتَبِكَ الشُّجُوم ، وكذلك
الرافضة ، واليهود لا تَرَى الطَّلَاقَ الثلاثَ شيئاً ، وكذا الرافضة ،
واليهود لا تَرَى على النساءِ عدّة ، وكذلك الرافضة ، واليهود
تستحلّ دمَ كلِّ مسلم ، وكذلك الرافضة ، واليهود حرّفوا
التّوراة ، وكذلك الرافضة حرّفت القرآن ، واليهود تُبَغِضُ
جبريلَ وتقول : هو عدوُّنا من الملائكة ، وكذلك الرافضة تقول :
غَلَطَ جبريلُ في الوحي إلى محمد بترَكِ عليّ بن أبي طالب ،
واليهود لا تأكل لحمَ الجَزور ، وكذلك الرافضة .

١ الجزائر : قرية من نواحي النهروان ، قرب المدائن .

ولليهود والنصارى فضيلةٌ على الرافضة في خصلتين ،
سُئِلَ اليهود: مَنْ خَيْرَ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ فقالوا: أصحابُ موسى،
وسُئِلَتِ النصارى، فقالوا: أصحابُ عيسى، وسُئِلَتِ الرافضة:
مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ فقالوا: أصحابُ محمد، أمرهم الله
بالاستغفار لهم فشتَموهم، فالسيفُ مَسْلُوبٌ عليهم الى يومِ القيامة،
لا تَتَشَبَّهْ لَهُمْ قَدَمٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُمْ رَايَةٌ، وَلَا تُجْمَعُ لَهُمْ كَلِمَةٌ،
دَعْوَتُهُمْ مَدْحُورَةٌ، وَكَلِمَتُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، وَجَمْعُهُمْ مُفْرَقٌ،
كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَظْفَأَهَا اللَّهُ .

وذُكِرَتِ الرَّافِضَةُ يَوْمًا عِنْدَ الشَّعْبِيِّ فَقَالَ: لَقَدْ بَغَضُوا
إِلَيْنَا حَدِيثَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا سَبَّهْتُ تَأْوِيلَ الرِّوَاظِ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا
بِتَأْوِيلِ رَجُلٍ مَضْعُوفٍ مِنْ بَنِي حَنْزُومٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَجَدْتَهُ
قَاعِدًا بَفِنَاءِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: يَا شَعْبِيُّ، مَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِ هَذَا
الْبَيْتِ؟ فَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ يَغْلَطُونَ فِيهِ وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ فِي رَجُلٍ
مِنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَسِبٍ بِفِنَائِهِ، وَمُجَاشِعٍ وَأَبُو الْفَوَارِسِ تَهْمَلُ
فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا عِنْدَكَ أَنْتَ فِيهِ؟

قَالَ: الْبَيْتُ هُوَ هَذَا الْبَيْتُ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ،
وَزُرَّارَةُ الْحَجَرِ، زُرَّرَ حَوْلَ الْبَيْتِ .

فقلت له : فَمَجُاشِعُ ؟

قال : زَمَزَمٌ جَشِيعَتٌ بِالماءِ .

قلت : فَأَبُو الفِوارِسِ ؟

قال : هو أَبُو قُبَيْسِ جَبَلِ مَكَّةِ .

قلت : فَتَهْشَلُ ؟

ففكَّرَ فيه طويلاً ثم قال : أَصْبَتْهُ ، هو مِصْبَاحُ الكَعْبَةِ

طويلاً أسود ، وهو التَّهْشَلُ .

قولهم في الشيعة

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: أخبرني رجلٌ من رؤساء التجار قال: كان معنا في السفينة شيخٌ شرس الأخلاق، طويلُ الإطراق، وكان إذا ذكر له الشيعةُ غَضِبَ وارتدَّ وجهه وزاوى من حاجبيته، فقلتُ له يوماً: يرحمك الله، ما الذي تكرهه من الشيعةِ فأني رأيتك إذا ذكروا غَضِبْتَ وقُبِضْتَ؟

قال: ما أكره منهم إلاَّ هذه الشين في أوَّل اسمهم، فأني لم أجدها قطُّ إلا في كلِّ شرٍّ وشؤمٍ وشيطانٍ وشعْبٍ وشقاءٍ وشنارٍ وشررٍ وشينٍ^٢ وشوكٍ وشكوىٍ وشهوةٍ وشتمٍ وشعجٍ.

قال أبو عثمان: فما ثبت لشيعةٍ بعدها قائمةٌ.

١ الشنار: العار.

٢ الشين: العيب.

من كلام المتكلمين

دخل المُوبَد على هشام بن الحَكَم، والمُوبَد هو عالم الفُرس،
فقال له : يا هشام ، حولَ الدنيا شيءٌ ؟

قال : لا .

قال : فإن أخرجتُ يدي فشمَّ شيءٌ يرُدُّها ؟

قال هشام : ليسَ شيءٌ يرُدُّها ولا شيءٌ يُتخرَّج يدك فيه .

قال : فكيف أعلم هذا ؟

قال له : يا مُوبَدُ، أنا وأنتَ على طَرَفِ الدنيا فقلت لك :

يا مُوبَدُ ، إني لا أرى شيئاً ؛ فقلتَ لي : ولمَ لا ترى ؟ فقلت

لك : ليسَ ها هنا ظلامٌ يُمنعني ؛ قلتَ لي أنتَ : يا هشام ، إني لا

أرى شيئاً ؛ فقلتَ لك : ولمَ لا ترى ؟ قلتَ : ليسَ ضياءٌ أنظر به ،

فهل تكافآتُ الملتان في التناقض ؟

قال : نعم .

قال : فإذا تكافأنا في التناقض لم تتكافأ في الإبطال أن

ليس شيءٌ ؟

فاشار الموبدُ بيده أن أصبت .

قال رجلٌ لبعض ولاة بني العباس : أنا أجعل هِشام بن الحكم يقول في عليّ ، رضي الله عنه ، إنه ظالم .
فقال : إن فعلتَ ذلك فلك كذا وكذا .

ثم أحضر هشام فقال له : نَشَدْتُكَ اللهُ أبا محمَّد ، أما تتعلم أن عليًّا نازع العباس عند أبي بكر ؟
قال : نعم .

قال : فَمَنْ الظالم منهما ؟

فكره أن يقول : العباس ، فيواقع سُخْطَ الخليفة ، أو يقول : عليّ ، فَيَنْقُضَ أصله ، قال : ما منهما ظالم .

قال : فكيف يَتَنَازَعُ اثنان في شيء لا يكون أحدهما ظالمًا ؟

قال : قد تَنَازَعُ المَلِكُ عند داود عليه السلام وما فيها ظالم ، ولكن يُنَبِّهُ داود على الخَطِيئَةِ ، وكذلك هذان أرادَا تَنبيهَ أبي بكر من خطيئته .

فأسكِتَ الرجل ، وأمر الخليفة هِشام بصِلَةِ عظيمة .

دَخَلَ إبراهيمُ النَّظَّامُ على أبي الهُدَيل العَلَّاف وقد أسنَّ

وبعد عهده بالمنظرة ، وإبراهيمُ حدث السنَّ ، فقال : أخبرني
عن قراركم : أن يكون جوهراً مخافة أن يكون جسماً ،
فهل قرّرتم أن لا يكون جوهراً مخافة أن يكون عرضاً ،
والعرض أضعفُ من الجواهر ؟

قبصق أبو الهذيل في وجهه ؛ فقال له إبراهيم : قبّحك
الله من شيخ ! ما أضعفُ حجّتك وأسفه حليمك !

قال : لقي جهم^١ رجلاً من اليونانيين فقال له : هل لك
أن تكلمني وأكلّمك عن معبودك هذا ، أرايته قطّ ؟

قال : لا .

قال : فلمسته ؟

قال : لا .

قال : فذوّقه ؟

قال : لا .

قال : فمن أين عرفته وأنت لم تدركه بحسّ من حواسك
الخمسة وإنما عقلك معبّر عنها فلا يدرك إلا ما أوصلت إليه
من جميع المعلومات !

١ جهم بن صفوان صاحب الجهمية ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته
بترمز وقته سالم بن احوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية .

قال : فتَلَجَّاجَ جَهَمَ سَاعَةً ثُمَّ اسْتَدْرَكَ فَعَكَسَ الْمَسْأَلَةَ عَلَيْهِ
فَقَالَ لَهُ : مَا تُقِرُّ أَنَّ لَكَ رُوحاً ؟

قال : نعم .

قال : فهل رَأَيْتَهُ أَوْ ذُوقْتَهُ أَوْ سَمِعْتَهُ أَوْ شَمَمْتَهُ أَوْ اسْتَمَعْتَهُ ؟

قال : لا .

قال : فكيف عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ رُوحاً ؟

فَأَقْرَبَ لَهُ الْيُونَانِيَّ .

في الحياء

قال النبي ﷺ ، صلى الله عليه وسلم : الحياء خيرٌ كلُّهُ . الحياء
شعبة من الايمان .

وقال عليه السلام : إنَّ الله تبارك وتعالى يُحبُّ الحَيِّيّ
الحليم المتعفف ، ويكره البذيء السَّالِ المُلْحِف .

وقال عَوْنُ بن عبد الله : الحياءُ والحليمُ والصِّمْتُ من الايمان .

وقال ابن عمر : الحياءُ والايامن مَقْرُونانِ جَمِيعاً ، فإذا رُفِعَ
أحدهما ارتفع الآخر معه .

وقال : مَكْتُوبٌ في التوراة : إِذْ لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعِ مَا تَشَاءُ .
وقال : أَحْيُوا الحياءَ بِمُجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحَى مِنْهُ .

وذكر أعرابيٌّ رجلاً حَيِّياً فقال : لا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا وَكَأَنَّهُ
لا غِنَى بِهِ عِنْدَكَ وَإِنْ كُنْتَ إِلَيْهِ أَحْوَجَ ، وَإِنْ أَذْنِبْتَ غَفَرَ

وكانه المذنب ، وإن أسأت إليه أحسن وكأنه المسيء .

•
لذلي الأخيلية :

فتي هو أحياء من فتاة حبيبة ، وأشجع من لئب بجحان خادر

•
ولابن قيس أيضاً :

تحالهم ، للحلم ، صماً عن الحنا ،
وخرساً عن الفحشاء ، عند التهاجر
ومرضى ، إذا لوقوا ، حياءً وعقبةً ،
وعند الحفاظ كالليوث الحوادر

•
وقال الشعبي: تعاشر الناس فيما بينهم زماناً بالدين والتقوى ،
ثم رُفِعَ ذلك فتعاشروا بالحياء والتدبُّم ، ثم رُفِعَ ذلك ،
فما يتعاشر الناس إلا بالرغبة والرغبة ، وسيجيء ما هو شر
من ذلك .

•
وقيل : الحياء يزيد في النبل .

ولبعضهم :

فلا وأبيك ما في العيش خيراً ، ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

وقال آخر .

إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً ، تقلب في الأمور كما يشاءُ
ولم يكُ للدواء ولا لشيءٍ ، تُعالجُه به ، فيه غناء
ورُبَّ قبيحةٍ ما حالَ بيني وبين رُكوبها إلا الحياءُ

وقال عليّ بن أبي طالب ، كرم الله وجهه : قرنت الهيبةُ
بالحيبة ، والحياءُ بالحرمان .

وقد قيل :

ارفع حياءك فيما جئت طالبه ، إن الحياءَ مع الحرمان مقرونُ

وفي المثل : كثرة الحياء من التخنُّث .

قال الحسن : من استتر بالحياء لبس الجهل سرباله ، فقطعوا

سراييل الحياء ، فانه من رِقّ وجهه رِقّ علمه .

•
وَصَفَ رَجُلَ الْحَيَاءِ عِنْدَ الْأُحْنَفِ فَقَالَ : إِنَّ الْحَيَاءَ لَيَسِّمُ
لِمَقْدَارٍ مِنَ الْمَقَادِيرِ ، فَمَا زَادَ عَلَيَّ ذَلِكَ فَسَمَّهٖ بِمَا أَحْبَبْتُ .

•
وقال بعضهم :

إِنَّ الْحَيَاءَ مَعَ الْحِرِّ مَنْ مُقْتَرُونَ ، كَذَاكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ التَّخْنِيثِ أَكْثَرَهُ ، فَارْفَعَهُ فِي طَلَبِ الْحَاجَاتِ وَالْأَمَلِ

•
وللشمّاخ :

أَجْمَلُ أَقْوَامًا حَيَاءً ، وَقَدْ أَرَى صُدُورَهُمْ بَادٍ عَلَيَّ مِرَاضُهَا

•
ولابن أبي حازم :

وَإِنِّي لَيَتَّئِنِّي ، عَنِ الْجَهْلِ وَالْحِنَاءِ ،
وَعَنْ سَتْمِ ذِي الْقُرْبَى ، خَلَائِقُ أَرْبَعُ
حَيَاءٌ وَإِسْلَامٌ وَتَقْوَى ، وَأَنْتَنِي
كَرِيمٌ وَمِثْلِي قَدْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

وقال آخر :

إذا حرم المرء الحياءَ ، فإنه بكلّ قبيح كان منه جديرُ
له قبيحة في كل أمر ، وسِرُّه مُباح ، وجدواه جفاً وغرور
يرى الشتم مدحاً والدناءة رفعة ، وللسَّمع منه في العِظات نفور
فرجّ الفقي ما دام حيّاً ، فإنه ، إلى خيرِ حالات المُنيب ، يصير

جامع الآداب

أدب الله لنبية ، صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر أحمد بن محمد : أوّل ما نبدأ به أدبُ النبيّ ،
صلى الله عليه وسلم ، ثم أدبه ، صلى الله عليه وسلم ، لأمته ، ثم
الحكماء والعلماء ، وقد أدّب الله نبيّه بأحسن الآداب كلها ،
فقال له : « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا . » فنّهاه عن
التّقدير كما نّهاه عن التّسدير ، وأمره بتوسّط الحالين ، كما قال
عزّ وجلّ : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا
وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا . »

وقد جمع الله ، تبارك وتعالى ، لنبية ، صلى الله عليه وسلم ،
جوامع الكلم في كتابه المحكم ، ونظّم له مكارم الأخلاق
كلّها في ثلاث كلمات منه ، فقال : « خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . » ففي أخذِهِ العفو صلّةٌ من قطعته ،
والصّفحُ عمّن ظلمه ؛ وفي الأمر بالمعروف اتّقوى الله ، وغض
الطرفِ عن المحارم ، وصوّن اللسان عن الكذب ؛ وفي

الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن ثمرارة السفية، ومنازعة
اللبجوج .

ثم أمره، تبارك وتعالى، فيما أدبه باللين في عريكته والرفق
بأمته فقال: « واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . »
وقال: « وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ . » وقال تبارك وتعالى: « لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . »

فلما وعى عن الله، عزَّ وجلَّ، وكمُلت فيه هذه الآداب، قال
الله، تبارك وتعالى: « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . »

أدب النبي صلى الله عليه وسلم لامته

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيما أَدَّبَ به أُمَّته وِحَضَّهَا عليه من مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْمُعَاشِرَةِ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ : أَوْصَانِي رَبِّي بِتَسْعٍ وَأَنَا أَوْصِيكُمْ بِهَا : أَوْصَانِي بِالْإِخْلَاصِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْعِنَى وَالْفَقْرِ ، وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وَأَعْطِي مَنْ حَرَمَنِي ، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي ، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْرًا ، وَنُطْقِي ذِكْرًا ، وَنَظَرِي عِبْرًا .

وقد قال ، صلى الله عليه وسلم : نَهَيْتُكُمْ عَنْ قِيلٍ وَقَالَ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ .

وقد قال ، صلى الله عليه وسلم : لَا تَقْعُدُوا عَلَى ظُهُورِ الطُّرُقِ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَعُضُّوا الْأَبْصَارَ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَهْدُوا الضَّالَّ ، وَأَعِينُوا الضَّعِيفَ .

وقد قال ، صلى الله عليه وسلم : أَوْكُوا السَّقَاءَ^١ ، وَاكْفَأُوا الْإِنَاءَ^٢ ،

١ أَوْكُوا السَّقَاءَ : شَدُوا رَأْسَهُ بِالْوَكَاءِ لِثَلَا يَدْخُلُهُ حَيَوَانٌ أَوْ يَسْقُطُ فِيهِ شَيْءٌ .

وَالْوَكَاءُ : كُلُّ سَيْرٍ أَوْ خَيْطٍ يَشُدُّ بِهِ فَمِ السَّقَاءِ أَوْ الْوَعَاءِ .

٢ اكْفَأُوا الْإِنَاءَ : أَقْلَبُوهُ وَكَبُوهُ .

وَأَغْلَقُوا الْأَبْوَابَ ، وَأَطْفَأُوا الْمَصْبَاحَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ
غَلَقًا ، وَلَا يَجْلُثُ وَكَاةً ، وَلَا يَكْشِفُ الْإِنَاءَ .

وَقَالَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ ؟
قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : مَنْ أَكَلَ وَحْدَهُ ، وَمَنَعَ رِفْدَهُ ، وَجَدَّ عَبْدَهُ .
ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ ؟
قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : مَنْ لَا يُقِيلُ عَثْرَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةَ . ثُمَّ قَالَ :
أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ ؟
قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ .

وَقَالَ : حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرَضَكُمْ
بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا الْبَلَاءَ بِالذُّعَاءِ .

وَقَالَ : مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى .

وَقَالَ : الْمُسْلِمُونَ تَتَكَفَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ،
وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ .

وَقَالَ : الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى .

وَقَالَ : وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .

وقال : لا تجنِ يمينك على شمالك ، ولا يُلدغ المؤمن من
جُحرٍ^١ مرتين .

وقال : المرء كثيرٌ بأخيه .

وقال : افضِلوا بين حديثكم بالاستغفار ، واستعِينوا على
قضاء حوائجكم بالكتمان .

وقال : أفضلُ الأصحاب من إذا ذَكَرتَ أعانك ، وإذا
نَسيتَ ذَكَركَ .

وقال : لا يُؤمُّ ذو سلطان في سُلطانه ، ولا يُجلِس على
تَكرِمته إلا بإذنه .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : يقول ابنُ آدمَ مالي مالي ،
وإنما له من ماله ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو وهب فأمضى .

وقال : ستَحرسون على الامارة ، فَنِعمت المرزعة
وبئست الفاطمة .

وقال : لا يحكم الحاكمُ بين اثنين وهو غضبان .

وقال : لو تكاشفتُم^٢ ما تدافنتُم^٣ ، وما هلك امرؤُ عرف قدره .

١ الجحر : مكان تحتفره السباع والهوم لانفسها .

٢ تكاشفتُم : كشف بعضهم سريره لبعض .

٣ تدافنتُم : دفن بعضهم بعضاً .

وقال : الناس كإبلٍ مائة لا تكاد تجد فيها راحلة واحدة ،
والناس كالهم سواء كأسنان المشط .

وقال : رَحِمَ اللهُ عبداً قال خيراً فَنَعْنِمَ أو سَكَتَ فسلِمَ .

وقال : خَيْرُ المَالِ سِكَّةٌ مَأبُورَةٌ^١ ، ومُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ^٢ ،
وخَيْرُ المَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنِ نَائِمَةٍ^٣ .

وقال في إناث الخيل : بُطُونُهَا كَتَزٍ ، وظُهُورُهَا حِرْزٌ .

وقال : ما أَمْلَقَ تاجِرٌ صَدُوقٌ ، وما أَقْفَرُ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ^٤ .

وقال : قَيِّدُوا العِلْمَ بِالكِتَابَةِ .

وقال : زُرْ غَيْبَهُ تَرَدَّدَ حُبًّا .

وقال : عَلَّقَ سَوَطُكَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ .

١ السكة : الطريقة المصطفاه من النخل . المأبورة الملقحة .

٢ المأمورة : الكثيرة النتاج .

٣ عين ساهرة : عين ماء تجري ليلاً ونهاراً ، فجعل دوام جريها سهراً لها . لعين

نائمة : أي لصاحبها .

٤ اراد بالخل الادام .

٥ الغب : ان تزور يوماً وتدع يوماً .

في آداب الحكماء والعلماء

منه في فضيلة الأدب

أوصى بعضُ الحكماء بنيه فقال : الأدبُ أكرمُ الجواهر
طبيعةً وأنفسها قيمةً ، يرفعُ الأحسابَ الوضيعة ، ويُفيدُ الرغائبَ
الجليلة ، ويُعزِّزُ بلاَ عشرة ، ويُكثِرُ الأنصارَ بغيرِ رزية ١ ،
فالبسوه حُلَّة ٢ ، وتزيِّنوه حِلية ، يُؤنِّسكم في الوحشة ،
ويجمع لكم القلوبَ المختلفة .

ومن كلام عليٍّ ، عليه السلام ، فيما يُروى عنه أنه قال : من حلَّم
ساد ، ومن ساد استفاد ؛ ومن استَحيا حُرْم ؛ ومن هاب خاب ؛
ومن طلب الرأسة صَبَر على السِّياسة ؛ ومن أبصر عَيَب
نفسه عَمِيَ عن عيب غيره ؛ ومن سلَّ سيفَ البغي قُتل به ؛
ومن احتقر لأخيه بئراً وقع فيها ، ومن نسي زلَّته استعظم

١ أراد انهم ينصرونك بغير أن يرزأوك شيئاً، أي انك لا تنفق عليهم شيئاً من
مالك مقابل نصرهم اياك .

٢ الحلة : الثوب .

زلة غيره ؛ ومن هتك حجاب غيره انتهكت عورات بيته ؛
 ومن كابر في الأمور عطب ؛ ومن اقتحم اللجج غرق ؛ ومن
 أعجب برأيه ضل ؛ ومن استغنى بعقله زل ؛ ومن تجبر على
 الناس ذل ؛ ومن تعمق في العمل مل ؛ ومن صاحب
 الأندال حقر ؛ ومن جالس العلماء وقّر ؛ ومن دخل مداخل
 السوء اتهم ؛ ومن حسن خلقه ، سهلت له طرقه ؛ ومن
 حسن كلامه ، كانت الهيبة أمامه ؛ ومن خشي الله فاز ؛
 ومن استقاد الجهل ، ترك طريق العدل ؛ ومن عرف أجله ،
 قصر أمه ؛ ثم أنشأ يقول :

إلبس أخاك على عيوبه ؛ واستر وغط على ذنوبه
 واصبر على بهت السفية ، ولزمان على خطوبه
 ودع الجواب تفضلاً ؛ وكل الظلوم إلى حسيبه

وقال شيب بن شيبه : اطلبوا الادب فإنه مادة للعقل ،
 ودليل على المروءة ، وصاحب في الغربة ، ومؤنس في الوحشة ،
 وحلية في المجلس ، ويجمع لكم القلوب المختلفة .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الادب

فإنكم ان احتجتم إليه كان لكم مالا، وإن استغنيتم عنه
كان لكم جمالا .

وقال بعض الحكماء : اعلم أن جاهاً بالمال إنما يصحبك ما
صحبك المال ، وجاهاً بالادب غير زائل عنك .

وقال ابن المقفع : اذا أكرمك الناس مالاً أو لسُلطان
فلا يُعجبك ذلك ، فإن الكرامة تزول بزواهما ، ولكن ليعجبك
اذا أكرموك لدين أو أدب .

وقال الاحنف بن قيس : رأسُ الادب المنطق ، ولا خير
في قول الاب يفعل ، ولا في مال الابد يوجد ، ولا في صدق
الابوفاء ، ولا في فقه الابدورع ، ولا في صدق الابنية .

وقال مصقلة الزبيرى : لا يستغني الاديب عن ثلاثة واثنين ؛
فأما الثلاثة : فالبلاغة والفصاحة وحسن العبارة ؛ وأما الاثنان :
فالعلم بالاثر والحفظ للخبر .

وقالوا : الحَسْبُ 'محتاج الى الادب ، والمعرفة محتاجة الى التَّجربة .

وقال بُزْرُجُمِهْر : ما ورث الآباءُ الابناءَ شيئاً خيراً من الأدب ، لأنَّ بالأدب يَكسبون المال ، وبالجَهْل يُتلفونه .

وقال الفُضَيْل بن عِيَاض : رأسُ الأدب معرفة الرجل قدره .

وقالوا : حُسْنُ الخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ ، والأدبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ ، والتَّوْفِيقُ خَيْرُ قَائِدٍ .

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَضِرْهُ مَا قَالَ النَّاسُ فِيهِ .

وقال أَنُوشِرَوَانُ لِلْمُوبَدِّ ، وهو العالم بالفارسيَّة : ما كان أَفْضَلُ الْأَشْيَاءِ ؟

قال : الطَّيْبَةُ النَّقِيَّةُ تَكْتَفِي مِنَ الْأَدْبِ بِالرَّائِحَةِ ، وَمِنْ الْعِلْمِ بِالْإِشَارَةِ ، وَكَمَا يَمُوتُ الْبَدْرُ فِي السَّبَّاحِ ، كَذَلِكَ تَمُوتُ الْحِكْمَةُ بِمَوْتِ الطَّيْبَةِ .

١ السباح ، واحدها سبخة : أرض ذات نر وملح .

قال له : صدقتَ ، ونحن لهذا قَلَدْنَاكَ ما قلدناكَ .

•
وقيل لأرْدَشِير : الأدبُ أغلبُ أم الطَّبِيعَةُ ؟

فقال : الأدبُ زيادة في العَقْل ، ومَنْبَهَةٌ للرأْي ، ومَكْسَبَةٌ
للصواب ، والطَّبِيعَةُ أملك ، لأن بها الاعتقاد ، ونماء الغِرَاسَةِ ،
وقام الغِذاء .

•
وقيل لبعض الحكماء : أيُّ شيء أعزَنُ للعقل بعد الطَّبِيعَةُ
المولودة ؟ قال : أدبٌ مُكْتَسَبٌ .

•
وقالوا : الأدبُ أدبان : أدبُ الغَرِيْزَةِ وهو الأصل ، وأدبُ
الرِّوَايَةِ وهو الفِرْع ، ولا يتفرَّع شيء إلا عن أصله ، ولا ينمى
الأصل إلا باتصال المادة .

•
وقال الشاعر :

ولم أرَ فرْعاً طال إلا بأصله ؛ ولم أرَ بدءَ العِلْمِ إلا تعلُّماً

وقال حبيب^١ :

وما السيفُ إلاَّ زُبْرَةٌ لو تركته
على الحالةِ الأولى لما كان يقطعُ^٢

وقال آخر :

ما وهب الله لامرئٍ هبةً أفضلَ من عقله ، ومن أدبه
هما حياةُ الفتى فإن فُقِدَا ، فإن فُقِدَ الحَيَاةُ أحسنُ به

وقال ابن عباس : كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا
يسعك جهله ، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثال .

قال ابن قتيبة : إذا أردت أن تكون عالماً فاطلب فتياً
واحداً ، وإذا أردت أن تكون أديباً فتفتن في العلوم .

وقالت الحكماء : إذا كان الرجل طاهرَ الأثواب ، كثيرَ
الآداب ، حسنَ المذهب ، تأدب بأدبه وصلح لصلاحه جميع

١ حبيب الطائي ، أبو تمام .

٢ الزبرة : القطعة من الحديد .

أهله وولده . قال الشاعر :

رَأَيْتُ صَلاَحَ المَرءِ يُصَلِّحُ أَهْلَهُ ،
وَيُفْسِدُهُم رَبُّ الفَسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدنْيا لِفَضْلِ صَلاَحِهِ ؛
وَيُحْفَظُ بَعْدَ المَوْتِ فِي الأَهْلِ وَالوَالِدِ

•

وسئل ديوجانيس : أي الخصال أحمدُ عاقبة ؟
قال : الإيِّمان بالله ، عزٌّ وجلٌّ ، وبرٌّ الوالدين ، ومحبة العلماء ،
وقبولُ الأدب .

•

رُوي عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : من
لا أدب له لا عقل له .

•

وقالوا : الأدب يزيدُ العاقلَ فضلًا ونباهةً ، ويُفيدُه رقةً
وظرفًا .

وفي رقة الادب

قال أبو بكر بن أبي سَئِبة : قيل للعبّاس بن عبد المطّلب :
أنت أكبر أم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو
أكبر مني وأنا أسنّ منه .

وقيل لأبي وائل : أيكما أكبر ، أنت أم الربيع بن خثيم ؟
قال : أنا أكبر منه سنّاً ، وهو أكبر مني عقلاً .

وقال أبان بن عثمان لطويس المغنسي : أنا أكبر أم أنت ؟
قال : جُملتُ فداك ، لقد شهدتُ زفاف أمك المباركة الى أبيك
الطيب . انظر الى حدّقه ورقة أدبه كيف لم يقبل أمك الطيبة
الى أبيك المبارك .

وقيل لعمر بن ذرّ : كيف برّ ابنك بك ؟ قال : ما مشيت
نهاراً قطُّ إلا مشى خلفي ، ولا ليلاً إلا مشى أمامي ، ولا رقي
علية وأنا تحته .

ومن حديث عائشة ، قالت : ما رأيتُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يُبجّل أحداً تبيجيله لعنه العباس .

•
وكان عمر وعثمان إذا لقيا العباس نزلا إعظاماً له ، إذا كانا راكبين .

•
ومن قولنا في رقة الأدب :
أدبٌ كمثل الماء لو أفرغته ، يوماً ، لسال كما يسيلُ الماءُ

•
أحمد بن أبي طاهر قال : قلتُ لعليّ بن يحيى : ما رأيتُ أكمل أدباً منك .

قال : كيف لو رأيتَ إسحاق بن إبراهيم ؟
فقلتُ ذلك لإسحاق بن إبراهيم .

قال : كيف لو رأيتَ إبراهيم بن المهدي ؟
فقلتُ ذلك لإبراهيم .

فقال : كيف لو رأيتَ جعفر بن يحيى ؟

•
وقال عبدُ العزيز بنُ عمر بن عبد العزيز : قال لي رجاءُ بن حنيفة : ما رأيتُ أكرمَ أدباً ولا أكرمَ عشرةً من أهلك ،

سَمَرْتُ عنده ليلة ، فبينما نحن كذلك إذ عَشِيَ المصباحُ ونام
الغلام ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد عَشِيَ المصباح ونام الغلام ،
فلو أذنتَ لي أصلحتُهُ ؛ فقال : إنه ليس من مروءة الرجل أن
يَسْتخدم ضيفه . ثم حطَّ رداءه عن مَنْكبيه ، وقام الى الدَّبَّةِ
فصبَّ من الزيت في المصباح وأشْخَص الفتيلة ، ثم رَجَعَ وأخذ
رداءه وقال : قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر .

العنبي عن أبيه قال : صَوَّت رجل عند عمر بن الخطاب
في المسجد ، فلما كانت الصلاة قال عمر : عَزَمْتُ على صاحب
الصوت إلا قام فتوضأ ؛ فلم يَقُمْ أحدٌ . فقال جرير بن عبد
الله : يا أمير المؤمنين ، اعزم علينا كلنا أن نقوم فتوضأ ؛ قال :
صدقْتَ ، ولا عَلِمْتُكَ إلا سيِّدًا في الجاهليَّة ، فقيماً في الاسلام ،
فوموا فتوضأوا .

الرياشي عن الأصمعي قال : حدَّثني عُثمان الشَّحَّام ، قال :
قلتُ للحسن : يا أبا سعيد ؛ قال : لَبَّيْكَ ؛ قلت : أتقول لي
لَبَّيْكَ ؟ قال : إني أقولها لخادمي .

وقال الشاعر :

يا حَبْدًا حِينِ تُمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وادي أَشْيٍ وَفَتِيَانٌ بِهِ هُضْمٌ ١
مُخَدَّمُونَ، كِرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ، وفي الرَّحَالِ إِذَا جَرَّ بَتَّهُمْ خَدَمٌ
وما أَصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ، فَأَذْكَرَهُمْ، إِلا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِليَّ هُمْ

١ وادي اشْي : موضع باليامة . الهضم ، واحدها هضم : الضامر اللطيف الخصر .

الادب في الحديث والاستماع

وقالت الحكماء: رأسُ الأدبِ كلُّهُ حُسْنُ الفَهِمِ والتفهِمِ
والاصفاءِ للمتكلِّمِ .

وذكر الشعبي قوماً فقال : ما رأيتُ مثلهم أسدَّ تناوباً^١
في مجلس ، ولا أحسن فهماً من مُحدِّث .

وقال الشعبي ، فيما يَصِفُ به عبدَ الملكِ بنِ مروان : والله
ما علمتهُ إلا آخذاً بثلاث ، تاركاً لثلاث : آخذاً بحُسنِ الحديثِ
إذا حدِّث ، وبحُسنِ الاستماعِ إذا حدِّث ، وبأيسرِ المؤونةِ إذا
خولف ، تاركاً لمجاوبةِ اللئيمِ ، وبمارةِ السَّفِيهِ ، ومنازعةِ
اللجوجِ .

وقال بعض الحكماء لابنه : يا بُني ، تتعلَّم حُسْنَ الاستماعِ
كما تتعلَّم حَسْنَ الحديثِ ، وليعلمِ الناسُ أنكَ أحرصُ على أن

١ تناوباً : تبادلاً ، واران تبادلاً للحديث .

تسمع منك على أن تقول ، فاحذرُ أن تُسرِعَ في القول فيما
تُحِبُّ عنه الرُّجوعَ بالفعل ، حتى يعلم الناسُ أنك على فعل ما
لم تقل أقربُ منك إلى قول ما لم تفعل .

وقالوا : من حُسن الأدب أن لا تُغالب أحداً على كلامه ،
وإذا سئلَ غيرُك فلا تُجب عنه ، وإذا حَدَّثَ بحدِيثٍ فلا تُنازعه
إياه ، ولا تَقْتَحِمَ عليه فيه ، ولا تُرِهْ أنك تعلمه ، وإذا كَلَّمْتَ
صاحبك فأخذته حُجَّتُكَ فحَسِّنْ مخرج ذلك عليه ، ولا تُظهر
الظُّفرَ به ، وتعلَّمْ حُسنَ الاستماع ، كما تعلَّمْ حُسنَ الكلام .

وقال الحسنُ البصريُّ : حَدَّثُوا النَّاسَ مَا أَقْبَلُوا عَلَيْكُمْ
بوجوههم .

وقال أبو عبَّاد الكاتب : إذا أنكر المُستَكَلِّمَ عينَ السامع
فليسأله عن مقاطع حديثه ، والسبب الذي أُجْرِي ذلك له ؛
فإنَّ وجده يقف على الحقِّ أتمَّ له الحديث ، وإلا قطعهُ عنه
وحرَّمه مؤانسته ، وعَرَّفَه ما في سوء الاستماع من الفُسْؤلةِ
والحرمان للفائدة .

١ الفسولة : عدم المروءة .

الادب في المجالسة

ومن حديث أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ : أن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يَقيمُ الرجلُ للرجلِ عن مجلسه ولكن ليُوسِّعَ له .

•

وكان عبدُ الله بن عمر إذا قام له الرجلُ عن مجلسه لم يجلس فيه ؛ وقال : لا يقيم أحد لأحد عن مجلسه ، ولكن افسحوا يَفسحِ اللهُ لكم .

•

أبو أمامة قال : خرج إلينا النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقمنا إليه ؛ فقال : لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائها . فما قام إليه أحد منّا بعد ذلك .

•

ومن حديث ابن عمر : أن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، قال : إن خرجتُ عليكم وأنتمُ جُلوس فلا يقومنَّ أحدٌ منكم في وجهي ، وإن قمت فكما أنتم ، وإن جلست فكما

أنتم ، فإن ذلك خُلِقَ من أخلاق المشركين .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : الرَّجُلُ أَحَقُّ بِصَدْرِ دَابَّتِهِ
وَصَدْرِ مَجْلِسِهِ وَصَدْرِ فَرَأَشِهِ ، وَمَنْ قَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ وَرَجَعَ إِلَيْهِ
فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ أَحَدٌ فَلَا تَقُمْ
حَتَّى تَسْتَأْذِنَهُ .

وجلس رجلٌ إلى الحسن بن عليٍّ ، عليهما الرِّضْوَانُ ، فقال
له : إِنَّكَ جَلَسْتَ إِلَيْنَا ، وَنَحْنُ نُرِيدُ الْقِيَامَ ؛ أَفَتَأْذَنُ ؟

وقال سعيدُ بنُ العاصِ : مَا مَدَدْتُ رَجْلِي قَطُّ بَيْنَ يَدَيْ
جَلِيسِي ، وَلَا قَمْتُ عَنْ مَجْلِسِي حَتَّى يَقُومَ .

وقال إبراهيمُ النَّخَعِيُّ : إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ بَيْتًا فَلْيَجْلِسْ
حَيْثُ أَجْلَسَهُ أَهْلُهُ .

وطرح أبو قِلَابَةَ لِرَجُلٍ جَلَسَ إِلَيْهِ وَسَادَةً قَرَدَهَا ؛ فَقَالَ :
أَمَا سَمِعْتَ الْحَدِيثَ : لَا تَرُدُّ عَلَى أَخِيكَ كِرَامَتَهُ ؟

وقال علي بن أبي طالب ، رضوان الله عليه : لا يأبى
الكرامة إلا حمار .

وقال سعيد بن العاص : جليسي علي ثلاث : إذا دنا
رحبت به ، وإذا جلس وسعت له ، وإذا حدث أقبلت
عليه . وقال : اني لأكره أن يمر الذئباب بجليسي مخافة أن يؤذيه .

الهيثم بن عدي قال : دخل الأحنف بن قيس على معاوية
فأشار إليه الى وسادة فلم يجلس عليها ، فقال له : ما منعك
يا أحنف أن تجلس على الوسادة ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، ان فيما أوصى به قيس بن عاصم
ولده أن قال : لا تسع للسلطان حتى يملك ، ولا تقطعه
حتى ينسأك ، ولا تجلس له على فراش ولا وسادة ، واجعل
بينك وبينه تجلس رجل أو رجلين .

وقال الحسن : 'مجالسة الرجل من غير أن يسأل عن اسمه
واسم أبيه مجالسة النوكي' .

١ النوكي : الحمقى ، واحدم انوك .

ولذلك قال شبيب بن شيبه لأبي جعفر ، ولتقيه في
الطواف وهو لا يعرفه ، فأعجبه حسن هيئته وسمته : أصلحك
الله ، اني أحب المعرفة ، وأجلك عن المسألة ؛ فقال : أنا فلان
ابن فلان .

قال زياد : ما أتيت مجلساً قط إلا تركت منه ما لو
جلست فيه لكان لي ، وتركت ما لي أحب إلي من أخذ ما
ليس لي .
وقال : أياك وصدور المجالس وان صدرك صاحبها ،
فإنها مجالس قلعة ١ .

وقال الشعبي : لأن أدعى من بُعد إلى قرب أحب إلي
من أن أقصى من قرب إلى بعد .

وذكروا أنه كان يوماً أبو السمراء عند عبد الله بن طاهر
وعنده اسحاق بن ابراهيم ، فاستدنى عبد الله إسحاق فناجاه
بشيء ، وطالت النجوى بينهما . قال : فاعترتني حيرة فيما
بين القعود على ما هما عليه والقيام ، حتى انقطع ما بينهما

١ قلعة : لا يثبت فيها صاحبها .

وتنحى إسحاق إلى موقفه ، ونظر عبد الله إليّ ، فقال : يا
أبا السّمراء :

إِذَا النَّجِيَّانِ سَرًّا عَنكَ أَمْرَهُمَا
فَانزَحْ بِسَمْعِكَ تَجْهَلُ مَا يَقُولَانِ

وَلَا تُحَمِّلْهُمَا ثِقَلًا خَوْفُهُمَا
عَلَى تَنَاجِيهِمَا بِالْمَجْلِسِ الدَّانِي

فما رأيتُ أكرَم منه ، ولا أرفق أدباً ، ترك مُطالبي في
كفوتي بحقّ الامراء ، وأدبني أدبَ النُظراء .

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا أَحَدُكُمْ مِرَاةُ أَخِيهِ ،
فَإِذَا رَأَى عَلَيْهِ أَدَى فَلَيطُهُ ١ عنه ، وَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ عَلَى
أَخِيهِ شَيْئًا فَلْيَقُلْ : لَا بِكَ الشُّوءُ ، وَصَرَفَ اللَّهُ عَنكَ الشُّوءُ .

•

وقالوا : إِذَا اجْتَمَعَتْ حُرْمَتَانِ ، أَسْقَطْتَ الْكِبْرَى الصَّغْرَى .

•

وقال المهلب بن أبي صفرة : العيش كله في المجلس الممتع .

١ فليطه : فليكشفه .

الادب في المماشة

وجّه هشامُ بن عبد الملك ابنه على الصائفة ، ووجهه معه ابن أخيه ، واورى كل واحد منهما بصاحبه ، فلما قدما عليه ، قال لابن أخيه : كيف رأيت ابن عمك ؟ فقال : إن شئت أجملت ، وإن شئت فسرت ؛ قال : بل أجمل ؛ قال : عرضت بيننا جادة^١ فتركها كل واحد متصاحبه ، فما ركبناها حتى رجعنا اليك .

وقال يحيى بن أكرم : ماشيتُ المأمون يوماً من الأيام في بُستانٍ مؤنسة بنت المهدي ، فكنتُ من الجانب الذي يستره من الشمس ، فلما انتهى الى آخره وأراد الرجوع ، أردتُ أن أدور الى الجانب الذي يستره من الشمس ، فقال : لا تفعل ، ولكن كنْ بحالك حتى أسترك كما سترتني .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو قدرتُ أن أريك حرَّ النار لفعلتُ فكيف الشمس ؟

١ الجادة : الطريق .

فقال : ليس هذا من كرم الصُّحبة .
ومشى سائراً لي من الشمس كما ستوته .

•

وقيل لعُمَر بن ذرّ : كيف يرُّ ابنك بك ؟ قال : ما مشيتُ
نهاراً قطُّ إلا مَشَى خَلْفِي ، ولا ليلاً إلا مَشَى أَمَامِي ، ولا رَقِي
سَطْحاً وأنا تحته .

•

وقيل لزياد : إنك تَسْتَخْلِص حارثة بن بَدْر وهو يُواقِع
الشَّراب .

فقال : وكيف لا أَسْتَخْلِصه وما سألته عن شيء قطُّ إلا
وجدتُ عنده منه علماً ، ولا استودعته سرّاً قطُّ فضيِّعه ، ولا
راكبني قطُّ فمَسَّت رُكْبتي رُكْبته .

•

محمد بن يزيد بن عُمر بن عبد العزيز قال : خرجتُ مع
موسى الهادي أمير المؤمنين من جُرْجان ؛ فقال لي : إمّا أن
تَحْمِلَنِي ، وإمّا أن أَحْمِلَكَ ؛ فعلمتُ ما أراد ، فأنشدته أبيات
ابن صرّمة :

أوصيكمُ بالله ، أوَّلَ وهلة ،
وأحسابكم ، والبِرُّ بالله أوَّلُ

وإن قومكم سادوا، فلا تحسدوهم؛
وإن كنتم أهل السيادة، فاعدلوا
وإن أنتمم أعوزتمم فتعففوا؛
وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم،
فأنفسمكم، دون العشيرة، فاجعلوا
وإن طلبوا عرفاً، فلا تحرموهم،
وما حملوكم في الملمات، فاحملوا

قال : فأمر لي بعشرين ألف درهم .

وقيل : إن سعيد بن سلم راكب موسى الهادي، والحربة بيد
عبد الله بن مالك، وكانت الريح تسفي التراب، وعبد الله يلحظ
موضع مسير موسى، فيتكلف أن يسير على محاذاته، وإذا
حاذاه ناله ذلك التراب، فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد
ابن سلم، فقال : أما ترى ما تلقى من هذا الحائن؟ قال : والله
يا أمير المؤمنين ما قصر في الاجتهاد، ولكن حرم التوفيق.

السلام والاذن

قال النبي، صلى الله عليه وسلم : أَطِيبُوا الْكَلَامَ، وَأَفْسُوا
السَّلامَ ، وَأَطْعِمُوا الْيَتَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ .
وقال ، صلى الله عليه وسلم : 'إِنَّ أَجَلَ النَّاسِ الَّذِي يَبْخُلُ
بِالسَّلامِ .

وأقْبَى رَجُلٌ النَّبِيَّ، صلى الله عليه وسلم، فقال : عَلَيْكَ السَّلامُ،
يا رَسُولَ اللَّهِ؛ فقال : لا تَقُلْ : عَلَيْكَ السَّلامَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّةُ الْمَوْتَى،
وقل : السَّلامَ عَلَيْكَ .

وقال صاحبُ حَرَسِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : خَرَجَ عَلَيْنَا عَمْرٌ
فِي يَوْمِ عِيدٍ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ كَثَّانٌ وَعِمَامَةٌ عَلَى قَلَنْسُوءَةٍ لَاطِئَةٍ^١،
فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ؛ فقال : مَهْ^٢، أَنَا وَاحِدٌ وَأَنْتُمْ جَمَاعَةٌ،

١ اللاطئة : اما اسم فاعل من لطيء اي لرق، أو من اللاطية وهي عند الشرقيين
من النصارى منديل يجعله الاكايروس فوق القلنسوة .

٢ مه : اسم فعل بمعنى انكف .

السلامُ عليّ والرّدُّ عليكم . ثمّ سلم ورددنا عليه ومشي ، فمشينا معه الى المسجد .

قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : يُسلم الماشي على القاعد ، والراكب على الراجل ، والصّغير على الكبير .

ودخل رجلٌ على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أيّ يُقرئك السلام ؛ فقال : عليك وعلى أبيك السلام .

إبراهيم بن الأسود قال : قال لي عبدُ الله بن مسعود : إذا لقيتَ عمرَ فاقراً عليه السلام . قال : فلقيته فأقرأته السلام ؛ فقال : عليك وعليه السلام .

دخل ميمون بن مهران على سليمان بن هشام ، وهو والي الجزيرة ، فقال : السلام عليكم ؛ فقال له سليمان : ما منعك أن تُسلمَ بالأمرة ؟ فقال : إنّما يُسلم على الوالي بالأمرة إذا كان عنده الناس .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : كان الحسن وإبراهيم وميمون بن

مهراڻ ڪرهنون ان يقول الرجل : حيّٰك الله ، حتى يقول
السلام .

•
وسئل عبد الله بن عمر عن الرجل يدخل المسجد او
البيت ليس فيه أحد ؛ قال يقول : السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين .

•
وقال رجل لعائشة ، رضي الله عنها : كيف أصبحت يا أم
المؤمنين ؟ قالت : بنعمة من الله .

•
وقال رجل لشريح : كيف أصبحت ؟ قال : بنعمة ، ومدّ
إصبعه السبابة الى السماء .

•
وقيل لمحمد بن وكيع : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت
طويلاً أملي ، قصيراً أجلي ، سيئاً عملي .

•
وقيل لسفيان الثوري : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت في
دارٍ حارّةٍ فيها الأدلاء .

•
واستأذن رجلٌ من بني عامر على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ،

وهو في بيت ، فقال : أليحُ ؟ فقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ،
خادمه : اخرجُ الى هذا فعلمته الاستئذان ، وقُلْ له يقول :
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَدْخُلْ ؟

•
جابر بن عبد الله قال : استأذنتُ على النبيِّ ، صلى الله عليه
وسلم ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فقلت : أَنَا ؛ قال : أَنَا أَنَا .

•
وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاثة ، فإن
أذن لك وإلا فارجع .

•
وقال عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : الأولى إذن ،
والثانية مؤامرة ، والثالثة عزيمة ، إما أن يأذنوا وإما أن يردّوا .

في تاديب الصغير

قالت الحكماء : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سُرَّ بِهِ كَبِيرًا .
وقالوا : اطْبَعِ الطَّيْنَ مَا كَانَ رَطْبًا ، وَاعْتَمِرِ الْعُودَ مَا
كَانَ لَدْنًا .

وقالوا : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ غَمَّ حَاسِدَهُ .

وقال ابنُ عَبَّاسٍ : مَنْ لَمْ يَجْلِسْ فِي الصَّغَرِ حَيْثُ يَكْرَهُ
لَمْ يَجْلِسْ فِي الْكِبَرِ حَيْثُ يُحِبُّ .

وقال الشاعر :

إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَمَتْهُ الْمُرُوءَةُ نَاشِئًا ،
فَمَطَّلَهَا ، كَهَلًا ، عَلَيْهِ شَدِيدُ

وقالوا : مَا أَشَدَّ فِطَامَ الْكَبِيرِ وَأَعْسَرَ رِيَاضَةَ الْهَرَمِ !

قال الشاعر :

وتَرُوضُ عِرْسَكَ بعدما هَرَمْتَ ،
ومِنَ العَنَاءِ رِيَاضَةُ المَهِرِمِ .

وكتب شريح إلى معلم ولده :

تَرَكَ الصَّلَاةَ لِأَكْثَلِ يَسْعَى بِهَا ،
يَبْغِي المِيرَاشَ مَعَ العَوَاةِ الرُّجْسِ .
فَلِيَأْتِيَنَّكَ عُدْوَةٌ بِصَحِيفَةٍ
كُتِبَتْ لَهُ ، كَصَحِيفَةِ المِثْلَمَسِ^١ ،
فَإِذَا أَتَاكَ ، فَعَضَّهُ بِمَلَامَةٍ ،
وَعِظَنَّهُ مَوْعِظَةَ الأَدِيبِ الكَيِّسِ ،
فَإِذَا هَمَمْتَ بِضَرْبِهِ ، فَبِدْرِةٍ ،
وَإِذَا بَلَغْتَ بِهَا ثَلَاثًا ، فَاحْبِسِ^٢ ،
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا أَتَيْتَ ، فَنَفْسُهُ ،
مَعَ مَا تُجَرِّعُنِي ، أَعَزُّ الأَنْفُسِ .

١ صحيفه المتلمس: مثل يضرب لمن يسعى بنفسه في هلاكها ويفررها. وقصة هذه الصحيفه مشهوره.

٢ الدرّة: السوط.

وقال صالح بن عبد القدوس :

وإنَّ مَنْ أَدْبَنَتْهُ فِي الصَّبَا ، كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا فَاضِرًا ، بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ
وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ ، حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ارْعَوَى عَادَ لَهُ جَهْلُهُ . كَذِي الضَّنَنِ ، عَادَ إِلَى نُكْسِهِ
مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ ، مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ



وقال عمرو بن عُتْبَةَ لِعَلِّمٍ وَلَدِهِ : لِيَكُنْ أَوَّلَ إِصْلَاحِكَ
لِوَلَدِي إِصْلَاحُكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ عُيُونَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ ، فَالْحَسَنُ
عِنْدَهُمْ مَا صَنَعْتَ ، وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا تَرَكْتَ . عَلَّمَهُمْ كِتَابَ
اللَّهِ وَلَا تُكْرَهُهُمْ عَلَيْهِ فَيَمْلُؤُوهُ ، وَلَا تَتْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ ؛
رَوَّاهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَهُ ، وَمَنِ الشَّعْرَ أَعْفَهُ ، وَلَا تَنْقُلِهِمْ مِنْ
عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكِمُوهُ ، فَإِنَّ أَرْحَامَ الْكَلَامِ فِي الْقَلْبِ
مَشْغَلَةٌ لِلْفَهْمِ ، وَعَلَّمَهُمْ سُنَنَ الْحُكَمَاءِ ، وَجَنَّبَهُمْ مُحَادَثَةَ
النِّسَاءِ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى عُذْرٍ مِنِّي لَكَ ، فَقَدْ انْكَلْتُ عَلَى
كِفَايَةِ مِنْكَ .

في حب الولد

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس ، فقال : يا أبا بجر ، ما تقول في الولد ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ؛ ونحن لهم أرضٌ ذليلة ، وسماءٌ ظليلة ؛ فإن طلبوا فأعطهم ؛ وإن غضبوا فأرضهم ؛ ينجحوك وُدَّهم ، ويحبُّوك جهدهم ؛ ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملُّوا حياتك ، ويحبُّوا وفاتك .

فقال : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت عليّ وإني لملموء غضباً على يزيد فسلكته من قلبي .

فلما خرج الأحنفُ من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب ، فبعث يزيدُ إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ، شاطره إياها .

وكان عبدُ الله بن عمر يذهب بولده سالم كلَّ مذهب ، حتى لامه الناسُ فيه ، فقال :

يلومونني في سالم وألومهم ، وجلدةُ بين العين والأنف سالمُ

وقال : إن ابني سالمًا ليُحِبَّ اللهُ حُبًّا لو لم يَحْفَظْهُ لم يَعِصِهِ .

•
وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داود كلَّ مذهب ، حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبد الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت يا داود .

وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ ألفته فيه ، حتى اشتريتُ له كسوة بدانتقاً .

•
وقال زيدُ بنُ عليٍّ لابنه : يا بُنيَّ ، إن الله لم يَرْضَك لي فأوصاك بي ، ورضيني لك فحذرنيك ؛ واعلم أنَّ خيرَ الآباء للأبناء مَنْ لم تدَّعه المودةُ إلى التَّفريط ، وخيرَ الأبناء للآباء مَنْ لم يدَّعه التَّقصير إلى العُقوق .

•
وفي الحديث المرفوع : ريح الولد من ريح الجنَّة . وفيه أيضاً : الأولاد من ریحان الله .

١ الدائق : سدس الدرهم .

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، لما بُشِّرَ بفاطمة: رِيحانة
أَسْمُهَا ، وورزقها على الله .

•
ودخل عمرو بن العاص على مُعاوية وبين يديه بنته عائشة،
فقال : مَنْ هذه يا أمير المؤمنين ؟
فقال : هذه تَفَاحَةُ القَلْبِ .

فقال له : انبذها عنك يا أمير المؤمنين فوالله إنهنَّ لَسَيِّدَاتُ
الأعداء ، ويُقَرَّبِينَ البُعْدَاء ، ويُورَثُنَ الضَّعْفَانِ .

قال : لا تَقُلْ ذاك يا عمرو ، فوالله ما مَرَّضَ المَرَضَى ،
ولا نَدَبَ المَوْتَى ، ولا أَعَانَ على الأَحْزَانِ مِثْلَهُنَّ ، ورُبَّ ابْنِ
أُخْتٍ قد نَفَعَ خَالَه .

•
وقال المعلّى الطائيّ :

لولا بُنَيَاتُ كَرْزُغِ القَطَا ، حُطِطْنَ مِنْ بَعْضِ إِلَى بَعْضِ
لكان لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ في الأَرْضِ ذاتِ الطولِ والعَرْضِ
وإنما أولادُنا ، بَيْنَنا ، أَكْبَادُنا تَمشي على الأَرْضِ
إنَّ هَبَّتْ الرِّيحُ على بَعْضِهِمْ لم تَشْبَعِ العَيْنُ مِنَ الغَمَضِ

وقال عبدُ الله بن أبي بَكْرَةَ : مَوْتُ الْوَالِدِ صَدَعٌ فِي
الْكَبِدِ ، لَا يَنْجِبُ آخَرَ الْأَبْدِ .

•
ونظر عمرُ بن الحَطَّابِ ، رضي الله عنه ، إلى رجل يحمل
طِفْلاً على عُنُقِهِ ، فقال : ما هذا منك ؟
قال : ابني يا أميرَ المؤمنين .
قال : أمّا إنه إن عاش فَتَنَكَ ، وإن مات حَزَنَكَ .

•
وكانت فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
تُرَقِّصُ الحُسَيْنَ بن علي ، رضي الله عنهما ، وتقول :
إِنَّ بُنِيَّ شَبِهَ النَّبِيَّ ، لَيْسَ سَبِيحاً بَعَلِي

•
وكان الزُّبَيْرُ يُرَقِّصُ ولده عُرْوَةَ ويقول :
أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيْقٍ ، مُبَارَكٌ مِنْ وَالدِ الصِّدِّيقِ
أَلَدُهُ كَمَا أَلَدَّ رِيقِي

•
وقال أعرابي وهو يُرَقِّصُ ولده :
أَحْبَبُّهُ حُبُّ الشَّحِيحِ مَالَهُ ، قَدْ كَانَ ذَاقَ الْفَقْرَ ثُمَّ نَالَهُ
إِذَا يُرِيدُ بَدَلَهُ بَدَأَ لَهُ

وقال آخر وهو يُرَقِّص ولده :

أَعْرِفْ مِنْهُ قَلَّةَ النَّعْصِ ، وَخِقَّةَ فِي رَأْسِهِ مِنْ رَأْسِي

•
وكان رجلٌ من طيءٍ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ ، فمات وتَرَكَ
بُنِيًّا رَضِيعًا ، فجعلت أمه ترقصه وتقول :

يَا لَيْتَهُ قَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَا ، وَلَمْ يُرِدْ فِي أَمْرِهِ رَفِيقَا
وَقَدْ أَخَافَ الْفَجْجَ وَالْمُضِيقَا ، فَقَلَّ أَنْ كَانَ بِهِ سَفِيقَا

•
وقال عبدُ الملك بن مروان : أضرَّ بنا في الوليد حُبُّنا له
فلم نُؤدِّبه ، وكانَّ الوليدَ أدبنا .

•
وقال هارون الرشيد لابنه المعتصم : ما فعل وصيفك فلان ؟
قال : مات فاستراح من الكُتَّاب .
قال : أوبلغ منك الكُتَّاب هذا المبلغ ! والله لا حَصَرَته أبدًا .
ووجهه إلى البادية ، فتعلَّم الفصاحة ، وكان أُمِّيًّا ، وهو
المعروف بابن ماردة .

١ الفجج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين . المضيق : ما ضاق من الأماكن ،
وقطعة ضيقة من البحر .

وفي بعض الحديث أنّ إبراهيم خليل الرحمن ، صلوات
الله عليه ، كان من أغير الناس ، فلما حضرته الوفاة ، دخل
عليه ملك الموت ، في صورة رجل أنكره ؛ فقال له : من
أدخلك داري ؟

قال : الذي أسكنك فيها منذُ كذا وكذا سنة .

قال : ومن أنت ؟

قال : أنا ملك الموت ، جئت لقبض رُوحك .

قال : أتاركي أنت حتى أودّع ابني إسحاق ؟

قال : نعم .

فأرسل الى اسحاق ، فلما أتاه أخبره ، فتعلّق اسحاق بأبيه
ابراهيم وجعل يتقطّع عليه بكاء ؛ فخرج عنهما ملك الموت ،
وقال : يا ربّ ذبيحك اسحاق متعلّق بخليلك .

فقال له الله : قل له اني قد أمهلتك .

ففعل . وانحلّ اسحاق عن أبيه ، ودخل ابراهيم بيتاً ينام

فيه ، فقبض ملك الموت روحه وهو نائم .

الاعتضاد بالولد

قال الله، تبارك وتعالى، فيما حكاه عن عبده زكرياً ودعائه إليه في الولد : « وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . » وقال : « وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا . » والموالي ها هنا بنو العم .

وقال الشاعر :

مَنْ كَانَ إِذَا عَضُدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ ؛
إِنَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدُ
تَنْسُبُو يَدَاهُ ، إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ ،
وَيَأْتِفُ الضَّيِّمَ ، إِنَّ أَثْرَى لَهُ عَدَدُ

١ الاعتضاد ، من اعتضد به : استعان وتقوى .

العُتْبِيُّ قال: لما أَسَنَّ أبو براء عامرُ بن مالكٍ وضعَّفه بنو
أخيه وخزَّرفوه ، ولم يكن له ولدٌ يَحْمِيه ، أنشأ يقول :

دَفَعْتَكُمْ عُنِّي ، وما دَفَع راحَةً
بشيءٍ ، إذا لم تَسْتَعِنِ بالأناملِ

يُضَعِّفني حلْمِي وكثرةُ جَهْلِكُمْ
عليّ ، وأني لا أَصُولُ بِجاهلِ

وقال آخر :

تَعَدُّو الذَّنابَ عليّ من لا كِلابَ له ،
وتَنَقِّي سَوْرَةَ المُسْتَنْفِرِ الحامِي

في التجارب والتأدب بالزمان

قالت الحكماء : كفى بالتجارب تأديباً ، وبتقلُّب الأيام
عِظَةً .

وقالوا : كفى بالدَّهرِ مُؤدِّباً ، وبالْعقلِ مُرشداً .

وقال حبيب :

أحاولت إرشادي ، فعقَّلي مُرشدي ،
أم استمت تأديبي ، فدَهري مُؤدِّبي ١

وقال ابراهيم بن شكلة ٢ :

من لم يؤدِّبه والداه ، أدِّبه الليلُ والنَّهارُ
كم قد أذلاءً كَرِيمَ قَوْمٍ ، ليس له منها انتصار

١ استمت : اردت .

٢ ابن شكلة : ابراهيم بن المهدي .

مَنْ ذَا يَدُ الدَّهْرِ لَمْ تَنْلَهُ ، أَوْ اطْمَأْنَنْتَ بِهِ الدِّيَارُ ؟
كُلٌّ عَنِ الْحَادِثَاتِ مُعْضٍ ، وَعِنْدَهُ لِلزَّمَانِ نَارُ

•
وقال آخر :

وما أبقت لك الأيامُ عُذْرًا ، وبالأيامِ يَتَعَطَّ السَّيْبُ

•
وقالوا : كفى بالدهر مُخْبِرًا بما مَضَى عما بَقِيَ .

•
وقالوا : كفى مُخْبِرًا لذَوِي الألبابِ ما جَرَّبُوا .

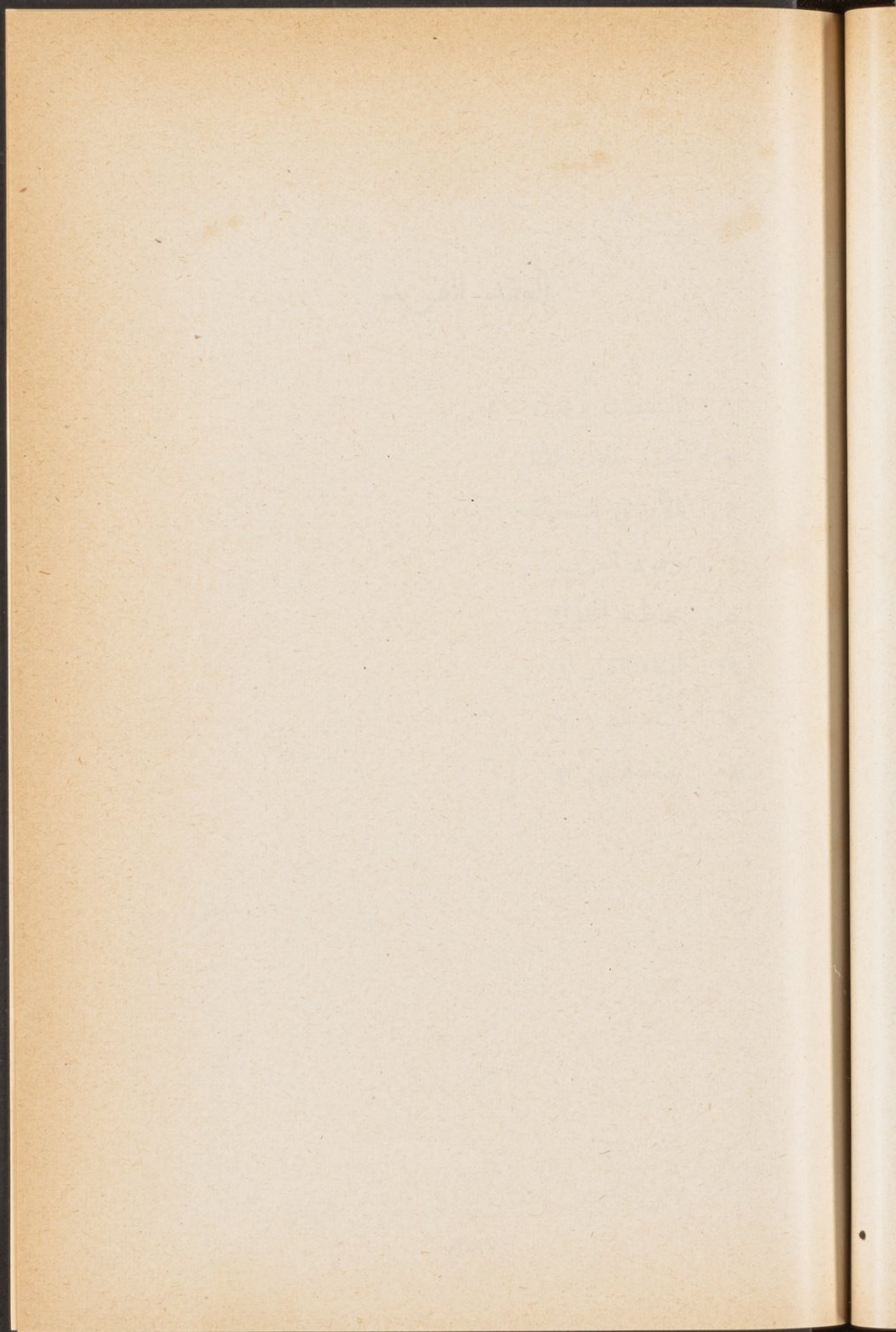
•
وقالوا لعيسى بن مريم، عليهما السلام : مَنْ أَدَّبَكَ ؟ قال :
ما أَدَّبَنِي أَحَدٌ ، رَأَيْتُ الْجَهْلَ قَبِيحًا فَاجْتَنَبْتُهُ .

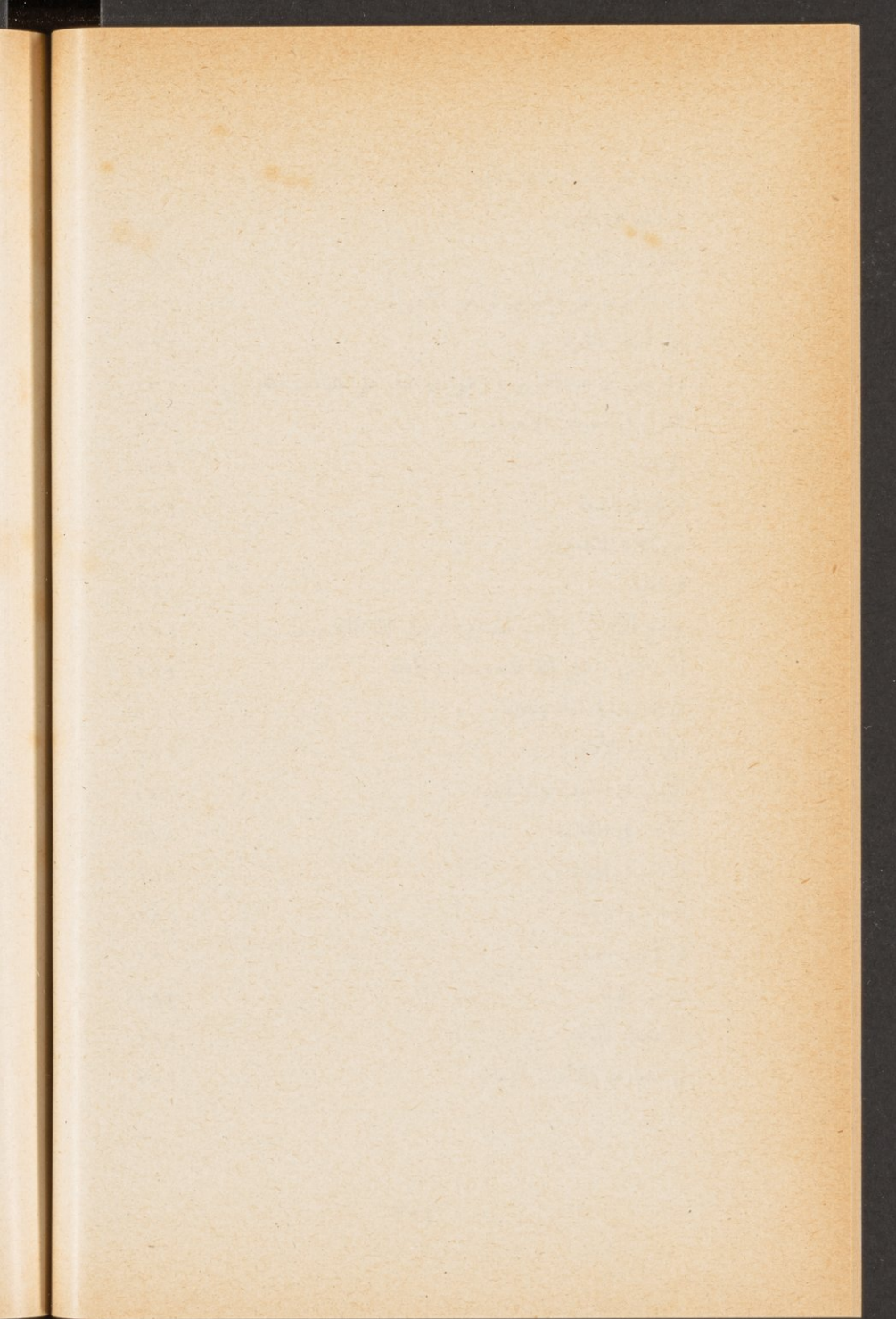
ابناء النور

٢

| | | | | | |
|----|---|---|---|---|--------------------------------------|
| ٥ | . | . | . | . | محاسبة الاقارب |
| ١٠ | . | . | . | . | المشكلة ومعرفة الرجل لصاحبه |
| ١٤ | . | . | . | . | السعاية والبغى |
| ١٩ | . | . | . | . | الغيبة |
| ٢٤ | . | . | . | . | مداراة أهل الشر |
| ٢٨ | . | . | . | . | ذم الزمان |
| ٣٧ | . | . | . | . | فساد الاخوان |
| ٤٩ | . | . | . | . | في الكبر |
| ٥٥ | . | . | . | . | التسامح مع النعمة والتذلل مع المصيبة |
| ٥٨ | . | . | . | . | ما جاء في ذم الحمق والجهل |
| ٦٠ | . | . | . | . | في التواضع |
| ٦٣ | . | . | . | . | الرفق والائانة |
| ٦٥ | . | . | . | . | استراحة الرجل بمكنون سره الى صديقه |
| ٦٧ | . | . | . | . | الاستدلال بالاحظ على الضمير |
| ٧٠ | . | . | . | . | الاستدلال بالضمير على الضمير |
| ٧١ | . | . | . | . | الاصابة بالظن |
| ٧٣ | . | . | . | . | تقديم القرابة وتفضيل المعارف |
| ٧٧ | . | . | . | . | فضل العشيبة |
| ٧٨ | . | . | . | . | الدين |
| ٨٠ | . | . | . | . | مجانبة الخلف والكذب |

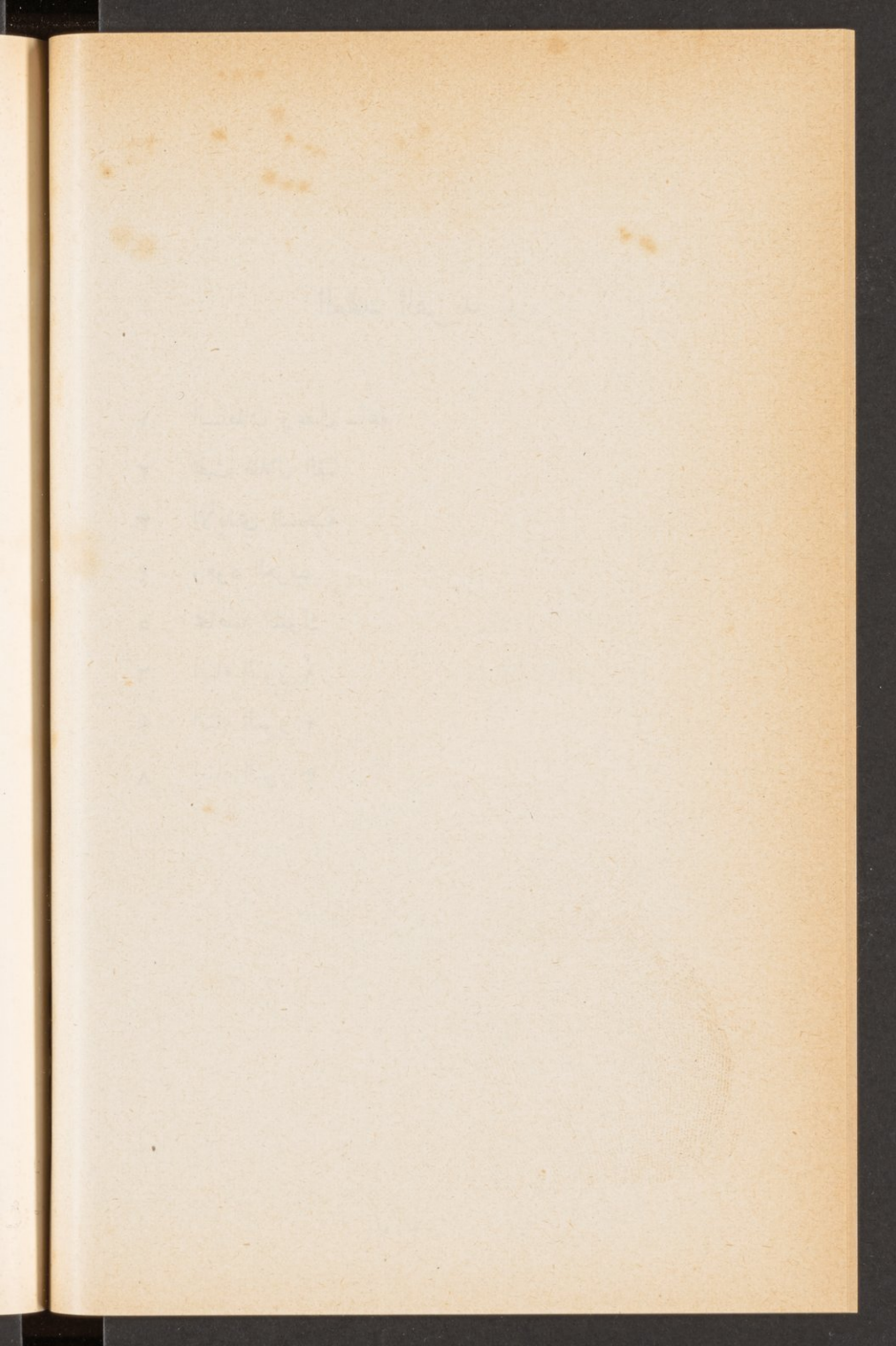
| | | | | |
|-----|---|---|---|--|
| ٨٢ | . | . | . | التنزه عن استماع الحنا والقول به |
| ٨٣ | . | . | . | في الغلو في الدين |
| ٩٤ | . | . | . | القول في القدر |
| ١٠٦ | . | . | . | رد المأمون على الملحدين وأهل الأهواء |
| ١١٢ | . | . | . | من أخبار الخوارج |
| ١٣١ | . | . | . | رد عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، على شوذب الخارجي |
| ١٣٧ | . | . | . | القول في أصحاب الأهواء |
| ١٣٩ | . | . | . | الرافضة |
| ١٤٩ | . | . | . | قولهم في الشيعة |
| ١٥٠ | . | . | . | من كلام المتكلمين |
| ١٥٤ | . | . | . | في الحياء |
| ١٥٩ | . | . | . | جامع الآداب - أدب الله نبيه ، صلى الله عليه وسلم |
| ١٦١ | . | . | . | أدب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لأئمة |
| ١٦٥ | . | . | . | في آداب الحكماء والعلماء |
| ١٧٢ | . | . | . | وفي رقة الأدب |
| ١٧٦ | . | . | . | الأدب في الحديث والاستماع |
| ١٧٨ | . | . | . | الأدب في المجالسة |
| ١٨٣ | . | . | . | الأدب في المماشاة |
| ١٨٦ | . | . | . | السلام والاذن |
| ١٩٠ | . | . | . | في تأديب الصغير |
| ١٩٣ | . | . | . | في حب الولد |
| ١٩٩ | . | . | . | الاعتضاد بالولد |
| ٢٠١ | . | . | . | في التجارب والتأديب بالزمان |

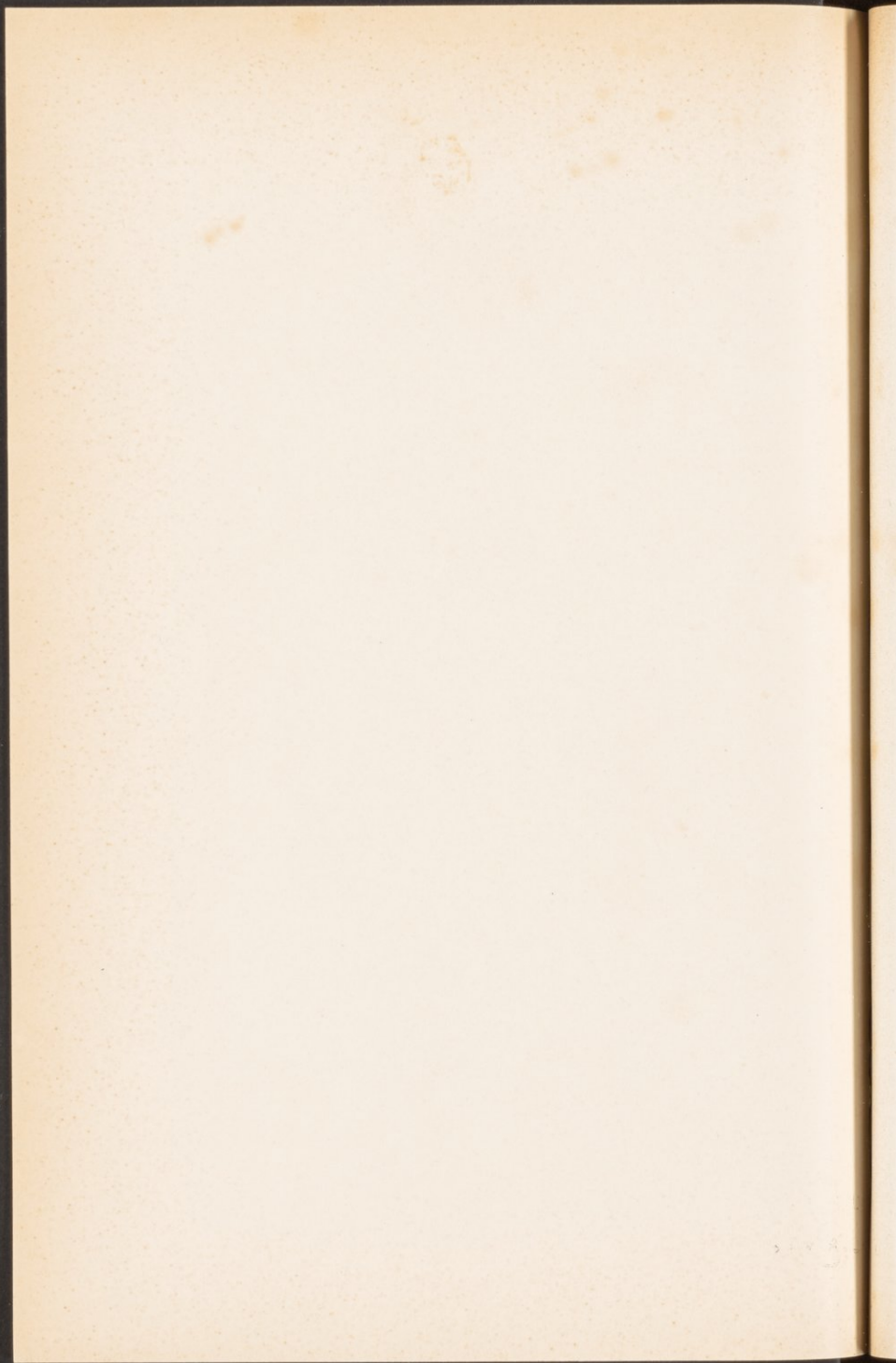




العقد الفريد

| | |
|-------------------|---|
| السلطان وعدل ساعة | ١ |
| تحت ظلال القنا | ٢ |
| الأيدي السخية | ٣ |
| وفود العرب | ٤ |
| مخاطبة الملوك | ٥ |
| ابناء النور ١ | ٦ |
| ابناء النور ٢ | ٧ |
| ابناء النور ٣ | ٨ |





۲۰۰ غ. د.

V. 2 (no. 8)

المجلة العربية

٨

ابناء النور

٣



مكتبة صنادير
بيروت

1111

7

ابناء النور

٣

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه أدب - وأقوال - ونوادير - وملح -
وتاريخ - واخبار الخ . الخ



ابناء النور

هو كتاب الياقوتة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

المعتمد الفريفي

للأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٨

أبناء النور

٣

مكتبة صادر
بيروت

Near East

PJ

7745

. I 15

. I 5

v. 2

rc. 1

الحقوق محفوظة للكتبة صادر

في صحبة الايام بالموادعة

قالت الحكماء: اصحب الأيام بالموادعة ولا تُسابق الدهرَ
فتكَبُو .

وقال الشاعر :

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كَبْوَةً ،
لَمْ يَسْتَقِلْهَا مِنْ نُحْطِ الدَّهْرِ
فَاخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا ؛
وَاجِرٍ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرِي

وقال بشار العُقَيْلي :

أَعَاذِلَ إِنَّ العُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ ،
وَإِنَّ يَسَاراً مِنْ غَدٍ خَلِيقُ

١ سوف يفيق : اي سوف يكون بعد العسر يسر ، من افاق الزمان اخصب
بعد جذب .

وما كنتُ إلا كالزَّمان ، إذا صحا
صحوتُ ، وإن ماقَ الزَّمان أموقاً

وقال آخر :

تحامقُ مع الحمقى ، إذا ما لقيتهم ،
ولاقهمُ بالجهلِ ، فعَلَ ذوي الجهلِ
وخلطُ ، إذا لاقيتَ يوماً 'مخلطاً'
'مخلطُ' في قولٍ صحيحٍ ، وفي هزلٍ
فإنِّي رأيتُ المرءَ يشقى بعقله ،
كما كان قبلَ اليومِ يسعدُ بالعقل

وقال آخر :

إنَّ المقاديرَ ، إذا ساعدتْ ، أُلحقتَ العاجزَ بالخازمِ

وقال آخر :

والسَّببُ المانعُ حظَّ العاقلِ ، هو الذي سَبَّبَ حظَّ الجاهلِ

ومن أمثالهم في ذلك : تطامن لها تَخْطُكُ ١ .

•
ومن قولنا في هذا المعنى :

تَطَامِنُ لِلزَّمَانِ يَجْزِكَ عَفْوًا ، وَإِنْ قَالُوا : ذَلِيلٌ ، قُلْ : ذَلِيلٌ

•
وقال حبيب :

وكانت لَوَعَةً ثم اطمأنتُ ، كذاك لكلِّ سائلةٍ قَرَارُ ٢

•
وقال آخر :

ماذا يُريك الدهرُ من هوانِهِ اذْفِن لِقَرْدِ السَّوِّءِ فِي زَمَانِهِ ٣

•
ولآخر :

الدهرُ لا يبقى على حالةٍ ، لا بُدَّ أَنْ يُقْبِلَ أَوْ يُدْبِرَ
فإن تَلَقَّكَ بِمَكْرُوهِهِ ، فاصْبِرْ فإنَّ الدهرَ لا يَصْبِرُ

١ تخطك : تتجاوزك .

٢ سائلة ، من سال الماء : جرى .

٣ اذفن : ارقص .

ولآخر :

اصْبِرْ لِدَهْرِ نَالِ مِنْكَ ، فَهَكَذَا مَضَتْ الدُّهُورُ
فَرَحًا وَحُزْنًا مَرَّةً ، لَا الْحُزْنَ دَامَ وَلَا الشَّرُّورُ

ولآخر :

عَفَا اللَّهُ عَمَّنْ صَيَّرَ الِهْمَّ وَاحِدًا ،
وَأَيَقِنُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ
تَرُوحُ لَنَا الدُّنْيَا بِغَيْرِ الَّذِي عَدْتِ ؛
وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ
وَتَجْرِي اللَّيَالِي بِاجْتِمَاعِ وَفُرْقَةٍ ؛
وَتَطْلُعُ فِيهَا أَنْجُمٌ وَتَغُورُ
وَنَطْمَعُ أَنْ يَبْقَى الشَّرُّورُ لِأَهْلِهِ ؛
وَهَذَا مُحَالٌ أَنْ يَدُومَ سُرُورُ

ولآخر :

سَأَنْتَظِرُ الْأَيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا
تَعُودُ إِلَى الْوَصْلِ ، الَّذِي هُوَ أَجْمَلُ

التحفظ من المقالة القبيحة

وان كانت باطلاً

قالت الحكماء : إيتاك وما يُعتذر منه .
وقالوا : مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِتَسْهِمٍ فَلَا يَأْمَنُ مِنْ إِسَاءَةِ الظنِّ .
وقالوا : حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ .
وقالوا : كَفَى بِالْقَوْلِ عَاراً وَإِنْ كَانَ بَاطِلاً .

وقال الشاعر :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ، ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ ، إِلَى أَهْلِهَا ، أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرِ سَائِلِ

وقال آخر :

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا ،
فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا ؟

وقال أرسططاليس للايسكندر : إِنَّ النَّاسَ إِذَا قَدَرُوا

أَنْ يَقُولُوا قَدَرُوا أَنْ يَفْعَلُوا ، فَاحْتَرِسْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا تَسَلَّمَ
مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا .

•
وقال امرؤ القيس : وجرح اللسان كجرح اليد .
وقال الأخطل : والقول ينفذ ما لا تنفذ الأبر.

•
وقال يعقوب الحمدوني :

وقد يُرجى جرح السيف بُرءً ،
ولا بُرءٌ لما جرح اللسانُ

•
ولآخر :

قالوا ، ولو صحَّ ما قالوا الفُزْتُ به ،
مَنْ لي بتصديق ما قالوا وتكذيبي؟

الادب في تسميت العاطس

ومن حديث أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ قال : قال النبيُّ ،
صلى الله عليه وسلم :

لا تُشَمِّت العاطسُ ١ حتى يَحْمَدَ الله ، فإن لم يَحْمده
فلا تُشَمِّتَه .

وقال : إذا عَطَسَ أحدُكم فحَمِدِ الله فشمِّتوه ، وإن لم
يحمد فلا تُشَمِّتوه .

وقال عليٌّ ، رضي الله عنه : يُشَمِّت العاطسُ إلى ثلاث ،
فإن زاد فهو داءٌ يُخرج من رأسه .

عَطَسَ ابن عمر ، فقالوا له : يرحمك الله ؛ فقال : يهديك
الله ويصلح بالكم .

١ شمت العاطس : دعا له بقوله مثلاً «يرحمك الله» او دعا له أن لا يكون في
حالة يشمت به فيها .

وَعَطَسَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَحَمِدَ اللَّهَ ، فَقِيلَ لَهُ : يَرْحَمُكَ
اللَّهُ ؛ فَقَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ .

•
وَقَالَ عَدْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ
فَشَمَّتُوهُ ثَلَاثًا ؛ فَإِنْ زَادَ فَقُولُوا : إِنَّكَ مَضْنُوكٌ ١ .

•
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : التَّشْمِيتُ مَرَّةً وَاحِدَةً .

١ مَضْنُوكٌ : مَرِيضٌ .

الاذن في القبلة

عبدُ الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كُنَّا
نُقَبِّلُ يَدَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

•
وكيعُ عن سُفيان قال : قَبَّلَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

•
ومن حديث الشعبيِّ قال : لَقِيَ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
جعفرَ بنَ أبي طالبٍ فالتزمه^١ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

•
وقال إياسُ بن دَعْفَلٍ : رَأَيْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُقَبِّلُ خَدَّ الْحَسَنِ .

•
الشَّيْبَانِيُّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ مُصْعَبٍ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا
دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فِي الْمَسْجِدِ فَقَبَّلَ
يَدَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ فَلَمْ يَنْهَهُ .

١ التزمه : اعتنقه .

العنبي قال : دخل رجلٌ على هشام بن عبد الملك فقبّل يده ، فقال : أفٍّ لهُ! إن العرب ما قبّلت الأيدي الا هُلوعاً ، ولا قبّلتها العجم الا خضوعاً .

•
واستأذن رجلٌ المأمونَ في تقبيل يده ، فقال : انّ القبلة من المؤمن ذلّة ، ومن الذمّي خديعة ، ولا حاجة بك أن تدلّ ولا حاجة بنا أن نخدع .

•
واستأذن أبو دلامة المهديّ في تقبيل يده فمَنَعَه ، فقال : ما مَنَعْتَنِي شيئاً أيسر على عيالي فَقَدْأَ مِنْهُ .

•
الأصمعيّ قال : دخل أبو بكر الهَجْرِيّ على المنصور ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، تَعَضُّ فمي^٢ . وأنتم أهل بيت بركة ، فلو أذنت لي فقبّلت رأسك لعلّ الله كان يُمسك عليّ ما بقي من أسناني ؟

قال : اختر بينها وبين الجائزة .

١ هُلوعاً : خوفاً ، جزعاً .

٢ نعض فمي : قلقت أسناني .

فقال : يا أمير المؤمنين ، انّ أهوَن من ذهاب درّهم من
الجائزة أن لا يبقى في فمي حاكّة^١ .
فضحك المنصور وأمر له بجائزة .

وقالوا : قُبلة الامام في اليَد ، وقُبلة الأب في الرأس ،
وقُبلة الأخ في الحُدّ ، وقُبلة الأخت في الصدر ، وقبلة الزّوجة
في الفم .

١ الحاكّة : السن .

الادب في العيادة

مَرِضٌ أَبُو عمرو بن العلاء، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ،
فَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ أَسَاهِرَكَ اللَّيْلَةَ .

قَالَ لَهُ : أَنْتَ مُعَافَىٌّ وَأَنَا مُبْتَلَىٌّ ، فَالْعَافِيَةُ لَا تَدْعُكَ أَنْ
تَسْهَرَ ، وَالبَلَاءُ لَا يَدْعُنِي أَنْ أَنَامَ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لِأَهْلِ
العَافِيَةِ الشُّكْرَ ، وَلِأَهْلِ البَلَاءِ الصَّبْرَ .

•
وَدَخَلَ كَثِيرٌ عَزَّةَ عَلَى عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ مَرِيضٌ ،
فَقَالَ : لَوْ أَنَّ سُورَةَكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَنْ تَسْلَمَ وَأَسْقَمَ لِدَعْوَتِ
رَبِّي أَنْ يَصْرِفَ مَا بَكَ إِلَيَّ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ أَيُّهَا الأَمِيرُ
العَافِيَةَ ، وَلي فِي كَنَفِكَ التَّعْمَةَ .

فَضَحِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

وَنَعُودُ سَيِّدِنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا ، لَيْتَ التَّشَكِّيَّ كَانَ بِالْعُودِ
لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لَفَدَيْتُهُ بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلَادِي

وكتب رجلٌ من أهل الأدب الى عليل :

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مُعْتَلٌّ ، فقلتُ لهم :
نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ
يَا لَيْتَ عَلَّتَهُ بِي ثُمَّ كَانَ لَهُ
أَجْرُ الْعَلِيلِ ، وَأَنْتِي غَيْرُ مَاجُورٍ

•
وكتب آخر الى عليل :

وَقَيْنَاكَ ، لَوْ نَعُطَى الْهَوَى فَيْكَ وَالْمُنَى ،
لَكَانَ بِنَا الشَّكْوَى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

•
وكان شاعرٌ يختلف الى يحيى بن خالد بن برمك ويمتدحه ،
فغاب عنه أياماً لعلته عرضت له ، فلم يفتقه يحيى ولم يسأل
عنه ، فلما أفاق الرجل من علته كتب اليه :

أَيْهَا الْأَمِيرُ أَكْرَمَكَ اللَّهُ ،
وَأَبْقَاكَ لِي بَقَاءً طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ،
لَكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا

أنتي قد أفتتُ عَنْكَ قَلِيلاً ،
 لا تُرَى مُنْفِذاً إِلَيَّ رَسُولا
 الذَّنْبِ ، فما عَلِمْتُ سِوَى الشُّكْرِ
 لما قد أَوْلَيْتَنِيهِ جَزِيلاً
 أم مَلالاً ، فما عَلِمْتُكَ ، لِلْحَافِظِ
 مِثْلِي عَلَى الزَّمَانِ ، مَلولاً
 قد أتى اللهُ بِالصَّلَاحِ ، فما أَنْكَرْتُ
 ما عَهِدْتُ إِلَّا قَلِيلاً
 وَأَكَلْتُ الدُّرَّاجَ ، وهو غِذاءٌ ،
 أَفَلْتُ عِلَّتِي عَلَيْهِ أَفولاً
 وَكَانَتِي قَدِمْتُ قُبْلَكَ آتِيكَ
 غَداً ، إِنْ أَجِدُ إِلَيْكَ سَبِيلاً

• فكتب اليه الوزير يعتذر :

دَفَعَ اللهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ ، وَحاشاك أَنْ تَكُونَ عَلِيلاً
 أُشْهِدُ اللهُ ما عَلِمْتُ وما ذاكَ مِنْ العُدْرِ جَائِزاً ، مَقْبُولاً
 وَلِعَلِّي لَوْ قَدِ عَلِمْتُ لَعَاوَدْتُكَ شَهْراً ، وَكانَ ذاكَ قَلِيلاً
 فَاجْعَلْنِي لِي إِلى التَّلَقُّقِ بِالْعُدْرِ سَبِيلاً ، إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلاً

فقد يمماً جاء ذوالفضل بالفضل ، وما سامح الخليل خليلاً

•
وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر :

أعزّز عليّ بأن أراك عليلاً ، أو أن يكون بك السقام نزيلاً
فوددت أنّي مالك لسلامتي ، فأعيرها لك بكرةً وأصيلاً
فتكون تبقى سالماً بسلامتي ؛ وأكون بما قد عراك بدّيلاً
هذا أخ لك يشتكي ما تشتكي ؛ وكذا الخليل إذا أحبّ خليلاً

•
ومرض يحيى بن خالد فكان اسماعيل بن صبيح الكاتب إذا
دخل عليه يعودوه وقف عند رأسه ودعا له ، ثم يخرج فيسأل
الحاجب عن منامه وشرابه وطعامه ، فلما أفاق ، قال يحيى بن
خالد : ما عادني في مرضي هذا إلا اسماعيل بن صبيح .

•
وقال الشاعر :

عيادة المرء يوم بين يومين ،
وجلسة لك مثل اللحظ بالعين
لا تُبْرَمَنْ مريضاً في مساءلة ،
يكفيك من ذلك تسأل بحرفين

وقال بكر بن عبد الله لقوم عادوه في مرضه فأطالوا الجلوسَ
عنده : المريض يُعاد والصحيح يُزار .

•
وقال سُفيان الثَّوري : حُمِّق العُوَّاد أشدُّ على المَرَضِ
من أمراضهم ، يَجِيئون في غير وقت ويُطيلون الجلوس .

•
ودخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز يَعُوده في مرضه ، فسأله
عن علته ، فلما أخبره قال : مِن هذه العلة مات فلان ومات
فلان .

فقال له عمر : إذا عُدت المَرَضِ فلا تَنعَ اليهم الموتى ،
وإذا خرجتَ عنا فلا تَعُد البنا .

•
وقال ابن عباس : إذا دخلتَ على الرَّجل وهو في الموت
فبشِّروه ليلقى ربَّه وهو حسن الظن ، ولتَنوهِ الشهادة ولا
تُضجروه .

•
ومرَّض الأعمش فأبرمه الناسُ بالسُّؤال عن حاله ، فكتبَ
قصته في كتاب وجعله عند رأسه ، فإذا سأله أحدٌ ، قال :
عندك القصَّة في الكتاب فاقرأها .

ولبعضهم :

مَرَضَ الحَبِيبُ ، فَعُدَّتْهُ ، فَمَرَضْتُ مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ
وَأَتَى إِلَيَّ يَعُودُنِي ، فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ

ومرض محمد بن عبد الله بن طاهر ، فكتبَ إلى أخيه
عبيد الله بن عبد الله :

إِنِّي وَجَدْتُ عَلَى جَفَائِكَ ، مِنْ فِعَالِكَ ، شَاهِدًا
إِنِّي اعْتَلَلْتُ ، فَمَا فَقَدْتُ سِوَى رَسُولِكَ عَائِدًا
وَلَوْ اعْتَلَلْتُ ، فَلَمْ أَجِدْ سِوَاكَ مُسَاعِدًا
لَا سْتَشَعَرْتُ عَيْنِي الكَرَى ، حَتَّى أَعُودَكَ رَاقِدًا
فَأَجَابَهُ :

كُنْجِلْتُ مُقَلَّتِي بِشَوْكَ القِتَادِ ،
لَمْ أَذُقْ مِنْهُ حُمِيَّتَ طَعْمِ الرُّفَادِ
يَا أَخِي البَاذِلَ المودَّةَ ، وَالنَّاسِ
زَلَّ مِنْ مُقَلَّتِي مَكَانَ السَّوَادِ
مَنْعَتْنِي عَلَيْكَ رِقَّةٌ قَلْبِي ،
مِنْ دُخُولِي إِلَيْكَ فِي العُودِادِ

لو بأذني سمعتُ منك أنيناً،
لتفرّى مع الأنين فؤادي

•
ولمحمد بن يزيد :

يا عَلِيلاً أفديك من ألم العِلَّة؛
هل لي إلى اللِّقاء سبيل؟
إن يحلّ دونك الحجابُ فما يُحجِّب
عني بك الضنى والعويل

•
وأنشد محمد بن يزيد قال : أنشدني أبو دُهمان لنفسه وقد
دخل على بعض الأمراء يعودُه :

بأنفُسنا ، لا بالطَّوارِف والتَّشُدِّ ،
تقيك الذي تخفي من السُّقم أو تُبدي
بنا مَعشَرَ العُواد ما بك من أذى ،
فإن أسفقوا بما أقول ، في وحدي

١ تفرى : تفرط ، تشقق .

وكتب أبو تمام الطائي إلى مالك بن طوق في شكاة له :

كَمْ لَوْعَةٌ لِلنَّدَى ، وَكَمْ فَالَتْقٍ
لِلْمَجْدِ وَالْمَكْرَمَاتِ فِي قَلْبِكَ
أَلْبَسَكَ اللهُ مِنْهُ عَافِيَةً ،
فِي نَوْمِكَ الْمُعْتَرِي ، وَفِي أَرْقِكَ
تُخْرِجُ عَنْ جِسْمِكَ السَّقَامَ ، كَمَا
أَخْرَجَ ذَمُّ الْفَعَالِ مِنْ عُتْقِكَ

•
ودخل محمد بن عبد الله على المتوكل في شكاة له يعودده ،

فقال :

الله يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ الْإِمَامِ لَنَا ،
وَكَانَا لِلْمَنَايَا ، دُونَهُ ، عَرَضٌ
فَلَيْتَ أَنَّ الَّذِي يَعْرُوهُ مِنْ مَرَضٍ
بِالْعَائِدِينَ جَمِيعًا ، لَا بِهِ الْمَرَضُ
فَبِالْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا عَوَضٌ ،
وَلَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْهُ لَنَا عَوَضٌ
فَمَا أَبَالِي ، إِذَا مَا نَفْسُهُ سَامِمَتْ ،
لَوْ بَادَ كُلُّ عِبَادِ اللهِ وَانْقَرَضُوا

وقال آخر في بعض الأمراء :

واعتلّ ، فاعتلت الدنيا لعلته ؛
واعتلّ فاعتلّ فيه البأسُ والكرمُ
لما استقلّ أنار المجدُّ ، وانقشعت
عنه الضبابة ، والأحزان ، والسقمُ



وبلغ قيساً مجنونَ بني عامر أن ليلي بالعراق مريضة ، فقال :
يقولون ليلي بالعراق مريضة ، فما لك تجفوها ، وأنت صديق ؟
سقى الله مرضى بالعراق ، فاني على كلِّ شاكٍ بالعراق شفيق



ولمحمد بن عبد الله بن طاهر :

ألبسك اللهُ منه عافيةً ، تغنيك عن دعوتي وعن جلدك
سقمك ذا لا لعلّةٍ عرّضت ، بل سقم عينيكَ رُدّ في جسدك
فيا مريضَ الجفونِ أحي فتى ، قتلته الجفون لا بيدك



وقال غيره :

يا أملي كيف أنت من ألمك ؟ وكيف ما تشكيه من سقمك ؟

١ الضبابة : سحابة تغطي الأرض ، وأراد بها الهموم على التشبيه .

هذان يومان لي أعدّهما ، مُدلم تلح لي بروق مُبتسميك
حسدتُ حمّاك ، حين قيل لنا بأنها قبّلتك ، فوقَ فَمك

•
ولسُحيمَ عبدِ بني الحَسحاس :

تَجَمَّعْنَ شَتَّى من ثلاث وأربع
وواحدةٍ ، حتى كملنَ ثمانيا
وأقبلن من أقصى الحيام يَعُدْنِي ؛
ألا إنما بعضُ العوائد دائيا

•
وللعباس بن الأحنف :

قالت مَرِضْتُ ، فعُدَّتْها ، فتبرّمت ،
وهي الصحيحةُ ، والمريضُ العائدُ
والله لو قَسَّتْ القلوبُ كقلبها ،
ما رقَّ للوآلد الضعيف الوآلد

•
وقال الواثق :

لابك السُّقْمُ ولكن كان بي ، وبنفسي وبأمّي وأبي

قيل لي إنك صُدِّعتَ ، فما خالطتُ سمعيَ حتى دِيرَ بي^١

•
وأُشدُّ محمدُ بنُ يزيدِ المُبرِّدِ لعلِّيَّةَ بنتِ المهدي :

تَمازُتِ كي أشجى وما بكِ علَّةُ ،

تُرِيدِن قَتَلِي ، قد ظَفِرَتِ بِذَلِكَ

وَقَوَّلِكَ لِلْعُوَادِ : كَيْفَ تَرَوْنَهُ؟

فَقَالُوا : قَتِيلًا ، قَلتِ : أَهْوَنُ هَالِكِ

لئن ساءَني أنْ نلتَني بِمِساءَةٍ ،

لقد سَرَّني أُنِي حَظَرْتُ بِبِالِكِ^٢

•
ومن قولنا في هذا المعنى :

رُوحُ النَّدى بَيْنَ أَثوابِ العُلا وَصِيبِ ،

يَعْنَتُنُّ فِي جَسَدِ اللَّمَّجِدِ مَوْصُوبِ^٣

١ ديري : اخذني الدوار (الدوخة) .

٢ هذه الايات ليست لعلية وانما هي لعبد الله بن الدمينه من قصيدة مطلعها :

ففي يا أميم القلب نقض لبانة ونشك الهوى ثم افعلني ما بدالك

٣ الوصب : المريض . يعتن : يعترض .

ما أنت وحدك مكسُوباً مشحوباً ضنى،
 بل كلنا بك من مُضنى ومشحوبِ
 يا مَنْ عليه حجابٌ من جلالته،
 وإن بدا لك يوماً غيرَ محجوبِ
 ألقى عليك يداً، للضرِّ كاشفةً،
 كَشَّافُ ضُرِّ نبيِّ الله أيُّوبِ

ومثله من قولنا :

لا غرُّ وإن نال منك السَّقْمُ والضرُّ
 قد تُكسِفُ الشمسُ، لا بل يُخسِفُ القمرُ
 يا عُرَّةَ القمرِ الذَّاوي عَضارِثُها،
 فِداً لنوركِ منِّي السَّمْعُ والبَصْرُ
 إن يُمسِ جسمك موعوكاً بصاليةً،
 فهكذا يُوعكُ الضَّرغامَةُ الهَصِرُ
 أنتَ الحُسامُ، فإن تُفَلِّلَ مضاربُه،
 فقبلَه ما يُفَلِّ الصَّارِمِ الذَّكْرُ

١ الغضارة : نعمة العيش .

٢ اراد بالصالية : الحمى ، لما فيها من حرارة .

روح من المجد في جثمان مكرمة،
كأنما الصبح ، من خديه ، ينفجر
لو غال مجلوده شيء سوى قدر،
أكبرتُ ذاك ، ولكن غاله القدر

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

لا غرو وإن نال منك السقمُ ما سألأ،
قد يكسفُ البدرُ أحياناً إذا كملأ
ما تشكي علةً ، في الدهر، واحدةً
إلا اشكى الجودُ من وجدٍ بها عللاً

•

الادب في الاعتناق

أبو بكر بن محمد قال : حدثنا سعيد بن اسحاق عن عليّ ابن يونس المدينيّ قال : كنتُ جالساً عند مالك بن أنس فإذا سُفيان بن عُيينة يستأذن بالباب ، فقال مالك : رجلٌ صالح صاحبُ سنة ، أدخلوه ؛ فدخل فقال : السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته .

فردّ السلام .

فقال : سلامٌ خاصٌّ وعمّ عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله .

فقال مالك : وعليك السلامُ يا أبا محمد ورحمة الله .

فصافحه مالك ، وقال : يا أبا محمد ، لولا أنها يدعة لعانقناك .

فقال سُفيان : قد عانق من هو خيرٌ منّا ، رسول الله ﷺ ،

صلى الله عليه وسلم .

فقال مالك : جعفرأ ؟

قال : نعم .

فقال مالك : ذاك حديثٌ خاصٌّ يا أبا محمد ليس بعامّ .

فقال سفيان: ما عمّ جعفرًا يَعْمُنَا وما خصّه بِحُصْنًا إِذَا كُنَّا
صالحين ، أفتأذن لي أن أحدث في مجلسك ؟
قال : نعم يا أبا محمد .

فقال : حدثني عبدُ الله بن طائوس عن أبيه عن عبد الله بن
عباس : أنه لما قَدِمَ جعفرٌ من أرض الحبشة اعتنقه النبيُّ ، صلى
الله عليه وسلم ، وقبَّل بين عينيه ، وقال : جعفر أشبه الناس
بي حَلْقًا وَخُلُقًا .

الادب في اصلاح المعيشة

قالوا : مَنْ أشبع أرضه عملاً أشبعت بيته خبزاً .

وقالوا: يقول الثوب لصاحبه : أكرم مني داخلاً أكرمك خارجاً .

وقالت عائشة : المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله .

وقال عمر بن الخطاب : لا تنهكوا وجه الأرض ، فإن شحمها في وجهها .

وقال : فرّقوا بين المنايا واجعلوا من الرأس رأسين .

وقال : أملكوا العجيين فإنه أحد الرّيعين .

١ ربيع العجين : فضله وزيادته .

وقال أبو بكر لغلام له كان يتَّجر بالثياب: إذا كان الثوب
سابعاً فانشُرْه وأنت قائمٌ ، وإذا كان قصيراً فانشُرْه وأنت
جالسٌ ، وإنما البيع مكاسٌ .

وقال عبد الملك بن مروان: مَنْ كان في يده شيءٌ فليُصلحه ،
فإنه في زمانٍ إن احتاج فيه فأوَّل ما يَبْدُل دينه .

١ المكاس في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه والمنازعة بين المتبايعين .

الادب في المؤاكلة

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إذا أكلَ أحدُكم فليأكل
بيمينه وليشربَ بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب
بشماله .

محمد بن سلام الجُمحي قال : قال بلال بن أبي بُردة وهو
أمير على البصرة للجارود بن أبي سبرة الهندي : أتخضّر طعام
هذا الشيخ ؟ يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .

قال : نعم .

قال : فصِّفه لي .

قال : نأتيه فنجدُه مُنبطِحاً ، يعني نائماً ، فنجلس حتى يستيقظ ،
فيأذن فنساقطه الحديث ، فإن حدَّثناه أحسنَ الاستماع ، وإن
حدَّثنا أحسنَ الحديث ، ثم يدعو بمأذنه وقد تقدّم^١ إلى جواريه
وأمهات أولاده أن لا تُلطفه^٢ واحده^٣ منهن إلا وُضعت

١ تقدم : أمر .

٢ تلطفه : تحفه بشيء .

مائدته ، ثم يُقبِلُ خَبَّازَه فيمَثُلُ بين يديه قائماً ، فيقول له :
ما عندك ؟

فيقول : عندي كذا وكذا ، فيعدُّ ما عنده ، يريد بذلك
أن يجبس كلُّ رجل نفسه وشهوته على ما يُريد من الطعام ،
وتُقبِلُ الألوان من هاهنا ومن هاهنا ، فتوضع على المائدة ، ثم
يُؤْتَى بثريدة^١ شبيهة من الفلفل ، رَقِطَاء من الحِمِّص ، ذات
حِغَافَيْن^٢ من العِرَاق^٣ ، فيأكل مُعذِراً^٤ ، حتى إذا ظنَّ أن
القوم قد كادوا يمتلئون جشاً على رُكْبَتَيْهِ ، ثم استأنف
الأكل معهم .

قال ابنُ أبي بُردة : لله درُّ عبد الأعلى ، ما أربطَ جاشَه
على وقع الأضراس !

وحضر أعرابيٌّ سُفرة هشام بن عبد الملك ، فبينما هو
يأكلُ معه إذ تعلقت شعرةٌ في لُقمة الأعرابيِّ . فقال له هشام :
عندك شعرة في لُقمتك يا أعرابيِّ .

١ الثريدة : خبز مفتوت ومبلول بالمرق .

٢ الحغافان : الجانبان .

٣ العراق : العظم بلحمه .

٤ معذراً : مقصراً غير مبالغ .

فقال: وإنك لتُلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة في لُقمتي،
والله لا أكلت عندك أبداً . ثم خرج وهو يقول :

وللموتُ خيرٌ من زيارة باخلٍ ،
يُلاحظ أطراف الأكيل على عمَدٍ

●
محمد بن يزيد قال: أكل قائدٌ لأبي جعفر المنصور معه يوماً،
وكان على المائدة محمدٌ المهديُّ وصالحٌ ابنه ، فبينما الرجلُ
يأكل من ثريدة بين أيديهم إذ سَقَط بعض الطعام من فيه في
الغَضارة ١ ، وكانَّ المهديُّ وأخاه عافا الأكل معه ، فأخذ أبو
جعفر الطعام الذي سَقَط من فم الرجل فأكله . فالتفت إليه
الرجلُ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين، أمّا الدنيا فهي أقلُّ وأيسرُ
من أن أتركها لك ، لكن والله لأتركن في مرضاتك الدنيا
والآخرة .

●
وحدَّث إبراهيمُ بن السنديِّ قال : كان فتىً من بني هاشم
يَدْخُل على المنصور كثيراً ، يُسلم من بعيدٍ ويتصرف . فأتاه

١ الغضارة : الصحفة .

يوماً فأدناه ، ثم دعاه إلى العَداء ، فقال : قد تغديتُ . فأمله
الربيعُ حاجبُ المنصور حتى ظنَّ أنه لم يفهم الخطيئة ، فلما
انصرف وصار وراء السِّتر دَفَعَ في قَفَاه . فلما رأى من
الحاجب دَفَعَه في قفاه شكَا الفتى حالته وما ناله إلى عُمومته ،
فأقبلوا من غدٍ إلى أبي جعفر ، وقالوا : إنَّ الربيعَ نال من
هذا الفتى كذا وكذا .

فقال لهم أبو جعفر : إنَّ الربيعَ لا يُقدم على مثل هذا
إلا وفي يده حُجَّة ، فإن شئتم أمسكنا عن ذلك وأغضينا ،
وإن شئتم سألتُهُ وأسمعتكم .

قالوا : بل يسأله أميرُ المؤمنين ونسمع .

فدعاه فسأله ، فقال : إنَّ هذا الفتى كان يأتي فيسَلِّم
ويَنصرف من بعيد ، فلما كان أمس أدناه أميرُ المؤمنين حتى
سَلِّم من قُرْب ، وتبدَّل بين يديه ودعاه إلى غدائه ، فبلغ
من جهله بحق المَرْتَبَةِ التي أحلَّه فيها أن قال : قد تغديتُ ،
وإذا هو ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين وشاركه في يده
إلا سدُّ حَلَّةِ الجوع ، ومثل هذا لا يُقوِّمه القول دون الفعل .

فسكت القومُ وانصرفوا .

وقال بكر بن عبيد الله : أحقُّ الناس بلطمةً من أتى
طعاماً لم يُدعَ إليه ؛ وأحقُّ الناس بلطمتين من يقول له صاحب
البيت اجلس هاهنا ، فيقول : لا ، هاهنا ؛ وأحقُّ الناس
بثلاث اطعامات من دُعي إلى طعام فقال لصاحب المنزل : ادعُ
رَبَّةَ البيت تأكل معنا .

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : لا ينبغي للفتى أن
يكون مُكحلاً ولا مُقبباً ولا مُكوكباً ولا سُكامداً ولا
حرامداً ولا نُقامداً ؛ ثم فسره فقال :

أما المُكحل فالذي يتعرَّق العظم حتى يدعه كآتته مُكحلة
عاج ؛ والمُقبَّب : فالذي يُركَّب اللحم بين يديه حتى يجعله
كأنه قُبَّة ؛ والمُكوكب : الذي يبصق في الطست ويتنخَّم
فيها حتى يصير بُصاقه كأنه الكواكب في الطست ؛ والحرامد :
الذي يأتي في وقت الغداء والعشاء فيقول : ما تأكلون ؟
فيقولون من بُعضه : سُماً ، فيدخل يده ويقول : لا عيش
بعدكم ؛ والشكامد : الذي يُتبع اللقمة بأخرى قبل أن يسبغها

١ يتنخم : يدفع بشيء من صدره أو من أنفه .

فِيحْتَنَقُ كَأَنَّهُ دِيكٌ قَدْ ابْتَلَعَ فَأَرَةً ؛ وَالنُّقَامِدُ : الَّذِي يَضَعُ
الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَأْكُلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْ غَيْرِهِ .

•

وَمِنَ الْأَدَبِ : أَنْ يَبْدَأُ صَاحِبُ الطَّعَامِ بِغَسْلِ يَدَيْهِ قَبْلَ
الطَّعَامِ ، ثُمَّ يَقُولُ جُلْسَانَهُ : مِنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيَغْسِلْ ؛ فَإِذَا غُسِلَ
بَعْدَ الطَّعَامِ فَلْيُقَدِّمَهُمْ وَيَتَأَخَّرْ .

أدب الملوك

وقال العلماء : لا يُؤمُّ ذو سلطان في سلطانه ، ولا يُجلَس على تكبرِ مته إلا بإذنه .

وقال زياد : لا يُسلِّمُ على قادمٍ بين يدي أمير المؤمنين .

ودخل عبدُ الله بن عباس على معاوية وعنده زياد ، فرحَّب به معاوية ، ووسَّع له إلى جنبه ، وأقبل عليه يُسائله ويحادثه وزياد ساكت ، فقال له ابن عباس : كيف حالك أبا المغيرة ، كأنك أردت أن تُحدث بيننا وبينك هجرة ؟ فقال : لا ، ولكنه لا يُسلِّمُ على قادم بين يدي أمير المؤمنين .

قال ابن عباس : ما أدركتُ الناس إلا وهم يُسلِّمون على إخوانهم بين يدي أمرائهم .

فقال له معاوية : كُفَّ عنه يا ابن عباس ، فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت .

الشَّيبَانِي قَالَ : بَصَقَ ابْنُ مَرْوَانَ فَقَصَّرَ فِي بَصَقْتِهِ ،
فَوَقَعَتْ فِي طَرَفِ الْبَيْسَاطِ ؛ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَجْلِسِ فَامْسَحَهُ
بِكَمِّهِ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : أَرْبَعَةٌ لَا يُسْتَجَى مِنْ
خِدْمَتِهِمْ : الْإِمَامُ وَالْعَالِمُ وَالْوَالِدُ وَالضَّيْفُ .

وقال يحيى بن خالد : مُسَاءَلَةُ الْمَلُوكِ عَنْ حَالِهَا مِنْ تَحِيَّةِ
النُّوَكِيِّ ، فَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَقُولَ : كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ ؟ فَقُلْ :
صَبَّحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِالنَّعْمَةِ وَالْكَرَامَةِ ؛ وَإِنْ كَانَ عَلِيًّا فَأُرِدْتَ
أَنْ تَسْأَلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقُلْ : أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْأَمِيرِ الشِّفَاءَ
وَالرَّحْمَةَ .

وقالوا : إِذَا زَادَكَ الْمَلِكُ إِكْرَامًا فَزِدْهُ إِعْظَامًا ، وَإِذَا
جَعَلَكَ عَبْدًا فَاجْعَلْهُ رَبًّا ، وَلَا تُدِيمَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، وَلَا
تُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَلَا تُتَغَيَّرْ لَهُ إِذَا سَخِطَ ،
وَلَا تُغْتَرَّ بِهِ إِذَا رَضِيَ ، وَلَا تُلْحِفْ فِي مَسْأَلَتِهِ .

وقالوا : الْمَلُوكُ لَا تُسْأَلُ وَلَا تُشْمَتُ وَلَا تُكَيَّفُ .

١ تكيف : أي لا يقال لهم كيف حالكم .

وقال الشاعر :

إنَّ الملوکَ لا يُخاطَبُونَا ؛ ولا ، إذا مَلثُوا ، يُعاتَبُونَا
وفي المَقال لا يُنازَعُونَا ؛ وفي العُطاس لا يُشَمَّتُونَا
وفي الخُطاب لا يُكَيِّفُونَا ؛ يُثنى عليهم ، ويُبجَلُونَا
فافهَم وَصافي لا تَكُن مجنونَا

وقالوا : من تمام خِدمة الملوک أن يُقَرَّب الخادِمُ إليه
نَعَلِيَه ، ولا يَدعه يمشي إليهما ، ويجعل النعلَ اليمَنِي قُبالة
الرَّجُل اليمَنِي ، واليسرى قُبالة الرَّجُل اليسرى ، وإذا رأى
مُتَكاً يحتاج إلى إصلاح أَصلِحَه ، ولا يَنْتظر فيه أمرَه ،
ويَتفقد الدَّواة قبل أن يأمره ، ويَنْفُض عنها الغبار إذا قرَّبها
إليه ، وان رأى بين يديه قِرطاساً قد تباعد عنه قرَّبَه إليه
ووضَعه بين يديه على كِسْره ١ .

وقال أصحابُ معاوية لمعاوية : إنَّا ربما جَلَسنا عندك فوق
مقدار شَهوتك ، فأنت تَكُره أن تَسْتخِفَّنَا فَتَأمرنا بالقيام ،

١ على كسره : أي على طيته .

ونحن نكره أن نُثَقِّلَ عليك في الجلوس، فلو جعلتَ لنا علامةً
نَعْرِفُ بها ذلك ؟

فقال : علامةُ ذلك أن أقولَ : إذا شئتم .

وقيل مثلُ ذلك ليزيدَ بنِ معاوية ، فقال : إذا قلتُ علي
بَرَكة الله .

وقيل مثلُ ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال : إذا وضعت
الحَيَزُرانة .

وما سمعتُ بألطف مَعْنَى ، ولا أكمل أدباً ، ولا أحسنَ
مَذْهَباً في مُساءلة الملوِك من شَيْب بنِ شَيْبَة، وقوله لأبي جعفر:
أَصْلَحَكَ اللهُ، إني أحبُّ المعرفة، وأُجِلِّك عن السُّؤال. فقال
له : فُلان بن فُلان .

الكناية والتعريض

وقال أحدهم ونَبَّتَ به حِينٌ في إبطه : أين نبت بك هذا الحِينُ ؟ قال : تحت منكبي .

•
ودخل الربيع بن زياد على الثعمان بن المنذر وبه وضَحَ فقال : ما هذا البياض بك ؟ فقال : سيف الله جلاه .

•
ودخل حارثة بن بَدْر على زياد وفي وجهه أثر ، فقال له زياد : ما هذا الأثر الذي في وجهك ؟

قال : رَكِبْتُ فَرَسِي الْأَشْقَرَ فِجْمَحَ بِي ؛ فقال : أما انك لو رَكِبْتَ الْأَشْهَبَ لَمَا فَعَلَ ذَلِكَ .

فكُنِّي حارثة بالأشقر عن النبيذ ، وكُنِّي زياد بالأشهب عن اللبن .

١ الحين : الدمع .

وقال معاوية للأحنف بن قيس : أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ ، وَسِرِّكَ أَنْ يَعِيشَ فِجْيَاءَ بَزَادٍ
بِحُبْزٍ أَوْ بِتَمَرٍ أَوْ بِسَمْنٍ ، أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْآفَاقِ ، حَرَصًا ، لِأَكْلِ رَأْسِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ
مَا هَذَا الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ ؟

قال الأحنف : السَّخِينَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال معاوية : واحدةٌ بأخرى والبادي أظلم ، والسَّخِينَةُ
طَعَامٌ كَانَتْ تَعْمَلُهُ قَرِيشٌ مِنْ دَقِيقٍ ، وَهُوَ الْحَزِيرَةُ ، فَكَانَتْ
تُسَبُّ بِهِ ، وَفِيهِ يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

زَعَمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبَ رَبِّهَا ،
وَلِيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ

وقال آخر :

تَعَشَّوْا مِنْ خَزِيرَتِهِمْ فَنَامُوا

•
ولما عزل عثمانُ بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولاهها
ابن أبي سرح ، دخل عمرو على عثمان وعليه جُبَّةٌ مَحْشُوءَةٌ ،
فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : مَا حَشَوْتُ جُبَّتِكَ يَا عَمْرُو ؟
قال : أَنَا .

قال : قد علمتُ أنك فيها . ثم قال له : يا عمرو ، أشعرتُ
أن اللقّاح درّت بعدك ألبانها ؟
فقال : لأنكم أعجفتهم أولادها .

فكنتي عثمان عن خراج مصر باللقاح ، وكنتي عمرو عن
جور الوالي بعده ، وأنه حرم الرزق أهل العطاء ووفّره
على السلطان .

•
وكان في المدينة رجلٌ يُسمّى جعدة يرجل شعره ويتعرّض
للنساء المعزّبات^١ ، فكتب رجلٌ من الأنصار كان في الغزو إلى
عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه :

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً ، فدي لك من أخي ثقة إزاري
قلائصنا هداك الله إنا شغلنا عنكم زمن الحصار
يُعقلهنّ جعدٌ شيطميّ ؛ وبئس مُعقل الذود الطوّار^٢
فكنتي بالقلائص عن النساء . وعرض برجل يقال له

١ المعزّبات ، واحدها معزبة : الأمة .

٢ الشيطمي : الفتى من الابل . الذود : من ثلاثة أبعرة الى العشرة . الطوّار ،
واحدها طئر : العاطفة على ولد غيرها .

جعدة . فسأل عنه عمرُ ، فدُلَّ عليه ، فجزَّ شعره ، ونفاه
عن المدينة .

وسمع عمرُ بن الخطاب امرأةً في الطواف تقول :

فَمِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بِعَذْبٍ مُبَرَّدٍ
نُقَاحٍ ، فَتَلِكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتِ
وَمِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بِأَخْضَرَ آجِنٍ
أُجَاجٍ ، وَلَوْ لَا خَشْيَةُ اللَّهِ قَرَّتِ

ففهم شكواها ، فبعث إلى زوجها ، فوجده متغير الفم .
فخبره بين خمسمائة من الدراهم وطلاقها . فاختار الدراهم ،
فأعطاه وطلقها .

ودخل على زياد رجلٌ من أشرف البصرة فقال له زياد :
أين مسكنك من البصرة ؟

قال : في وسطها .

قال له : كم لك من الولد ؟

قال : تسعة .

فلما أخرج من عنده قيل له : إنه ليس كذلك في كل ما

سألته ، وليس له من الولد إلا واحدٌ ، وهو ساكن في طرف
البصرة . فلما عاد إليه سأله زياد عن ذلك ، فقال له : ما
كذبتك ، لي تسعة من الولد قدّمت منهم ثمانية فهم لي ،
وبقي معي واحد ، فلا أدري ألي يكون أم عليّ ، ومنزلي بين
المدينة والجبّانة ، فأنا بين الأحياء والأموات ، فمنزلي في
وسط البصرة .

قال : صدقت .

الكناية يورى بها

عن الكذب والكفر

لما هزم الحجاجُ عبدَ الرحمن بن الأشعث وقتل أصحابه
وأَسَرَ بعضهم ، كتب إليه عبدُ الملك بن مروان أن يَعْرِضَ
الأسرى على السَّيف ، فمن أقرَّ منهم بالكفر خلَّى سبيلَه ،
ومن أبى يَقتله .

فأتى منهم بعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ
وسعيد بن جُبَيْرٍ ؛ فأما الشعبي ومطرف فذهبا إلى التعريض
والكناية ولم يُصرِّحا بالكفر ، فقَبِلَ كلامهما وعفا عنهما ؛
وأما سعيد بن جُبَيْرٍ فأبى ذلك فقتل .

وكان مما عرَّضَ به الشعبي ، فقال : أصلح الله الأمير ، نبا
المنزل ، وأحزن^١ بنا الجناب ، واستحلَّسنا الخوف^٢ ،
واكتحلنا السهر ، وخبطننا فتنة^٣ لم نكن فيها بررة أتياء ،
ولا فجرة أقوياء .

١ أحزن : غاظ .

٢ استحلنا الخوف : أي لم نفاقة .

قال : صدقَ والله ، ما برَّوا بنحروهم علينا ولا قسَّوا ،
خليا عنه .

ثم قدَّم إليه مُطَرِّفُ بن عبد الله ، فقال له الحجَّاج : أتُقِرُّ
على نفسِكَ بالكفر ؟

قال : إنَّ مَنْ شقَّ العصا ، وسفَّك الدماء ، ونكث البيعة ،
وأخاف المسلمين جديراً بالكفر .

قال : خليا عنه .

ثم قدَّم إليه سعيد بن جبير ، فقال له : أتُقِرُّ على نفسك
بالكُفْر ؟

قال : ما كُفرتُ بالله مذ آمنتُ به .

قال : اضربوا عنقه .

ولما ولي الواثقُ وأقعد للناس أحمدَ بنَ أبي دُوادٍ للمحنة
في القرآن ودعا إليه الفقهاء ، أتى فيهم بالحارث بن مسكين ،
فقال له : أتشهد أن القرآن مخلوق ؟

قال : أشهدُ أنَّ التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبُورَ والقرآنَ ، هذه
الأربعة مخلوقة ، ومدَّ أصابعه الأربعة ، فعرَّضَ بها وكفى عن
خلق القرآنِ وخلَّصَ مُهجته من القتل .

وعَجَزَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ فَقِيهٌ بَغْدَادِيُّ عَنِ الْكِنَايَةِ فَأَبَاهَا ،
فَقُتِلَ وَصُلِبَ .

وَدَخَلَ بَعْضُ النَّسَّاكِ عَلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ فَدَعَاهُ إِلَى طَعَامِهِ ،
فَقَالَ لَهُ : الصَّائِمُ لَا يَأْكُلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَزَكَّي
نَفْسِي بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ؛ وَإِنَّمَا كَرِهَ طَعَامَهُ .

الْأَصْمَعِيُّ عَنْ عَيْسَى بْنِ عَمْرِو قَالَ : بَيْنَمَا عَرَبَاضٌ يَمْشِي
مُقَدِّمًا لَطِيئَتَهُ^١ ، إِذْ اسْتَقْبَلَتْهُ الْخَوَارِجُ يَحْزُونُ النَّاسَ بِسُيُوفِهِمْ ؛
فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ خَرَجَ إِلَيْكُمْ فِي الْيَهُودِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا : لَا ؛ قَالَ :
فَامْضُوا رَاشِدِينَ ؛ فَمَضَوْا وَتَرَكَوهُ .

وَلَقِيَ شَيْطَانُ الطَّاقِ^٢ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ ،
فَقَالَ لَهُ الْخَارِجِيُّ : وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّكَ أَوْ تَبْرَأَ مِنْ عَلِيٍّ .
فَقَالَ لَهُ : أَنَا مِنْ عَلِيٍّ ، وَمَنْ عَشِمَانَ بَرِيءٌ ؛ يَرِيدُ أَنَّهُ مِنْ عَلِيٍّ ،
وَبَرِيءٌ مِنْ عَشِمَانَ .

١ الطية : النية .

٢ شيطان الطاق : لقب محمد بن النعمان ، الذي تنسب إليه الطائفة النعمانية من
غلاة الشيعة .

أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ قَالَ : قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ عَلَى
الْمِنْبَرِ بِالْكَوْفَةِ : أَقْسَمُ عَلَى مَنْ سَمَّيْتُ أَسْعَرَ بَرَكًا إِلَّا قَامَ
فَخَرَجَ عَنِّي .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكَوْفَةِ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَنْ هَذَا
الَّذِي يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ فَيَقُولُ : أَنَا الَّذِي سَمَيْتَكَ أَسْعَرَ بَرَكًا ؟
قَالَ : وَكَانَ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ بِذَلِكَ .

•
وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لَصَّعْصَعَةَ بِنِ صُوحَانَ : اصْعَدِ الْمَنْبَرَ
فَالْعَنَ عَلِيًّا .

فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : أَوْتَعْفِينِي ؟
قَالَ : لَا .

فَصَعَدَ الْمَنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : مَعَاشِرَ النَّاسِ ،
إِنَّ مَعَاوِيَةَ أَمَرَنِي أَنْ أَلْعَنَ عَلِيًّا ، فَالْعَنُوهُ لَعْنَةَ اللَّهِ .

١ بَرَكًا : أَيُّ صَدْرًا . وَأَسْعَرَ بَرَكًا : أَيُّ أَنَّهُ كَثِيرُ شَعْرِ الصَّدْرِ .

الكناية عن الكذب

في طريق المدح

المدائنيّ قال : أُنِّي العُرْيَانُ بنُ الهَيْثَمِ بَغْلَامٌ سَكْرَانٌ ،
فقال له : من أنت ؟ فقال :

أنا ابنُ الذي لا يَنْزِلُ ، الدهرُ ، قَدْرُهُ ،
وان نَزَلَتْ يوماً ، فسوف تَعُودُ
تري الناسَ أفواجاً الى صَوءِ ناره ،
فمنهم قِيَامٌ حولها وقُعود

فظنه ولدًا لبعض الأشراف ، فأمر بتخليته . فلما كُشِفَ
عنه ، قيل له : انه ابن باقلاّني .



ودخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة
القاضي ، فقال له : أتعرف هذا الرجل ؟ وكان رُمي عنده بريية .
فقال : نعم ، ان له بيتاً وقدماً وشرفاً .

فخلّى سبيله . فلما انصرف ابن شبرمة قال له أصحابه :

أكنت تعرف هذا الرجل؟ قال: لا، ولكنني عرفتُ أن له بيتاً يأوي إليه، وقدماً يمشي عليها، وشرفه أذناه ومنكباه.

•
وخطب رجل لرجل الى قوم، فسأله: ما حِرْفته؟
فقال: هو نحّاس الدواب.
فزوَّجوه.

فلما كشف عنه وجدوه يبيع السنانير، فلما عنّفوه في ذلك قال: أو ما السنانير دواب؟ ما كذبتكم في شيء.

•
ودخل مُعلّى الطائي على ابن السّريّ يعودُه في مرضه،
فأنشده شعراً يقول فيه:

فأقسم إن من الأله بصحة، ونال السّريّ بن السّريّ شفاءً
لأرتحلين العيس شهراً بحجة، وأعتق شكراً سالماً، وصفاءً

فلما خرج من عنده قال له أصحابه: والله ما نعلم عبدك
سالماً ولا عبدك صفاءً، فمن أردت أن تُعتق؟

قال: هما هرتان عندي، والحجّ فريضة واجبة، فما عليّ
في قولي شيء ان شاء الله تعالى.

في الكناية والتعريض

في طريق الدعابة

سُئِلَ ابن سيرين عن رجل ، فقال : تُوْفِي البارحة ، فلما رأى جَزَعَ السائل ، قال : « الله يَتَوَفَّى الأَنْفَسَ حين مَوْتِهَا والتي لم تَمُتْ في مَنَامِهَا . » وإنما أَرَدْتُ بالوفاة النوم .

ومرّض زيادُ فدخلَ عليه شريحُ القاضي يَعوده . فلما خَرَجَ بعثَ إليه مَسْرُوقُ بن الأجدع يسأله : كيف تَرَكْتَ الأمير ؟

قال : تَرَكْتُهُ يأمر وينهى .

فقال مَسْرُوقُ : إن شَرِيحاً صاحبُ تعريض عويص فاسأله ؛ فاسأله فقال : تَرَكْتُهُ يأمر بالوصية ، وينهى عن البكاء .

وكان سنان بن مكمّل النُميريّ يُسأِرُ عمر بن هبيرة الفزاريّ يوماً على بَعْلَةٍ ، فقال له ابن هبيرة : غَضٌّ من عِنانِ بَعْلَتِكَ .

فقال : إنها مكتوبة ، أصلح الله الأمير .

أراد ابن هيبرة قول جرير :

فغضَّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نُمَيْرٍ ؛
فلا كَعْباً بَلِغْتَ ، ولا كِلاباً

وأراد سنان قول الشاعر :

لا تَأْمَنَنَّ فِزارِيًّا ، تَخْلُوتَ بِهِ ،
على قَلْوَصِكَ ، واكْتَبْها بِأَسْيَارِ

•

ومرَّ رجلٌ من بني تَمِيمٍ برجلٍ من بني نُمَيْرٍ على يده بازي ،

فقال التَّمِيمِيُّ لِلنُّمَيْرِيِّ : هذا البازي لك ؟

قال له النُّمَيْرِيُّ : نعم ، وهو أهدى من القَطَا .

أراد التَّمِيمِيُّ قولَ جرير :

أنا البازي المَطِيلُ على نُمَيْرٍ ، أُتِحَتْ لها من الجِوِّ انصِبابا

وأراد النُمَيْرِيُّ قولَ الطَّرَمَّاحِ :

تَمِيمٌ بِطُرُقِ اللُّثُومِ أهدى من القَطَا ،
ولو سَلَكْتَ سُبُلَ المِكارِمِ خَلَّتْ

•

١ اكتبها ، من كتب القرية : خرزها بأسيار ، والأسيار واحدها سير : قدة
من جلد . يشير الى ما كانت تعبر به فزارة في شأن الابل .

ودخل رجلٌ من مُحاربِ علي عبد الله بن يزيد الهلاليّ ،
وهو والي أرمينية ، وقريبٌ منه عديرٌ فيه صفادع ، فقال
عبدُ الله بنُ يزيد : ما تركتنا شيوخُ مُحاربِ ننام الليلة .

فقال له المُحاربيّ : أصلح الله الأمير ، أو تدري لمَ ذلك ؟

قال : ولمَ ؟

قال : لأنها أضلت بُرُقعاً لها .

قال : قَبَّحَكَ اللهُ وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ !

أراد ابنُ يزيدِ الهلاليّ قولَ الأخطل :
تَنقَّ بلا شيءٍ شِيُوخُ مُحاربِ ،
وما خَلَتْهَا كانت تَريش ولا تَبَري ،
صفادع في ظَلماء ليلٍ تجاوبتْ ،
فدلَّ عليها صَوْتُهَا حَمِيَّةَ البَحرِ

وأراد المُحاربيُّ قولَ الشاعر :

لكلِّ هِلاليٍّ من اللُّؤمِ بُرُقعٌ ،

ولا بنُ يزيدٍ بُرُقعٌ وقَميصٌ

وقال مُعاوية لعبد الرحمن بن الحَكَم : استَعرِض لي

هذينِ الفَرسينِ .

١ لا تَريش ولا تَبري : أي لا تضر ولا تنفع .

فقال : أحدهما أَجَشُّ والآخِرَ هَزِيمٌ .
يعني قولَ النَّجَاشِيِّ :

وَنَجَّسِي ابْنَ هِنْدٍ سَابِحٌ ذُو عُلَالَةٍ ،
أَجَشُّ هَزِيمٌ ، وَالرَّمَّاحُ دَوَانِي

فقال معاوية : أما إنَّ صاحبَهما على ما فيه لا يُشَبَّبُ
بكنائنه ٢ .

وكان عبدُ الرحمنِ يُرمَى بكنائِته .

وشاور زيادُ رجلاً من ثقاته في امرأة يتزوجها ، فقال :
لا خير لك فيها ، إني رأيتُ رجلاً يُقبِّلُها ، فتركها ؛ وخالفه
الرجل إليها وتزوجها . فلما بلغ زياداً خبره أرسل إليه وقال
له : أما قلتَ لي إنك رأيتَ رجلاً يُقبِّلُها ؟ قال : نعم ؛ رأيتُ
أباها يُقبِّلُها .

وقال أعرابيٌّ لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : يا أميرَ

١ ابن هند : معاوية . العلالة : بقية جري الفرس . الأَجَشُّ : الغليظ الصهيل .
الهزيم : الصوت الشديد .

٢ الكنائن ، وإحدتها كنة : زوجة الابن .

المؤمنين ، احمِلني وسُحَّيماً على جمل .
فقال : نَسَدتكَ اللهُ يا أعرابي ، أسْحِم هذا زق ؟
قال : نعم ، ثم قال : من لم يَنْفَعه ظنه لم يَنْفَعه يقينُهُ .

•
وودَّع رجلاً رجلاً كان يُبَغِضُهُ ، فقال : امضِ في سرِّ
من حَفِظ اللهُ ، وحِجَابٍ من كِلاَةِته^٢ .
فَفَطِنَ له الرجل ، فقال : رَفَع اللهُ مكانَكَ ، وشَدَّ ظَهْرَكَ ،
وجَعَلَكَ مَنظُوراً إِلَيْكَ^٣ .

١ السحيم ، تصغير الأسحم : الأسود ، كنى بذلك عن الزق الأسود .
٢ الكلاءة : الرعاية ، اراد في بعد من كلاءة الله وحفظه .
٣ كنى بقوله هذا عن الصلب ، لأن المصلوب يشد ظهره ، وينظر اليه الناس .

في الصمت

كان لُقمان الحكيم يجلس إلى داود ، صلى الله عليه وسلم ،
مقتبساً ، وكان عبداً أسود ، فوجده وهو يعمل درعاً من
حديد ، فَعَجِبَ مِنْهُ ولم يَرِ درعاً قبل ذلك ، فلم يسأله لُقمان
عما يعمل ولم يخبره داود ، حتى تمت الدرّع بعد سنة ، فقاسها
داودُ على نفسه ، وقال : زرد طافا ليوم قرأفا . تفسيره :
درع حصينة ليوم قتال . فقال لُقمان : الصمت حُكم
وقليل فاعله .

وقال أبو عبيد الله كاتبُ المهديّ : كُنْ على التماس الحظّ
بالسكوتِ أحرصَ منك على التماسه بالكلام ، إنَّ البلاء
مُوَكَّلٌ بالمنطق .

وقال أبو الدرّداء : أَنْصِفِ أذُنَيْكَ مِنْ فَيْكِ ، فَإِنَّمَا يُجْعَلُ
لَكَ أُذُنَانِ اثْنَتَانِ وَفَمٌ وَاحِدٌ لِتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا تَقُولُ .

ابن عَوْفٍ عن الحسن ، قال : جلسوا عند مُعاوية فتكلموا

وسكت الأحنف؛ فقال معاوية : ما لك لا تتكلم أبا بجر ؟
قال : أخافك إن صدقتُ ، وأخاف الله إن كذبتُ .

وقال المهلب بن أبي صفرة : لأن أرى لعقل الرجل
فضلاً على لسانه أحبُّ إليَّ من أن أرى للسانه فضلاً على عقله .

وقال سالم بن عبد الملك : فضلُ العقل على اللسان مروءة ،
وفضل اللسان على العقل هُجْنَةٌ .

وقالوا : مَنْ ضاق صدره اتسع لسانه ، ومَنْ كثر كلامه
كثُرَ سَقَطُه ، ومَنْ ساءُ خلقه قلَّ صديقه .

وقال هرم بن حيان : صاحبُ الكلام بين إحدى منزلتين ،
إن قصَّرَ فيه خصمٌ^١ ، وإن أغرق فيه أثم .

وقال شبيب بن شيبه : من سمع الكلمة يكرهها فسكت
عنها انقطع صرُّها عنه .

١ خصم : غلبه الخصم .

وقال أكتُمُ بن صَيْفِيٍّ : مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ .

وقال جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ ؛
وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ ؛
وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

وقال الشاعر :

الْحَلْمُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ ،
فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مَكْثَارًا
مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً ،
لَكِنْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا

وقال الحسن بن هانئ :

خَلِّ جَنْبِيكَ لِرَأْمِي ، وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتُّ بَدَاءَ الصَّمْتِ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

رُبَّ لَفْظٍ سَاقَ آجَا لَ فِتَام ، وَفِتَامٌ
إِنَّمَا السَّالِمُ مِنْ أَلِ جِمِ فَاهُ بَلِجَامِ

وقال بعض الحكماء : حَظِّي مِنَ الصَّمْتِ لِي وَنَفْعُهُ
مَقْصُورٌ عَلَيَّ ، وَحَظِّي مِنَ الْكَلَامِ لغيري وَوَبَالَهُ رَاجِعٌ عَلَيَّ .

وقالوا : إِذَا أَعْجَبَكَ الْكَلَامُ فَاصْمُتْ .

وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز : مَتَى أَنْتَ كَلِمٌ ؟

قال : إِذَا اسْتَهَيْتَ أَنْ تَصْمُتَ .

قال : فَمَتَى أَصْمُتُ ؟

قال : إِذَا اسْتَهَيْتَ أَنْ تَتَكَلَّمَ .

وقال النبيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ شَرًّا
مِنْ طَلَاقِ اللِّسَانِ .

وسَمِعَ عَبْدُ اللهِ بنَ الْأَهْمَمِ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فَيُحْطَى ، فَقَالَ :
بِكَلَامِكَ رُزِقَ الصَّمْتُ الْمَحَبَّةَ .

١ الفتام : الجماعة من الناس ، لا واحد له من لفظه .

في المنطق

قال الذين فَصَّلُوا المنطقَ : إِنَّمَا بُعِثَ الأنبياءُ بالكلام ولم يُبْعَثُوا بالسُّكوتِ . وبالكلام وُصِفَ فَضْلُ الصِّمْتِ ، ولم يُوصَفِ القولُ بالصِّمْتِ ، وبالكلام يُؤَمَّرُ بالمعروفِ ويُنْهَى عن المُنْكَرِ وَيُعْظَمُ اللهُ وَيُسَبَّحُ بِحَمْدِهِ ، والبيانُ من الكلامِ هو الذي مَنَّ اللهُ بِهِ على عِبَادِهِ ، فقال : « خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ . » والعِلْمُ كُلُّهُ لا يُؤَدِّيهِ إِلى أَوْعِيَةِ القُلُوبِ إِلا اللِّسانُ ، فَتَنْفَعُ المنطقُ عامَ لقائِلِهِ وسامِعِهِ ومن بَلَّغَهُ ، وَنَفَعِ الصِّمْتِ خاصَ بفاعِلِهِ .

وأعدلُ شيءٍ قيلَ في الصِّمْتِ والمَنْطِقِ قولُهُم : الكلامُ في الخَيْرِ كُلِّهِ أَفْضَلُ من الصِّمْتِ ، والصِّمْتُ في الشَّرِّ كُلِّهِ أَفْضَلُ من الكلامِ .

وقال عبدُ اللهِ بنُ المُبارِكِ صاحبُ الرِّقائِقِ يَرِثِي مالِكََ بنَ أَنَسِ المَدِينِيِّ :

صَموتٌ ، إِذا ما الصِّمْتُ زَيَّنَ أَهْلَهُ ؛
وفتاقُ أَبكارِ الكلامِ المُحْتَمِّمِ .

وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ ،
وَسَيَّطَ لَهُ الْآدَابُ بِاللَّحْمِ وَالْدَّمِ ١

•
وقال عمرُ بن الخطاب : تَرَكَ الْحَرَكَةَ عَفْلَةً .

•
وقال بكرُ بن عبد الله المزنيّ : طُول الصَّمْتِ حُبْسَةٌ ٢ .

•
وقالوا : الصَّمْتُ نَوْمٌ ، وَالْكَلَامُ يَقْظَةٌ .

•
وقالوا : مَا شَيْءٌ تُثْنِي إِلَّا قَصْرٌ ، إِلَّا الْكَلَامَ فَإِنَّهُ كَلِمَةٌ
تُثْنِي طَالَ .

•
وقال الشاعر :

الصَّمْتُ شِمْتُهُ ، فَإِنْ أَبْدَى مَقَالًا كَانَ فَضْلًا
أَبْدَى السَّكُوتَ ، فَإِنْ تَكَلَّمْتَ لَمْ يَدَعْ فِي الْقَوْلِ فَضْلًا

١ سيطت : خلطت .

٢ الحبسة : تعذر الكلام .

في الفصاحة

محمد بن سيرين قال : ما رأيتُ على امرأة أجملَ من
سُحْم ، ولا رأيتُ على رجلٍ أجملَ من فصاحة .

وقال الله ، تبارك وتعالى ، فيما حكاه عن نبيِّه موسى ، صلى الله
عليه وسلم ، واستيحاشه بعدم الفصاحة : « وَأَخِي هَارُونَ هُوَ
أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي . »

آفات المنطق

- تكلم ابنُ السَّمَاكِ يوماً وجارية له تسمع كلامه ، فلما دخل قال لها : كيف سمعت كلامي ؟
قالت : ما أحسنه لولا أنك تردده .
قال : أردده ليفهمه من لم يفهمه .
قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه يملّه من فهمه .
-

الأصمعي قال : قال معاوية يوماً لجلسائه : أيّ الناس أفصح ؟

فقال رجلٌ من السّماط : يا أمير المؤمنين ، قوم قد ارتفعوا عن رتبة العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ، وتيامنوا عن ششنة تغلب ، ليس فيهم غمغمة قضاة ، ولا

١ الرتبة : العجمة .

٢ الكشكشة : ابدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث نحو أكرمتش أي أكرمتك .

٣ الششنة : جعل الكاف على الاطلاق شيئاً .

٤ الغمغمة : الكلام الذي لا يبين .

ططمطمانية حمير .

قال : مَنْ هم ؟

قال : قومك يا أمير المؤمنين قُرَيْش .

قال : صدقتَ ، فمن أنت ؟

قال : من جَرْم .

قال الأصمعيّ : جَرْمُ فُصَّحَى الناس .

وهذا الحديث قد وَقَعَ في فضائل قُرَيْش ، وهذا موضعه أيضاً فأعدناه .

قال أبو العباس محمد بن يزيد النحويّ : التمتمة في المنطق :
التردد في التاء ؛ والعقطة ؛ هي التواء اللسان عند إرادة الكلام ؛
والحُبسة : تعذر الكلام عند إرادته ؛ واللفف : إدخالُ حرف
في حرف ؛ والرُتة : كالرُتج تمتنع أول الكلام ، فإذا جاء
منه شيء اتصل به ؛ والغمّعة : أن تسمع الصوت ولا يبين
لك تقطيع الحروف . وأما الرُتة : فإنها تكون غريزية .
وقال الراجز :

يأبها المخلط الأرت

ويقال إنها تكثر في الأشراف . وأما الغمّعة : فإنها قد تكون

١ الططمطمانية : عجمة في اللسان .

من الكلام وغيره ، لأنها صوتٌ من لا يفهم تقطيع حروفه .
قال عنتره :

وصاحب ناديته فغمغما ، يُريد لبَّيك وما تكلمما
قد صار من خوف الكلام أعجمما

والطمطمة : أن يكون الكلام مُشبهاً لكلام العجم ؛
واللكنة : أن تعترض في الكلام اللغة الأعجمية ، وسنفسر
هذا حرفاً حرفاً ، وما قيل فيه إن شاء الله ؛ واللغة : أن
يُعدّل بحرف إلى حرف ؛ والغنة : أن يُشرب الحرف
صوت الحيشوم ؛ والحنة : أشد منها ؛ والتوخيم : حذف
الكلام ؛ والفأفة : التردد في الفاء ؛ يقال : رجل فأفاء ، تقديره
فاعال ، ونظيره من الكلام ساباط^١ وخاتام ، قال الراجز :

يا مَيُّ ذات الجورب المُشَقِّ ،
أخذت خاتامي بغير حقِّ

وقال آخر :

ليس بفأفاء ولا ممتام ، ولا محبِّ سَقَطَ الكلام
وأما كشكشة تميم : فإن بني عمرو بن تميم إذا ذكرت

١ الساباط : سقيفة بين حائطين ، أو بين دارين ، من تحتها طريق نافذ .

كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيئاً ، لقرب الشين من الكاف في المخرج ، وقال راجزهم :

هل لك أن تتفعلي وأنفعش ، فتدخلي اللد معي في اللد معش
وأما كسكسة بكر : فقوم منهم يُبدلون من الكاف
شيئاً كما فعل التميميون في الشين . وأما ططمانية حمير :
ففيها يقول عنزة :

تأوي له قُلُصُ النِّعَامِ ، كما أوتِ
حِزْقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمِ طَطْمِمْ

•
وكان صهيب أبو يحيى ، رحمه الله ، يرتضخ لكمة رومية^١ .

•
وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : صهيب سابق
الروم .

•
وكان عبید الله بن زياد يرتضخ لكمة فارسية من قبل زوج
أمه شيرويه الأسواري .

١ يرتضخ لكمة رومية : أي أنه نشأ مع الروم ثم صار إلى العرب ، فهو ينزع إلى
الروم في الفاظ ولو اجتهد .

وكان زياد الأعجم ، وهو رجل من عبد القيس ، يَرْتَضِخُ
لكنة أعجمية ، وأنشد المَهَلَّبَ في مَدْحِهِ إِيَّاهُ :

فتى زاده السُّلْتَانُ في الحمد رَغْبَةً ،
إِذَا غَيَّرَ السُّلْتَانُ كُلَّ خَلِيلِ

يريد السلطان ، وذلك أن بين التاء والطاء نسباً ، لأن التاء
من مخرج الطاء . وأما الغنة فَنُتَسَحَّنُ من الجارية الحديثة
السن . قال ابن الرِّقَاعِ في الظبية :

تُرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقَهُ
قَلَمٌ ، أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

وقال ابن المُقَفَّعِ : إِذَا كَثُرَ تَقْلِيْبُ اللِّسَانِ رَقَّتْ
حَوَاشِيهِ وَلَانَتْ عَدَابَتُهُ .

وقال العتَّابي : إِذَا حُبِسَ اللِّسَانُ عَنِ الاسْتِعْمَالِ اشْتَدَّتْ
عَلَيْهِ مَخَارِجُ الحُرُوفِ .

وقال الراجز :

كَأَنَّ فِيهِ لَفْفًا ، إِذَا نَطَقَ ، مِنْ طُولِ تَحْمِيْسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقِ

١ تُرْجِي : تَسُوقُ . الأَعْنَ مِنَ الظَّبَاءِ : مَا فِي صَوْتِهِ غِنَةٌ . الرُّوقُ : القَرْنُ .

في الاعراب واللحن

أبو عبيدة قال : مرَّ الشَّعْبِيُّ بِقَوْمٍ مِنَ الْمَوَالِي يَتَذَاكَرُونَ
النَّحْوَ ، فَقَالَ لَهُمْ : لَيْتَ أَصْلَحْتُمُوهُ إِنْ كُمْ لِأَوَّلٍ مِنْ أَفْسَدِهِ .
قال أبو عبيدة : لَيْتَهُ سَمِعَ لِحْنَ أَصْفَوَانَ وَخَالَدِ بْنِ
صَفْوَانَ وَخَاقَانَ وَالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وقال عبد الملك بن مروان : اللحنُ في الكلام أقبحُ من
التفتيق في الثوب والجُدْرِيَّ في الوجه .
وقيل له : لقد عَجِلَ عَلَيْكَ الشيبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قال :
سَيِّبَنِي ارْتِقَاءَ الْمَنَابِرِ وَتَوَقَّعَ اللَّحْنَ .

وقال الججاج لابن يعمر : أتسمعي ألحن؟
قال : لا ، إلا أنه ربما سَبَقَكَ لِسَانُكَ بَبَعْضِهِ فِي آنٍ وَآنٍ .
قال : فإذا كان ذلك فعرفني .

١ اللحن في الكلام : الخطأ في الاعراب والبناء .

وقال المأمون لأبي عليّ المعروف بأبي يعلى المنقريّ : بلغني أنك أمّيّ ، وأنت لا تُقيم الشّعْر ، وأنت تَلْحَن في كلامك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أمّا اللحن فربما سبقتني لساني بالشيء منه ، وأمّا الأمّيّة وكسر الشعر فقد كان النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أمياً وكان لا يُنشد الشعر .

قال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني عيباً رابعاً ، وهو الجهل ، يا جاهل ، إنّ ذلك في النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فضيلة ، وفيك وفي أمثالك نقیصة ، وإنما مُنِع ذلك النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، لنفي الظنّة عنه ، لا لِعيب في الشعر والكتاب ، وقد قال تبارك وتعالى : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ . »

وقال عبدُ الملك بن مروان : الإعراب جمالٌ للوَضِيع ، واللحن هُجْنَةٌ على الشَّرِيف .
وقال : تعلّموا النحوَ كما تتعلمون السنن والفرائض .

وقال رجلٌ للحسن : إنّ لنا إماماً يلحن ؛ قال : أميطوه عنكم ، فإنّ الإعراب حِلْيَةُ الكلام .

وقال الشاعر :

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ ،
وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ ، إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلِهَا ،
فَأَجْلِهَا مِنْهَا مُقِيمِ الْأَلْسِنِ

وقال آخر :

النَّحْوُ صَعْبٌ ، وَطَوِيلٌ سَلَّمَهُ ،
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ
زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ

وقال رجل للحسن : يا أبو سعيد ؛ فقال : أحسب أن
الدَّوَانِقَ شغلتك عن أن تقول : يا أبا سعيد .

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز جالسا عند الوليد بن عبد الملك ،
وكان الوليد حائنا ، فقال : يا غلام ، ادع لي صالحا ؛ فقال
الغلام : يا صالحا ؛ قال له الوليد : انقص ألف ؛ فقال عمر :

وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا .

•
ودخل على الوليد بن عبد الملك رجلٌ من أشرف قريش ،
فقال له الوليد : من حَتَنَكَ ؟
قال له : فلانُ اليهودي .
فقال : ما تقول ؟ ويحك !
قال : لملكٍ إنما تسأل عن حَتَنِي يا أمير المؤمنين ، هو
فلان بن فلان .

•
وقال عبدُ الملك بن مروان : أضرُّ بنا في الوليد حُبُّنا له
فلم نُنزِمه البادية . وقد يستنقل الإعرابُ في بعض المواضع
كما يستخفُّ اللحنُ في بعضها .

•
وقال مالك بن أسماء بن خارجة الفزاريّ :
منطقٌ بارعٌ ، وتلحنُ أحياناً ، وخيرُ الحديث ما كان لنا
وذلك أنه من حكى نادرةً مُضحكةً ، وأراد أن يُوفي
حروفها حظها من الإعراب ، طمس حُسنها ، وأخرجها عن

١ الحتن : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

مقدارها ، ألا ترى أن مُزَبِّدًا المَدِينِيَّ أَكَلَ طَعَامًا فَكَظَّمَهُ ،
فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَقِي ؟ قَالَ : وَمَا أَقِي ؟ خَبَزَ نَقِيَّ وَلَحْمَ طَرِيٍّ ؟
مَرَّتِي طَالِقٌ ، لَوْ وَجَدْتُ هَذَا قَيْنًا لَأَكَلْتَهُ .

قال : وكذلك يُسْتَقْبَحُ الإِعْرَابُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ كَمَا اسْتَقْبَحَ
مِنْ عَيْسَى بْنِ عَمْرِو إِذْ قَالَ وَابْنُ هُبَيْرَةَ يَضْرِبُهُ بِالسَّيِّطِ : وَاللَّهِ
إِنْ كَانَتْ إِلَّا أُتَيْتَابًا^١ فِي أُسَيْفَاتٍ^٢ قَبَضَهَا عَشَارُوكُ^٣ .

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمَغْرِبِيِّينَ فِي اللَّحْنِ أَنْ جَارِيَةً لَهُ غَنَّتْهُ :
إِذَا مَا سَمِعْتُ اللُّومَ فِيهَا رَفَضْتُهُ ،
فَسَيَدُخَلُ مِنْ أُذُنٍ وَيَخْرُجُ مِنْ أُخْرَى
فَقَالَ لَهَا : مِنْ أُخْرَى ، أَمَا عَلِمْتِكِ أَنْ مِنْ تَحْفُضُ ؟

وقال رجل لشُرَيْحٍ : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ تُوفِي وَتَرُكُ أَبَاهُ
وَأَخِيهِ ؟

١ اثتاب : تصغير أثواب .

٢ أسيفاط : تصغير أسفاط واحدها سفظ : الذي يعأ فيه الطيب وغيره من
أدوات النساء .

٣ عشاروك ، واحدها عشار : من يقبض عشر الأموال ويجيبها .

فقال له : أباه وأخاه .

فقال : كم لأباه وأخاه ؟

قال : لأبيه وأخيه .

قال : أنت علمتني فما أصنع ؟



وقال بعض الشعراء ، وأدرك عليه رجل من المتفصحين
يقال له حَفْص لِحْنًا فِي شِعْرِهِ ، وكان حَفْصُ بِهِ اخْتِلافٌ فِي
عَيْنِيهِ وَتَشْوِيهِ فِي وَجْهِهِ ، فقال فيه :

لقد كان في عَيْنِكَ يا حَفْصُ شَاغِلٌ ،
وَأَنْفٌ كَمِثْلِ الطُّودِ عَمَّا تَتَبَعُ

تَتَبَعُ لِحْنًا مِنْ كَلَامٍ مُرَقَّشٍ ،
وَخَلَقْتَ مَبْنِيًّا مِنْ اللَّحْنِ أَجْمَعِ

فَعَيْنُكَ إِقْوَاءٌ ، وَأَنْفُكَ مُكْفَأٌ ،
وَوَجْهُكَ إِطْءٌ ، فَمَا فِيكَ مَرْقَعٌ

١ الإقواء : اختلاف حركة الروي . وبذلك شبه الاختلاف بين عيني من يهجوهُ .
الأكفاء : المخالفة بين اعراب القوافي أو بين هجائها . الإطء : تكرير
القافية لفظاً ومعنى ، ويريد تكرير نوع القبح في صفحتي وجهه .

في اللحن والتصحيف

وكان أبو حنيفة حناناً ، على أنه كان في الفتيا ولطف النظر واحدَ زمانه . وسأله رجلٌ يوماً فقال له : ما تقول في رجل تناول صخرةً فضرب بها رأسَ رجلٍ فقتله ، أتقیده به ؟ قال : لا ، ولو ضربه بأبا قُبَيْس .

•
وكان بشر المريسي يقول جلسائه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها . فسمع قاسم التمار قوماً يضحكون ، فقال : هذا كما قال الشاعر :

إنَّ سُلَيْمِي وَاللَّهِ يَكْلُوها ، ضنَّتْ بشيءٍ ما كان يَرْزَوْها
وبشر المريسي رأسٌ في الرأي ، وقاسم التمار مُتقدم في أصحاب الكلام ، واحتجاجه لبشر أعجبُ من لحنِ بشر .

•
ودخل شبيب بن شيبه على إسحاق بن عيسى يُعزِّيه عن طفل أُصيب به ، فقال في بعض كلامه : أصلح الله الأمير ، إنَّ الطفل لا يزال مُحبَّنظياً على باب الجنة يقول : لا أدخل حتى يدخل أبواي .

قال إسحاق بن عيسى : سبحان الله ! ماذا جئتَ به ؟ وإنما هو 'مُحِبَّنِي' ، أما سمعتَ قولَ الراجز :

إني إذا أنشدتُ لأحِبَّنِي ، ولا أحبُّ كثرةَ التَمَطِّي

قال شبيب : ألي يقال مثل هذا وما بين لابتئها أعلم

مني بها ؟

فقال له إسحاق : وهذه أيضاً ، البصرة لابتان يا الكع ؟

فأبان بتقريعه عواره ، فأخجله فسكت .

قوله المُحِبَّنِي : المُتَمَنِّع امتناع طلب لا امتناع إباء ، وهو

بالطاء غير معجمة ، ورواه شبيب بالطاء المعجمة . وقوله : ما بين

لابتئها ، خطأ ، إذ ليس للبصرة لابتان ، وإنما اللابة للمدينة

والكوفة . واللابة : الحرّة ، وهي الأرض ذات الحجارة السود .

نوادير من الكلام

يقال : ماء نُقَاخ ، للماء العَذْب ؛ وماء فُرَات ، وهو
أعذب العَذْب ؛ وماء فُعَاع ، وهو شديد الملوحة ؛ وماء جُرَاق ،
وهو الذي يجرق من مُلوحته ؛ وماء شَرُوب ، وهو دون
العَذْب قليلاً ؛ وماء مَسُوس ، وهو دون الشَّرُوب ؛ وماء
شَرِيب ، وهو العَذْب .

اجتمع المفضّل الضبّي وعبدُ الملك بن قُرَيب الأَصمعي ،
فأنشد المفضّل :

تُصِمْتُ بالماء تَوَلِباً جَدَعَا

فقال له الأَصمعي : تَوَلِباً جَدَعَا ، والجَدِيع : السيءُ الغذاء .
فضجّ المفضّل وأكثر ؛ فقال له الأَصمعي : لو نفخت في الشَّبُور
ما نفعك ، تكلم بكلام النَّمَل وأصب .

١ الشبور : البوق .

وقال مروان بن أبي حفصة في قوم من رواة الشعر
لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته :

زوامل ، للأشعار ، لا علم عندهم
بجيدتها ، إلا كعلم الأباعر^١

لعمرك ما يدري البعير^٢ ، إذا غدا
بأوساقه ، أو راح ، ما في الغرائر^٣

١ الزوامل ، واحدها زاملة : ما يحمل عليها من الابل . الاباعر ، واحدها

بعير : الجمل البازل .

٢ الغرائر ، واحدها غرارة : الجوالق ، الكيس الكبير .

نوادِر من النحو

قال الخليل بن أحمد : أنشدني أعرابي :

وإنّ كلاباً هذه عشر أبطن،
وأنت بريء من قبائلها العشر^١

قال : فجعلتُ أعجب من قوله عشر أبطن^٢ ، فلما رأى
عجبي ، قال : أليس هكذا قول الآخر^٣ :

وكان مجنّبي ، دون من كنتُ أتقي ،
ثلاثُ شخصٍ : كاعبان ومُعصر^٤

وقال أبو زيد : قلتُ للخليل : لم قالوا في تصغير واصل :
أويصل ، ولم يقولوا : وويصل ؟

١ هذا البيت للنواح ، أحد بني كلاب .

٢ أبطن ، واحدها بطن : هو من القوم دون القبيلة ، وكان الأولى أن يقول
عشرة أبطن ، ولكنه أنث لأنه عنى القبيلة .

٣ هذا البيت لمعر بن أبي ربيعة .

٤ المجن : كل ما وقى . الكاعبان ، مثني كاعب : الجارية الناهد . المعصر :
من النساء المدركة .

قال : كرهوا أن يُشبه كلامهم بنبع الكلاب .

وقال أبو الأسود الدؤلي : من العرب من يقول : لولاي
لكان كذا وكذا .

وقال الشاعر^١ :

وكم مَوطنٍ لولاي طِحتَ ، كما هوى

بأجرامه ، من قننة النيق ، منهوي^٢

وكذلك لولا أنتم ولولاكم ، ابتداءً وخبره محذوف .

وقال أبو زيد : وراء وقدّام لا يُصرفان لأنهما مؤنثان ،
وتصغير قدّام قديمة ، وتصغير وراء وريئة ، وقدّام
خمسة أحرف ، لأن الدال مشددة ، فأسقطوا الألف لأنها
زائدة ، ولثلاثا يُصغر اسم على خمسة أحرف .

أبو حاتم قال : يقال أمّ بيّنة الأمومة ، وعم بيّن العمومة .

١ هو يزيد بن الحكم الثقفي .

٢ طحت : هلكت . أجرامه : جسمه . القنة : القمة . النيق : أعلى الجبل .

ويقال : مأموم ، إذا سُجَّ أمُّ رأسه^١. ورجل مُموم : إذا أصابه الموم^٢.

وقال المازني^٣: يقال في حَسْبِ الرجل أُرْفَةٌ^٣ ووَصْمَةٌ وَأُبْنَةٌ، وكذلك يقال للعصا إذا كان فيها عيب . ويقال : قَدَيْتَ عينه ، إذا أصابها الرَّمْدُ . وقد يقال في التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ مثلُ قول الشاعر :

شَرٌّ يَوْمِيهَا ، وَأَخْزَاهَا ، رَكِبْتُ هِنْدُ بَجْدَجٍ جَمَلًا ،
يريد ركبْتُ هِنْدُ بَجْدَجٍ جَمَلًا في شَرِّ يَوْمِيهَا ، وشَرُّ يَوْمِيهَا
نصب لأنه ظرف .

وقد يُسمى الشيء باسم الشيء إذا جاوره . قال الفرزدق :
أخذنا بأفاق السماء عليكم^٤ ، لنا قمرها والنجوم الطوالع^٤
قوله : لنا قمرها : يريد الشمس والقمر .

١ أم الرأس : الجلدة التي تجمع الدماغ .

٢ الموم : الحمى .

٣ الأرفة : العقدة .

٤ الحدج : مركب من مراكب النساء .

وكذلك قولُ الناس في العُمَريْن : أبي بكر وعمر .

قال أبو عُبيدة : المَعِيون : الذي له منظر ولا مخبر .
والمَعِين : الذي قد أصيب بالعين . والمعِين : الماء الظاهر .

أبو عبيدة قال : سمعت رُوْبَةَ يقول : أنا رَيْق ، يريد
على الرَيْق .

الأصمعي قال : لقي أبو عمرو بن العلاء عيسى بن عمر ،
فقال له : كيف رحلك ؟

قال : ما تزداد إلا مثالة .

قال : فما هذه المعبورات التي تتركض؟ يريد ما هذه الحمير
التي تركب؟ يقال : مَعِيوراء ومَشِيوخاء ومَعَبوداء .

قال الأصمعي : إنما يُقال : اقرأ عليه السلام . وأنشد :

اقرأ على عصر الشَّبَابِ تحيَّةً ، وإذ ألقيتَ دَدًا فقطني من دَدٍ

وقال بعض الورّاقين :

رأيتُ يا حمّاد ، في الصَّيْدِ ، أرانبًا تؤخذ بالأيدي

١ الدد : اللهو واللعب .

إِنَّ ذَوِي النَّحْوِ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ،
مَعْرُوفَةٌ بِالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ ،
يَضْرِبُ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا ، وَمَا
يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ زَيْدٍ ؟

•
وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ :

يَا قُرْطَ قُرْطَ حُيَيٍّ لَا أَبَا لَكُمْ ؛
يَا قُرْطُ إِنِّي عَلَيْكُمْ خَائِفٌ حَذَرُ
قُلْتُمْ لَهُ أَهْجُ تَمِيمًا ، لَا أَبَا لَكُمْ ،
فِي فَمِ اقْتَالَ هَذَا الثَّرْبُ وَالْحَجَرُ
فَإِنَّ بَيْتَ تَمِيمٍ ، ذُو سَمْعَتَ بِهِ ،
بَيْتٌ بِهِ رَأْسَتْ فِي عِزِّهَا مُضَرُ

ذُو هُنَا فِي مَكَانِ الَّذِي ، لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ فِي جَمِيعِ
الْأَعْرَابِ . وَهَذِهِ لُغَةٌ طَيِّبَةٌ تَجْعَلُ ذُو فِي مَكَانِ الَّذِي .

•
وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ هَانِيءٍ :

حُبُّ الْمُدَامَةِ ذُو سَمْعَتَ بِهِ ، لَمْ يُبْقِ فِي لَغِيهَا فَضْلًا

١ أَرَادَ بَنِي قُرْطَ بْنَ حَيٍّ .

وبعضُ العرب يقول : لا أباك في مكان لا أباك ، مُضافاً ،
ولذلك ثبتت الألف ، ولو كانت غير مُعربة لقلت : لا أبَ
لك ، بغير ألف . وليس في الإضافة شيء يُشبه هذا لأنه حال
بين المُضاف والمُضاف إليه .

وقال الشاعر^١ :

أبلموتِ الذي لا بدّ أني مُلاقٍ ، لا أباكِ ، تُخوّفيني؟
وقال آخر :

وقد مات شَمَّاخٌ ، ومات مُزَرَّدٌ ،
وأَيُّ كَرِيمٍ ، لا أباكِ ، يُجَلِّدُ؟^٢

وأنشد الفراء لابن مالك العُقيليّ :

إذا أنا لم أومن عليك ، ولم يَكُنْ
لِقَاؤُكَ إلا من وراء وراء

هذا مثل قولهم : بين بين .

وقال محمود الوراق :

مزج الصدودُ وصاهنٌ ، فكان أمراً بينَ بين

•

١ ابو حية النميري .

٢ مزرد بن ضرار ، أخو الشماخ .

وقال الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيداً ، رأيتهم
خضعَ الرِّقاب ، نواكسَ الأبصارِ

قال أبو العباس محمد بن يزيد النحويّ : في هذا البيت شيء مُستطرف عند أهل النّحو . وذلك أنه جمع فاعل على فواعل ، وإذا كان هكذا لم يكن بين المذكر والمؤنث فرّق لأنك تقول : ضاربة وضوارب ، ولا يقال في المذكر فواعل إلا في موضعين ، وذلك قولهم : فوارس وهوالك ، ولكنه اضطرّ في الشعر فأخرجه عن الأصل ، ولولا الضرورة ما جاز له .

وقال أبو عسّان تلميذ أبي عبيدة المعروف بدماذ ،
يخاطب أبا عثمان النحويّ المازنيّ :

تفكّرتُ في النّحو حتى ملّيتُ ، وأتعبتُ نفسي له والبدنُ
وأتعبتُ بكرّاً ، وأصحابه ، بكلّ المسائل في كلّ فن
سوى أنّ باباً ، عليه العفاء ، للفناء يا ليتَه لم يكن
فكنتُ بظاهره عالماً ؛ وكنتُ بباطنه ذا فطن

وللواو بابٌ إلى جنبه، من المَقَّتْ أحسبُه قد لعن
إذا قلتُ : هاتوا، لماذا يُقال لستُ بآتيك أو تآتين
أجيبُوا لما قيلَ هذا كذا على النَّصب، قالوا الاضمار أن
وما إن رأيتُ لها موضِعاً، فأعرف ما قيلَ إلا بظن
فقد خفتُ يا بكرُ من طول ما أفكرُ في أمر أن أن أجنَّ

في الغريب والتعريب^١

دخل أبو علقمة على أَعْيَن الطيب ، فقال : أصلحك الله ،
أكلتُ من لحوم هذه الجَوَازِل^٢ وطسَّيتُ^٣ طسأة ، فأصابني
وَجَعٌ بين الوابلة^٤ ودأية^٥ العنق ، فلم يزل يَنمو ويربُو حتى
خالَطَ الحلب^٦ والشراسيف^٧ ، فهل عندك دواء ؟

قال : نعم ، خذ حَرَبًا^٨ وسلفقًا^٩ وشبرقًا^{١٠} فزهزقه^{١١}

-
- ١ تعريب الكلام : تعويره ، بلوغ غوره .
 - ٢ الجوازِل : فراخ الحمام .
 - ٣ طسَّيتُ : تجمت .
 - ٤ الوابلة : طرف العضد في الكتف .
 - ٥ الدأية : فقرة العنق .
 - ٦ الحلب : حجاب بين القلب وسواد البطن .
 - ٧ الشراسيف ، واحدها شرسوف : رأس الضلع مما يلي البطن .
 - ٨ الحَرَبُ : ضربٌ من الادوية ، ونبت كالسم يغمى على آكله ولا يقتله .
 - ٩ سلفقًا : لا نجد هذه اللفظة في المعاجم ولعلها معرفة على السلق ، وهو كل نبات يؤكل كالهندباء والحيزي .
 - ١٠ الشبرق : نبت من جنس الشوك .
 - ١١ زهزقه : يقال زهزقت الام ولدها : اذا رقصته ، ولا تدري ماذا اراد هنا .

واغسله بماء ذوب^١ واشربه ؛ فقال له أبو علقمة : لم أفهمك ؛
فقال : ما أفهمتك إلا كما أفهمتي .

وقال أبو الأسود الدؤلي لأبي علقمة : ما حال ابنك ؟
قال : أخذته الحمى فطَبَبْتَهُ طَبِخًا ، وَرَضَخْتَهُ^٢ رَضِخًا ،
فَتَرَكْتَهُ فَرَحًا^٣ .

قال : فما فعلت زوجته التي كانت تشاره وتُهاره
وتُماره وتزاره^٤ ؟

قال : طَلَّقَهَا . فَتَزَوَّجْتُ بَعْدَهُ فَحَضَيْتُ وَبَطَيْتُ .

فقال له : قد عرفنا حَضَيْتُ فما بَطَيْتُ ؟

قال : حرف من الغريب لم يَبْلُغَكَ .

فقال : يا ابن أخي ، كل حَرْفٍ لا يعرفه عمُّك فاستره .

ودعا أبو علقمة بِحِجَامٍ يَحْجِمُهُ فقال له : أُنْسِقِ عَسَلًا

١ الذوب : العسل .

٢ رَضَخْتَهُ : كسرتَه ، حطمتَه .

٣ الفرخ : الضعيف المنهوك .

٤ تشاره : تخاصمه . تهاره : تهر في وجهه كما يهر الكلب . تماره : تجادله .

تزاره : تعضه .

المحاجم، واشدّد قصب الملائم^١، وأرّهف ظلمات المشارط،
 وأسرع الوضع، وعجّل التّزع، وليكن شرّطك وخزاً،
 ومصّك نهزاً، ولا ترذّن آتياً، ولا تكرهن آتياً.
 فوضع الحجّام محاجة في جُوته^٢ ومضى عنه.

وسمِع أعرابيّ أبا المكنون السّحوي وهو يقول في دعاء
 الاستسقاء: اللهم ربّنا وإلهنا ومولانا فصلّ على محمد نبيّنا،
 ومن أراد بنا سوءاً فأحيط ذلك السوء به كإحاطة القلائد
 بأعناق الولايد، ثمّ أرسخه على هامته كرسوخ السّجيل^٣
 على هام أصحاب الفيل، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مجذلاً،
 مسخفراً^٤ سخاً سفوحاً طبّقاً^٥ غدقاً^٦ مُشعّجراً^٧، نافعاً

١ الملائم، واحدها ملازم: خشبتان مشدود أوساطهما مجديد تجعل في طرفها
 قناحة أي مفتاح معوج طويل فتلزم ما فيها لزوماً شديداً.

٢ الجوته: سلة مغطاة بجلد.

٣ السجيل: حجارة كاللدر.

٤ المجليل: الذي فيه صوت الرعد.

٥ المسخفر: الكثير الصب الواسع.

٦ طبّقاً: عاماً واسعاً.

٧ الغدق: الكثير.

٨ المتعجر: السحاب المتلى.

لعامتنا ؛ وغيرَ ضارٍّ لخاصتنا .

فقال الأعرابي^١ : يا خليفة نوح ، هذا الطثوفان وربّ
الكعبة ، دعني حتى آوي إلى جبل يعصمني من الماء .

وسمعه مرة أخرى يقول في يوم برد : إن هذا يوم بلثة^١
عصّب^٢ بارد هلّوف^٣ ؛ فارتعد الأعرابي وقال : والله هذا
بما يزيدني برداً .

وخطب أبو بكر المنكور فأغرب في خطبته وتقعّر في
كلامه ، وعند أصل المنبر رجل^٤ من أهل الكوفة يقال له حنش ،
فقال لرجل إلى جنبه : إني لأبغض الخطيب يكون فصيحاً بليغاً
متقعّراً . وسمعه أبو بكر المنكور الخطيب^٥ ، فقال له : ما
أحوجك يا حنش إلى مدحرج^٤ مفتول لئن الجلازه لسدن
المهزّزة عظيم الثمرة^٦ ، تؤخذ به من مغرّز العنق إلى عجب

١ البلة : البلل .

٢ عصّب : شديد .

٣ الهلوف : الثقل البطيء .

٤ المدحرج : المدور ، أراد السوط .

٥ الجلاز : العقب المشدود في طرف السوط .

٦ ثمرة السوط : طرفه .

الذئب^١ فتكثر له رقصاتك من غير جدل .

وقال جيب الطائي :

فما لك بالغريب يدٌ ، ولكن تعاطيك الغريب من الغريب
أما لو أن جهلك عادِ علماً ، إذاً لرسخت في علم الغيوب

ومن قولنا ندح رجلاً باستسهال اللفظ وحسن الكلام :

قولٌ ، كأنَّ قَريده سحرُّه على ذهن اللبيب
لا يَشمزُّ على اللسان ، ولا يَشِدُّ عن القلوب
لم يَعلُ في شنع اللغاتِ ، ولا توَحَّش بالغريب
سيف تقلد مثله ، عطف القضيبي على القضيبي
هذا يُجَدُّ به الرقابُ ، وذا يُجَدُّ به الخطوب

١ عجب الذئب : أصله .

في تكليف الرجل

ما ليس من طبعه

قالوا : ليس الفِقهُ بالتفقه ، ولا الفصاحةُ بالتفصُّح ، لأنه لا يزيدُ مُتَزَيِّدٌ في كلامه إلا لِنَقْصِ يَجِدُهُ في نفسه . ومما اتفقت عليه العربُ والعجمُ قولهم : الطَّبَّعُ أَمَلَكُ .
وقال حَفْصُ بنُ النُّعْمَانِ : المرءُ يَصْنَعُ نفسه فمَتَى مَا تَبَلَّه^١ يَنْزِعَ إِلَى العِرْقِ^٢ .

وقال العَرَجِيُّ :

يَأْيَا الْمُتَحَلِّيَ غَيْرَ سِمَتِهِ ،
وَمِنْ سَمَائِلِهِ التَّبْدِيلُ وَالْمَلْتَقُ
ارْجِعْ إِلَى خِيَمِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدَنُهُ ؛
إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ^٢

١ تبلة : تجر به . ينزع : يميل . العرق : الأصل .

٢ الخيم : الطبيعة . ديدنه : عاداته .

وقال آخر :

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه ،
يدعه ، ويعلبه على النفس خيمها

وقال آخر :

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشيئته ،
وإنْ تخلَّتْ أخلاقاً إلى حين

وقال الحرّمي :

يُلام أبو الفضل في جوده ؛ وهل يملك البحرُ إلاّ يفيضاً؟

وقال أبو الأسود الدؤلي :

ولائمةٍ لامتك ، يا فيض ، في التدي ؛
فقلتُ لها : هل تقدح اللومُ في البحرِ ؟

١ هو ذو الاصبع المدواني ، وهذا البيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

لي ابن عم ، على ما كان من خلق ، مختلفان ، فأقلبه ويقليني

أَرَادَتْ لَتْسِنِي الْفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى؛
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتْنِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ؟

وقال حبيب :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ ، حَتَّى لَوَازَهُ
تَنَاها لِقَبْضِ ، لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

وقال آخر :

وَقَفَّعَ أَطْرَافَهُمْ قَبْضُهَا ، فَإِنْ طَلَبُوا بَسْطَهَا تَنْكَبِرًا

وقالوا : إِنْ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ فَارِسٍ كَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَازِمٌ
مَجْرَبٌ ، فَكَانَ يَصْدِرُ عَنْ رَأْيِهِ وَيَتَعَرَّفُ الْيَمْنَ فِي مَشُورَتِهِ ،
ثُمَّ إِنَّهُ هَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ ، وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدٌ لَهُ مَعْجَبٌ بِنَفْسِهِ
مُسْتَبَدٌّ بِرَأْيِهِ ، فَلَمْ يُنْزَلْ ذَلِكَ الْوَزِيرَ مِنْزَلَتَهُ وَلَا اهْتَبَلَ^٢
رَأْيَهُ وَمَشُورَتَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ أَبَاكَ كَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا
دُونَهُ .

١ قفع : قبض .

٢ اهتبل : اغتتم .

فقال : كان يَعْلَطُ فِيهِ وَسَامَتْحَنهُ بِنَفْسِي .
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهُمَا أَغْلَبُ عَلَى الرَّجُلِ : الْأَدَبُ
أَوْ الطَّبِيعَةُ ؟

فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : الطَّبِيعَةُ أَغْلَبُ لِأَنَّهَا أَسْلُ وَالْأَدَبُ فَرَعُ ،
وَكَلُّ فَرَعٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ .

فَدَعَا الْمَلِكُ بِسُفْرَتِهِ ، فَلَمَّا وُضِعَتْ أَقْبَلَتْ سَنَانِيرُ بِأَيْدِيهَا
الشَّمْعُ فَوَقَفَتْ حَوْلَ السُّفْرَةِ ، فَقَالَ لِلْوَزِيرِ : اعْتَبِرْ خَطَأَكَ
وَضَعْفَ مَذْهَبِكَ ، مَتَى كَانَ أَبُو هَذِهِ السَّنَانِيرِ شَمَاعًا ؟

فَسَكَتَ عَنْهُ الْوَزِيرُ ، وَقَالَ : أَمَهَّلَنِي فِي الْجَوَابِ إِلَى اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ .

فَقَالَ : ذَلِكَ لَكَ .

فَخَرَجَ الْوَزِيرُ ، فَدَعَا بَعْلَامَ لَهُ ، فَقَالَ : التَّمِيسُ لِي فَأَرَأِ
وَارْبُطْهُ فِي خَيْطٍ وَجِئْنِي بِهِ .

فَأَتَاهُ بِهِ الْغَلَامُ ، فَعَقَدَهُ فِي سَبْنِيَّةٍ^١ وَطَرَحَهُ فِي كَمِّهِ ، ثُمَّ
رَاحَ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْمَلِكِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْ سُفْرَتُهُ أَقْبَلَتْ السَّنَانِيرُ
بِالشَّمْعِ حَتَّى حَقَّتْ بِهَا ، فَحَلَّ الْوَزِيرُ الْفَارَ مِنْ سَبْنِيَّتِهِ ، ثُمَّ
أَلْقَاهُ إِلَيْهَا ، فَاسْتَبَقَتْ السَّنَانِيرُ إِلَيْهِ وَرَمَتْ الشَّمْعَ حَتَّى كَادَ
الْبَيْتُ يَضْطَرُّمُ عَلَيْهِمْ نَارًا . فَقَالَ الْوَزِيرُ : كَيْفَ رَأَيْتَ

١ السَّبْنِيَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ تَتَّخَذُ مِنَ مَشَافِقِ الْكُتَّانِ .

عَلَبَةُ الطَّبِيعَةِ عَلَى الْأَدَبِ ، وَرُجُوعَ الْفَرَعِ إِلَى أَصْلِهِ ؟

قال : صدقت .

ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه . فإنما مدار كل شيء
على طبيعه ، والتكلف مذموم من كل وجه .

قال الله ، تبارك وتعالى ، لنبِيِّهِ ، صلى الله عليه وسلم : قل يا

محمد : « وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ . »

وقالوا : من تطبّع بغير طبيعه نزعته العادة حتى تردّه

إلى طبيعه ، كما أنّ الماء إذا أسخنته ثم تركته ساعة عاد إلى

طبيعه من البرودة ، والشجرة المُرّة لو طليتها بالعسل لا تُثمر

إلا مُرّاً .

في ترك المشاركة والممارسة

دخل السائب بن صَيْفِيَّ عَلَى النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ،
فقال : أتعرفني يا رسول الله ؟

قال : وكيف لا أعرف شريكِي في الجاهلية الذي كان لا
يُشارِي ولا يمارِي ؟

وقال ابن المقفّع : المشاركة والممارسة تُفسدان الصداقة
القديمة ، وتحلان العقدة الوثيقة ، وأيسر ما فيها أنهما ذريعة
إلى المنافسة والمغالبة .

وقال عبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى : لا تمارِ أخاك فإما أن
تغضبه وإما أن تكذبه .
وقال الشاعر :

فإيتاك إياك المراء ، فإنه
إلى السبِّ دعاءٌ وللصرم جالبٌ^٢

١ المشاركة : المجادلة والملاجة ، والمبايعة . الممارسة : المنازعة ، والملاجة .
٢ الصرم : قطع الصداقة .

وقال عبدُ الله بن عباس : لا تُمارِ فقيهاً ولا سفيهاً ، فإن
الفقيه يَغلبك والسَّفِيه يُؤْذيك .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : سَبَابِ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ
وَقِتَالُهُ كُفْرٌ .

في سوء الادب

دخل عروة بن مسعود الشَّقْفِيَّ على النبيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، فجعل يحدِّثه ويُشير بيده إليه حتى تمسَّ لحِيَّتَه ، والمعيرة ابنُ شعبة واقفٌ على رأس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيده السيفُ ، فقال له : اقبض يدك عن حِلْيَةِ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قبل أن لا ترجع إليك .

فقبض عروة يده ، وعروة هذا هو عظيم القريتين الذي قالت فيه قريش : لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيم . ويقال إنه الوليد بن المعيرة المخزومي .

ولما قدِمَ وفدُ تميم على النبيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، ناداه رجل منهم من وراء الجدار : يا محمد ، اخرج إلينا .

فأنزل الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . »

وفي قراءة ابن مسعود : « بنو تميمٍ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . »
وأنزل الله في ذلك : « لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا . »

ونظر أبو بكر الصّدِّيق ، رضي الله عنه ، إلى رجل يبيع
ثوباً ، فقال له : أتبيع الثوبَ ؟

قال : لا عافاك الله .

قال : لقد علمتم لو تتعلمون ، قل : لا ، وعافاك الله .

وخطب الحسن في دم ؛ فأجابه صاحبُ الدم ، فقال : قد
وضعتُ ذلك الدم لله ولو جوهكم .

قال له الحسن : ألا قلت : قد وضعتُ ذلك لله خالصاً ؟



وذكر أعرابي رجلاً بسوء الأدب فقال : إن حدّثته سابقك
إلى ذلك الحديث ، وإن تركته أخذ في الترهّات .

ودخل بعضُ الرّواة على المهديّ ، فقال له : أنشدني
قولَ زهير :

لمن الديار بقُتّة الحِجر

فأنشدها حتى أتى على آخرها . فقال له المهديّ : ذهب
والله من كان يقول هذا .

فقال له : كما ذهب والله من يُقال فيه .

فاستجبه واستحمله .

ولما رفع فطربُ النّحوي كتابه في القرآن إلى المأمون ،

أمر له بجائزة ، وأذن له . فلما دخل عليه قال : قد كانت عِدَّة
أمير المؤمنين أرفع من جائزته .

فغَضِبَ المأمونُ وهمَّ به . فقال له سهل بن هارون : يا أمير
المؤمنين ، إنه لم يَقُلْ بذات نفسه ، وإنما غلب عليه الحَصْرُ ،
ألا تراه كيف يَرَشَحُ جبينهُ ويكسِرُ أصابعه ؟
فسكَّن غضبُ المأمون واستجمله واستحَمَّقه .

وكان الحسنُ اللؤلؤيَّ ليلةً عند المأمون بالرقَّة وهو
يسامرُه ، إذ نَعَسَ المأمونُ والحسنُ يحدِّثُه ، فقال له : نَعَسْتَ
يا أمير المؤمنين .

فانتبه فقال : سُوقِيَّ وربَّ الكعبة ، يا غلام ، خذ بيده .
ودخل أبو النّجْم على هشام بن عبد الملك بأرجوزته
التي أوَّها :

الحمد لله الوهُوبِ المُجْزِلِ

وهي من أجودِ شعْره . فاستحسنها هشام وأصغى إليها .
فلما أتى على قوله :

والشمسُ في الجوّ كعينِ الأحولِ

١ الحصر : العي عن النطق .

غضب هشامٌ وكان أحولَ ، فأمر بصفع قفاه وإخراجه .

ودخل كُثَيِّرَ عَزَّةَ على يزيد بن عبد الملك ، فبينما هو
يحدِّثه إذ قال : يا أمير المؤمنين ، ما معنى قول الشَّمَّاخِ :
إذا الأرطى تَوَسَّدَ أبوديهِ ١ خدودُ جوازيءٍ بالرَّمْلِ عَيْنِ ١
فقال له يزيد : وماذا على أمير المؤمنين ألا يعرف ما
قال هذا الأعرابيُّ الجِلْفُ مثلك ، واستحمقه وأمر بإخراجه .
ودخل كُثَيِّرَ عَزَّةَ على عبد العزيز بن مروان فأنشده
مدحته التي يقول فيها :

وأنتَ ، فلا تُفَقِّدَ ، ولا زال مِنكُمُ
إِمامٌ يُحْيِي في حِجَابِ مُسَدَّنِ ٢
أشْمُ من الغادين ، في كُلالِ حُلَّةِ ،
يمسِّون في صَبغِ من العَصَبِ مُتَقِنِ ٣

١ الأرطى : شجر ينبت بالرمل . الإبردان : الظل والقيء . الجوازيء ، واحدها
جازئة : البقرة الوحشية . العين ، واحدها عيناة : التي عظم سواد عينيها في
سعة ، وهذا من صفات البقر الوحشي .

٢ مسدن : مرسل .

٣ العصب : ضرب من برود اليمن .

لهم أزرُّ حُمُرُ الحِوَاشِي ، يَطَوُّنَهَا
بأقدامهم ، في الحَضْرَمِيِّ المُلَسِّنِ

فاستَحْسِنَهَا وقال له : سَل حاجَتَكَ .

فقال : توأبني مكانَ ابنِ رَمَّانَةَ كاتبِكَ .

فقال له : ويلك ! ذا كاتبٌ وأنتَ شاعرٌ ، فكيفَ تَقومُ

مَقامَهُ وتَسُدُّ مَسدَّهُ ؟

فلما خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ندمَ ، وقال :

عَجِبْتُ لأخْذِي خُطَّةَ العَجَزِ ، بعدما

تَبَيَّنَ ، مِنْ عبدِ العَزِيزِ ، قَبُولُهَا

لئنَ عادَ لي عبدُ العَزِيزِ بِمِثْلِهَا ،

وَأمكنني مِنْهَا ، إِذَا لا أَقولُهَا



ووقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية،

فأذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث ، فأصرع محمد في مشيته

حتى دخل قبل الأحنف . فلما رآه معاوية قال له : والله إني

ما أذنتُ له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله ، وإنما كما نلي

١ يطونها : مسهل يطؤونها . الحَضْرَمِيِّ : نعل تنسب الى حضرموت . الملسن من

النعال : ما فيه طول ولطافة على هيئة اللسان .

أُمُورَكَم كَذَلِكَ نَبِي أَدْبِكُمْ ، وَلَا يَزِيدُ مُتَزَيِّدٌ فِي أَمْرِهِ إِلَّا
لِنَقْصِ يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : ثَلَاثَةٌ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ
يَسْتَخْفِيَ بِهِمْ : الْعُلَمَاءُ وَالسُّلْطَانُ وَالْإِخْوَانُ . فَمَنْ اسْتَخْفَى
بِالْعُلَمَاءِ أَفْسَدَ دِينَهُ ، وَمَنْ اسْتَخْفَى بِالسُّلْطَانِ أَفْسَدَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ
اسْتَخْفَى بِالْإِخْوَانِ أَفْسَدَ مَرْوَتَهُ .

•
وَقَالَ أَبُو الزُّنَادِ : كُنْتُ كَاتِبًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
فَكَانَ يَكْتُبُ إِلَيَّ عَبْدُ الْحَمِيدِ عَامِلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْمَظَالِمِ فَيُرَاجِعُهُ
فِيهَا ، فَكْتُبُ إِلَيْهِ : إِنَّهُ يَحْتَمِلُ إِلَيَّ أَنِي لَوْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَنْ
تُعْطِي رَجُلًا شَاةً ، لَكَتَبْتُ إِلَيْكَ : أَضَانًا أَمْ مَعْرَآ؟ وَلَوْ كَتَبْتُ
إِلَيْكَ بِأَحَدِهِمَا لَكَتَبْتُ إِلَيْكَ : أَذْكَرًا أَمْ أُنْثَى؟ وَلَوْ كَتَبْتُ
إِلَيْكَ بِأَحَدِهِمَا لَكَتَبْتُ : أَصْغِيرًا أَمْ كَبِيرًا؟ فَإِذَا كَتَبْتُ إِلَيْكَ
فِي مَظْلَمَةٍ فَتَقَدَّ أَمْرِي وَلَا تَرَاجِعْنِي فِيهَا .

وَكْتُبُ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَيَّ سَلَمٌ بِنُ قُتَيْبَةَ ، يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ دُورٍ
مَنْ خَرَجَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَقَرَ نَخْلَهُمْ ، فَكْتُبُ إِلَيْهِ :
بِأَيِّ ذَلِكَ نَبَدْنَا ، بِالذُّورِ أَوْ بِالنَّخْلِ ؟
فَكَتَبُ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنِّي لَوْ أَمَرْتُكَ بِإِفْسَادِ تَمْرِهِمْ ،

١ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب .

لكنبتَ : بأيّ ذلك نبدأ؟ بالصّيحاني^١ أم بالبرني^٢؟ وعزّله
وولّى محمد بن سليمان .

ولحمود الوراق :

كم قد رأيتَ مساءةً، من حيثَ تطمع أن تُسّرّاً
ولربما طلب الفتى، لأخيه ، منفعة ففصّرّاً

ودخل عديّ بن أرطاة على 'شريح القاضي' فقال له : أين
أنت أصلحك الله ؟

قال : بينك وبين الحائط .

قال : اسمع مني .

قال : قلْ نسمع .

قال : إني رجل من أهل الشام .

قال : مكان سحيق .

قال : وتزوّجتُ عندكم .

قال : بالرّفاء والبنين .

قال : وأردتُ أن أرحلها .

١ الصيحاني : ضرب من تمر المدينة أسود صلب المضفة .

٢ البرني : ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر .

قال : الرَّجُلُ أَحَقُّ بِأَهْلِهِ .

قال : وَشَرَطْتُ لَهَا دَارَهَا .

قال : الشَّرْطُ أَمْلَكُ .

قال : فَاحْكُمِ الْآنَ بَيْنَنَا .

قال : قَدْ فَعَلْتُ .

قال : فَعَلَى مَنْ حَكَمْتَ ؟

قال : عَلَى ابْنِ أُمَّكَ .

قال : بِشَهَادَةِ مَنْ ؟

قال : بِشَهَادَةِ ابْنِ أُخْتِ خَالَتِكَ .

أَرَادَ شَرِيحَ إِقْرَارِهِ عَلَى نَفْسِهِ بِالشَّرْطِ . وَكَانَ شَرِيحَ صَاحِبِ

تَعْرِيفِ عَوِيصِ .

وَدَخَلَ شَرِيكَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ يَتَبَخَّرُ بِعُودٍ ،

فَقَالَ لِلْخَادِمِ : جِئْنَا بِعُودٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ .

فَجَاءَ بِبَرْبُوطٍ ١ .

فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ : اكْسِرْهُ ، وَيْلَكَ .

وَقَالَ لَشَرِيكَ : أَخَذُوا الْبَارِحَةَ فِي الْحَرَسِ رَجُلًا وَمَعَهُ

هَذَا الْبَرْبُوطِ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي عِيِّ الْخَادِمِ :

١ البربط : العود يعزف به .

ومتى أَدْعُهَا بِكَأْسٍ ، من الماء ، أَتَنِي بِصَحْفَةٍ وَزَيْبٍ

وقال حبيبٌ في بني تغلبٍ من أهل الجزيرة يَصِفُهُم بِالْجَفَاءِ
وَقِلَّةِ الْأَدَبِ مَعَ كَرَمِ النَّفُوسِ :

لَا رِقَّةَ الْحَضَرِ اللَّطِيفِ غَدَتَهُمْ ،
وَتَبَاعَدُوا عَنِ فِطْنَةِ الْأَعْرَابِ
فَإِذَا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ ، لَدَيْهِمْ ،
كَرَمَ النَّفُوسِ وَقِلَّةَ الْأَدَابِ

وكان فتى يُجَالِسُ الشَّعْبِيَّ ، وكان كثيرَ الصَّمْتِ ،
فالتفت إلى الشَّعْبِيَّ ، فقال له : إني لأجد في قفاي حِكْمَةً ،
أفتأمرني بالحِجَامَةِ ؟

فقال الشَّعْبِيُّ : الحمد لله الذي حوَّلنا من الفِقه إلى الحِجَامَةِ .
قال : وأتى أحمد بن الحُصَيْبِ بعضُ المتظلمين يوماً ،
فأخرج رجله من الرِّكَّابِ فَرَكَلَهُ^١ بها . فقال فيه الشاعر :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ؛
اشْكُلْ^٢ وَزِيرَكَ إِنَّهُ رَكَالٌ^٣

١ ركله : بطه .

٢ اشكله : اجعل الشكال في رجله ، والشكال : وثاق بين يد الدابة ورجلها .

في تمحك الفتى

قيل لعمر بن الخطاب : إن فلاناً لا يعرف الشر .

قال : ذلك أحرى أن يقع فيه .

وقال سفيان الثوري : من لم يحسن أن يتفتى^١ لم يحسن

أن يتقرى^٢ .

وقال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذي يعرف الخير

من الشر ، إنما العاقل الذي يعرف خير الشرين ، ومثل ذلك

قول الشاعر :

رَضِيتُ بْبَعْضِ الذُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ ؛

كَذَلِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب ، رضي الله

عنه ، فقال : كان والله له فضل يمنع من أن يجحد ، وعقل يمنع

من أن ينخدع .

١ يتفتى : يعمل عمل الفتيان .

٢ يتقرى ، مسهل يتقرأ : يتنسك .

قال إياس : لستُ بِجَبِّبٍ^١ ، والحَبُّبُ لا يَجِدُعُنِي .

وتجاذل ابنُ سيَورين والحَسَنُ ، وكان الحسنُ يُرى كلَّ مُسلمٍ
جائز الشهادة حتى تَظْهَر عليه سَقَطَةٌ أو يُجِرِّحُه المشهود عليه ،
وكان إياسٌ لا يُرى ذلك ، فأقبلَ رجلٌ إلى الحسن ، فقال :
إنَّ إياساً رَدَّ شهادتي .

فقام معه الحسنُ إليه ، فقال : أبا وائلة ، لمَ رددتَ شهادة
هذا المُسلم؟ فقد قال ، صلى الله عليه وسلم : من صلى إلى قِبَلتنا
فهو المُسلم ، له ما لَنَا وعليه ما علينا .

فقال له إياسٌ : يا أبا سعيد ، يقول الله تعالى : «مَنْ تَرَضَوْنَ
مِنَ الشُّهَدَاءِ . » وهذا ممن لا تَرْضاه .

وكان عامرُ بنُ عبد الله بن الزُّبير في غاية الفضل والدين ،
وكان لا يَعْرِفُ الشَّرَّ ، فبينما هو جالسٌ في المسجد ، إذ أتى
بعطائه ، فقام إلى منزله فَنَسِيه . فلما صار في بَيْتِه ذكره ،
فقال لخادمه : اذهب إلى المسجد فائتني بعطائي .

فقال له : وأين نَجِدُه ؟

قال : سبحان الله ! أوبَقِي أَحَدٌ يأخذ ما ليس له ؟

١ الحَبُّبُ : الخداع .

وقال أيّوب: مِنْ أَصْحَابِي مَنْ أَرْتَجِي بِرِكَتِهِ دُعَائِهِ وَلَا أَقْبِلُ
شَهَادَتَهُ .

وذكرت فاطمة بنت الحسين، عليهما السلام، عند عمر بن عبد
العزیز وكان لها مُعْظَمًا، فقیل إنها لا تعرف الشر؛ فقال عمر:
عَدِمُ مَعْرِفَتَهَا بِالشَّرِّ جَنَّبَهَا الشَّرَّ .

•
وكانوا يَسْتَحْسِنُونَ الحُنْكَةَ للفقى والصَّبِوَةَ للحدث،
ويكرهون الشَّيْبَ قبل أوانه، ويُشَبِّهُونَ ذلك بِيُبُوسِ الثَّمَرَةِ
قبل نُضْجِهَا، وأنَّ ذلك لا يَكُونُ إِلَّا مِنْ ضَرَرٍ فِيهَا. فأَنفَعُ
الِأَخْوَانِ مَجْلِسًا، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً، وَأَشَدُّهُمْ حِذْقًا،
وَأَنْبَهُهُمْ نَفْسًا، مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالشَّاطِرِ المُتَفَتِّكِ، وَلَا الزَّاهِدِ
المُتَنَسِّكِ، وَلَا المَاجِنِ المُتَظَرِّفِ، وَلَا العَابِدِ المُتَقَشِّفِ، وَلَكِنْ
كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

يَا هِنْدُ، هَلْ لِكَ فِي شَيْخٍ فَتَى أَبْدَأُ؛
وَقَدْ يَكُونُ شَبَابٌ غَيْرَ فِتْيَانِ

وقال آخر :

وَفَتَى، وَهُوَ قَدْ أَنَا فَعَلَى الحَمْسِينَ،
يَلْتَقَاكَ فِي ثِيَابِ غُلامِ

١ الشاطر: المتصف بالدهاء والحباثة. المتفتك، من فتتك في امره: أخذ فيه
لا يشاور احداً ولا ينتصح .

وقال آخر :

فَلْيَلْبَسْكَ مِنِّي جَانِبٌ لَا أُضِيعُهُ ؛
وَلَلَّهٗو مِنِّي وَالْبَطَالَةَ جَانِبٌ

وقال حبيب :

كَهْلُ الْأَنَاةِ فِي الشَّدَاةِ ، إِذَا عَدَا
لِلرَّوْعِ كَانَ الْقَشْعَمَ الْغَطْرِيفَا

ومن قولنا في هذا المعنى :

إِذَا جَالَسَ الْفَتِيَانَ الْفَيْتَهُ فِتِيٌّ ؛
وَجَالَسَ كَهْلَ النَّاسِ الْفَيْتَهُ كَهْلًا

ونظيره قول ابن حطّان :

يَوْمًا يَمَانٍ ، إِذَا لَاقَيْتَ ذَا يَمَنِ ؛
وَإِنْ لَقَيْتَ مَعْدِيًّا ، فَعَدْنَانِي

وقول عمران بن حطّان هذا يحتمل غير هذا المعنى ، إلا أن هذا أقرب إليه وأشبه به ، لأنه أراد أنه مع اليماني يمانيّ ومع العدناني عدنانيّ ، فيحتمل أن ذلك لحوف منه أو مساعدة ، وكل ذلك داخل في باب الحُنُكَةِ والحِدْقِ والتَّجْرِبَةِ .

١ الشداة : الحدة . القشعم : الأسد . الغطريف : السيد الشريف .

وقالوا : اصحَبَ البَهِرَ لتتأسَى به ، والفاجِرَ لتتحنَّك به .
وقالوا : مَن لم يصحَب البَهِرَ والفاجِرَ ولم يؤدِّبه الرِخاءُ
والشِّدَّةَ مرَّةً ، ولم يخرج من الظِّلِّ إلى الشَّمْسِ مرَّةً ،
فلا ترجُه .

ومن هذا قولهم : حَلَبَ فلانٌ الدهرَ أَشْطَرَه ، وشَرِبَ
أفأويقه ، إذ فهمَ خيرهَ وشَرَّه ، فإذا نَزَلَ به الغيبي عَرَفَه ولم
يُبْطِرَه ، وإذا نَزَلَ به البلاء صبر له ولم يُنكَرَه .
وقال هُدبَةُ العُدْرِيّ :

ولستُ بمفراح ، إذا الدهرُ سرَّني ؛
ولا جازعٍ مِن صرفه المُتقلِّبِ
ولا أتمنى الشَّرَّ ، والشَّرُّ تاركِي ،
ولكن متى أُحمِلَ على الشَّرِّ أُرْكب

وقال عبدُ العزيز بن زُرارة في هذا المعنى :

قد عَشْتُ في الدهرِ أطواراً على طرُقِي
شئِي ، فصادفتُ منه اللينَ والفظعاً
كلاًّ بِلوتٍ ، فلا التَّعماءُ تُبْطِرُنِي ،
ولا تخشَعْتُ مِن لأوائِهِ جَزَعاً

١ الأواء : الشدة .

لا يملأ الأمرُ صدري ، قبلَ وقعتيه ؛
ولا أضيّقُ به ذرعاً ، إذا وَقَعَا

وقال آخراً :

فإن تهديمُوا بالعدرِ داري ، فإنها
توثُ كَرِيمٍ لا يخافُ العواقبِ
إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ،
وأضربَ عن ذكرِ العواقبِ جانباً
ولم يستشير ، في أمره ، غيرَ نفسه ؛
ولم يرضَ ، إلا قائمَ السيفِ ، صاحباً
سأغسلُ عني العارَ بالسيفِ ، جالباً
عليّ قضاءَ الله ، ما كانَ جالباً

وسئلت هندُ عن معاوية ، فقالت : والله لو جُمِعت
قريشٌ من أقطارها ثم رُمي به في وسطها لخرَجَ من أي
أعراضها شاء .

١ هو سعد بن نashed من بني مازن ، أصاب دماً فهدم بلال بن أبي بردة داره .

وهذا نظير قول الشاعر :

بَرَّتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ
أَصَابَهُ ، إِلَّا عِرَاكَ بْنَ فَائِلٍ
وَعَلِمِي بِهِ ، بَيْنَ السَّمَاطِينَ ، أَنَّهُ
سَيَنْجُو بِحَقِّ ، أَوْ سَيَنْجُو بِبَاطِلٍ

وقال آخر :

لئن كنت محتاجاً إلى الحليم ، إنني
إلى الجهل ، في بعض الأحيان ، أخرج
وما كنت أرضى الجهل خدناً وصاحباً ؛
ولكنني أرضى به حين أخرج
فإن قال قومٌ : إن فيه سماجةً ؛
فقد صدقوا ، والذلل بالحر أسمج
ولي فرسٌ ، للحليم ، بالحليم ملجهم ؛
ولي فرس ، للجهل ، بالجهل مسرج
فمن شاء تقويي ، فإني مقوم ؛
ومن شاء تعويجي ، فإني معوج

وقال معاوية في سفيان بن عوف الغامدي : هذا الذي لا

يُكْفِكُفُّ من عَجَلَةٍ ، ولا يُدْفَع في ظهره من بُطء ، ولا
يُضْرَب على الأمور ضَرْبَ الْجَمَلِ الثَّقَالِ ١ .

وقال الحسنُ بن هانئٍ :

مَنْ للجِذَاعِ ، إِذَا المَيْدَانُ مَاطَلَهَا ،
بِشَاوٍ مُطَّلَعِ الغَايَاتِ ، قَدْ قَرَحَا ٢
مَنْ لَا يُغَضِّضُ مِنْهُ البُؤْسُ أَمْلَةً ؛
وَلَا يُصَعِّدُ أَطْرَافَ الرُّبِيِّ فَرَحَا ٣

وقال جرير :

وَابْنُ اللَّبُونِ ، إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنِ ،
لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُؤُولِ القِنَاعِيْسِ ٤

١ الثقال: البطيء .

٢ الجذاع ، واحدها جذع : الفرس اذا استتم سنتين ودخل في الثالثة . ماطلها
الميدان : طال عليها . الشأو : السبق . قرح الفرس : اذا تمت اسنانه .

٣ يغضض : ينقص . يصعد : يرتقي . وقوله : لا يصعد اطراف الربى فرحاً ،
أي لا يبطره الغنى .

٤ ابن اللبون : هو من الابل ما أتى عليه سنتان ودخل في الثالثة فصارت أمه
لبوناً ، اي ذات لبن . لز في قرن : شد به وضيق عليه . البازل من الابل :
الذي استكمل الثامنة ودخل في التاسعة ، وفطر نابيه . القناعيس ، واحدها
قنعاس : العظيم من الابل .

في الرجل النفاع الضرار

يقال : إنه حُرَّاج ولا سَّج ، وإنه حُؤْوَل قُلَّسَب ، إذا كان متصرفاً في أموره ، نفعاً لأوليائه ، ضراراً لأعدائه .

وإذا كان على غير ذلك ، قيل : ما يُجْنِي ولا يُمِير ، ولا يُعَدُّ في العير ولا في النَّفِير^١ ، وما فيه خير يُرْجَى ولا شرٌّ يُتَّقَى .

وقال بعضهم : لا يَرْضَى العاقلُ أن يكون إلا إماماً في الخير والشر .

وقال الشاعر^٢ :

إذا أنت لم تنفع ، فضرر ، فإنما يُرْجَى الفتى ، كما يضرُّ وينفعا

وقال حبيب :

ولم أرَ نفعاً عند من ليس ضاراً ؛

ولم أرَ ضرراً عند من ليس ينفع

١ العير : القافلة . النفير : اراد الذهاب الى الحرب .

٢ هذا البيت لقيس بن الخطيم .

وسمع أعرابي رجلاً يقول : ما أتى فلانُ بيومٍ خيرٍ قطُّ .

فقال : إن لا يكن أتى بيومٍ خيرٍ فقد أتى بيومٍ شرٍ .

وقال الشاعر :

وما فعلتُ بنو ذُبيانَ خيراً ؛ ولا فعلتُ بنو ذُبيانَ شراً

وقال آخرُ :

قَبَّحَ الإلهُ عداوةً لا تُنقَى ، وقِرابَةً يُدلى بها لا تُنفعُ

وفَجَّرَ رجلٌ فقال : أبي الذي قتل الملوكة ، وعَصَبَ المنايرُ ،

وفعل وفعل .

فقال له رجلٌ : لكنه أُسرَ وقُتِلَ وصُلِبَ .

فقال : دعني من أسره وقتله وصلبه ؛ أبوك هل حدثت

نفسه بشيءٍ من هذا قطُّ ؟

وقال رجلٌ من العرب يذمُّ قومه وأغارت بنو شيبان على

إبله فاستجدهم ، فلم ينجدوه ، وكان فيهم ضعفٌ ، فقال فيهم^٢ :

١ هو أبو تمام .

٢ هذه الايات لقريط بن ائيف احد شعراء بلعبر .

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحِ إبلي
 بنو اللقيطة ، من ذهلِ بن سيبانا
 إذاً لقام بنصري معشره خشن
 عند الحفيظة ، إن ذو لوثة لانا
 قومٌ ، إذا الشرُّ أبدى ناجديه لهم ،
 طاروا إليه زرافات ووحدانا
 لا يسألون أخاهم حين يندبهم ،
 في النساءِ ، على ما قال بُرهانا
 لكنَّ قومي ، وإن كانوا ذوي عدد ،
 ليسوا من الشرِّ في شيء وإن هانا
 يجزون من ظلم أهلِ الظلم مغفرةً ؛
 ومن إساءةِ أهلِ السوءِ إحساناً
 كأنَّ ربَّك لم يخلقْ ، لإحشيتِه ،
 سواهم ، من جميعِ الناس ، إنساناً
 فليت لي بهم قوماً ، إذا ركبوا ،
 سئوا الإغارة فُرساناً ورُكباناً ٢

١ اللوثة : الضعف . الحمق .

٢ قوله بهم : أي بدلا منهم .

ولم يُرد بهذا أنه وصفهم بالحلم ولا بالخشية لله، وإنما أراد
به الذل والعجز، كما قال النجاشي في رهط تميم بن مقبل:

قَبِيلَتُهُ لَا يَخْفِرُونَ بِذِمَّةٍ؛
وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ^١
وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً،
إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنَهْلٍ

•
وكل من نفع في شيء فقد ضرَّ في شيء. وكذلك قول أشجع
ابن عمرو:

يَصْطَادُ أَعْنَاقًا بِمَنْصُلِهِ؛ وَيَفُكُّ أَعْنَاقًا مِنَ الرَّقِّ^٢

•
وقال الحسن بن هانئ:

يَرْجُو وَيُخْشَى حَالَتَيْكَ الْوَرَى؛ كَأَنَّكَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ

•
ومن قولنا في هذا المعنى:

مَنْ يَرْتَجِي غَيْرَكَ، أَوْ يَتَّقِي؟
وَفِي يَدَيْكَ الْجُودُ وَالْبَاسُ

١ خفر الذمة: نقضها.

٢ المنصل: السيف.

ما عَشَتَ عَاشَ النَّاسُ فِي نِعْمَةٍ؛
وَإِنْ تَمَّتْ مَاتَ بِكَ النَّاسُ

•

وقال آخر :

وَلَيْسَ فِتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى
لِشُرْبِ صَبُوحٍ ، أَوْ لِشُرْبِ غَبُوقِ
وَلَكِنْ فِتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى
لِضَرِّ عَدُوٍّ ، أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

•

في طلب الرغائب

واحتمال المغارم

في كتاب الهند: من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب؛
ومن ترك الأمر الذي لعلته أن ينال منه حاجته مخافة ما لعلته
يوقته فليس ببالغ جسيماً، وإن الرجل ذا المروءة ليكون
خامل الذكركر خافض المنزلة، فتأبى مروءته إلا أن يستعلي
ويرتفع، كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا
ارتفاعاً؛ وذو الفضل لا يخفى فضله وإن أخفاه، كالمسك
الذي يُختم عليه ثم لا يمتنع ذلك ريحه من التذكي والظهور.

ومن قولنا في هذا المعنى :

ختمت فأرة مسك ، فأبت إلا التذكي
ليس يخفى فضلُ ذي الفضل ، بزورٍ وبإفك
والذي برز ، في الفضل ، غني عن مذكي
ربما غم هلال ال فطر، في ليلة شك

١ فأرة المسك : وعاءه . التذكي ، من تذكي : سطعت رائحته .

ثم جَلَّتْ وجهه النُّو رُ ، فَجَلَّتْ كُلَّ حَلِكِ ١
 إِنَّ ظَهَرَ اليمِّ ، لا تَرُ كبه من غير فُلِكِ ٢
 ونِظامَ الدرِّ ، لا تَعُدُّ قِده من غير سِدِّك
 ليسَ يَصْفُو الذَّهَبَ الإِبْرُ ريزُ ، إلا بعدَ سَبِكِ
 هذه جُمْلَةٌ أمثا لِ ، فمن شاءَ فَيَحْكِي
 أبطلتْ كُلَّ مَيَانِيٍّ وشاميٍّ ومكِّي
 ليسَ ذا مِن صَوْغِ عَيْ نِيٍّ ، ولا مِن نَسِجِ عَكِّي ٣

وقالوا: لا يَنْبَغِي للعَاقِلُ أن يكونَ إلا في إحدى مَنزِلَتين: إما في الغاية من طَلَبِ الدُّنْيَا؛ وإمَّا في الغاية من تَرْكِهَا. ولا يَنْبَغِي لَهُ أن يُرَى إلا في مَكَانين: إمَّا مع الملوِكِ مُكْرَمًا؛ وإمَّا مع العُبُودِ مُتَبَتَّلًا. ولا يُعَدُّ العُرْمُ عُزْرًا إذا ما ساقَ عُزْمًا؛ ولا العُنْمُ عُزْمًا إذا ما ساقَ عُزْرًا. ونظَرُ معاوِيَةَ إلى عسْكَرِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يَوْمَ صِفِّينَ ،

١ الحلك : شدة السواد .

٢ الفلك : السفينة .

٣ اراد باليميني الشاعر ابا اسحاق العنزي ، منسوباً الى عين تمر ، وبالعكبي شاعراً يلقب بهذا اللقب ، منسوباً الى عك ، بلد في اليمن .

فقال : مَنْ طَلَبَ عَظِيماً خَاطَرَ بِعَظِيمَتِهِ ؛ وَأَشَارَ إِلَى رَأْسِهِ .

وقال حبيب الطائي :

أَعَاذِلْتِي ! مَا أَخْشَنَ اللَّيْلَ مَرُّ كِبَاءٍ ؛
وَأَخْشَنَ مِنْهُ فِي الْمَلِمَّاتِ رَاكِبُهُ
ذَرِينِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أَقَاسِيهَا ؛
فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ

وقال كعب بن زهير :

وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْهَوَالَ بُغْيَةً ؛
وَلَيْسَ لِرَحَلٍ حَطَّهُ اللَّهُ حَامِلٌ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَقِي ،
أَصَبْتَ حَلِيمًا ، أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

وقال الشَّماخ :

فَتَسَى لَيْسَ بِالرَّاضِي بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ ،
وَلَا فِي بُيُوتِ الْحَيِّ بِالْمُتَوَلِّجِ ١

١ المتولج : الداخل .

فَقِيَ يَمْلَأُ الشَّيْزَى ، وَيُرْوِي سِنَانَهُ ،
وَيَضْرِبُ فِي رَأْسِ الْكَمِيِّ الْمُدَجَّجِ ١

وقال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنْتَنِي أَسْعَى لِأُذْنِي مَعِيشَةً ،
كَفَانِي ، وَلَمْ أَطْلُبْ ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍّ ؛
وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلَّ أَمْثَالِي

وقال آخر :

لَوْلَا سَمَاتُهُ أَعْدَاءُ ذَوِي حَسَدٍ ،
أَوْ أَنْ أَنَالَ يَنْفَعِي مَنْ يُرَجِّبُنِي
لَمَا خَطَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا مَطَالِبَهَا ؛
وَلَا بَدَلْتُ لَهَا عِرْضِي وَلَا دِينِي
لَكِنْ مُنَافَسَةُ الْأَكْفَاءِ تَحْمِلُنِي
عَلَى أُمُورٍ ، أَرَاهَا سَوْفَ تُرْدِينِي

١ الشيزى : جفان تسوى من خشب الجوز أو الابنوس . الكمي : الشجاع المتكفي في سلاحه أي المتستر .

وكيف، لا كيف، أن أرضي بمنزلة،
لا دينَ عندي ولا دُنْيَا تُؤَاتِينِي

وقال الحُطَيْبَةُ فِي هِجَاؤِهِ الزُّبَيْرَانَ بْنِ بَدْرٍ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَوَحَّلِ لِبُغْيَتِهَا،
وَاقْعُدْ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فاستعدى عليه عمرَ بنَ الخطابِ وأسمعه الشَّعْرَاءُ ؛ فقال :
ما أرى بما قال بأساً .

قال : والله يا أميرَ المؤمنين ما هُجِيتَ ببيتِ قطبٍ أشدَّ
عليَّ منه .

فأرسل إلى حَسَّانَ فسأله : هل هجاه ؟

فقال : ما هجاه ، ولكنه سَلَحَ عليه .

وقد أخذ هذا المعنى من الحُطَيْبَةِ بعضُ المُحدِّثِينَ فقال :

إِنِّي وَجَدْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ ، حَسْبُكُمْ

أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيَابِ ، وَتَشْبَعُوا

فَإِذَا تَذَوَّكِرْتِ الْمَكَارِمُ مَرَّةً ،

فِي مَجْلِسٍ أَنْتُمْ بِهِ ، فَتَقْتَبَعُوا

وقالوا : من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب ، ومن طلب العظامَ خاطرَ بعظيمته .

وقال يزيدُ بن عبد الملك لما أتى برأس يزيد بن المهلب فقال منه بعضُ جلسائه ، فقال : إنَّ يزيدَ ركبَ عظيماً ، وطَلَبَ جَسِيماً ، ومات كريماً .

وقال بعض الشعراء :

لا تَقْنَعَنَّ وَمَطْلَبٌ لَكَ مُمَكِّنٌ ،
فإذا تضايقت المطالبُ فاقْنَعِ

•
ومما جُبل عليه الحُرُّ الكريمُ ، أن لا يَقْنَعِ من شرف الدنيا والآخرة بشيءٍ مما انبسط له ، أملاً فيما هو أسنى منه درجةً وأرفع منزلةً ؛ ولذلك قال عمرُ بن عبد العزيز لدُكين الراجز : إنَّ لي نَفْساً تَوَاقَفةً ، فإذا بلغك أنِّي صرْتُ إلى أشرفِ من منزلتي هذه ، فَبِعَيْنِ ما أَرَيْتُكَ .

قال له ذلك وهو عامل المدينة لسليمان بن عبد الملك ، فلما صارت إليه الخِلافةُ قَدِمَ عليه دُكين ، فقال له : أنا كما أعلمتُك أنَّ لي نَفْساً تَوَاقَفةً ، وأنَّ نفسي تاقَتُ إلى أشرفِ منازل الدنيا ، فلما بلغتُها وجدتها تَمُوقُ إلى أشرفِ منازل الآخرة . ومن الشاهد لهذا المعنى ، أنَّ موسى ، صلوات الله عليه ،

لما كلمه الله ، عزّ وجلّ ، تكليماً ، سأله النظرَ اليه ، إذ كان ذلك لو وصل اليه أشرفَ من المنزلة التي نالها ، فانبسط أمله إلى ما لا سبيلَ اليه ، ليُستدلَّ بذلك على أنّ الحرَّ الكريم لا يقنع بمنزلةٍ إذا رأى ما هو أشرفُ منها .

ومن قولنا في هذا المعنى :

والحرُّ لا يكتفي من نيلِ مكرُمةٍ ،
حتى يرومَ التي من دونها العَطَبُ
يسعى به أملٌ ، من دونه أجلٌ ،
إن كفه رهبُ يستدعه رغبُ
لذاك ما سالَ موسى ربّه أرني ،
أنظرُ إليك ، وفي تسألَه عجبُ
يبغي التزيُّدَ فيما نال من كرم ،
وهو النجيبُ لديه الوحيُّ والكُتبُ

وقال تأبّط شرّاً في ابن عمّ له يصفه برُكوبِ الأهوال
وبذلِ الأموال :

وإنّي لمهتدٍ من ثنائي ، فقاصدُ
به لابن عمّ الصّدقِ ، شمسِ بنِ مالكِ

أَهْزُ بِهِ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفَهُ،
 كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ ١
 قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُهْمِّمْ، يُصِيبُهُ؛
 كَثِيرُ النَّوَى شَتَى الْهَوَى وَالْمَسَالِكِ
 يَظَلُّ بِمَوْمَاءَ، وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا،
 وَحِيداً وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمِهَالِكِ ٢
 وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي،
 بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ الْمُتَدَارِكِ ٣
 إِذَا خَاطَ عَيْنَيْهِ كَرَى النَّوْمَ، لَمْ يَزَلْ
 لَهُ كَالِيٌّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانٍ فَاتِكِ ٤
 وَيَجْعَلُ عَيْنَيْهِ رَيْبِيئَةَ قَلْبِهِ،
 إِلَى سَلَّةٍ مِنْ جَفْنٍ أَخْلَقَ بِاتِكِ ٥

-
- ١ الهجان من الابل : البيض الكرام . الاوارك : التي اعتادت أكل الاراك .
 ٢ الموماء : المفازة . يعروري : يركب .
 ٣ وفد الريح : أولها . المنخرق : السريع . الشد : العدو . المتدارك : المتلاحق .
 ٤ الشيحان : الحازم .
 ٥ الربيئة : الرقيب . السلة : المرة من سل السيف ، اذا جرده . الاخلق : الاملس .
 الباتك : القاطع .

إِذَا هَزَّهُ فِي عَظْمِ قِرْنٍ ، تَهَلَّتْ
تَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَائِي الضَّوَّاحِكِ ١

وقال غيره من الشعراء :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ ،
أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ
وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ ، الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا
بِهِ الْخُطْبُ ، إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرٌ
فَذَاكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ ، مَا عَاشَ حَوْلَهُ ،
إِذَا سُدَّ مِنْهُ مِشْخَرُهُ جَاشَ مِشْخَرٌ ٢

١ التهليل : الضحك .

٢ قريع الدهر : المجرب الامور . الحول : البصير بتحويل الامور .

في الحركة والسكون

قال وهب بن منبّه : مكتوب في التوراة : ابن آدم ،
خلقتك من الحركة للحركة ، فتحرك وأنا معك .

وفي بعض الكتب : ابن آدم ، امدد يدك إلى باب من
العجل أفتح لك باباً من الرزق .

وشاور عتبة بن ربيعة أخاه سئبة بن ربيعة في النجعة ،
وقال : إني قد أجذبت ، ومن أجذب انتجع . فذهبت مثلاً .

قال له سئبة : ليس من العز أن تتعرض للذئب . فذهبت مثلاً .
فقال عتبة : لن يفرس الليث الطئلي وهو رابض . فذهبت

مثلاً .

أخذه حبيب فقال :

أراد بأن يحوي الغنى ، وهو وادِعٌ ،
ولن يفرس الليث الطئلي وهو رابضٌ

وقيل لأعشى بكر : إلى كم هذه النجعة والاعتراب ؟ أما

١ الطلي : الاعناق . يفرسها : يدقها .

ترضى بالحُفْضِ والدَّعَاةِ ؟

فقال : لو دامت الشمسُ عليكم لَمَلِكْتُمُوهَا .

أخذه حبيبٌ فقال :

وطُولُ مُقَامِ المَرَّةِ ، فِي الحَيِّ ، مُخْلِقٌ
لِدِيَابِجَتَيْهِ ، فَاعْتَرَبُ تَتَجَدَّدِ
فإني رأيتُ الشمسَ زِيدتُ حَبَّةً
إلى النَّاسِ ، إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمُ بَيْسَرٌ مَد

قال أبو سعيد أحمد بن عبد الله المكي : سمعتُ الشافعيَّ

يقول : قلت بيتين من الشعر؛ وأنشدنا :

إِنِّي أرى نَفْسِي تَتَوَقُّ إلى مِصْرٍ ،
وَمِنْ دُونِهَا حَوْضُ المَهَامِهِ والقَفْرِ
فوالله ما أدري الأَخْفَضِ والغِنَى
أَقَادَ إليها ، أم أَقَادَ إلى قَبْرِي

فدخل مصر فمات .

وقال موسى بن عمران ، عليه السلام : لا تَذْمُوا السَّفَرَ ،

فإني أدركتُ فيه ما لم يُدْرِكْ أَحَدٌ . يريد أن الله ، عزَّ وجلَّ ،
كَلَّمَهُ فيه تَكْلِيمًا .

وقال المأمون : لا شيء ألدُّ من سفر في كِفَايَة ، لأنَّكَ في كلِّ يومٍ تحلُّ محلَّ محلَّةٍ لم تحلِّها ، وتعاشر قومًا لم تُعاشرهم .

وقال الشاعر :

لا يَمْنَعُكَ خَفْضُ العِيشِ ، في دَعَا ،
من أن تُبَدِّلَ أوطاناً بأوطانٍ
تَلْقَى بكلِّ بلادٍ ، إن حَلَلْتَ بها ،
أهلاً بأهلٍ وإخواناً بإخوان

مع أن المقام بالمقام الواحد يُورث الملالة .

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : زُرْ غِيبًا تَزِدُّهُ حُبًّا .
وقالت الحكماء : لا تُنال الرِّاحةُ إلا بالتَّعبِ ، ولا تُدرك
الدَّعةُ إلا بالنَّصَبِ .

وقال حبيب :

بَصُرْتَ بِالرِّاحَةِ الكُبْرَى ، فلم تَرَها
تُنالُ إلاَّ على جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ

وقال أيضاً :

على أنِّي لم أَحِوَ وَفِرًّا مُجَمَّعًا ،
قَرَّرْتُ بِهِ ، إلا بِشَمْلِ مُبَدَّدٍ

١ الوفير : المال الكثير .

ولم تُعْطِنِي الأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكِّنًا
أَلَذُّ بِهِ ، إِلَّا بِنَوْمٍ مُشْرَدٍ

وقال أيضاً :

وَرَكَبٍ ، كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ ، عَرَسُوا
عَلَى مِثْلِهَا ، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَابَهُ
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمُ أَنْ تَتَمَّ صُدُورُهُ ؛
وَلَيْسَ عَلَيْهِمُ أَنْ تَتَمَّ عَوَاقِبُهُ

وبعدُ فهل يجوز في وَهْمٍ ، أو يَتِمِّتَلُ في عَقْلٍ ، أو يَصِحُّ
في قِيَاسٍ ، أَنْ يُحْصَدَ زَرْعٌ بغيرِ بَذْرٍ ، أو تُجَنَّى ثَمَرَةٌ بغيرِ
عَرَسٍ ، أو يُورَى زَنْدٌ بغيرِ قَدْحٍ ، أو يُثْمِرَ مالٌ بغيرِ
طَلَبٍ؟ ولهذا قال الخليلُ بنُ أحمد: لا تَصِلُ إلى ما تَحْتَاجُ إليه
إِلَّا بِالوُقُوفِ عَلَى ما لا تَحْتَاجُ إليه .

فقال له أبو شَمِيرِ المُتَكَلِّمُ: فقد احتجتَ إِذًا إلى ما لا تَحْتَاجُ
إليه ، إِذ كنتَ لا تَصِلُ إلى ما تَحْتَاجُ إليه إِلَّا بِهِ .

قال له الخليلُ: وَيَحْك! وهل يَقْطَعُ السَّيْفُ الحُسَامُ إِلَّا

١ عرسوا : نزلوا ليلاً . الغياهب ، واحدها غيب : الظلام .

بالضرب، أو يجري الجوادُ إلا بالركض، أو هل تُنال نهايةُ
أو تُدرك غاية إلا بالسعي إليها، والإيضاح نحوها؟ وقد يكون
الإكداء مع الكد، والحيلة مع الهيلة .

وقال الشاعر :

وما زلتُ أقطعَ عرضَ البلادِ،
من المشرقينِ إلى المغربينِ
وأدرعَ الخوفَ تحت الدجى؛
وأستصحبَ الجدِّيَ والفرقدينِ^١
وأطوي وأنشرُ ثوبَ الموم،
إلى أن رجعتُ بخفي حنين^٢
إلى كسمِ أكون، على حالة،
مُقلاً من المالِ صفرَ اليدينِ

١ ادرع : البس درعاً . الجددي : نجم الى جنب القطب تعرف به القبلة ويقال له
جدي الفرقد . الفرقدان : احدهما نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى
به ، وبجانبه آخر اخفى منه ، فهما فرقدان .
٢ رجع بخفي حنين : مثل يضرب في الرجوع بالحيلة .

فَقَيْرَ الصَّدِيقِ ، غَنِيَّ العَدُوِّ ،
قَلِيلَ الجَدَاءِ عَنِ الوَالِدِينَ؟^١

ومثلُ هذا قليلٌ في كثير ، وإنما يُحْكَمُ بالأعمِّ والأغلبِ ،
والنَّجْحُ مع الطَّلَبِ والجِرْمَانِ للعَجْزِ أصْحَبُ .
وقد شرح حَبِيبٌ هذا المعنى ، فقال :

هَمَمَ الفَتَى ، فِي الأَرْضِ ، أَغْصَانُ الغِنَى ،
غُرِسَتْ ، وَليستْ كُلُّ حِينٍ تُورِقُ

وقال اسماعيلُ بن إبراهيم الحَمْدُونِيّ فِي المَطَالِبِ :

لَكَ أَلْحَاطُ مِرَاضٍ وَدَلٌّ ، غَيْرَ أَنَّ الطَّرْفَ عِنهَا أَكَلٌ
وَأَرَى خَدْيِكَ وَرَدًّا نَضِيرًا ، جَادَهُ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي طَلٌّ
عَذْبَةٌ الأَلْفَاظِ لَوْلَمْ يَشْنُهَا كَرُّ تَفْنِيدِ بِسْمَعِي يُضِلُّ^٢
إِنَّ عَزَى ، الَّتِي أَنْفَتَ بِي عَنْ سِوَاهَا ، كَثُرْهَا لِي قَلٌّ
ظَلْتُ فِي أَفْيَاءِ ظِلِّكَ ، حَتَّى ظَلُّ فَوْقِي لِلْمَتَالِفِ ظَلٌّ

١ الجداء : الغنى .

٢ يشنها : يميها . التفنيد : التخطئة ، والضعف .

إِنَّ أَوْلَىٰ مِنْكَ بِي لَمَرَامٌ ، لَا يَجُلُّ الْهَوَانُ حَيْثُ يُجُلُّ
 مَا مُقَامِي ، وَحُسَامِي قَاطِعٌ ، وَسِنَانِي صَارُمٌ مَا يُقِيلُ ١
 وَسِنَانِي مِثْلُ رَوْضَةِ حَزْنٍ ، أَضْحَكْتُهَا دِيمَةٌ تَسْتَهِيلُ ٢
 وَدَلِيلِي بَيْنَ فَكْسِي ، يَعْلَوُ كُلُّ صَعْبٍ رَيْضٍ ، فَيَذِلُّ ٣
 تَمِيلًا مِنْ حَمْرَةِ الْعَجْزِ ، أُسْقَى نَهْلًا ، مِنْ بَعْدِهِ لِي عَلَّ
 إِنَّ يَكُنْ قُرْبُكَ عِنْدِي جَلِيلًا ، فَأَقْلُ الْحَزْمُ مِنْهُ أَجَلُّ
 أَقْعِيدًا لِلْقَعِيدَةِ الْإِنْفَاءُ ، كُلُّ الْفِ بِي لِعُدْمِي مُجْلُّ ٤
 وَيَكُ لَيْسَ اللَّيْثُ لِلْيَيْثِ يُضْحِي مُخْرِجًا ، مِنْ غَيْلِهِ ، وَهُوَ كَلُّ ٥
 فَاتْرُكِي عَنَبًا وَلَوْ مَاءً ، وَدَعِي وَعَلَى الْإِقْتَارِ عَتْبُكَ كَلُّ
 هُوَ سَيْفٌ غَمْدُهُ بُرْدَتَاهُ ، يَنْتَضِيهِ الْحَزْمُ حِينَ يُسَلُّ

١ يقل : يثام .

٢ الحزن : موضع لبني يربوع ، من أجل مرابع العرب . الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق . استهل المطر : اشتد انصبابه .

٣ دليبي : اراد لساني . الريض : ضد الذلول .

٤ القعيدة : المرأة . أخل به : لم يف له .

٥ يريد : ان الشجاع اذا كان غير متأهب لا يمكنه ان يقوى على شجاع مثله .

الكل : الضعيف .

لا يَشْكُ السَّمْعُ ، حين يراه ، أَنَّهُ بِالْبَيْدِ سَمِعُ أَزَلَ ١
 بين ثَوْبَيْهِ أَخُو عَزَمَاتِ ، يَتَّقِيهَا الْحَادِثُ الْمُصْمِيلَ ٢
 ليس تَنْبُو بي رِحَالٌ وَبَيْدٌ ، إِنَّ نَبَا بي مَنزِلٌ وَمَحَلٌ ٣
 فَأَقْلِبِي بَعْضَ عَدْلِ مُقِلِّ ، لا يَرَى صَرَفَ الزَّمَانِ يَقِلُّ
 إِنَّ وَخْدَ الْعَيْسِ أَثْمَارِ رِزْقِ ، يَجْتَنِيهَا الْمُسَهَّبُ الْمُشْمَعِلُ ٤
 لا تَفْلِي حَدَّ عَزْمِي بَلْوَمٍ ؛ إِنِّي لِلْعَزْمِ وَالذَّهْرِ خِلٌ
 فَالْفَتَى مَنْ لَيْسَ يَرَعَى حِمَاهِ ، طَمَعًا ، يَوْمًا لَهُ ، مُسْتَدِلٌ
 مَنْ إِذَا خَطَبُ أَطْلُ عَلَيْهِ ، فَلَهُ صَبْرٌ عَلَيْهِ مُطِيلٌ
 يَصْحَبُ اللَّيْلَ الْوَلِيدَ إِلَى أَنْ يَهْرَمَ اللَّيْلُ ، وَمَا إِنَّ يَمَلُّ
 وَيَرَى السَّيْرَ قَدْ يُلَجَّلِجُ مِنْهُ مُضْغَةً ، لَكِنَّهَا لَا تَصِلُ ٥

١ السمع : ولد الذئب من الضبع . الازل : الخفيف الوركين .

٢ المصمئل : الشديد .

٣ تنبو ، من نبا به المكان : لم يجد به قراراً .

٤ الوخد : ضرب من سير الابل ، وهو سعة الخطو في المشي . المسهب : الفرس

السريع الجري . المشمعل : السريع من الابل والناس .

٥ يلجلج : يردد في فمه اللقمة للمضغ . شبه جسمه بالمضغة ، وفعل السير فيه بالجلجة .

تصل : تنق .

شُمِّرَتْ أَثْوَابُهُ تَحْتَ لَيْلٍ ، تَوْبُهُ ضَافٍ عَلَيْهِ رِفْلٌ^١
سَاضِعِ النَّوْمِ ، كَمَا تَرَيْتَنِي ، وَمُضِيعِي مُعْظِمٌ لِي مُجِلٌ
فَابْتِنَاءُ الْعِزِّ هَدْمُ الْمَهَارِي ، وَالْخِلَالُ الْعُدْمُ سَيْرٌ وَحِلٌ^٢

١ رفل : واسع .

٢ العدم : الفقر .

التماس الرزق

وما يعود على الأهل والولد

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : العائد على أهله وولده كالمجاهد المرابط في سبيل الله .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بنفسك ثم بمن تعول .

وقال عمر بن الخطاب : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ؛ وإن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض .

وتلا قول الله ، جلّ وعلا : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . »

وقال محمد بن إدريس الشافعي : احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس ، فإنه لا سبيل إلى السلامة من السنة العامة .
ومثله قول مالك بن دينار : من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه .

وقال طاهر بن عبد العزيز: أخبرنا علي بن عبد العزيز، قال:
أُشِدْنَا أَبُو عبيد القاسم بن سَلَامٍ :

لَا يَنْقُصُ الْكَامِلَ، مِنْ كَمَالِهِ، مَا سَاقَ مِنْ خَيْرٍ إِلَى عِيَالِهِ

•
وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه : يا معشر القراء،
التمسوا الرزق، ولا تكونوا عالة على الناس .

وقال أكرم بن صيفي : مَنْ صَبَّحَ زَادَهُ اتَّكَلَ عَلَى
زَادٍ غَيْرِهِ .

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم : خَيْرُكُمْ مَنْ لَمْ يَدَعِ
آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ وَلَا دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ .

وقال عمرو بن العاص : اعملْ لِدُنْيَاكَ عَمَلًا مِنْ يَعْيشُ
أَبَدًا، وَاَعْمَلْ لِآخِرَتِكَ عَمَلًا مِنْ يَمُوتُ غَدًا .

•
وذكر رجلٌ عند النبي، صلى الله عليه وسلم، بالاجتهاد في
العِبَادَةِ وَالْقُوَّةِ عَلَى الْعَمَلِ، وَقَالُوا: صَحْبِنَاهُ فِي سَفَرٍ فَمَا رَأَيْنَا
بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْبَدَ مِنْهُ، كَانَ لَا يَنْقُتِلُ مِنْ صَلَاةٍ، وَلَا
يَفْطِرُ مِنْ صِيَامٍ .

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ كَانَ يَمُونَهُ وَيَقُومُ بِهِ؟

قالوا : كلنا .

قال : كلكم أعبدُ منه .

ومرَّ المسيحُ برجلٍ من بني إسرائيل يتعبّد، فقال : ما تصنع ؟

قال : أتعبّد .

قال : ومنَ يقوم بك ؟

قال : أخي .

قال : أخوك أعبدُ منك .

وقد جعل الله طلب الرزق مفروضاً على الخلق كله ،
من الإنس والجنّ والطير والبهائم ، ومنهم بتعليم ، ومنهم بإلهام .
وأهلُ التحصيل والنظر من الناس يطلبونه بأحسن وجوهه
من التصرف والتحرّز ، وأهلُ العجز والكسل يطلبونه بأقبح
وجوهه من السؤال والاتكال والحلابة^١ والاحتيال .

١ ، الحلابة : الخداع .

في فضل المال

قال الله تعالى : « المالُ والبسُنونَ زينةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا
والباقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا. »

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، للمُجاشعيِّ : إن كان لك
مال فلِكَ حَسَبٌ ، وإن كان لك خُلُقٌ فلِكَ مُرُوَّةٌ ، وإن كان
لك دين فلِكَ كَرَمٌ .

وقال عمرُ بن الخطَّابِ : حَسَبُ الرَّجُلِ مَالُهُ ، وَكَرَمُهُ
دِينُهُ ، وَمُرُوَّتُهُ خُلُقُهُ .

وفي كتاب الأدب للجاحظ : اعلم أنَّ تَسْمِيرَ المَالِ آلَةٌ
للمكَّارِمِ ، وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ ، وَتَأْلِيفٌ لِلإِخْوَانِ ؛ وَأَنَّ مَنْ
فَقَدَ المَالَ قَلَّتْ الرَّغْبَةُ إِلَيْهِ وَالرَّهْبَةُ مِنْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ
بِمَوْضِعِ رَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ اسْتَهَانَ النَّاسُ بِهِ ؛ فَاجْهَدْ جَهْدَكَ
كَلِّهِ فِي أَنْ تَكُونَ القُلُوبُ مُعَلِّقَةً مِنْكَ بِرَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ فِي
دِينٍ أَوْ دُنْيَا .

وقال حكيم لابنه : يَا بُنَيَّ ، عَلَيْكَ بِطَلَبِ المَالِ ، فَلَوْ لَمْ

يكن فيه إلاّ أنّه عزّسه في قلبك وذلّسه في قلب عدوك
لكفى .

وقال عبدُ الله بن عبّاس : الدُّنيا العافية ، والشُّباب الصّحّة ،
والمرّوة الصبر ، والكرم التّقوى ، والحسب المال .

وكان سعدُ بنُ عبّادة يقول : اللهم ارزقني جدّاً ومجدّاً .
فإنه لا يَجْدُ إلا بفَعَالٍ ولا فَعَالٌ إلا بِمَالٍ .
وقالت الحُكماء : لا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَجْمَعُ الْمَالَ يَصُونَ بِهِ
عِرْضَهُ ، وَيُحْمِي بِهِ مُرْوَةَ ، وَيَصِلُ بِهِ رَحِمَهُ .

وقال عبد الرحمن بن عَوْفٍ : يَا حَبَبُذَا الْمَالُ أَصُونُ بِهِ
عِرْضِي ، وَأَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّي .

وقال سُفيانُ الثَّوْرِيُّ : الْمَالُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ فِي هَذَا الزَّمَانِ .

وقال النبيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى طَاعَةِ
اللهِ الْعِنْيِ ، وَنِعْمَ السَّلْمُ إِلَى طَاعَةِ اللهِ الْعِنْيِ . وتلا : « وَلَوْ
أَنْتُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ
لَأَكَلْتُمَا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ . » وقوله :
« وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ . »

وقال خالد بن صفوان لابنه : يا بُنيَّ ، اوصيك باثنتين ،
لن تزال بخير ما تمسكت بهما : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .
وقال عروة بن الورد :

ذريني للغني أسعى ، فأنسي رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ
وأحقرُّهم وأهونُهم عليهم ، وإنْ أمسى له حسَبٌ وخيرُ
يُباعده القريبُ ، وتزُدُّه حليلتهُ ، وينتهره الصَّغيرُ
وتُلقي ذَا الغني ، وله جلالٌ ، يكادُ فؤادُ صاحبه يطيرُ
قليلٌ ذنبُه ، والذئبُ جَمٌّ ؛ ولكنَّ للغني رُبٌّ غفورُ

وقال آخر :

سأكسبُ مالاً ، أو أموتَ ببِلدة ،
يَقِلُّ بها قَطْرُ الدَّموعِ على قَبْرِ ي

وقال آخر :

سأعمِلُ نصَّ العيس ، حتى يَكفُّني
غني المالِ يوماً ، أو غني الحدَّانِ ٢

١ الخير : الشرف ، الكرم ، الاصل .

٢ نص العيس : أقصى ما عندها من سير .

فَلَكَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى بِهَا
عَلَى الْمَرْءِ ، بِالْإِقْتِلَالِ ، وَسَمٌ هَوَانٌ
إِذَا قَالَ لَمْ يُسْمَعِ لِحُسْنِ مَقَالِهِ ؛
وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بَيَانٌ
كَأَنَّ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ ، بُورِكُ الْغِنَى ،
بِغَيْرِ لِسَانٍ ، نَاطِقٌ بِلِسَانٍ

•
الرِّبَاشِيُّ قَالَ : أَنْشَدْنَا أَبُو بَكْرٍ بِنَ عَيْشٍ :

حَيْرَانٌ ، يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٍ لَهُ
مَا لَمْ يَسْقُهُ لَهُ دِينٌ ، وَلَا يُخْلَقُ
لَوْلَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا ، سُقَّتْهَا بَدْرًا
إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، ضَاقَتِ الطُّرُقُ
فَمَنْ يَكُنْ عَنِ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي ،
فَأَكْرَمِ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرَقٌ

١ الورق : الدرهم المضمومة .

وقال آخر :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى ،
وَكُلُّ غَنِيٍّ ، فِي الْعُيُونِ ، جَلِيلٌ
وَلَوْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ ، وَلَمْ تُؤْتَ ثَرَوَةً ،
ذَلَلْتَ لَدَيْهِمْ ؛ وَالْفَقِيرُ ذَلِيلٌ

وقال محمودُ الورَّاق :

أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يُبَرِّئُ لِمَالِهِ ،
وَإِنْ كَانَ لَا أَصْلَ ، هُنَاكَ ، وَلَا فَضْلُ
فَشَرَّفَ ذَوِي الْأَمْوَالِ ، حَيْثُ لَقِيَتْهُمْ ،
فَقَوَّهُمْ قَوْلٌ ، وَفَعَلْتَهُمْ فِعْلٌ

وأنشد أبو محنم لرجل من ولد طليبة بن قيس بن عاصم :

وَكُنْتُ ، إِذَا خَاصَتْ خَصْمًا كَبَيْتُهُ
عَلَى الْوَجْهِ ، حَتَّى خَاصَمْتَنِي الدَّرَاهِمُ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْخُصُومَةَ غَلَبْتُ
عَلِيَّ ، وَقَالُوا : قُمْ ، فَإِنَّكَ ظَالِمٌ

وأنشد الرِّياشيّ :

لم يَبْتَقَ ، مِنْ طَلَبِ الْغَيْبِ ، إِلَّا التَّعَرُّضُ لِلْحَتُوفِ
فَلَأَقْدِفَنَّ بِمُهْجَتِي بَيْنَ الْأَسِنَّةِ ، وَالسُّيُوفِ
وَلَأَطْلُبَنَّ ، وَلَوْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ يَلْمَعُ فِي الصُّفُوفِ

وكان لأحيحة بن الجلاح بالزوراء^١ ثلثائة ناضح^٢ ، فدخل
بستاناً له ، فمرّ بتمرة فلقطها فعوتب في ذلك ، فقال : تمرة
إلى تمرة تمرات ، وجمل إلى جمل ذود^٣ . ثم أنشأ يقول :

إِنِّي مُقِيمٌ عَلَى الزُّورَاءِ ، أَعْمُرُهَا ؛
إِنَّ الْحَبِيبَ ، إِلَى الْإِخْوَانِ ، ذُو الْمَالِ
فَلَا يَعْرُنْكَ ذُو قُرْبَى وَذُو نَسَبِ ،
مَنْ ابْنُ عَمٍّ ، وَمَنْ عَمٌّ ، وَمَنْ خَالَ
كُلَّ النَّدَاءِ ، إِذَا نَادَيْتُ ، يَخْذُلْنِي ،
إِلَّا نِدَائِي ، إِذَا نَادَيْتُ ، يَا مَالِي

١ الزوراء : أرض لاحيحة هذا ، سميت ببئر كانت فيها .

٢ الناضح : البعير أو الحمار الذي يستقى عليه الماء .

٣ الذود : الابل .

ومن قولنا في هذا المعنى :

دَعْنِي أَصْنُ حُرّاً وَجَهِي عَنْ إِذَالْتِهِ ،
وَإِنْ تَعَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَلَدِي

قالوا: نَأَيْتَ عَنِ الْإِيخْوَانِ ، قَلْتُ لَهُمْ :
مَا لِي أَخٌ غَيْرَ مَا تُطْوَى عَلَيْهِ يَدِي



كَانَ الرَّثْمَاحِسُ بْنُ حَفْصَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ عَمْرِؤَ لَهُ يُدْعَى
رَبِيعَةَ بْنُ الْوَرْدِ أَيْسَكُنَانِ الْأُرْدُنَّ ، وَكَانَ رَبِيعَةَ بْنُ الْوَرْدِ
مُوسِرًا ، وَالرَّثْمَاحِسُ مُعْسِرًا كَثِيرًا مَا يَشْكُو إِلَيْهِ
الْحَاجَةُ وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ رَبِيعَةُ بَعْضَ الْعَطْفِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ
كَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ ،
شَكَا الْفَقْرَ ، أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ ، فَأَكْثَرَا

وَصَارَ عَلَى الْأَذْنَيْنِ كَلَالًا ، وَأَوْ شَكَتْ
صَلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا

فَسِرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ ، وَالتَّمَسَ الْغِنَى
تَعِيشَ ذَا يَسَارٍ ، أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذَرَا

فما طالب الحاجات، من حيث تُبغى
من المال، إلا من أجددٍ وشمراً
ولا ترض من عيش بدون، ولا تنم؛
وكيف ينام الليل من كان مُعسراً؟

وقال بعض الحكماء : المالُ يُوقِّرُ الدُّنْيَى، والفقرُ يُذِلُّ
السَّنَى . وأنشد :

أرى ذا الغنى في الناس يسعون حوله،
فإن قال قولاً تابَعُوهُ ، وصدَّقُوا
فذلك دأبُ النَّاسِ ما كان ذا غنى،
فإن زال عنه المالُ يوماً تفرَّقوا

وأنشد :

ما النَّاسُ إلا مع الدُّنْيَا وصاحبِهَا،
فحيثُما انقلبتُ يوماً به انقلبوا
يُعظِّمونُ أخوا الدُّنْيَا ، فإن وثبت،
يوماً عليه ، بما لا يشتهي وثبوا

صنوف المال

قال معاوية لصعصعة بن صوحان: إنما أنت هاتِف بلسانك
لا تَنْظُرُ في أوَد الكلام ولا في استقامته ، فإن كنت تَنْظُرُ
في ذلك فأخبرني عن أفضل المال .

فقال : والله يا أمير المؤمنين إني لأدع الكلامَ حتى يَخْتَمِرَ
في صَدْرِي ، فما أُرْهِفُ به^١ ولا أَتْلَهُ^٢ فيه ، حتى أَقِيمَ
أوَدَه^٣ ، وأُحَرِّرَ^٤ مَتْنَه . وإنَّ أفضلَ المالِ لِبُرَّة^٥ سَمْرَاءَ
في تَرْبَةِ عَمْرَاءَ ، أو نَعْجَةَ صَفْرَاءَ في رَوْضَةِ خَضْرَاءَ ، أو
عَيْنَ خَرَّارَةَ في أرضِ خَوَّارَةَ^٦ .

قال معاوية : لله أنت ! فأين الذهب والفضة ؟

١ ارهف بالكلام : ركب البديهة .

٢ اتلق : اكثر من الكلام .

٣ اوده : عوجه .

٤ احرر : اصلح .

٥ البرة ، واحدة البر : الخنطة .

٦ خواراة : لينة ، سهلة .

قال : حَجْرَانِ يَصْطَكَّانِ ، إِنْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا نَفِيدَا ،
وإن تركتهما لم يزيدا .

وقيل لأعرابية : ما تقولين في مائة من المعز ؟
قالت : قُنِي^١ .

قيل لها : فمائة من الضأن ؟
قالت : غِنِي^٢ .

قيل لها : فمائة من الإبل ؟
قالت : مُنِي^٣ .

وقال عبدُ الله بن الحسن : غَلَّةُ الدُّورِ مَسْأَلَةٌ ، وَغَلَّةُ
النَّخْلِ كِفَافٌ^٢ ، وَغَلَّةُ الحَبِّ مِلْكٌ .
وفي الحديث : أَفْضَلُ أَمْوَالِكُمْ فَرَسٌ فِي بَطْنِهَا فَرَسٌ
يَتَّبَعُهَا فَرَسٌ ، وَعَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنِ نَائِمَةٍ^٣ .

•
وأنشد فرج بن سلام لبعض العراقيين :

ولقد أقولُ حاجِبٍ ، نُصْحًا لَهُ :
خَلَّ العُرُوضُ وَبِعَ لَنَا أَرْضًا

١ قني ، واحدها قنية : ما اكتسب .

٢ الكفاف : ما كفى عن الناس واغنى .

٣ مر تفسير هذا الكلام .

إني رأيتُ الأرضَ يَبقى نَفْعُها،
والمالَ يَأكل بَعْضُهُ بَعْضاً
واحدَرُ أناساً يُظهِرونَ مَحَبَّةً،
وعُيونُهُم وَقُلُوبُهُم مَرُضَى
حتى إذا أمكنتَهُم من فُرْصَةٍ،
تَرَكَوا الحِدَاعَ وأظهِروا البُغْضَ

تدبير المال

قالوا : لا مالَ لأخرقَ ولا عَيْلَةَ على مُصلِح ، وخيرُ المال ما أطعمك لا ما أطعمته .

وقال صاحبُ كَلِمَةٍ ودِمْئَةٍ : لِيُنْفِقَ ذُو المَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ إِنْ أَرَادَ الآخِرَةَ ، وَفِي مُصَانَعَةِ السُّلْطَانِ إِنْ أَرَادَ الذِّكْرَ ، وَفِي النِّسَاءِ إِنْ أَرَادَ نَعِيمَ العَيْشِ .

وقال : إِنْ صَاحِبُ الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ وَلَا يُدْرِكُهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ ؛ فَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي تُطْلَبُ : فَالسَّعَةُ فِي المَعِيشَةِ ، وَالمَنْزِلَةُ فِي النَّاسِ ، وَالمَزَادُ إِلَى الآخِرَةِ .

وَأَمَّا الأَرْبَعَةُ الَّتِي تُدْرِكُ بِهَا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ : فَالْكَتَابَةُ المَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْوهِهِ ، وَحُسْنُ القِيَامِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ التَّشْمِيرُ لَهُ ، ثُمَّ إِنفَاقُهُ فِيمَا يُصْلِحُ المَعِيشَةَ وَيُرْضِي الأَهْلَ وَالأَخْوَانَ وَيَعُودُ فِي الآخِرَةِ نَفْعَهُ ؛ فَإِنْ أَضَاعَ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ لَمْ يُدْرِكْ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ ؛ إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَاكْتَسَابٍ وَلَمْ يُحْسِنِ القِيَامَ عَلَيْهِ يُوشِكُ أَنْ يَفْضَى وَيَبْقَى بِلا مَالٍ ، وَإِنْ هُوَ أَنْفَقَهُ وَلَمْ يُسَمِّرْهُ لَمْ تَنْعِهِ قِلَّةُ الانْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ التَّفَادِ ، كَالْكُحْلِ الَّذِي إِذَا يُؤْخَذُ مِنْهُ عَلَى المِيزِ

مثلُ الغُبارِ ، ثم هو مع ذلك سَريعٌ نفاذُهُ ؛ وإن هو اكتسب
وأصلح وثمر ولم يُنفق الأموالَ في أبوابها كان بمنزلة الفقير
الذي لا مالَ له ، ثم لا يَمنع ذلك ماله من أن يُفارقَه ويذهب
حيثُ لا مَنفعة فيه ، كحابس الماء في الموضع الذي تَنصَبُ
فيه المياه ، إن لم يُخرج منه بقدر ما يَدْخل فيه مَصَلٌ وسال
من نواحيه ، فيذهب الماء صِياغاً .

وهذا نظير قول الله تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا
وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا . »

وقوله ، عزَّ وجلَّ ، لَنبِيَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « وَلَا
تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا . »

ونظر عبد الله بن عباس إلى درهم بيد رجل ، فقال له :
إنه ليس لك حتى يُخْرِجَ من يدك . يريد أنه لا ينتفعُ به حتى
يُنْفِقَهُ وَيَسْتَفِيدَ غيره مكانه .

وقال الحُطَيْبَةُ :

مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ ، إِذَا مَا سَأَلْتَهُ تَهَلَّلَ ، وَاهْتَرَّ اهْتِرَازَ الْمُهَنْدِ

وقال مُسْلِمُ بنُ الوَلِيدِ :

لا يَعْرِفُ المَالَ إِلا رَيْثَ يُنْفِقُهُ ،
أَوْ يَوْمَ يَجْمَعُهُ لِلنَّهْبِ وَالبَدَدِ

وقال آخَرُ : - مُهْلِكُ مالٍ ومُفِيدُ مالٍ .

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : مَنْ كانَ في يَدِهِ شَيْءٌ فَلْيُصْلِحْهُ ،
فإنَّهُ في زَمَانٍ إِنْ احتاجَ فِيهِ ، كانَ أَوَّلَ ما يَبْدُلُهُ دِينَهُ .

وقال المُتَلَمِّسُ :

وَحَبَسَ المَالَ أَيَسَّرَ مِنْ بُغَاةٍ ، وَضَرَبَ في البِلادِ بَغِيْرَ زادِ
وَإِصْلاحِ القَليلِ يَزِيدُ فِيهِ ، وَلا يَبْقَى الكَثيرُ مَعَ الفَسادِ

سَعْدُ القَاصِرِ قالَ : وَلا تَنِي عُتْبَةُ أُمُوالِهِ بِالْحِجازِ ، فَلَمّا
وَدَّعَتْهُ ، قالَ لِي : يا سَعْدُ ، تَعاهَدُ صَغيرَ مالِي فيكَ كَثيرًا وَلا
تُضَيِّعُ كَثيرَهِ فيصَغُرُ ، فإنَّهُ لَيسَ يَشغَلُنِي كَثيرُ مالِي عَن
إِصْلاحِ قَليلِهِ ، وَلا يَمْنَعُنِي قَليلُ ما في يَدَي عَنِ الصَّبْرِ عَلى كَثيرِ
مما يَمُوبُنِي .

قالَ : فَقدِمَتِ المَدِينَةَ فَحدَّثتْ بِها رِجالًا قُرَيشَ ، فَفَرَّقوا
بِها الكُتُبَ عَلى الوِكالِئِ .

الاقلال

قال أرسططاليس : الغنى في العربة وطن ، والمقل في
أهله غريب . أخذه الشاعر فقال :

لَعَمْرُكَ ما الغريبُ بذِي التَّنَائِي،
ولكنَّ المُقِلَّ هو الغريبُ
إذا ما المرءُ أعوزَ ضاقَ ذرعاً
بجأته ، وأبعده القريب

وقال ابراهيمُ الشَّيبانيّ : رأيتُ في جدار من جُدُر بيت
المقدس بيتين مكتوبين بالذهب :

وكلُّ مُقِلٍّ ، حينَ يَعدُّو حاجةً ،
الى كلِّ مَنْ يَلتقى من النَّاسِ مُذْنِبٌ
وكان بَنُو عَمِّي يقولون مَرْحَباً ،
فلما رأوني مُقْتِراً مات مَرْحَباً

ومن قولنا في هذا المعنى :

أَعَاذِلَ قَدِ آلَمَتِ ، وَيَكِ ، فَلُومِي ،
وَمَا بَلَغَ الْإِشْرَاكُ ذَنْبَ عَدِيمِ
لَقَدْ أَسْقَطْتُ حَقِّي عَلَيْكَ صَبَابِي ،
كَمَا أَسْقَطَ الْإِفْلَاسُ حَقَّ غَرِيمِ
وَأَعْدَرُ مَا أَدْمَى الْجُفُونَ ، مِنْ الْبُكَاءِ ،
كَرِيمٌ رَأَى الدُّنْيَا بِكَفِّ لَسِيمِ
أَرَى كُلَّ قَدَمٍ قَد تَبَحَّجَحَ فِي الْغِنَى ،
وَذُو الظَّرْفِ لَا تَلْقَاهُ غَيْرَ عَدِيمِ

وقال الحسن بن هانئ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ لِي نَسَبٌ ، فَخَفَّ ظَهْرِي وَمَلَّتْ يَدَايِ
مَنْ نَظَرَتْ عَيْنُهُ إِلَيَّ ، فَقَدْ أَحَاطَ عِلْمًا بِمَا حَوَتْهُ يَدَايِ

١ القدم : العي الاحمق . تبحيح في الغنى : توسع غناه . وقد كرر لفظة عديم
بعد مرور ثلاثة ابيات ، وهو عيب في القافية يسمى الابطاء . واجازوا التكرار
بعد سبعة أبيات .

وكان أبو الشَّمَمَقِ الشاعر أديباً ظريفاً مُحارفاً^١ صُعلوكاً
مُتبرماً، قد لزم بيته في أطمار مسحوقة^٢، وكان إذا استفتح
عليه أحدُ بابهِ خرج فنظر من فُرَجِ الباب، فإن أعجبه الواقف
فتح له، وإلا سَكَت عنه. فأقبل اليه بعضُ إخوانه فدخل
عليه، فلما رأى سُوء حاله، قال له: أبشُر أبا الشَّمَمَقِ، فإننا
رَوينا في بعض الحديث أن العارِين في الدنيا هم الكاسون يوم
القيامة .

قال : إن كان والله ما تقول حقاً لأكوننَّ بزّازاً^٣ يوم
القيامة ! ثم أنشأ يقول :

| | | | |
|------------------------|-------------|--------------|---------------|
| أنا في حالٍ ، | تعالى اللهُ | ربِّي ، | أيّ حالِ |
| ولقد أهزلتُ ، | حتى | تحت الشمسُ | خيالي |
| من رأى شيئاً مُحالاً ، | | فأنا عَيْنُ | المُحال |
| أيس لي شيءٌ ، | إذا قيه | ل : لمن ذا ؟ | قلت : ذالي |
| ولقد أفلستُ ، | حتى | حلّ أكلي | لعِيالي |
| لو أرى في الناسُ | حُرّاً ، | لَمْ أكنْ | في ذا المِثال |

١ محارفاً : محروماً

٢ اطمار مسحوقة : ثياب بالية .

٣ البزاز : يباع البز ، الثياب من الكتان أو القطن .

وقال أيضاً :

أُتْرَانِي أَرَى ، مِنْ الدَّهْرِ ، يَوْمًا ،
لِي فِيهِ مَطِيَّةٌ غَيْرُ رِجْلِي؟
كُلَّمَا كُنْتُ فِي جَمِيع ، فَقَالُوا:
قَرَّبُوا لِلرَّحِيلِ ! قَرَّبْتُ نَعْلِي
حَيْثُمَا كُنْتُ لَا أُخَلِّفُ رَحْلًا ،
مَنْ رَأَى ، فَقَدْ رَأَى وَرَحْلِي

وقال أيضاً :

لَوْ قَد رَأَيْتَ سَرِيرِي كُنْتَ تَرَحَّمَنِي؛
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا لِي فِيهِ تَلَيْسُ^١
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا لِي فِيهِ شَابِكَةٌ ،
إِلَّا الْحَصِيرَةُ وَالْأَطْمَارُ وَالْدَيْسُ^٢

وقال أيضاً :

بَرَزْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ وَالْقِيَابِ ،
فَلَمْ يَعْسُرْ عَلَيَّ أَحَدٌ حِجَابِي

١ تليس : أي ليس عنده شيء يلبسه سريره .

٢ الشابكة : شيء مضموم بعضه الى بعض . الديس : لعلها لفظة عامية تطلق على شيء من خيس ماعرن المنزل .

فمَنزِلِي الفِضَاءُ ، وَسَقْفُ بَيْتِي
 سَمَاءُ اللَّهِ ، أَوْ قَطَعَ السَّحَابُ
 فَأَنْتَ ، إِذَا أَرَدْتَ ، دَخَلْتَ بَيْتِي
 عَلَيَّ ، مُسَلِّمًا مِنْ غَيْرِ بَابٍ
 لِأَنْتِي لَمْ أُجِدْ مِصْرَاعَ بَابٍ ،
 يَكُونُ مِنَ السَّحَابِ إِلَى التُّرَابِ
 وَلَا انشَقَّ الثَّرَى عَنْ عُودِ تَحْتِ ،
 أَوْ مَلَّ أَنْ أَشُدَّ بِهِ ثِيَابِي
 وَلَا خِفْتُ الْإِبَاقَ عَلَى عَمِيدِي ؛
 وَلَا خِفْتُ الْهَلَكَ عَلَى دَوَابِي
 وَلَا حَاسِبْتُ يَوْمًا قَهْرْمَانًا
 مُحَاسِبَةً ، فَأَعْلَطَ فِي حِسَابِي
 وَفِي ذَا رَاحَةٍ وَقَرَاغُ بِالٍ ؛
 فَدَابُّ الدَّهْرِ ذَا أَبَدًا وَدَابِي

وفي كتاب للهند: ما التَّبَعُ والِإِخْوَانُ والأَهْلُ والأَصْدِقَاءُ

١ التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

والأعوان والحشَم إلا مع المال، وما أرى المروءة يُظهرها إلا
المال، ولا الرأْي والقُوَّة إلا بالمال، ووجدتُ مَنْ لا مالَ له
إذا أراد أن يتناول أمراً فقد به العدم فيبقى مُقَصِّراً عما
أراد، كالماء الذي يَبقى في الأودية من مَطَر الصَّيف فلا يجري
إلى بحر ولا نهر، بل يَبقى مكانه حتى تَنْشَفَه الأرضُ .

ووجدتُ مَنْ لا إِخْوَانَ له لا أَهْلَ له، ومَنْ لا وَلَدَ له
لا ذِكْرَ له، ومَنْ لا عَقْلَ له لا دُنْيَا له ولا آخِرَةَ له، ومَنْ
لا مالَ له لا شَيْءَ له؛ لأنَّ الرجلَ إذا افتقر رَفَضَهُ إِخْوَانُهُ
وقَطَعَهُ ذُوو رَحِمِهِ، وربما اضْطَرَّتْهُ الحَاجَةُ لِنَفْسِهِ وعِيَالِهِ إلى
التماس الرِّزْقِ بما يُغرِّرُ فِيهِ بَدِينَهُ ودُنْيَاَهُ، فإذا هو قد خَسِرَ
الدُّنْيَا والآخِرَةَ، فلا شَيْءَ أَشَدُّ من الفقرِ .

والشَّجَرَةُ النَّابِتَةُ على الطَّرِيقِ، المَأْكُولَةُ من كُلِّ جَانِبٍ، أمثلُ
حَالاً من الفَقِيرِ المُحْتَاجِ إلى ما في أَيْدِي النَّاسِ، والفَقْرُ دَاعٍ
صَاحِبُهُ إلى مَقْتِ النَّاسِ، ومُتَلَفٌ للعَقْلِ والمِروءَةِ، ومُذْهَبٌ
للعِلْمِ والأدبِ، ومَعْدِنٌ للشَّهَةِ، ومَجْمَعٌ لِلْبَلَايَا .

ووجدتُ الرجلَ إذا افتقر أساء به الظنُّ مَنْ كان له مُؤْتَمِناً،
وليس من خَصْلَةٍ هي للغنيِّ مَدْحٌ وزَيْنٌ إلا وهي للفَقِيرِ ذَمٌّ
وَشَيْنٌ، فإن كان شُجَاعاً قِيلَ أَهْوَجٌ، وإن كان جَوَاداً قِيلَ
مُفْسِدٌ، وإن كان حَلِيماً قِيلَ ضَعِيفٌ، وإن كان وَقوراً قِيلَ

بليد، وإن كان صموتاً قيل عيى، وإن كان بليغاً قيل مهذار.
فالموت أهون من الفقر الذي يضطر صاحبه الى المسألة،
ولا سيما مسألة اللئام، فإن الكريم لو كلّف أن يدخل
يده في فم تنين ويخرج منه سمّاً فيبتلعه، كان أخفّ
عليه من مسألة البخيل اللئيم.

السؤال

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: لأن يأخذ أحدكم أحبله فيحْتَطِب بها على ظهره أهون عليه من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه .

وقال : مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَاباً مِنَ السُّؤَالِ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ الْفَقْرِ .

وقال أكرم بن صيفي : كلُّ سؤالٍ وإن قلَّ أكثرُ من كلِّ نَوَالٍ وإن جَلَّ .

ورأى علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، رجلاً يسأل بعرفات ، فقتعه بالسوط^١ ، وقال : ويلك ! أفى مثل هذا اليوم تسأل أحداً غير الله ؟

وقال عبد الله بن عباس : المساكين لا يعودون مريضاً ، ولا يشهدون جنازةً ، ولا يحضرون جمعةً ، وإذا اجتمع الناس في أعيادهم ومساجدهم يسألون الله من فضله ، اجتمعوا

١ قنعه بالسوط : غشاه به .

يسألون الناس ما في أيديهم .

وقال النُّبَعَانُ بنُ المُنْذِرِ : مَنْ سَأَلَ فَوْقَ حَقِّهِ اسْتَحَقَّ
الحِرْمَانَ ، وَمَنْ أَحْلَفَ فِي مَسْأَلَتِهِ اسْتَحَقَّ المَطْلَ ، والرَّفَقُ
يُمْنٌ ، والحُرْقُ سُؤْمٌ ، وخَيْرُ السَّخَاءِ مَا وافَقَ الحَاجَةَ ، وخَيْرُ
العَفْوِ مع المَقْدِرَةِ .

وقال شَرِيحٌ : مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى
الرَّقِّ ، فَإِنْ قَضَاهَا المَسْئُولُ اسْتَعْبَدَهُ بِهَا ، وَإِنْ رَدَّهَ عَنْهَا رَجَعَ
كِلَاهِمَا ذَلِيلًا : هَذَا بِذُلِّ البُخْلِ ، وَذَلِكَ بِذُلِّ الرَّدِّ .

وقال حَبِيبٌ :

ذُلُّ السُّؤَالِ سَجًّا ، فِي الحَلْتِ ، مُعْتَرِضٌ ،
مِنْ دُونِهِ شَرَقٌ مِنْ تَحْتِهِ جَرَضٌ ،
مَا مَاءٌ كَفَّفَكَ إِنْ جَادَتْ ، وَإِنْ بَجَلَتْ ،
مِنْ مَاءِ وَجْهِهِ ، إِنْ أَفْنَيْتَهُ ، عِوَضٌ

الحُسَيْنِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو عَسَّانٍ : أَخْبَرَنِي أَبُو زَيْدٍ قَالَ : سَأَلَ
سَائِلٌ بِمَسْجِدِ الكُوفَةِ وَقَتَ الظُّهْرِ فَلَمْ يُعْطَ شَيْئًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ
إِنَّكَ بِحَاجَتِي عَالِمٌ لَا تُعَلِّمُ ، أَنْتَ الَّذِي لَا يُعْوزُكَ نَائِلٌ ، وَلَا

١ الشرق : الفصص بالريق . الجرض : ابتلاع الريق بمجد .

يُحْفِيكَ^١ سائل، ولا يَبْلُغَ مَدْحَكَ قائل، أسألك صبراً جميلاً،
وفرجاً قريباً، وبصراً بالهدى، وقُوَّةَ فيما تُحِبُّ وترضى .
فتبادروا إليه يُعْطُونَهُ ، فقال : والله لا رزأتكم^٢ الليلة
شيئاً ، وقد رفعتُ حاجتي إلى الله ؛ ثم أنشأ يقول :

ما نالَ باذِلُ وَجْهَهُ ، بِسُؤَالِهِ ،
عَوْضاً ، ولو نالَ العِنيَ بِسُؤَالِ
وَإِذَا السُّوَالُ ، مع السُّؤَالِ ، وَزَنَّتَهُ ،
رَجَحَ السُّؤَالُ وشالَ كُلُّ نَوَالِ

•
وقال مُسْلِمُ بنُ الوَلِيدِ :

سَلِ النَّاسَ ، إني سائلُ اللهِ وحده ،
وصائِنُ عِرْضِي عن فلانٍ وعن قُلِ

•
وقال عبيدُ بن الأبرص :

من يَسْأَلِ النَّاسَ يَجْرِمُوهُ ؛ وسأئلُ اللهِ لا يَحْيِبُ

١ لا يحفيك : لا يلع عليك .

٢ رزأتكم : أصبت منكم .

وقال ابنُ أبي حازم :

لَطَّيْتُ يَوْمَ وَلَيْتَيْنِ ، وَلُبْسُ ثَوْبَيْنِ بِالْيَسَنِ
أَهْوَنُ مِنْ مِثَّةِ لِقَوْمٍ ، أَعْضُ مِنْهَا جُفُونَ عَيْنِي
إِنِّي ، وَإِنْ كُنْتُ ذَا عِيَالٍ ، قَلِيلَ مَالٍ ، كَثِيرَ دِينٍ
لَأَحْمَدُ اللَّهَ ، حِينَ صَارَتْ حَوَائِجِي بَيْنَهُ وَبَيْنِي

ومن قولنا في هذا المعنى :

سؤالُ الناسِ مِفْتَاحُ عَتِيدِ
لِبَابِ الْفَقْرِ ، فَالْطُّفُ فِي السُّؤَالِ

وروى أشعْبُ الطَّمَّاعِ عن عبد الله بن عمر عن النبي ،
صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : يَحْشُرُ اللَّهَ ، عِزَّ وَجِلِّ ، يَوْمَ
الْقِيَامَةِ قَوْمًا عَارِيَةً وَجُوهَهُمْ قَدْ أَذْهَبَ حَيَاءُهَا كَثْرَةُ السُّؤَالِ .

سؤال السائل من السائل

مدح أبو الشَّمَمَقِ مروان بن أبي حَفْصَةَ ، فقال له : أبا
الشَّمَمَقِ ، أنت شاعرٌ وأنا شاعرٌ ، وغايتنا كلَّنا السؤالُ .
وذكر أعرابيٌّ رجلاً بالسؤال ، فقال : إنَّه أسألُ من ذي
عَصَوَيْنِ .

وقال حبيب :

لم يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ أَحْمَقَ لِحِيَّةٍ ، مِنْ سَائِلٍ يَرْجُو الْغِنَى مِنْ سَائِلٍ

الأصمعيُّ عن عيسى بنِ عمر النَّحْوِيِّ قال : قَدِمْتُ مِنْ سَفَرٍ ،
فدخل عليَّ ذو الرُّمَّةُ الشَّاعرُ ، فَعَرَضْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ شَيْئاً ، فقال :
كلا ، أنا وأنتَ نأخذ ولا نُعْطِي .

الشيب

قال قيس بن عاصم : الشيبُ خطامُ المنية .

وقال غيره : الشيبُ نذيرُ الموت .

وقال النَّميري : الشيبُ عنوانُ الكِبَر .

وقال المُعتمر بن سليمان : الشيبُ مَوْتُ الشَّعْر ، ومَوْتُ

الشَّعْر عِلَّةُ لموتِ البشر .

وقال أعرابي : كنتُ أنكرُ البَيضاءَ فصِرْتُ أنكرُ السَّوداءَ ،

فيا خيرَ مَبْدولٍ ويا شرَّ بَدَل .

وقيل للنبي ، صلى الله عليه وسلم : عَجِلْ عليكِ الشَّيبُ يا

رسولَ الله !

قال : سَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا .

وقيل لعبد الملك بن مروان : عَجِلْ عليكِ الشَّيبُ يا أمير

المؤمنين !

قال : سَيَّبَتْنِي ارْتِقَاءُ المنابرِ وتَوَقُّعُ اللِّحَنِ .

وقيل لرجل من الشعراء : عَجِلْ عليكِ الشَّيبُ !

١ قيل ان المراد بأخواتها : عبس والمرسلات والنازعات ، من سور القرآن .

فقال : وكيف لا يَعَجَلُ وأنا أعصِرُ قَلْبِي في عَمَلٍ لا
يُرْجَى ثَوَابُهُ ، ولا يُؤْمَنُ عِقَابُهُ ؟
وقال حبيبُ الطائيّ :

عَدَا الشَّيْبُ مَحْتَطًّا بِفَوْدِي خُطَّةً ،
طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ مَهْبِيعٌ ١
هُوَ الزُّورُ يُجْفَى ، وَالْمُعَاشِرُ يُجْتَوَى ،
وَذُو الْإِلْفِ يُقْتَلَى ، وَالْجَدِيدُ يُرَقَّعُ ٢
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أبيضُ ناصِعٌ ،
وَلِكُنْهَ فِي الْقَلْبِ أسودُ أسْفَعُ

وقال محمود الوراق :

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجَلِ ، وَبُعِدِ قَوَاتِ الْأَمَلِ
وَوَافِدِ شَيْبِ طَرَا ، بَعَقِبِ شَبَابِ رَحَلِ
شَبَابُهُ كَانَ لَمْ يَكُنْ ، وَشَيْبُهُ كَانَ لَمْ يَزَلْ
طَوَاكُ بَشِيرُ الْبَقَا ، وَجَاءَ بَشِيرُ الْأَجَلِ ٣

١ المهبع : الطريق الواضح .

٢ الزور : الزائر .

٣ طواك : جاوزك .

وقال أيضاً :

لا تَطْلُبْنَ أثراً بَعِيناً ؛ فالشَّيْبُ إحدَى المَيْتَيْنِ
أَبْدَى مَقَابِحَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَحَا مَحَاسِنَ كُلِّ زَيْنِ
فَإِذَا رَأَتْكَ الغَايِمَاتُ ، رَأَيْنَ مِنْكَ عُرَابَ بَيْنِ
وَلرُبَّمَا نَافَسْنَ فِيكَ ، وَكُنَّ طَوْعاً لِلبَدَنِ
أَيَّامَ عَمَمِكَ الشَّبَابِ ، وَأَنْتِ سَهْلُ العَارِضِينَ^١
حَتَّى إِذَا نَزَلَ المَشِيبُ ، وَصِرْتَ بَيْنَ عِمَامَتَيْنِ
سَوْدَاءَ حَالِكَةٍ ، وَبِيضَاءِ المَنَاشِرِ كَاللَّجَجَيْنِ
مَزَجَ الصُّدُودَ وَصَالِهِنَّ ، فَكُنِّي أَمراً بَيْنَ بَيْنِ
وَصَبْرِنَ ، مَا صَبَرَ السَّوَادُ ، عَلى مُصَانَعَةٍ وَمَيِّنِ^٢
حَتَّى إِذَا سَمِلَ المَشِيبُ ، فَجَازَ قُطْرَ الجَانِبَيْنِ
قَفَيْنِ شَرًّا قَفِيَّةً ، وَأَخَذَنَ مِنْكَ الأَطْيَبَيْنِ^٣
فَاقْنِ الحَيَاءَ ، وَسَلِّ نَفْسَكَ ، أَوْ فَنَادِ الفَرَقَ قَدِينِ

١ العارض : صفحة الحد .

٢ المين : الكذب .

٣ قفين شر قفية : اتين شر خلف . الاطيان : قيل هما الشحم اي قوة البدن والشباب ، وقيل غير ذلك .

وَلَيْتَ أَصَابَتْكَ الْخُطُوبُ بِكُلِّ مَكْرُوهٍ وَسَيْنِ
فَلَقَدْ أَمِنْتَ بِأَنْ يُصِيبَكَ نَظَرُهُ أَبَدًا بَعَثِينَ

وقال حبيب الطائي :

نظرتُ إليَّ بعين مَنْ لَمْ يَعْدِلْ ،
لَمَّا تَمَكَّنَ حُبُّهَا مِنْ مَقْتَلِي
لَمَّا رَأَتْ وَضَحَ الْمَشِيبِ بِلِمَّتِي ،
صَدَّتْ صُدُودَ مُجَانِبٍ مُتَحَمِّلِ
فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصَلَهَا بِتَلَطُّفِ ،
وَالشَّيْبُ يَعْزِمُهَا بِأَنْ لَا تَفْعَلِي

وقال آخر :

صَدَّتْ أُمَامَةٌ ، لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ،
عَنِّي بِمَطْرُوفَةٍ إِنْسَانُهَا غَرِقُ
وَرَاعَهَا الشَّيْبُ فِي رَأْسِي ، فَقُلْتُ لَهَا :
كَذَاكَ يَصْفَرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ

١ المطروفة : العين أصابها شيء فدمعت . إنسانها : ما يري في سوادها .

وقال محمد بن أمية :

رأيتني الغواني ، الشيبُ لاح بعارضي ،
فأعرضنَ عني بالحدود التواضيرِ
وكننٌ ، إذا أبصرني أو سمعن بي ،
دنون فرقعن الكوى بالمحاجرِ

وقال العلوِيّ :

عَيَّرتني بشيبِ رأسي نَوارُ ،
يابنة العمِّ ليس في الشيبِ عارُ
إنَّما العارُ في الفِرارِ من الرَّحْفِ ،
إذا قيلَ أينَ أينَ الفِرارِ

ومن قولنا في الشيبِ :

بدا وَضَحُ المَشيبِ على عِذارِي ؛
وهلَّ ليلٌ يكونُ بلا نَهَارِ ؟

١ رقمن : سدن . الكوى ، واحدها كوة : الخرق في الحائط . المحاجر :
اراد بها العيون .

وَأَلْبَسَنِي النَّهْيَ ثَوْبًا جَدِيدًا؛
وَجَرَّدَنِي مِنَ الثَّوْبِ الْمُعَارِ
شَرَيْتُ سَوَادَ ذَا بِيضِ هَذَا،
فَبَدَّلْتُ الْعِمَامَةَ بِالْحِمَارِ
وَمَا بَعْتُ الْهَوَى بَيْعًا بَشْرَطٍ؛
وَلَا اسْتَشَيْتُ فِيهِ بِالْحِيَارِ

ومن قولنا فيه :

قالوا: سَبَابُكَ قَدْ وَلَّى، فَقُلْتُ لَهُمْ:
هَلْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدَيْنِ؟
صَلِّ مِنْ هَوَيْتَ، وَإِنْ أَبَدَى مُعَاتِبَةً؛
فَأَطِيبُ الْعَيْشَ وَصَلِّ بَيْنَ الْفَيْنِ
وَاقْطَعْ حَبَائِلَ خَدْنٍ لَا ثَلَاثَةَ؛
فَرَبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى اثْنَيْنِ

ومن قولنا فيه :

جَارَ الْمَشِيبُ عَلَى رَأْسِي، فَغَيَّرَهُ،
لَمَّا رَأَى عِنْدَنَا الْحُكَّامَ قَدْ جَارُوا

كَأَنَّمَا جَنَّ لَيْلٌ فِي مَفَارِقِهِ ،
فَاعْتَاقَهُ ، مِنْ بَيَاضِ الصُّبْحِ ، إِسْفَارِ

•
ومن قولنا فيه :

سَوَادُ الْمَرَّةِ تُنْفِدُهُ اللَّيَالِي ، وَإِنْ كَانَتْ تَصِيرُ إِلَى نَقَادِ
فَأَسْوَدُهُ يَعُودُ إِلَى بَيَاضٍ ؛ وَأَبْيَضُهُ يَعُودُ إِلَى سَوَادِ

•
ومن قولنا أيضاً :

أَطْلَالٌ لَهْوِكَ قَدْ أَقْوَتَ مَغَانِيهَا ،
لَمْ يَبْقَ مِنْ عَهْدِهَا إِلَّا أَثَافِيهَا
هَذَا فِي الْمَفَارِقِ ، قَدْ قَامَتْ شَوَاهِدُهَا
عَلَى فَنَائِكَ ، وَالذُّنْيَا تَزَكِّيهَا
الشَّيْبُ سُفْتَجَةٌ ، فِيهَا ، مُعْتُونَةٌ ،
لَمْ يَبْقَ لِلْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يُسْحِبَهَا

•
ومن قولنا أيضاً :

نُجُومٌ فِي الْمَفَارِقِ مَا تَغُورُ ، وَلَا يَجْرِي بِهَا فَلَكَ يَدُورُ

١ السفتجة : هي ان تعطي مالا لرجل فيعطيك خطأ يمكنك من استرداد ذلك
المال من عميل له في مكان آخر . يسحبها ، من سحى القرطاس : قشره .

كأنَّ سَوَادَ لِمَتِّهِ ظِلَامٌ ، أغارَ، من المَشِيبِ عليه، نور
 إلا إنَّ القَتِيرَ وَعِيدُ صِدْقٍ ، لنا لو كان يَزْجُرنا القَتِيرُ
 نذيرُ الموتِ أُرسله إلينا ، فكذَّبنا بما جاء التَّذِيرُ
 وقُلنا للنَّفوسِ : لعلَّ عُمرًا ، يطول بنا ، وأطولُه قَصِيرُ
 متى كذبتْ مواعِدُها وخانتْ ، فأولَّها وآخِرُها غُرورُ
 لقد كاد السلوُّ يَميتَ شوقي ، ولكنْ قَدَمَا فُطمَ الكَبِيرُ
 كأنِّي لم أَرُقْ ، بل لم تَرَ قُني ، شُموسٌ في الأَكِلَّةِ أو بُدورُ
 ولم ألقَ المُنَى في ظلِّ لَهوٍ ، بأقمارٍ سحائبها السُّتورُ

•
 ولاحر :

والشَّيبُ تَنغِيصُ الصِّبَا ؛ فاقضِ اللُّبَانَةَ في الشَّبَابِ

•
 وقال ابن عَبَّاسٍ : الدنيا الصِّحَّةُ والشَّبَابُ .

•
 ولبعضهم :

في كلِّ يومٍ أرى بِيضاءَ قد طَلَعَتْ ،
 كأنَّما طَلَعَتْ في ناظِرِ البَصْرِ

١ شبه الشيب في سواد الشعر برؤوس مسامير حلق الدروع في بياضها الظاهر في سواد الدروع .

لَتَنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنْ نَظْرِي،
لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنْ هَمِّي وَلَا فِكْرِي

•
ولابن المعتز :

جاء المشيب، فما تعسنت به؛ ومضى الشباب، فما بكاي عليه

وقال أيضاً :

ماذا تريدن من جهلي ، وقد غبرت
سنو شبابي ، وهذا الشيب قد وخطا
أرفع الشعرة البيضاء ملتقطاً ،
فيصبح الشيب للسوداء ملتقطاً ،
وسوف ، لا شك ، يعينني ، فأثره ،
فطالما أعمل المِقْرَاضَ والمَشْطَا

الشباب والصحة

قال أبو عمرو بن العلاء : ما بكت العربُ شيئاً ما بكت
الشباب ، وما بلغت به ما يستحقّه .

وقال الأصمعيّ : أحسن أنماط الشعر المرّاثي والبكاء على
الشباب .

وقيل لكثير عزة : ما لك لا تقول الشعر ؟
قال : ذهب الشبابُ فما أطرب ، ومات عبدُ العزيزِ فما
أرغب .

وقال عبدُ الله بن عباس : الدنيا العافية ، والشباب الصحة .
وقال محمود الوراق :

أليسَ عَجيباً بأنّ الفتيّ يُصاب ببعض الذي في يَدَيْهِ
فمن بين باكٍ له مُوجَع ؛ وبين مُعزٍّ مُغدِّ إليه
بِ، فليس يُعزّيه خَلْقٌ عليه

وقال ابن حازم :

ولّى الشَّبَابُ ، فخلَّ الدَّمَعُ يَنْهَمِلُ ،
فَقَدَّ الشَّبَابُ بِفَقْدِ الرُّوحِ مُتَّصِلُ
لا تُكذِّبَنَّ ، فما الدنيا بأجمعها ،
مِنَ الشَّبَابِ بيومٍ واحدٍ ، بَدَلُ

وقال جرير :

ولّى الشَّبَابُ حَمِيدَةً أَيامُهُ ، لو كان ذلك يُشْتَرَى أو يُرْجَعُ

وقال صريعُ الغواني :

واهاً لأَيَّامِ الصَّبَا وزمانِهِ ، لو كان أسْعَفَ بالمُقَامِ قليلاً
سَلَّ عَيْشَ دَهْرٍ ، قد مَضَتْ أَيامُهُ : هل يَسْتَطِيعُ إلى الرُّجُوعِ سَبِيلاً؟

وقال الحسنُ بنُ هانئٍ :

وأُراني ، إذ ذاك ، في طاعة الجَهْلِ ،
وفوقِي من الصَّبَا أمراءُ
تَرْبَ عَبَثٍ ، لريِّطِي فَضْلُ ذَيْلِ ،
ولرأسي دُؤَابِةٌ فَرَعَاءُ

بِقِنَاعٍ مِنْ الشَّبَابِ جَدِيدٍ ،
لَمْ تُرَقِّعْهُ بِالْحِضَابِ النَّسَاءِ
قَبْلَ أَنْ يَلْبَسَ الْمَشِيبَ عِذَارِي ،
وَتُبَلَّى عِمَامَتِي السَّوْدَاءِ ١

وقال أعرابي :

لله أيامُ الشبابِ وعصرُه ، لو يُستعارُ جديدُه فينعارُ
ما كان أقصرَ ليلته ونهاره ؛ وكذلك أيامُ الشُّرورِ قصارُ

ومن قولنا في الشباب :

ولى الشبابُ ، وكنْتَ تَسْكُنُ ظِلَّهُ ،
فانظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ ظِلٍّ تَسْكُنُ
ونهى المشيبُ عن الصِّبَا ، لو أَنَّهُ
يُدْهِلِي بِمُجَّتِّهِ إِلَى مَنْ يَلْقَنُ ٢

١ تبلى : تجعل بالية .

٢ يلقن : يفهم .

ومن قولنا فيه :

قالوا : شبابك قد مضت أيامه
بالعيش ، قلت : وقد مضت أيامي
لله ! آية نعمة كان الصِّبا ،
لو أنها وصلت بطول دوام
حسّر المشيب قناعه عن رأسه ،
وصحح العواذل بعد طول ملام
فكان ذلك العيش ظل غمامة ؛
وكان ذلك اللهو طيف منام



ومن قولنا فيه :

ولو شئت راهنت الصِّباة والهوى ،
وأجريت في اللذات من مائتين
وأسبلت من ثوب الشباب ، وللصِّبا
علي رداء معلّم الطرقتين



١ من مائتين : اراد من مسافة بعيدة .

وقال آخر :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ ،
مَا لَمْ يُعَاصَ ، كَانَ جُنُونًا ١

وقال آخر :

قَالَتْ : عَهْدُكَ مَجْنُونًا ، فَقُلْتُ لَهَا :
إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بُرُوءُهُ الْكَبِيرُ ٢

ومن قولنا في الشباب :

كُنْتُ الْإِنْفَ الصَّبَا ، فَوَدَّعَنِي وَدَاعَ مَنْ بَانَ غَيْرَ مُنْصَرَفٍ
أَيَّامُ لَهْوِي كَطِيزٍ إِسْحَلَةٍ ، وَذَا سَبَابِي كَرُوضَةِ أَنْفٍ ٣

ومن قولنا فيه :

سَبَابِي ! كَيْفَ صَرْتِ إِلَى نَفَادٍ ، وَبُدِّلتَ الْبِيَاضَ مِنَ السَّوَادِ
وَمَا أَبْقَى الْحَوَادِثُ مِنْكَ ، إِلَّا كَمَا أَبْقَتْ مِنَ الْقَمَرِ الدَّآدِي ٤

١ شرح الشباب : أوله . يعاصي : يعصى .

٢ الاسحلة ، واحدة الاسحل : شجر يستاك به . انف : لم ترع .

٣ الدآدي ، واحدها دآدأة : ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالي المحاق .

فراقك عرّف الأحزان قلبي ، وفَرَّق بين جفني والرُّقاد
فيا لنعيم عيشٍ قد تَوَلَّى ؛ ويا لعليل حُزْنٍ مُستفاد
كأني منك لم أربع برُبْع ، ولم أرتدُّ به أحلى مراد
سقى ذاك الثرى وبِل الثريا ؛ وغادى نبتَه صوب الغوادي
فكم لي من غليلٍ فيه خاف ؛ وكم لي من عويلٍ فيه بادي
زمانٌ كان فيه الرشد عيًّا ؛ وكان الغيُّ فيه من الرِّشاد
يُقبِّلني بدلٍ من قبُول ؛ ويسعدني بوصلٍ من سُعاد
وأجنبه ، فيُعطيني قيادًا ؛ ويَجْنِبني ، فأعطيه قيادي^١

١ أجنبه : أقوده وهو الى جنبي .

الخضاب

قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : عَيَّرُوا هَذَا الشَّيْبَ
وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ .

وكان أبو بكر يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ وَالكَتْمِ ١ .

وقال مالك بن أسماء بن خَارِجَةَ لِحَارِيْتِهِ : قَوْمِي اخْضِبِي
رَأْسِي وَحِجَّتِي ..

فَقَالَتْ : دَعْنِي ، قَدْ عَيَّيْتُ بِمَا أَرْقَعُكَ .
فَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ :

عَيَّرْتَنِي خَلْقًا أَبْلَيْتُ جِدَّتَهُ ، وَهَلْ رَأَيْتِ جَدِيدًا لَمْ يَعُدْ خَلْقًا؟

•
ودخل أبو الأسود الدؤليّ على معاوية وقد خَضَبَ ، فقال :
لقد أصبحت يا أبا الأسود جميلًا ، فلو عَلَّقْتَ تَمِيمَةَ .
فَأَنْشَأَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَقُولُ :

أَفْنَى الشَّبَابِ ، الَّذِي فَارَقْتَ بِهَجَّتِهِ ،
مَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ ٢

١ الكتم : نبت يخالط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

٢ الجديدان : الليل والنهار .

لم يُبقِيَا لي ، في طول اختلافهما ،
شيئاً يُخَافُ عليه لذعةُ الحَدَقِ

وذُكِرَ عن الأصمعي قال : بلغني عن بعض العرب فصاحةٌ ،
فأتيتُه فوجدته يُخَضِّبُ ، فقال : يابن أخي ، ما الذي أقصدك إليّ ؟
قلتُ : الاستئناسُ بك والاستماعُ من حديثك .

قال : يابن أخي ، قصَدتَني وأنا أخضِبُ ، والحضابُ من
مقدّمات الضّعف ، ولطالما فرزعتُ الوُحوشَ ، وقُدتُ الجُيوشَ ؛
ورَويتُ السيفَ ، وقَرَّيتُ الضيفَ ؛ وحميتُ الجارَ ،
وأبيتُ العارَ ؛ وشربتُ الرّاحَ ، وجالستُ المِلاحَ ؛ وعاديتُ
القرومَ ، وعلوتُ الحُصومَ ؛ واليوم يابن أخي الكِبرُ وضعفُ
البصرِ ، تَرَكا من بعد الصّفو الكدَرِ ؛ وأنشأ يقول :

سَيَّبُ نَعْلَهُ ، كَمَا نُسِرُ بِهِ ،

كَهَيْئَةِ الثَّوبِ مَطْوِيّاً عَلَى خِرَقِ

فَكُنْتُ كَالغُصْنِ يَرْتاحُ الفؤادُ بِهِ ،

فَصِرْتُ عوداً بلا ماءٍ ولا وِرَقِ

١ القروم ، واحدم قرم : السيد .

صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ، إِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ،
وَأَهْلُهُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالرَّتْقِ ١

•
ودخل معاوية على ابن جعفر يعوده، فوجده مُفِيقًا ٢ وعنده
جاريةٌ فِي حِجْرِهَا عُوذٌ، فقال: ما هذا يا ابن جعفر؟
فقال: هذه جارية أرويتها رقيقَ الشعر فتزیده حُسْنًا
بِحُسْنِ نَعْمَتِهَا.
قال: فَلْتَقِلْ.

فحَرَكَتْ عُوذَهَا وَغَنَّتْ، وَكَانَ مَعَاوِيَةَ قَدْ خَضَبَ:
أَلَيْسَ عِنْدَكَ شُكْرٌ لِّلَّتِي جَعَلْتُ،
مَا أبيضٌ مِنْ قَادِمَاتِ الرِّيشِ كَالْحَمَمِ ٣
وَجَدَدْتُ مِنْكَ مَا قَدْ كَانَ أَخْلَقَهُ
رَيْبُ الزَّمَانِ، وَصَرَفَ الدَّهْرَ وَالْقِدَامَ
فحَرَكَتْ مَعَاوِيَةَ رِجْلَهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ جَعْفَرٍ: لِمَ حَرَكَتْ
رِجْلَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

١ الرنق: الكدر.

٢ مفيقاً: رجعت إليه صحته بعد مرض.

٣ الحمام، واحدها حمة: لون بين الدهمة والكمته.

قال : كلُّ كريمٍ طروب .

وقال محمود الوراق في الحِضَاب :

للضَّيفِ أَنْ يُقْرَى وَيُعْرَفَ حَقُّهُ ؛
وَالشَّيْبُ ضَيْفُكَ ، فَاقْرِهِ بِحِضَابِ
وَإِنِّي بِأَكْذَابِ شَاهِدٍ ، وَلِرَبِّمَا
وَإِنِّي الْمَشِيبُ بِشَاهِدٍ كَذَّابِ
فَافْسَخْ شَهَادَتَهُ عَلَيْكَ بِحِضْبِهِ ،
تَنْفِ الظُّنُونَ بِهِ عَنِ الْمُرْتَابِ
فَإِذَا دَنَا وَقْتُ الْمَشِيبِ ، فَخَلَّهُ
وَالشَّيْبَ يَذْهَبُ فِيهِ كُلُّ ذَهَابِ

وقال آخر :

وَقَائِلَةٌ تَقُولُ ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي ، أُرَقِّعُ عَارِضِيَّ مِنَ الْقَتِيرِ
عَلَيْكَ الْخِطْرَ ، عَلَّكَ أَنْ تُدْنِيَّ إِلَى بَيْضِ تَرَائِبُنَّ حُورِ
فَقُلْتُ لَهَا : الْمَشِيبُ نَذِيرٌ عُمَرِي ، وَلَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

١ عليك : اسم فعل بمعنى الزم . الخطر : نبات يختضب به .

وقال غيره :

إِنَّ شَيْبًا ، صَلَاحُهُ بِخِضَابِ ،
لِعَذَابِ مُوَكَّلٍ بِعَذَابِ
فَوَحَقَّ الشَّبَابِ ، لَوْلَا هَوَى الْبَيْضِ ،
وَأَنْ تَشْمِزْ نَفْسُ الْكَعَابِ
لَأَرَحْتُ الْحَدَيْنِ مِنْ وَضَرِ الْحِطْرِ ،
وَأَذَنْ بَانِقِضَاءِ الشَّبَابِ

وقال غيره :

بَكَرْتُ تَحَسَّنَ فِي سَوَادِ خِضَابِي ،
لَكَانَ ذَلِكَ يُعِيدُنِي لِشَبَابِي
وَإِذَا أَدِيمُ الْوَجْهِ أَخْلَقَهُ الْبَيْلَى ،
لَمْ يُنْتَفِعْ فِيهِ بِجُسْنِ خِضَابِ
مَاذَا تَرَى يُجْدِي عَلَيْكَ سَوَادُهُ ،
وَخِلَافُ مَا يُرْضِيكَ تَحْتَ ثِيَابِي؟
مَا الشَّيْبُ عِنْدِي ، وَالْخِضَابُ لَوَاصِفٍ ،
إِلَّا كَشَمْسٍ جَلَلَتْ بِسَحَابِ

تَخْفَى قَلِيلًا ثُمَّ تَقْشَعُهُ الصَّبَا،
فِيصِيرُ مَا سُتِرَتْ بِهِ لِذَهَابِ

•
ومن قولنا في هذا المعنى :

أَصَمَّ فِي الْغَوَايَةِ أَمْ أَنَابَا،
وَسَيَّبُ الرَّأْسَ قَدْ حَلَسَ الشَّبَابَا
إِذَا نَصَلَ الْحِضَابُ بَكَى عَلَيْهِ؛
وَيُضْحَكُ كَمَا وَصَلَ الْحِضَابَا
كَأَنَّ حَمَامَةً بِيضَاءَ ظَلَّتْ
تُقَاتِلُ ، فِي مَفَارِقِهِ ، غُرَابَا

١ نصل : تغير لونه .

فضيلة الشيب

قال النبيّ، صلى الله عليه وسلم: مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ
كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وقال ابن أبي شيبة: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، عَنِ
نَتْفِ الشَّيْبِ، وَقَالَ: هُوَ نُورُ الْمُؤْمِنِ .

وقالوا: أوّل من رأى الشيبَ إبراهيمُ خليل الرحمن فقال:
يا ربّ، ما هذا؟

قال له: هذا الوقار .

قال: ربّ زدني وقاراً .

وقال أبو نواس:

يَقُولُونَ: فِي الشَّيْبِ الْوَقَارُ لِأَهْلِهِ،
وَسَيِّبِي بِحَمْدِ اللَّهِ غَيْرُ وَقَارٍ

وقال غيره:

يَقُولُونَ: هَلْ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ؟
فَقُلْتُ: وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ؟

لقد جَلَّ قَدْرُ الشَّيْبِ، إِنْ كَانَ كَلِّمَا
بَدَتْ سَيِّبُهُ، يَعْرِى مِنَ اللّهُوَ مَرَّ كَب

دخِلَ أَبُو دُلْفٍ عَلَى المَأْمُونِ وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ ، وَقَدْ تَرَكَ أَبُو
دُلْفٍ الحِضَابَ ، فَغَمَزَ المَأْمُونُ الجَارِيَةَ فَقَالَتْ لَهُ : سَبَّتَ أَبَا دُلْفٍ ،
إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، لَا عَلَيْكَ !

فَسَكَتَ أَبُو دُلْفٍ . فَقَالَ لَهُ المَأْمُونُ : أَجِبْهَا أَبُو دُلْفٍ .

فَأَطْرَقَ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ :

تَهَزَّأْتُ أَنْ رَأَيْتُ سَيِّبِي ، فَقُلْتُ لَهَا :

لَا تَهَزَّيْ ، مَنْ يَطُلُّ عُمُرًا بِهِ يَشِبُّ

سَيِّبُ الرِّجَالِ لَهُمْ زَيْنٌ وَمَكْرُمَةٌ ؛

وَسَيِّبُكُنَّ لَكُنَّ الوَيْلُ ، فَاصْتَبِي

فِينَا لَكُنَّ ، وَإِنْ سَيِّبٌ بَدَأَ أَرَبٌ ؛

وَلَيْسَ فَيَكُنَّ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ أَرَبٍ

وقال محمود الوراق :

وعائبٍ عابني بشيبٍ ، لم يعد لما أَلَمَّ وَقْتَهُ

فقلتُ للعائبي بشيبي : يا عائبَ الشَّيْبِ لَا بَلَّغْتَهُ

أنشدني أبو عبد الله الاسكندراني ، معلّم الاخوة :
ومّا زادَ في طولِ اكتتابي طلائعُ سَيِّبَتَيْنِ أُمَّتَانِي
فأما سَيِّبَةٌ ، ففَرَزَعْتُ فِيهَا ، إِلَى الْمِقْرَاضِ ، مِنْ حُبِّ التَّصَانِي
وأما سَيِّبَةٌ ، فَعَفَوْتُ عَنْهَا ، لِتَشْهَدَ بِالْبِرَاءِ مِنَ الْحِضَابِ

وقال محمد بن مُناذر :

لَا سَلَامٌ عَلَى الشَّبَابِ ، وَلَا حَيَاةٌ لِلشَّبَابِ مِنَ مَعْهُودِ
قَدْ لَبَسْتُ الْجَدِيدَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ شَرًّا جَدِيدِ
صَاحِبٌ مَا يَزَالُ يَدْعُو إِلَى الْعَفَاةِ ، وَمَا مِنْ دُعَا لَهُ بِرَشِيدِ
وَلَنِعْمَ الْمَسْتِيبُ ، وَالْوَازِعُ الشَّيْءُ ، وَنِعْمَ الْمَفَادُ لِلْمُسْتَفِيدِ

كبر السن

قيل لأعرابيٍ قد أخذته كِبَرَةُ السِّنِّ : كيف أصبحتَ ؟

فقال : أصبحتُ تُقَيِّدُنِي الشَّعْرَةَ ، وأَعَثُرُ بِالْبَعْرَةَ ، قد أقام الدهرُ صَعْرِي ، بعد أن أقيمتُ صَعْرَهُ .

وقال آخر : لقد كنتُ أَنْكِرُ البِيضَاءَ ، فصِرْتُ أَنْكِرُ السُّودَاءَ ، فإِذَا خَيْرٌ مَبْدُولٌ وَإِذَا شَرٌّ بَدَلٌ .

ودخل المُسْتَوْغِرُ بنُ رُبَيْعَةَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَةِ سِنَةٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا مُسْتَوْغِرُ ؟

فقال : أَجِدُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ لَانَ مِنِّي مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَشْتَدَّ ، وَاشْتَدَّ مِنِّي مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَلِينُ ، وَأَبْيَضَ مِنِّي مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَسْوَدَّ ، وَاسْوَدَّ مِنِّي مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَبْيَضَّ ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

سَلْنِي ! أَنْبَأْتُكَ بِآيَاتِ الْكِبَرِ :

نَوْمُ الْعِشَاءِ ، وَسُعَالُ السَّحَرِ

١ صغري : امالة خدي كبراً .

وقِلَّةُ السَّوْمِ ، إذا الليلِ اعْتَكَرَ ،
وقِلَّةُ الطُّعْمِ ، إذا الزَّادُ حَضَرَ
والناسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشَّجَرُ

وقال أعرابي :

أشكو إليك وجعاً برُكْبَتِي ، وهَدَجَانًا لم يَكُنْ في مِشْيَتِي^١
كهدَجَانِ الرَّألِ خَلْفَ الهَيْقَتِ^٢

وقال آخر :

وللكبير رَثِيَاتُ أَرْبَعٍ : الرُّكْبَتَانِ والنِّسَا والأخْدَعُ^٣

وقال جرير :

تَحِنُّ العِظَامِ الرَّاجِفَاتُ من البَيْلِي ،
ولَيْسَ لِدَاءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَيْبُ

١ الهدجان : المثنى رويداً في ضعف .

٢ الرأل : ولد النعام . الهيقت : انتى النعام ، واصطفا الهيقه بالناء المربوطة ، صير
الناء مبسوطة للروي .

٣ الرثيات ، واحدها رثية : ذاء في المفاصل . النسا : عرق من الورك الى الكعب .
الأخدع : أحد عرقين في جاني العنق قد خفيا .

وقال أعرابي في امرأة عَجوز :

يا بَكَرَ حَوَاءَ مِنَ الْأَوْلَادِ ، وَأَقْدَمَ الْعَالَمِ فِي الْمِيلَادِ
عُمْرِكَ مَمْدُودٌ إِلَى التَّنَادِي ، فَحَدَّثْنَا بِمَجْدِيثِ عَادِ
وَمُبْتَدَا فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ، وَكَيْفَ حَالَ السَّيْلِ بِالْأَطْوَادِ ٢

وقال آخر :

إِذَا عَاشَ الْفَتَى سَبْعِينَ عَامًا ، فَقَدْ ذَهَبَ الْمَسْرَّةُ وَالْفَتَاءُ

كَانَ فِي غَطْفَانَ نَصْرَ بْنَ دُهْمَانَ ، قَادَ غَطْفَانَ وَسَادَهَا
حَتَّى خَرِفَ وَعُمِّرَ تِسْعِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّ شَعْرُهُ
وَنَبَتَتْ أَضْرَاسُهُ وَعَادَ شَابًّا ، فَلَا تُعْرَفُ فِي الْعَرَبِ أُعْجُوبَةٌ مِثْلَهُ .

وقال محمد بن مُناذر في رجل من المُعَمَّرِينَ :

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ ،
قَدْ صَحَّحَ مِنْ طُولِ عُمُرِهِ الْأَبْدُ
قَدْ شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاكْتَهَلَ الدَّهْرُ ،
وَأَثَابُ عُمُرِهِ جُودٌ

١ التنادي : القيامة .

٢ السيل : اراد به سيل العرم . الأطواد ، واحدها طود : الجبل ، يشير الى سد مأرب .

يا نَسْرَ لُقْمَانَ ! كم تَعْمِشُ ، وكم
تَسْحَبُ ذَيْلَ الحِياةِ يا لُبْدًا ؟
قد أَصْبَحَتْ دارُ آدَمَ خَرِبَتٌ ،
وأنتَ فيها كأنك الوَتِيدُ ،
تَسْأَلُ غَرْبانها ، إذا حَجَلتْ ،
كيفَ يكون الصُّداعُ والرَّمْدُ ؟

•
ودخل الشَّعْبِيُّ على عبد الملك بن مَرْوان ، فوجده قد كبا
مُهْتَمًّا ، فقال : ما بالُ أمير المؤمنين ؟
قال : يا شعبي ، ذكرتُ قولَ زهير :

كأنِّي ، وقد جاوزتُ سَبْعينَ حِجَّةً ،
خَلَعْتُ بها عَنِّي عِذارَ الجامِيِ ،
رَمَتني بناتُ الدَّهْرِ من حيث لا أرى ،
فكيفَ بمن يُرْمى وليس بِرامِيِ ؟
فلو أنني أُرْمى بِبَيْبِلٍ رأيتُها ،
ولكنني أُرْمى بِغَيْرِ سِهامِ

١ لبد : آخر سور لقمان . واسطورة لقمان وسبعة انسه مشهورة .

على الرَّاحَتَيْنِ ، تَارَةً ، وعلى العِصَا
أَنْوَاءَ ثَلَاثًا ، بَعْدَهُنَّ قِيَامِي

قال له الشَّعْبِيُّ : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما
قال لَيْبِدُ بن ربيعة ، وقد بلغ سبعين سنة :

كَأَنِّي ، وَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً ،
خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنْكِبِي رِدَائِيَا

فلما بلغ سبعاً وسبعين قال :

بَاتت تَشَكَّى إِلَيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَةً ،
وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا
فَإِنْ تَزَادِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا ،
وَفِي الثَّلَاثِ وِفَاءٌ لِلثَّمَانِينَا

فلما بلغ مائة سنة قال :

وَلَقَدْ سَمَّيْتُ مِنْ الْحَيَاةِ وَطُوهَا ،
وَسُؤَالَ هَذَا الْخَلْقِ كَيْفَ لَيْبِدُ

فلما بلغ مائة سنةٍ وعشرًا قال :

أَلَيْسَ فِي مِائَةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ ،
وَفِي تَكَامُلِ عَشْرِ بَعْدَهَا عُمُرٌ ؟

فلما بلغ ثلاثين ومائة وقد حضرته الوفاة قال :

تَمَنَّى ابْتِنَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا؛

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرَ؟

فَقُومَا وَقُولَا بِالَّذِي تَعَلَّمَانِهِ،

وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَ

وَقُولَا : هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ

أَضَاعَ ، وَلَا خَانَ الْحَلِيلَ وَلَا غَدَرَ

إِلَى الْحَوْلِ ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا؛

وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ

قال الشعبي : فلقد رأيتُ السرورَ في وجه عبد الملك

طمعاً أن يعيشها .

وقال لبيدٌ أيضاً :

أليسَ ورائي ، إن تراختَ مَنِيَّتِي،

لُزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ؟

أخْبِرْ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ؛

أَدَبٌ كَأَنْتِي كَلِمَاتِي رَاكِعِ

فأصبحتُ مثلَ السيفِ أُخْلِقَ جَفْنَهُ
تَقَادِمُ عَهْدِ الْقَيْنِ ، والنَّصْلُ قَاطِعٌ

•
وقالوا : مكتوب في الزُّبُور : مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَكَى
من غير علة .

وقال محمد بن حسان النُّبَاطِي : لا تَسْأَلْ نَفْسَكَ الْعَامَ مَا
أَعْطَكَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي .

وقال مُعَاوِيَةُ لَمَّا أَسْنَى : مَا مَرَّ شَيْءٌ كُنْتُ أُسْتَلِذُّهُ وَأَنَا
شَابٌّ فَأَجِدُهُ الْيَوْمَ كَمَا أَجِدُهُ إِلَّا اللَّبَنَ وَالْحَدِيثَ الْحَسَنَ .
عاشِ ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو حَتَّى يُوَلِّدَهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ذَكَرًا ، فَقَالَ :
مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ .

وقال ابنُ أَبِي قَتَنِ :

مَنْ عَاشَ أُخْلِقَتِ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ ،
ووَخَانَهُ ثِقَّتَاهُ : السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
قَالَتْ : عَهْدُكَ بَجُنُونًا ، فَقُلْتُ لَهَا :
إِنَّ الشَّبَابَ بَجُنُونٍ ، بُرُؤُهُ الْكِبَرُ

•
قال أبو عبيدة : قيل لشيخ : ما بقي منك ؟

قال: يَسْبِقُنِي مَنْ بَيْنَ يَدَيِّ وَيُدْرِكُنِي مَنْ خَلْفِي، وَأَذْكَرُ
الْقَدِيمَ، وَأَنْسَى الْحَدِيثَ، وَأَنْعَسَ فِي الْمَلَأِ، وَأَسْهَرَ فِي الْحَمَلِ،
وَإِذَا قَمْتُ قَرُبَتْ الْأَرْضُ مِنِّي، وَإِذَا قَعَدْتُ تَبَاعَدَتْ عَنِّي.

•
وقال حميد بن ثور الهلالي :

أرى بصري قد رابني بعد صحة؛
وحسبك داءً أن تصح وتسلماً

•
وقال آخر :

كَانَتْ قَمَاتِي لَا تَكِينُ لِعَاْمِرٍ، فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا، لِيُصِحِّحَنِي، فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ

•
وقال أبو العتاهية يروي للقطامي :

أَسْرَعَ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامُهُ

•
وقالت الحكماء: ما زاد شيء إلا نقص، ولا قام إلا شخص .

١ شخص : ذهب وانتقل .

وقال بعض المُحدِّثين :

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ الزَّمَانَ طَوَانِي،
وَبَدَلْ عَقْمِي كَلَّةً وَبِرَانِي؟
تَحْيَيْفِي عُضْوًا فَعُضْوًا ، فَلَمْ يَدَعِ
سِوَى اسْمِي صَحِيحًا ، وَحَدَه ، وَلِسَانِي
وَلَوْ كَانَتِ الْأَسْمَاءُ يَدْخُلُهَا الْبَيْلِي ،
إِذَا بَيْلِي اسْمِي لِامْتِدَادِ زَمَانِي
وَمَا لِي لَا أَبْنِي لِسَبْعِينَ حِجَّةً
وَسَبْعَ ، أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا سَنَتَانِ
إِذَا عَنَّ لِي شَيْءٌ ، فَخَيَّلَ دُونَهُ
شَيْئَهُ صَبَابٍ ، أَوْ شَيْئَهُ دُخَانِ

وقال الغزَّال :

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ مَحْسُودًا عَلَى أَمْدٍ ،
مِنَ الْحَيَاةِ ، قَصِيرٍ ، غَيْرِ مُتَمَدِّدٍ
حَتَّى بَقِيَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي تَخَلُّفٍ ،
كَأَنَّ بَيْنَهُمْ مِنْ وَحْشَةٍ وَحَدِيدِي

١ تحييفي : لتقصني .

وما أفارق يوماً من أفارقه،
إلا حسبتُ فراقِي آخِرَ العهدِ

وقال آخر :

يا مَنْ لشيخٍ قد تحدّد لحمه، أفنئى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا^١
سوداءِ حالكة، وسحقَ مفوفٍ، وأجدّ لوناً بعد ذلك هجانا^٢
قبصرَ اللبالي خطوّه، فتداني، وحنينَ قائمٍ صلبه، فتحاني^٣
والموتُ يأتي بعد ذلك كلّه، وكأنا يُعنى بذلك سوانا

وقل سفيان الثوريّ في مدح كبره :

إنّي، وإن كان مسني كسبر^١ :
على ما قد ترين من كبري
أعرف، من قبل أن تُفارقني،
موقعَ سهمي، والسهمُ في الوتر

١ تحدد لحمه : اضطرب من الهزال وتشنج . و اراد بالعمائم الثلاث : تبسدل
الوان شعره .

٢ اراد بسحق مفوف : اختلاط سواد الشعر ببياضه . والسحق : الثوب البالي .
والمفوف : البرد المخطط بالبياض . الهجان : الابيض الخالص .

٣ حنين قائم صلبه : قوسن ظهره .

من صحب من ليس من نظرائه

لخصال فيه

كان حارثةُ بنُ بدرٍ العُداني فارسَ بني تميم ، وكان شاعراً
أديباً ظريفاً ، وكان يعاقر الشرابَ ويصحب زياداً ، ف قيل
لزياد : إنك تصحب هذا الرجلَ وليس من ساكمتك ، إنه
يعاقر الشراب .

فقال : كيف لا أصحبه ، ولم أسأله عن شيء قط إلا وجدتُ
عنده منه علماً ، ولا مَشى أمامي فاضطررتُ أن أنادي به ، ولا مَشى
خلفي فاضطررتُ أن ألنفتَ إليه ، ولا راكبتني فمستتُ رُكبتني
رُكبتَه .

فلما هلك زيادُ قال حارثةُ بنُ بدرٍ يرثيه :

أبا المغيرَةِ ، والدنيا مُغررةٌ ،
وإنَّ من غرَّت الدنيا لمغرورُ
قد كان عندك للمعروفِ معرفةٌ ؛
وكان عندك للتكبيرِ تنكيرُ
لو خلدَ الحيرُ والإسلامُ ذا قدمٍ ،
إذاً خلدك الإسلامُ والحيرُ

وتمامُ هذه الأبياتِ قد وقعتْ في الكتابِ الذي أفرَدناه
للمرَّاثي .

وكان زياد لا يُداعِبُ أحداً في مجلسه ولا يَضْحَكُ، فاختم
إليه بنو راسِبٍ وبنو الطُّفاوَةِ في غلامٍ أثبتَه هؤلاء وهؤلاء ،
فتَحَيَّرَ زيادٌ في الحُكْمِ . فقال له حارثةُ بن بدر : عندي، أكرمَ
اللهُ الأميرَ، في هذا الغلامِ أمرٌ، إن أذن الأميرُ تكَلَّمْتُ به فيه؟
قال : وما عندك فيه ؟

قال : أرى أن يُلقَى في دِجْلَةٍ فإن رَسَبَ فهو لبني
راسِبٍ ، وإن طفا فهو لبني الطُّفاوَةِ .

فتبسَّم زيادٌ وأخذَ نَعْلَيْهِ ودَخَلَ ، ثم خَرَجَ ، فقال لحارثةُ :
ما حَمَلَك على الدُّعابةِ في مجلسي ؟

قال : طَيِّبَةٌ حَضَرْتَنِي ، أبقى اللهُ الأميرَ ، خِفْتُ أن تَفوتَنِي .
قال : لا تَعُدْ إلى مثلها .



ولما ولىَّ عبيد الله بن زياد بعد موت أبيه اطَّرَحَ حارثةَ
ابن بدر وجفاه . فقال له حارثةُ : ما لك لا تُنزلني المنزلةَ التي
كان يُنزلني أبوك ؟ أتَدَّعي أنكَ أفضلُ منه أو أعقلُ ؟

قال له : إنَّ أيَّ كان بَرَّعَ في الفضلِ بُوعداً لا تَضُرُّه
صُحْبَةُ مثلك ، وأنا حَدَثُ أخشى أن تَحْرِقَنِي بنارك ، فإنَّ

سئنتَ فاتركَ الشرابَ وتكونَ أوَّلَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ .

قال : والله ما تركتهُ لله فكيف أتركه لك ؟

قال : فتَحَيَّرَ بلدًا أو لِيكِهِ .

فاختار سُرقَ من أرضِ العِراقِ ، فولاهُ إياها . فكتب إليه

أبو الأسود الدُّؤلي ، وكان صديقاً له :

أحارَ بنَ بَدْرِ قَدَ وَلِيَتَ وِلَايَةَ ،

فكُنْ جُرَدًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ

وباه تَمِيمًا بِالغِنَى ، إِنَّ للغِنَى

لِسانًا ، به المرءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ

وما النَّاسُ إِلَّا اثْنانِ ، إمَّا مُكذِّبٌ

يقول بما يَهْوَى ، وإمَّا مُصدِّقٌ

يقولون أقوالاً ولا يُحْكِمُونَهَا ،

فإن قيل يوماً : حَقِّقُوا ، لم يُحَقِّقُوا

فَدَعَ عنكَ ما قالوا ، ولا تَكْتُمُ بِهِم ،

يَحْظُوكَ من مالِ العِراقِينِ سُرقَ

فوقَّعَ في أسفلِ كتابِهِ : لا بَعُدَ عنكَ الرَّسَدُ .

١ الهيوبة : التديد الخوف .

وكان ابن الوليد البجليّ، وهو ابنُ أخت خالد بن عبد الله
 القسريّ، وليّ أصبهان، وكان رجلاً مُتَسَمِّتاً مُتَصَلِّحاً،
 فَقَدِمَ عَلَيْهِ حمزةُ بن بيض بن عوفٍ راغباً في صُحْبَتِهِ، فَقِيلَ
 لَهُ: إِنَّ مِثْلَ حمزةٍ لَا يَصُحِبُ مِثْلَكَ، لِأَنَّهُ صَاحِبُ كِلَابٍ
 وَهُوَ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَأَمَرَهُ بِالْأَنْصَافِ. فَقَالَ فِيهِ:
 يَا بَنَ الْوَلِيدِ الْمُرْتَجَى سَيْبُهُ، وَمَنْ يُجَلِّي الْحَدَثَ الْحَالِكَا
 سَيْبِلُ مَعْرُوفِكَ مَسِي عَلَى بَالٍ، فَمَا بَالِي عَلَى بَالِكَا
 حَشْوُ قَمِيصِي شَاعِرُ مُفْلِقُ، وَالْجُودُ أَمْسَى حَشْوُ سِرِّ بَالِكَا
 يَلُومُكَ النَّاسُ عَلَى صُحْبَتِي؛ وَالْمَسْكُ قَدْ يَسْتَصْحِبُ الرَّامِكَا^٢
 إِنَّ كُنْتَ لَا تَصُحِبُ إِلَّا فِتَى مِثْلِكَ، لَنْ تُؤْتِيَ بِأَمْثَالِكَا
 إِنِّي أَمْرٌ وَجِئْتُ أُرِيدُ الْهُدَى، فَعُدْ عَلَى جَهْلِي بِإِسْلَامِكَا
 قَالَ لَهُ: صَدَقْتَ؛ وَقَرَّبَهُ وَحَسَّنَتْ مَنَزَلَتَهُ عِنْدَهُ.

وكان عبدُ الرحمن بن الحكمِ الأميرِ قد عَتَبَ عَلَى نُدْمَانِهِ،
 فَأَمَرَ نَصْرًا لِقَى بِإِسْقَاطِهِمْ مِنْ دِيْوَانِ عَطَائِهِ، وَلَمْ يَسْتَبَدِلْ بِهِمْ.
 فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامِ اسْتَوْحَاشِهِمْ، فَقَالَ لِنَصْرٍ: قَدْ اسْتَوْحَشْنَا

١ متسمتاً: متعبداً.

٢ الرامك: شيء أسود يخاط بالمسك.

لأصحابنا أولئك .

فقال له نصر : قد نالهم من سُخْطِ الأَمِيرِ ما فيه أدبٌ لهم ،
فإن رأى أن يُرْسَلَ فيهم أُرْسِلت ؟

قال : أُرْسِل . فأقبل القومُ وعليهم كآبة ، فأخذوا مجالسهم ،
ولم ينشروا ولا خاضوا فيما كانوا يَخُوضون فيه ، فقال الأَمِيرُ
لنصر : ما يَمْنَعُ هؤلاء من الانشراح ؟

قال : عليهم ، أبقي الله الأَمِيرَ ، وَجَمَّةٌ السُّخْطِ الذي نالهم .
قال : قُلْ لهم : قد عَفَوْنَا فليَنشُرِ حوا .

قال : فقام عبدُ الرحمن بنِ الشَّمرِ الشاعرُ المُنْتَجِمُ ، فجثا
بين يديه ، ثم أنشد شعراً له أقذع فيه على بعض أصحابه إلا أنه
خَمَمَهُ بيئتين بديعيتين وهما :

فيا رَحْمَةَ اللهِ في خَلْقِهِ ، وَمَنْ جُودُهُ أبدأً يَسْكُبُ
لئن عَفَتِ صُحْبَةَ أَهْلِ الذُّنُوبِ ، لقلَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُصْحَبُ

وأحسنُ ما قيل في هذا المعنى قولُ النابغة :

ولسنتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخاً لا تَلُمُهُ
على سَعَتٍ ؛ أَيُّ الرِّجالِ المَهْدَبُ ؟

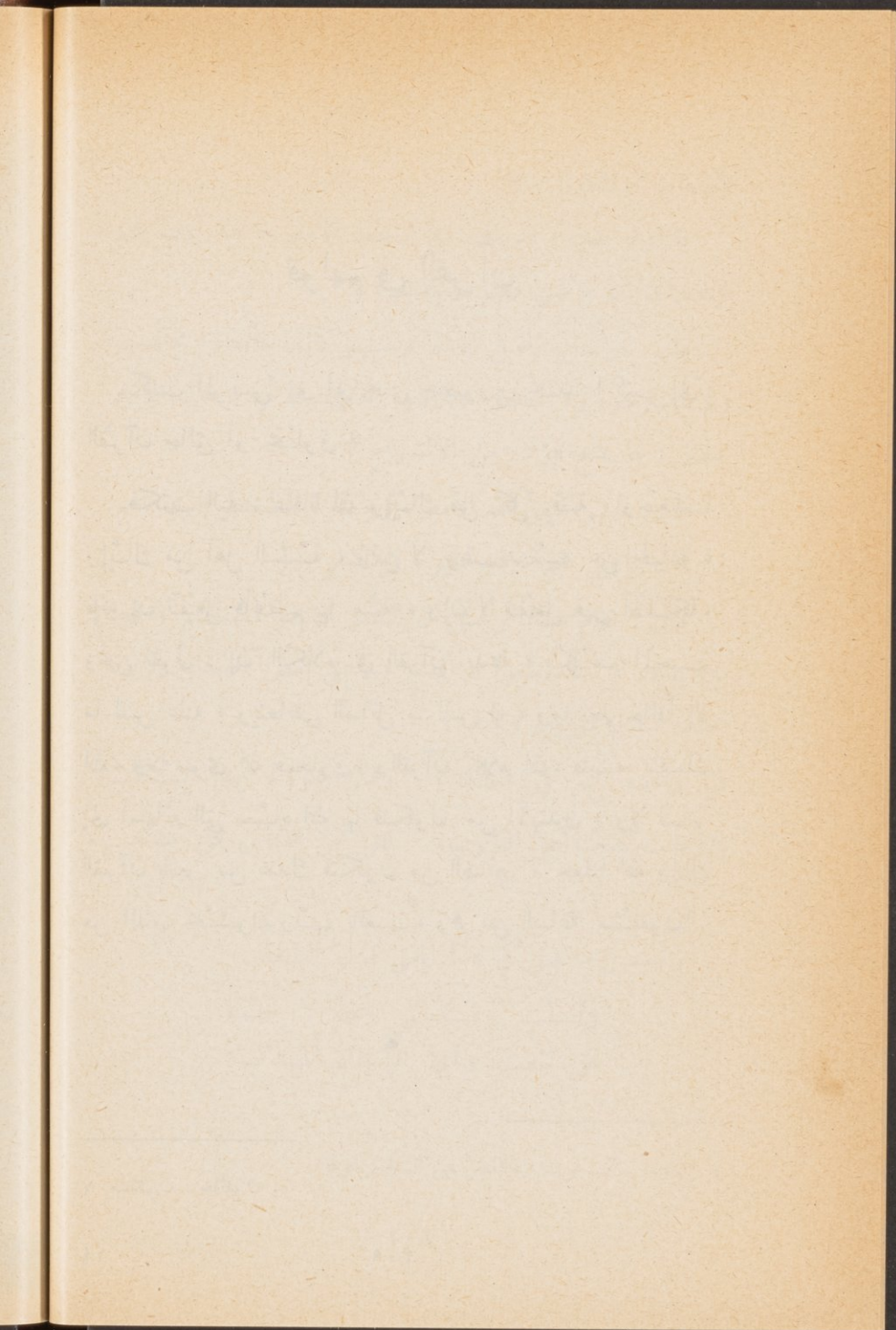
١ الوجمة : السكوت ، والعجز عن الكلام خوفاً .

قولهم في القرآن

كتب المرسيّ إلى أبي يحيى منصور بن محمد: اكتب إليّ:
القرآن خالق أو مخلوق؟

فكتب اليه : عافانا الله وإياك من كلِّ فِتنة ، وجعلنا
وإياك من أهل السُنَّة ، ومن لا يرغب بنفسه عن الجماعة ،
فإنه إن تفعل فأعظم بها منة ، وإن لا تفعل فهي الهلكة ،
ونحن نقول : إنَّ الكلامَ في القرآن بدعة ، يتكلّف المُجيبُ
ما ليس عليه ، ويتعاطى السائل ما ليس له ، وما نعلم خالقاً إلا
الله ، وما سوى الله فمخلوق ، والقرآنُ كلامُ الله ، فانتَهَ بنفسك
إلى أسمائه التي سمّاه الله بها فتكونَ من المُهتدين ، ولا تُسمِّ
القرآنَ باسمٍ من عندك فتكونَ من الضالين ، جعلنا الله وإياك
من الذين يخشون ربّهم بالغيب ، وهم من الساعَةِ مُشفقون^١ .

١ مشفقون : خائفون .



ابناء النور

٣

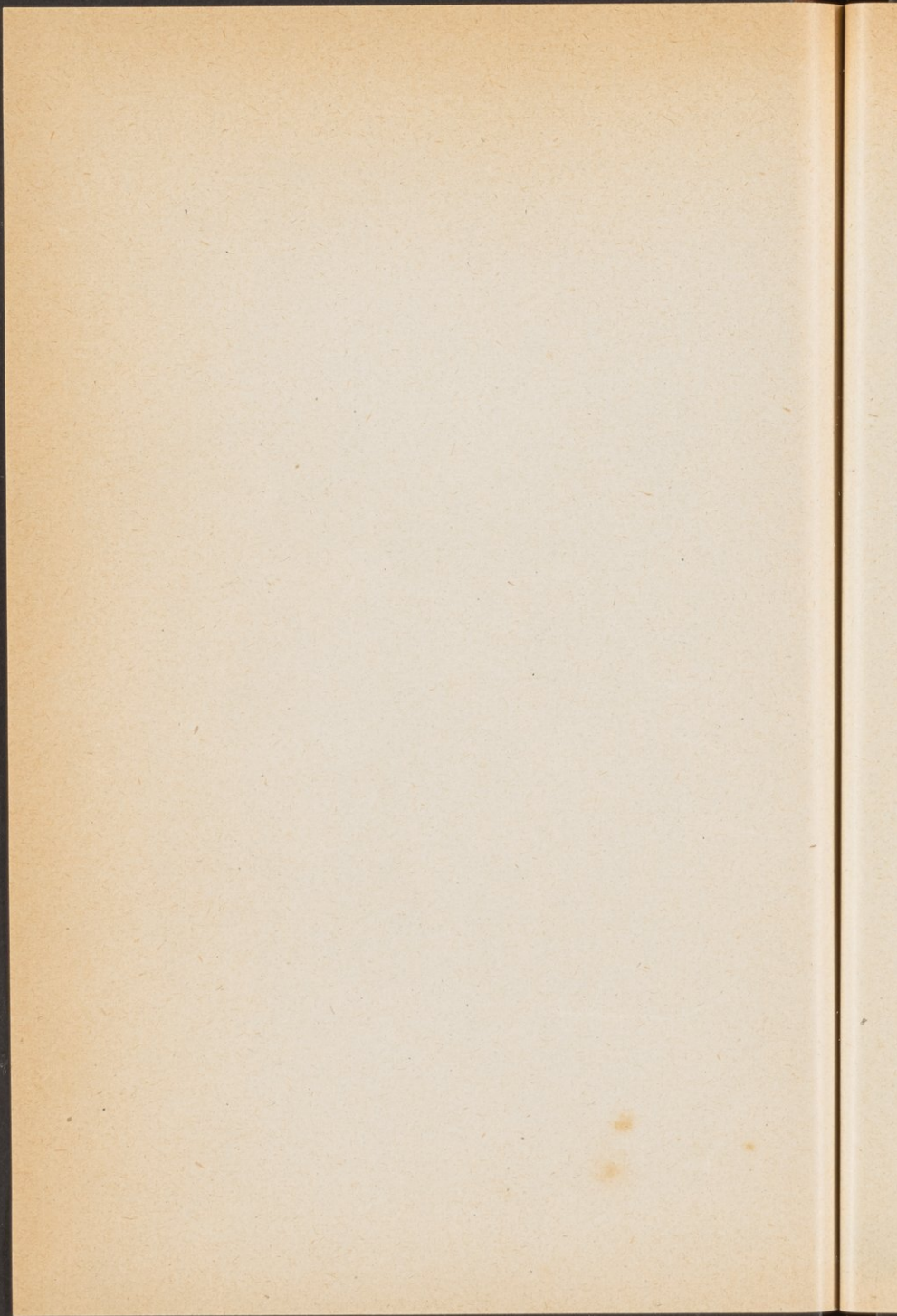
| | | | | | |
|----|---|---|---|---|---|
| ٥ | . | . | . | . | في صحبة الأيام بالموادعة |
| ٩ | . | . | . | . | التحفظ من المقالة القبيحة وان كانت باطلاً |
| ١١ | . | . | . | . | الأدب في تسميت العاطس |
| ١٣ | . | . | . | . | الاذن في القبلة |
| ١٦ | . | . | . | . | الأدب في العيادة |
| ٢٩ | . | . | . | . | الادب في الاعتناق |
| ٣١ | . | . | . | . | الادب في اصلاح المعيشة |
| ٣٣ | . | . | . | . | الادب في المؤاكلة |
| ٣٩ | . | . | . | . | أدب الملوك |
| ٤٣ | . | . | . | . | الكناية والتعريض |
| ٤٨ | . | . | . | . | الكناية يورى بها عن الكذب والكفر |
| ٥٢ | . | . | . | . | الكناية عن الكذب في طريق المدح |
| ٥٤ | . | . | . | . | في الكناية والتعريض في طريق الدعابة |
| ٥٩ | . | . | . | . | في الصمت |
| ٦٣ | . | . | . | . | في المنطق |
| ٦٥ | . | . | . | . | في الفصاحة |
| ٦٦ | . | . | . | . | آفات المنطق |
| ٧١ | . | . | . | . | في الاعراب واللعن |
| ٧٧ | . | . | . | . | في اللحن والتصنيف |

| | | | | | |
|-----|---|---|---|---|--|
| ٧٩ | . | . | . | . | نواذر من الكلام |
| ٨١ | . | . | . | . | نواذر من النحو |
| ٨٩ | . | . | . | . | في الغريب والتعقيب |
| ٩٤ | . | . | . | . | في تكليف الرجل ما ليس من طبعه |
| ٩٩ | . | . | . | . | في ترك المشاركة والممارسة |
| ١٠١ | . | . | . | . | في سوء الادب |
| ١١٠ | . | . | . | . | في تحنك الفتى |
| ١١٨ | . | . | . | . | في الرجل النفاع الضرار |
| ١٢٣ | . | . | . | . | في طلب الرغائب واحتمال المغارم |
| ١٣٢ | . | . | . | . | في الحركة والسكون |
| ١٤١ | . | . | . | . | التماس الرزق وما يعود على الاهل والولد |
| ١٤٤ | . | . | . | . | في فضل المال |
| ١٥٢ | . | . | . | . | صنوف المال |
| ١٥٥ | . | . | . | . | تدبير المال |
| ١٥٨ | . | . | . | . | الاقفال |
| ١٦٥ | . | . | . | . | السؤال |
| ١٦٩ | . | . | . | . | سؤال السائل من السائل |
| ١٧٠ | . | . | . | . | الشيبة |
| ١٧٩ | . | . | . | . | الشباب والصحة |
| ١٨٥ | . | . | . | . | الخضاب |
| ١٩١ | . | . | . | . | فضيلة الشيب |
| ١٩٤ | . | . | . | . | كبر السن |
| ٢٠٤ | . | . | . | . | من صحب من ليس من نظرائه لحصال فيه |
| ٢٠٩ | . | . | . | . | قولهم في القرآن |

العقد الفريد

| | |
|-------------------|----|
| السلطان وعدل ساعة | ١ |
| تحت ظلال القنا | ٢ |
| الأيدي السخية | ٣ |
| وفود العرب | ٤ |
| مخاطبة الملوك | ٥ |
| أبناء النور ١ | ٦ |
| أبناء النور ٢ | ٧ |
| أبناء النور ٣ | ٨ |
| أمثال العرب | ٩ |
| سحر البيان | ١٠ |
| دموع الأحزان | ١١ |
| أنساب العرب | ١٢ |
| من خيام الأعراب | ١٣ |
| فيض الحواطر | ١٤ |
| أدب المنابر | ١٥ |
| الكتابة والكتّاب | ١٦ |

| | |
|-----------------|----|
| أخبار الخلفاء ١ | ١٧ |
| أخبار الخلفاء ٢ | ١٨ |
| أخبار الخلفاء ٣ | ١٩ |
| أمراء المسلمين | ٢٠ |
| أيام العرب ١ | ٢١ |
| أيام العرب ٢ | ٢٢ |
| طرائف الشعراء ١ | ٢٣ |
| طرائف الشعراء ٢ | ٢٤ |



3-6

209-3-6

٢٠٠ غ.د.

2W
7540-134-8

